

عبد الله القصيبي

الإنسان يعصي .. لهذا يصنع الحضارات

انه لولا افراد عباقره عصاة قليلون يجيئون كولادة الشيء من غير ابويه او كولادة الشيء بلا ابوين او كولادة الشيء نقيضا لابويه ، ليهبوا الحياة جميع قفزاتها الجديدة المتتابعة ، ولكي يكونوا فيها العصاة الهدامين الاتقياء ، لما كان الانسان فقط اردا الكائنات حقا بل وكان أكثر الكائنات بلادة وهوانا وتعاسة ..

إذا انتصر النبي هُزِمَتْ نبوته

« .. ان انتصار النبي هزيمة لنبوته . ان نبوته حينئذ لا بد ان يتحول من نبوة مسالة الى نبوة محاربة ، ومن نبوة واعظة ومتسامحة وغافرة الى نبوة باطشة لاعنة معاقبة . ان النبي اذا انتصر فلا بد ان ينتقل من نبي حزين باك مصل من اجل الخطايا والآلام والصفائر والتفاهات التي يعيشها جميع الناس وجميع الاشياء الى نبي زعيم او الى نبي حاكم باطش غاضب فظ معير بالخطايا والاختاء والآلام والصفائر بل وبالجموع والمعجز . ان المهزوم المهان المولود في الهزيمة والهوان لا بد ان يصبح اقصى الجبارين اذا انتصر .. ان الحيوان الضعيف المقهور الخائف لا بد ان يتحول الى اقصى الوحوش وحشية لو انه تحول الى حيوان قوي غالب ، لو ان اظفارا وانيابا قوية نبتت في جسمه .. ان تغير الذات والوضع تغير في المذهب والتدين والاخلاق والفكر »

« .. انك اذا قلت الحقيقة وهي ليست في حساباتك او ضد حساباتك فلا بد أنك تنوي شيئا آخر . لعلك حينئذ تنوي نفيها وهزيمتها ومقاتلتها بقولها وبالثناء عليها . انك قد تجعل اعلانك عن الحقيقة التي لا تريدها سلاحا او سبا او كيدا تطعن او تخيف او تهدد به انسانا او قوما . ان الناس ليقاومون الحقيقة بالحقيقة والصدق بالصدق بقدر ما يقاومون الحقيقة والصدق بالباطل والكذب .. »



موافقنا المذهبية والاجتماعية والاخلاقية والفكرية والانسانية والدينية ليست مواقف دينية ولا مذهبية ولا فكرية ولا اخلاقية ولا روحية ولا اجتماعية ولا انسانية .

انها مواقف قبلية وعائلية ومنزلية وجسدية . انها مواقف قتال

ومتاجرة ومخاصمة ومنافسة ومعاداة . انها هي اللغة العالمية التاريخية
الابدية التي يتكلمها كل انسان وكل مجتمع ليعبر بها عن هموم او آلام او
احتياجات او طموح او صفات او مشاكل او ظروف قبيلته او اسرته
او جسده او شهوته او تاريخه او مخاوفه . ان قبيلتك او اسرتك لتكيف
وتصوغ مذهبك وتقواك والهك ونبيك ومنطقك وتعاليمك .

ان تاريخ جسدك وما فيه من علامات سعيدة او اليمة ، قوينة
او ضعيفة ليتدخل لصياغة مذهبك او دينك او تفكيرك او اخلاقك ،
ولصياغة صفات وصور الهك وانبيائك ، وصياغة شهواتهم واهوائهم
وتعاليمهم ، ولصياغة تفاسيرك لهم .

ان اخلاق جدران وابواب البيوت التي تسكن ، واخلاق شوارع
وميادين الحي الذي تقيم فيه او نمر به او تواجه ، واخلاق وجوه وطعام
وثياب وصحة وجمال او دماة اطفالنا او اطفال جيراننا ، وان صور آبائنا
واجدادنا الحزينة الهزيلة الشاحبة البائسة النازرة برعب ويأس ، المعلقة
بلا اتقان او اهتمام فوق فرشنا المسكونة بالحشرات وبالهموم وبالادران
وبالتاريخ الحزين .

- نعم ، ان كل ذلك ليصوغ مذاهبنا وادياننا وافكارنا واربابنا
وانبياءنا وزعماءنا . انه ليصوغ جميع نماذجنا الفكرية والسلوكية والدينية
والروحية والنفسية والاجتماعية ، بل انه ليصوغ نماذج اخلاق وتفسير
آلهتنا ومعلمينا ، بل يصوغ نياتهم ولغاتهم ومثلهم واحاسيسهم وقوتهم
وضعفهم ومستوياتهم الجمالية والذاتية والنفسية والتاريخية والابداعية .
ان صفات وجودنا هي التي تفسر هؤلاء وتهبهم قيمهم وعبقرياتهم ،
لا صفات وجودهم او ذواتهم هم ..

ان الفقير المحروم والضعيف المقهور قد يجدان للفقر والحرمان
والضعف والقهر مزايا دينية او مذهبية او انسانية او روحية . انهما
قد يجدان كل المزايا والمجد والخير والتقوى والنظافة والبراءة وحب
الالهة ورضاها في ذلك ، اي في ان يكون المرء ضعيفا مقهورا وفقيرا
محروما .

انهما قد يذهبان حينئذ يلعبان ويكرهان ويشتمان الاقوياء والسعداء
والاذكياء والمتفوقين والمنتصرين ، بل والمبدعين الخلاقيين . انهما قد

يذهبان يتدينان ويمتدحان نفسيهما بالتحدث عن رذائل وفسوق الذكاء والقوة والتفوق والسعادة والانتصارات . ثم يذهبان يتصوران ويعانسان ويريان ان النماذج الانسانية العظيمة والخالدة كانوا جميعا ضعفاء وبؤساء ومغلوبين مقهورين محرومين .

نعم ، انهما هكذا سوف يعتقدان ويعلنان ويفخران ويفسران .

لقد كان جميع الانبياء والقديسين والقادة الانسانيين وجميع المؤمنين الاتقياء - لقد كانوا جميعا من المحرومين او المعبوسين او المشوهين او المحزونين او المظلومين او المقهورين او المعتدى عليهم او الضعفاء ، او من الذين لا يملكون اي تفوق عقلي او فني او ذاتي . ان التفوق العقلي والذاتي قد ظل في كل التاريخ يحسب ذنبا او زندقة . لقد ظل هذا التفوق يحسب كفرا بالارباب وبالانبياء وبالزعماء وبالمعلمين وبالمذاهب والاديان ..

اننا جميعا انبياء وقديسون وانسانيون وفدائيون ونماذج للتقوى والحب والتواضع والتسامح والحرية والايمان ، اي حينما نكون فوق الارض مع الانسان المقهور المعذب المهان المحروم المعتدى عليه .

اننا حينما نكون فوق الارض لا بد ان نكون سماويين في تعاليمنا او في دعاوانا او في نياتنا او في امانينا او في حبننا وتواضعنا وتحايقاتنا ..

... اما حينما نقفز فوق الارض وفوق سكانها ، ونرتفع فوق جاذبيتها ونصبح سادة وقادة وسعداء واقوياء وانبياء يتخاطبون مع السماء وبلغة سكان السماء ، فان كل شيء فينا حينئذ لا بد ان يصاب بالتغير العظيم .

ان جميع الاشياء لا بد حينئذ ان تصاب في رؤانا وحساباتنا بالمرض الملائم ...

ان لغاتنا ونياتنا وشهواتنا وتفاسيرنا وافكارنا وتصوراتنا ونبواتنا ، بل وعيوننا وخفقات قلوبنا ، بل وصور الاشياء والناس في عيوننا ، بل وقدرة عيوننا على الرؤية ، بل واخلاق ومواهب عيوننا واذنانا - نعم ، ان كل ذلك حينئذ لا بد ان يصاب بالتغير الكبير . ان اخلاق ومراثي ولغات وافكار واديان ومذاهب جميع الاشياء حينئذ لا بد ان تتغير في حواسنا واحاسيسنا وفي تقوانا .

اننا حينئذ لا بد ان نصبح في كل معانينا من اعنف السادة واقسى
الطفاة الجبارين . اننا حينئذ لا بد ان نكفر عن كينوناتنا وآلامنا واوضاعنا
القديمة . اننا لا بد ان نعاقبها ونكفر عنها . وان اسلوب العقاب لها
والتكفير عنها لن يكون الا بالانتقال الى النقيض ، بأقسى وافظع اساليب
الانتقال ، وايضا بأقسى وافظع مستويات هذا النقيض .
اننا حينئذ لا بد ان ننحاز الى مواكب الارباب الجديدة العاتية المشابهة
البازغة بجبروت ودوي وتدلبل باهظ على بزوغها وعلى انحيازنا الى هذه
المواكب .

اننا حينئذ لا بد ان ننحاز الى اخلاق وافكار ومشاعر الصاعدين
الجبارين الجائعين جدا الى الصعود والجبروت . اننا لا بد ان ننحاز الى
ذلك بلا تدبير كما ينحاز المنطلق من جاذبية الارض الى جاذبية الكوكب
او الكون الذي يهبط اليه او يصعد اليه . اليس محتوما ان تتغير اخلاق
وافكار واحتياجات ونيات واحاسيس وحواس من يصعد الى القمر
ويسكن فيه لاختلاف كل شيء هناك ؟

ان اقبح واوقح انواع الكبرياء والجبروت هما كبرياء وجبروت
القادرين الذين ينهضون من التراب ليصبحوا تيجانا باهظة فوق هامات
جميع الهامات ، ولينظروا بحقد وغضب وذعر وتهديد واحتقار الى
التراب الذي نهضوا منه ، وليتحولوا الى اقصى جلادين ومعاقبين للتراب
الذي كان سماءهم والذي نهضوا منه . ما اقبح التراب في احاسيس من
خلقوا منه ثم ارتفعوا فوقه .

اليس اكثر الناس خوفا من الشقاء والالم ورفضاً ومقاومة لهما هم
الذين كانوا يقاسونهما ثم انفصلوا عنهما ؟

ما افظع اخلاق التراب حينما يتحول الى تيجان ، حينما يتحول الى
التراب الى قادة وابطال وانبياء . ايها التراب ، اني لا ارهب شيئاً مثلما
ارهبك حينما تتحول الى قادة وابطال وانبياء لتحدث بلغة السماء من فوق
هامات النجوم .

اننا حينما نكون ضعفاء ومغلوبين ومعتدى علينا ومتألمين نؤمن
بالاحتجاج والنقد والرفض وبالحرية الشاملة او العادلة او المطلقة . ونؤمن
كذلك بالبكاء وبالشكاوى تألماً واشمئزازاً من الدمامات والتفاهات ومن كل
الوان المنكرات . وايضا نؤمن بالفضب الضاج على المظالم والاختفاء والالام ،
وعلى المذاهب والزعماء والقادة والناس ، وعلى الالهة والكون احياناً ، تطلعا

الى الافضل او الى الاتقى او الى الاذكى .
اننا حينئذ نؤمن بأن للانسان كل الحرية في ان يبكي ويتألم ويفض
وفي ان يتحدث عن بكائه وغضبه وآلامه ، ويشير اليها .
ولكن اذا تغير الموقف واصبحنا نحن الاقوياء والمنتصرين والسادة
القاهرين والصانعين للضعف والالم والهزيمة للآخرين ، وصرنا نحن المشكو
منهم والمطالبين والمنقودين والمالكين للحرية ، لكل الحرية ، تغيرت اخلاق
ومشاعر الانبياء والقديسين والانسانيين الساكنين في ذواتنا ، واصبحنا
اشد شراسة ومقاومة لما كنا ندعو اليه ونؤمن به من جميع الطفاة المولودين
طفاة من آباء طفاة . اننا حينئذ لا بد ان نجد في البكاء ، في مجرد البكاء
كل معاني الرندقة والعصيان والتمرد علينا . ان الحيوان الوديع المظلوم
المهزوم المعتدى عليه الخائف الضعيف في كل تاريخ آباءه لو انه تحول الى
ذئب وملك كل ادوات وقوة وموقف الذئب لكان المنتظر ان يصبح اقصى
ذئبية من جميع الذئاب الوارثة للذئبية من كل تاريخ آباءها الموروث . ان
الحيوان الضعيف المهزوم لا بد ان يصبح اقصى الوحوش وحشية لو انه
تحول من موقف الاضعف الى موقف الاقوى .

ان اي نبي لا بد ان تهزم نبوته اذا انتصر . ان نبوته حينئذ لا بد
ان تتحول من نبوة مسالمة الى نبوة محاربة ، ومن نبوة واعظة ومتسامحة
وغافرة الى نبوة باطشة ومعاقبة . انه لا يوجد من يقاوم النبوة ويقسو
عليها في مقاومته ومن يخاف منها مثل النبي اذا انتصر . انه لا احد يقتل
الانبياء او يقتل معاني الانبياء مثلما يقتلهم ويقتلها النبي اذا حكم . ان النبي
الحاكم هو اكبر قاتل لذاته . ان النبي ، اي نبي ، اذا انتصر فلا بد ان ينتقل
من نبي حزين وباك ومصل من اجل الخطايا والآلام والصفائر التي يعيشها
الناس وتعيشها جميع الاشياء الى زعيم او الى نبي حاكم باطش سفاك معير
بالخطايا والاختاء وبالآلام والصفائر .

ان اخلاق ومشاعر ووداعة كل نبي لا بد ان تموت اذا انتصر . انها
لا بد ان تتحول الى النقيض ، الى النقيض العنيف جدا . انه لا بد ان
يكون حينئذ اقصى من كل القساة ليكفر ويعوض عن وداعته القديمة ، او
اينساها ويتخطاها ، او ليحاسبها ويعاقبها ، او ليطالبها بتسديد الحساب
القديم .

ان المهزوم المهان لا بد ان يصبح اقصى الجبارين جبروتا اذا انتصر .



ماذا تقول التجربة الطويلة ؟ ما اقسى ما تقول التجربة . ما اقسى تفاسير الاشياء . ان من الرفق بنفسك الا تفسر الاشياء والا تستمع الى من يفسرونها ، الا اذا كانوا مزورين .

ماذا فعل واصبح جميع الضعفاء المقهورين المهانين الذين انطلقوا من مفارات الخمول والهوان ليصبحوا دويا وقمما ؟ - ليصبحوا نشيدا عالميا في افواه الآلام والاحزان ، ليصبحوا صواغ آلام واحزان وهوان ؟

لقد جاءوا اناشيد ملائكية ، وابتهالات واحزانا نبوية ، وبعد ان سطعوا وصعدوا وانتصروا اصبحوا ماذا ؟

نعم ، ماذا اصبحوا بعد ان كانوا ؟ كيف اصبحوا بعد ان هربوا من خمولهم وهوانهم وحضيضهم ؟

لقد جاءوا احزانا ودموعا في عيونهم وقلوبهم ، ثم تحولوا الى احزان ودموع في عيون وقلوب من جاءوا لهم ومن اجلهم .

لقد تحولوا الى احزان ودموع في عيون وقلوب الزهور والحقول ، في اعصاب الظلام والنور ..

لقد تنكروا بأقوى مشاعر الجراحة لاحزانهم ودموعهم وابتهالاتهم . لقد خرجوا على جميع ادعاءاتهم الانسانية المتواضعة التي انتصروا بها او التي انتصروا وهم يهتفون باسمها . لقد غدروا بدموعهم واحزانهم وتضرعاتهم .

وهل في البشر من لم يغدروا بدموعهم واحزانهم ؟ هل فيهم من لم يتحولوا الى تكذيب لدموعهم واحزانهم وصلواتهم ؟

لقد راحوا يعاقبون ويقاومون الضعفاء والمفلوبين والمتألين والباحثين عن الصدق والعدل والنور والحرية والتقوى وعن الالتزام بالمذهب او الدين الذي كان هو نبوة مجيئهم او حجة مجيئهم . لقد راحوا يعاقبون ويقاومون هؤلاء اكثر واعنف مما يفعله اشرس واقسى الحكام والملوك الذين يجيئون الى هذا العالم في مواكب من التاريخ ، يحرسها ويهتف لها كل ما في الدنيا من منابر ومحاريب وقيم ومذاهب واديان وكتب مقدسة ، ومن مباهج وقوة وضعف وخوف وحب ، ومن طفيان واكاذيب وآلهة واقلام وقرطاس .

ما افتك الاظفار والانياب التي لا تلدها اظفار وانياب بل التي
تلدها الدموع والاحزان والصلوات المقهورة ؟

ان المجد المستحدث او المكسب بالاغتصاب او بالانقضاض لا بد ان
يصبح هو اشد وحوش المجد فتكا ووحشية وبذاءة وخوفا وجنونا وعدوانا .
انه لا بد ان يجيء بلا اي مستوى من الاخلاق او التقاليد او الوقار او
التهديب او الحب . انه لا بد ان يكون اظفارا وانيابا فقط . ان جميع
الفضائل حينئذ هي فضائل الاظفار والانياب . انه لن يمارس من الاخلاق
او المزايا سوى مزايا واخلاق الاظفار والانياب التي لا تقاليد ولا مجد
ولا تاريخ لها . وهل توجد وحشية مثل وحشية الاظفار والانياب التي
لا تقاليد ولا تاريخ ولا مجد ولا آباء لها ؟

ان من انتصروا بالاظفار والانياب لن يحترموا سواها ، او يتعاملوا
او يؤمنوا بسواها ، او يعترفوا لسواها . انهم يتحولون الى قدسين في
وفائهم لظفارهم وانيابهم . انه لا مثيل لوفاء اصحاب الاظفار والانياب في
تعاملهم مع انيابهم واظفارهم .

ان اكثر الناس اذلالا واحتقارا للطبقات المغلوبة هم ابناؤها اذا ارتفعوا
فوقها وانفصلوا بانتصارهم وقوتهم عنها .
انه لا احد يقسو على الطبقة المقهورة مثل ابنائها اذا خرجوا منها
بان اصبحوا قادرين .

انهم حينئذ لا بد ان يبالغوا في الفتك بالطبقة التي ولدوا فيها
وهربوا منها . انهم بذلك كأنما يحاولون ان يعاقبوا ويرهبوا ماضيهم
الذي قد كان لثلا يفكر في العودة ، ولثلا يفكر فيهم ، او ينظر اليهم ، او
يتحدث عنهم ، او يتذكرهم او يكتب اليهم اية رسالة تشرح ماكان ، او
تشير اليه ، او تذكر به .

انهم بفتكهم بالطبقة التي خرجوا منها كأنما يحاولون ان يقنعوا انفسهم
بانهم قد انتصروا وتفوقوا عليها ، وبأنهم قد اصبحوا كائنات أخرى لا علاقة
لها بما كان ، بل لا شيء قد كان غير ما هو كائن الان . انهم اذن لن يعودوا
اليها ولن تعود اليهم . انهم يرفضون ويقاثلون العودة حتى ولو بالذكرى
او الحديث .

وكأنهم ايضا يريدون بفتكهم هذا الا تبقى بينهم وبين طبقتهم السابقة

اية علاقة طيبة بل اية علاقة من اي نوع سوى علاقة الافتراس والفتك ،
سوى علاقة القوة بالضعف ، او سوى علاقة الغضب والرفض والعداء
والتهديد والتخويف والقهر .

انهم هاربون من تاريخهم ، وانهم يريدون توكيد هربهم هذا بالقسوة
والتوحش والمعاداة . انهم محتاجون الى التدليل على انهم قد اصبحوا
اقوياء وقساء ليؤكدوا فراقهم الابدي لما كان . انه لا بد من نسيان ماكان .
وان وسيلة النسيان هي الوحشية البذيئة . اذن لا بد من الفتك والقسوة
والجنون .

انهم محتاجون الى ان يدللوا على انهم لم يكونوا الا ما هم كائنون الان .
ان رذائل الحكام الوارثين للحكم لم تولد معهم ، وانما تعودوها
واكتسبوها من ظروفهم ومواجهاتهم ومعاناتهم . وان اقدر الظروف على
خلق الرذائل وتعليمها هي ظروف من صعدوا من الحضيض الى القمة ،
ومن الصمت والاحمول الى الدوي والانتشار والبريق الخاطف للعيون بقفرة
من القفرات المنقضة .

انه لاكثر الاماني والظنون استحالة ان ينتصر من ارتفع من اعماق
الحضيض الى اعالي القمم باحدى الضربات - ان ينتصر على الظروف التي
لا بد ان تصنع منه وحشا ووغدا ونذلا وآثما فاجرا كبيرا .

انه لتوقع للمستحيل ان نتوقع من اي انسان قد اصبح فجأة قصيرا
وبضربة منقضة ان يجيء انسانا غير قاتل او غير وحش او غير عدواني
النفس والتفكير والتدبير والسلوك ، لانه في يوم من الايام القريبة والبعيدة
قد تخلق من مشاعر التراب ومن تواضع الارض وعذابها ، ولانه كان قد
نادى بالحب والرحمة والحرية والتسامح والتواضع وبالانسانية المحرمة
لحمل السلاح ضد اي انسان حينما كان انسانا مهزوما . ولانه كان يوما
ما نبيا تنزل آياته والاعالي من السما ويصلي ويبكي في المحاريب
رثاء وحزنا وحبا للانسان ...

ان مثل هذا الحاكم اقصى لا بعد ان يصبح بعد تذوقه للشهوات
الجديدة المحرمة ، وبعد صعود قدميه بعيدا ، بعيدا فوق التراب والارض، وفي
السماوات المثيرة المملوءة بالاملاءات والاغراءات وبالانفعالات الخائفة والراضية
الحزينة والبهيجة ، الامرة والناحية .

— نعم ، أن مثل هذا الحاكم القيصر لا بد أن يتفوق في وحشيته على جميع الوحوش التاريخية ، على جميع الوحوش بالميلاد او حتى بالموهبة .

ان اكثر الانياب والاسلحة والهموم والامجاد والانتصارات فتكاً وعدوانية هي احدث الانياب والاسلحة وانهموم والامجاد والانتصارات ، واكثرها خوفاً وتوتراً ، واحداثها انطلاقاً من الضعف والهوان والحضيض ، واقواها علاقة وتاريخاً بالضعف والهوان والحضيض .

ان مثل هذا الانسان الذي اصبح فجأة وبضربة منقضة قيصر لا بد أن يكون حاداً بلا قياس او نموذج في خشيته التلفت والارتداد الى الوراء والتذكر له .

ان الصاعد من اعماق المنخفضات الى اعالي اقمم لا بد أن يكره ويخاف ويقاوم الهبوط والمنخفضات ومسبباتها والتذكر بها بوحشية وجنون لا يفعل بمثلها من ولدوا فوق القمة .

لقد قاست البشرية في كل تاريخها من الآلهة والطفلة المحدثين اضعاف ما قاست من الطفلة والآلهة بمولدهم . ان الاله بالمواد قد يكون بلا اظفار ولا انياب ، اما الاله بالانتقاض فلا بد أن يكون متفوق الاظفار والانياب .

اني لآخاف الاله الذي ولده انسان ضعيف مهان متواضع اضعاف خوفي من اله قد ولده اقوى واقدم اله . ان الآلهة ابناء الآلهة لن يكونوا في وحشيتهم مثل الآلهة ابناء انبشر او ابناء الانسان .

ان الآلهة بالمولد قد تكون هي اجهل الآلهة باخلاق الارباب ، واعجزها عن ممارسة هذه الاخلاق . ان افضل الارباب هي اجهلها باخلاق الارباب واعجزها عنها .

انه اذا كانت الآلهة هي دائماً طاغية ومعادية للانسان فان اكثرها طغياناً ومعاداة للانسان هي الآلهة التي ولدت في الارض ، وليست التي ولدت في السماء . ان الولادة في السماء تعلم التواضع والتسامح والرفق والاحساس بالامان اكثر مما تعلم ذلك الولادة في الارض . ان الارض لتصنع الآلهة المتوحشة الحاكمة اكثر مما تصنعهم السماء .

ان الذين يولدون في السماء لا يمكن ان يعيشوا او يعرفوا او يجربوا احقاد ومخاوف وهموم وبغضاء وبذاءات وانياب ومجاعات وسفاهات

من يولدون فوق الارض او تحت الارض .

ان كل نذالات البشر لا تعني الا انهم يخافون ويتألمون ويريدون ويجوعون .

ان اقصى القساة او اطفاة او الوحوش هم الذين اخترعوا وتصوروا بخيالهم وتعاليمهم الجحيم واهواله . ان هؤلاء هم الذين تحدثوا عن مثل هذا الجحيم وعن احواله ، وتوعدوا به وصدقوا انه اي الجحيم موجود بكل احواله الموصوفة ، وتقبلوا ان يكون موجودا ، وان يكون جزاء ومكانا للبشر .

ان اقصى القساة او الطفاة او الوحوش هم الذين تقبلت ضمائرهم واخلاقهم وعقولهم وتعاليمهم كل ذلك ، وتصورته وتحدثت عنه وعلمته ، ثم استطاعوا ان يظلوا احياء ، او ان يمارسوا اي لون من ألوان الحياة او يسعدوا به .

كيف استطاعوا ان يظلوا احياء او ان يسعدوا بأي شيء وهم يتصورون ان انسانا واحدا، ان انسانا واحدا فقط قد يعاقب بجحيمهم هذا ؟ كيف امكن ان يعيش في خيالهم مثل هذا الجحيم ؟ كيف يستطيعون الابتسام ؟

ان تصورنا للعقاب وتشريعنا له لن يكونا الا تعبيرا ما عن مستوياتنا النفسية والعقلية والاخلاقية والتاريخية . ان متصور الجحيم ومشعره سببا للبشر لا يمكن الهبوط الى حضيض مستوياته النفسية والعقلية والاخلاقية .

اذن فان اقصى القساة هم الانبياء الذين استطاعوا ان يبتدعوا بخيالهم هذا الجحيم ، والذين تصوروه وشرعوه عقابا للانسان ، والذين استطاعت عقولهم واخلاقهم وضمائرهم تقبله جزاء وعدلا وخلقاً ومنطقاً للاله . والذين جرؤوا على التحدث عنه والانداز به ، والذين جرؤوا على ان يحولوا التحدث عنه والتوعد به الى تعاليم خالدة تتلى من فوق جميع المنابر ويصلى بها في جميع المحاريب . فتاة صغيرة رقيقة تقتلها هبات النسائم ، وشيخة كبيرة فانية تقتلها قبضة اليد المشيرة اليها من بعيد بالتهديد - هاتان الفتاة والشيخة سوف تخلدان في جحيمك لانهما ولدتا في مكان غير مكانك فلم تؤمنا بتعاليمك . انت اذن نبي رحيم كريم بعثت رحمة للعالمين ..

اعتذارا الى رحمتك وحنانك ايتها الوحوش الطيبة . اغفري للبشر وحشيتهم ايتها الوحوش . . اغفري لانبيائهم وحشيتهم التي لا تتصورين مثلها .

... انهم يعتذرون من وحشيتهم اليك . ان انبياءهم الكبار جدا يرون ان الجحيم الذي تصوره وتحدثوا عنه جزاء عادل ورحيم ومعقول للانسان الذي لم يستطع ان يكون اكبر او اعظم او انظف او اذكى او اقوى مما اراده وخلقه الاله ، او الذي لم يستطع ان يكون اقوى او اتقى او اذكى من الاله ، او الذي اطاع ونفذ في نفسه وفي سلوكه ونياته ارادة الاله ونياته وشهواته وتقديره .

ان البشر يعتذرون الى رحمتك وحنانك ايتها الوحوش من قسوة انبيائهم الرحماء جدا . انهم يعتذرون اليك . ان قسوة انبيائهم ستصدم حنانك .

ان انبياءهم يعتقدون ان الخلود في الجحيم الموصوف جزاء عادل بل ورحيم للانسان الذي لم يستطع ان يكون غير ما اراد الله له .

لقد جاء الانبياء قساة هكذا - لقد جاءوا قساة على مستوى قسوة الجحيم لانهم قد ولدوا وخلقوا وخرجوا من آلام واحزان الارض وعاشوا في جحيمها . لقد عاشوا الاهوال فحولوها الى تعاليم والى عطايا ومواهب آلهة لا مثال لها في العدل والحب والرحمة . هل كان يمكن ان يوجد الجحيم في تصورات وتعاليم الانبياء لو انهم لم يكونوا يقاسون من الهوان والظلم والهزائم واساليب العذاب الاخرى ؟

اذن هل يصنع القسوة والبغضاء او يتصورهما مثل الذين ينبتون في الشقاء والضعف والهوان ؟ هل يقع العذاب بالآخرين مثل الذين قاسوا من العذاب او مثل الذين خرجوا من اصلاب العذاب ؟



ايتها الارض . اني ارتجف من طفاتك الذين يتفجرون علي وتحت اقدامي من قاعك اكثر مما ارتجف من الطفاة الذين يهبطون علي من فوق هامات النجوم .

يا طفاة السماء . اني لا اخافكم مجتمعين مثلما اخاف طاغية واحدا من طفاة الارض .

يا طفاة الارض ، يا اقسى الطفاة . يا من حول طفيانكم كل طفيان الى محبة وصداقة وتواضع ورحمة وصلاة . يا من تحول طفيانهم الى اعتذار عن كل طفيان ، والى ثناء على كل طفيان . يا من انسى وغفر طفيانهم كل طفيان .

يا طفاة الارض ، ياشر الطفاة .

ايها الانبياء .

يا انبياء المحبة والرحمة والتعاليم ضد الطفيان والوحشية والبغضاء

ايها الاصدقاء ، ايها الرحماء . انتم اكثر واشد الاعداء حقدا وبغضا . انتم اقسى الطفاة اذلالا وتحقيرا وارهابا وتحطيما للمغاوين والضعفاء اذا انتصرتم . . انتم قتلة كل محبة ورحمة وتسامح اذا انتصرتم .

اذن فلا تنتصروا ايها الانبياء . انا نضرع اليكم الا تنتصروا . .

يا انبياء المحبة والرحمة والانسانية والتعاليم النبيلة . .

لا تنتصروا ، لا تنتصروا . . انا نضرع اليكم الا تنتصروا .

لا تنتصروا يا من تصوروا الجحيم للانسان وارادوه له لانهم يحبونه ، يا من طالبوا الاله بان يعد الجحيم للانسان .



التقوى والنظافة في لسان الواعظ وظيفة واستعطاء ، وفي لسان الضعيف عزاء وانين ، وفي لسان الفاجر ذكرى وهجاء ، وفي لسان التقى امنية واعتذار . اما في لسان النبي فموهبة وعظية ولفوية وتاريخية ، واما في لسان الطاغية فسخرية وتهديد ، واما في لسان الشيطان فتذكير للاله وللانسان بهزيمتهما وضياعهما ، وبمن هو اقوى واذكى واكبر مجدا وانظف اغراضا ونيات منهما . اي تذكير لهما بنفسه .

ان التقوى والنظافة هما دائما بلا وعاء ، اي بلا تطبيق ، اي بلا انسان . ان جميع الناس مهما تفاوتوا وتفاوتت اساليبهم يفعلون التقوى والنظافة على مستوى ما وبتعبير ما ، ولكن كما يفعلون الفجور والتلوث ، اي يفعلونهما بلا اخلاق او تدين ، اي كما يشترون الطعام ويجدون لذة

أو راحة في ابتلاعه ومضغه ، وكما يتجنبون مهالك الطريق ويشتهون النساء ،
وكما يصابون بالخفقان حين رؤيتهن وبلا رؤية لهن . وكما يتفاوتون في
ممارساتهم لهذه كذلك يختلفون ويتفاوتون في ممارساتهم لما يزعمونه
تقوى ونظافة .

ان فاعل التقوى والنظافة ليس متدينا ولا فاضلا الا بقدر ما تكون
الاصابة بالخفقان ، او اجتناب مهالك الطريق ، او الارتجاف لرؤية المرأة
تدينا او تطهرا او استقامة او مزيدا من الالتزام بالمذهب او بالاخلاق .

* *

اننا جميعا ننكر على الآخرين اخطاءهم او كثيرا من مواقفهم وشهواتهم ،
ولكننا اذا كنا في مثل ظروفهم فعلنا جميع الاشياء التي ننكرها عليهم
بنفس الشهوات والنيات والتفاسير والمنطق ، بل وبنفس الاعلان والجرأة
والافتضاح . اننا تحت الظروف التي يكشفون تحتها اعضاءهم المحرمة
لا بد ان نفعل نفس فعلهم بنفس الحماس والوقاحة والتدين . وتحت
نفس الظروف التي نذهب تحتها نهتف للطفة ونصلي للالهة ونمجدها
لانها خلقت لنا الصراصر والفئران يذهبون هم يفعلون نفس الشيء بنفس
الحماس والمنطق .

ولكن الظروف ليست جميعا خارجية . انها ايضا ذاتية ونفسية
وفكرية وثقافية وتعليمية وتاريخية بل وجسدية . انه اذا تساوت جميع
هذه الظروف بين انسان وانسان اصبح الاختلاف بينهما في الموقف او في
المنطق او في التفسير او حتى في الرؤية للاشياء مستحيلا ، ان الاختلاف
بينهما حينئذ يصبح كالاختلاف في الوزن بين كتلتين من المادة تساوتا في
النوع والحجم وفي قوة الجاذبية التي تخضعان لها . ان الاختلاف بينك
وبين اي انسان آخر في رؤية كل منكما لجمال الهه او لصدق مذهبه او
لصدق دينه يساوي الاختلاف بينكما في هذه الظروف ...

ان الاختلاف بينك وبين اي انسان آخر ليس له الا سبب واحد هو
اختلافكما في الظروف الذاتية واخارجية . انه ليس له اي سبب او تفسير
من اسباب او تفاسير التقوى او النظافة او السمو الانساني .

انه ليس انسان اتقى او اسقى من انسان الا بقدر ما حجر او نبتة
اتقى او اسقى من حجر او من نبتة اخرى .

انك لو فعلت الصواب تحت الظروف ، اي الذاتية والخارجية التي يفعل تحتها غيرك الخطأ لكنت انسانا غير معقول بل انسانا مخطئا ومدنبا ، بل لما كنت انسانا ، بل لكنت انسانا لم يوجد ولا يمكن أن يوجد . ان الخطأ تحت ظروفه هو الصواب والواجب . وان الصواب تحت ظروف الخطأ هو الخطأ . انه لن يوجد من يؤمن تحت الظروف التي يكفر تحتها الاخرون . ولو وجد من يؤمن تحت مثل هذه الظروف لكان مخطئا ومدنبا وغير مفهوم .

انه لا يمكن تغيير الناس من خبثاء الى فضلاء وانقياء ولا العكس ، وانما يمكن تغيير ظروفهم اي الخارجية والذاتية ، وتغيير تعبيراتهم واساليبهم ، اي تغيير ازيائهم ولغاتهم واساليب وصيغ وادوات مواصلاتهم وممارساتهم ومعاملاتهم . ان الفرق بين النبي وداعية المذهب وبين نقضيهما يساوي الفرق بين معنى واحد يعبر عنه بلغتين او جسد واحد يظهر في زيين مختلفين .

ان الفرق بين النبي وقاتليه هو فرق مستويات او ظروف ذاتية او نفسية او اجتماعية او تاريخية او عقلية ، لا فرق اخلاق او تقوى او طهارة ، ولا فرق محبة او بغضاء للظلام . ان عيني النبي ليستا اكثر صداقة للنور والجمال ولا اقدر على رؤية الاله او رؤية جماله او جمال مخلوقاته من عيون قاتلي النبي . ان النبي لم ير اكثر او افضل من قاتليه ولكنه احس واراد وقال مخالفا لقاتليه لاختلاف الظروف .

ان الفرق بين النبي وقاتليه ليس فرقا بين من يخاف على عيون الاطفال ان تصاب بالظلام او برؤية العذاب والاهوال ، وبين من يتمنون لها ذلك . انه ليس فرقا بين من يخافون على العيون الجميلة والبريئة من ان تحترق في الجحيم او تتشوه بالمرض والموت وبين من يريدون لهذه العيون كل ذلك ..

ان النبي لم يخص بعيون خارقة او غير معقولة لتستطيع ان ترى في الدمامات والعاهات والالام والمظالم من جمال الاله ورحمته وعدله وجهه وذكائه ، ومن الخير والنفع للمصابين بذلك اكثر او اعمق مما تستطيع ان ترى عيون قاتليه .

.. انه اي النبي لم يفهم ان الاله محتاج لكي يكون حكيما ومنطقيا وعبقريا الى ان يخلق الدمامات والعاهات والمظالم والالام اكثر او اصدق

مما فهم ذلك قاتلوه . انه لم يوهب عبقرية هذا الفهم لمنطق الاله حينما اراد ان يمجّد الوهيته واخلاقه بخلقه لهذه الافات الرهيبة .

ان النبي لا يملك تحديات اقدر على رؤية الاله البعيد الخفي جدا اكثر مما يملك مثل هذه التحديات قاتلوه . انه ليس عليما باللفات اكثر من اعدائه وقاتليه لكي يستطيع ان يعرف لغة الاله المتحدثة بواسطة الاشياء والاحداث اكثر مما يستطيع ان يعرفها قاتلوه واعدائهم . انه لم يتعلم هذه اللغة في معهد لم يتعلم فيه اعدائهم ورافضوه .

ان قلب النبي ليس اشد او اعرق عطا من قلوب خصومه ومخالفيه على احزان الاله وعلى شهواته وعلى جوعه غير المعقول وغير الوقور الى ان يكون معبودا وممدوحا ومهتوفا باسمه ، ومنشدا القصائد والصلوات والضراعات ، والى ان يكون مخوفا مخيفا ، معانا الاعتراف به .

انه اي النبي ليس اكثر من خصومه والخارجين عليه حماية لعيني الاله من ان تريا ما قد يعذب ضميره اي ضمير الاله ، او يهين مشاعر الكبرياء والكرامة فيه . انه لا يوجد توافق بين شهوات النبي وشهوات الاله اكثر من التوافق بين شهوات الاله وشهوات اعدائه .

ان الفرق بين النبي واعدائه كالفرق بين ذاته وذواتهم او صحته وصحتهم او مولده ومولدهم او تاريخه وتاريخهم . انه كالفرق بين الصخرة والصخرة او بين النبتة والنبتة . انه فرق وجود وكيونة لا فرق حب او تقوى او ذكاء او طهارة او شموخ .

* *

اذا كنت قويا هابك الناس ولعنوك ، واذا كنت ضعيفا احتقروك وباركوك بل وامتحوك ، قاصدين ان يذلوك وان يعلنوا عن ضعفك وعن اشماتة بك وعن تفوقهم عليك ، وقاصدين ايضا ان يدافعوا عن ضعفهم بضعفك . ان ضعفك وضالتك يتحولان الى كرم والى تمجيد لجيرانك واعدائك . انهما يتحولان الى ثناء سخي على جيرانك ومنافسيك . واذا كنت نافعا للناس حمدوك ولم يحبوك . اما اذا كنت فاضلا او تقيا او نظيفا فقط فانهم لن يهابوك ولن يحمذك ، وايضا لن يحبوك ، وايضا لن يعاملوك ، وايضا لن يجدوك او يلتبسوك .

واذا كنت شريرا وظالما ذموك وحسدوك ، ولكنهم لن يحتقروك . واذا

كنت نبيا أو قديسا آمنوا بك ومجدوك دون أن يطيعوك أو يتبعوك ، أو
لأنهم أن يطيعوك ولن يتبعوك ، أو لأنهم يريدون أن يخالفوك ويعصوك .

ما اعظم مجد الانبياء . ان كل مجدهم ان يمدحوا وان يعصوا ، وان
يرغموا كل القادة دون ان يوجدوا او حتى يستشاروا في اي موقف من
المواقف . انه لا يوجد ممدوح مهزوم منبوذ مثل النبي .

واذا كنت عظيما قراوا عنك وفسروك دون ان يفهموك ، واحيانا
خافوك فصلبوك . اوه . انهم لن يصلبوك لو لم تكن عظيما او رديسا ،
او لو لم يخافوك او يحسدوك ، او لو لم يحبوك او يكرهوك .

واذا كنت غير موجود فانهم لن يحاولوا ان يوجدوك او يجدوك او
يبكوك ، وانهم ايضا سوف يتفقون على الا يمدحوك او يذموك . وانك
ايضا لن تعذبهم حينئذ ، اي لن تعذب الآخرين حينئذ بالخوف منك او
بالحق عليك او بالاشمئزاز منك ، او بالتناقض والتنافس معك ، او
بالتحديق في تفاهاتك وغباواتك وعاهاتك ، وبذنوبك ، وبسخافاتك ،
وبهمومك وآلامك ، وبكل احتمالاتك وممارساتك الاخرى . او بالتحديق
في قوتك وعبقريتك وتفوتك ، وفي مزاياك الاخرى . وانهم ايضا لن
يعذبوك . ان التحديق في الآخرين عدوان عليهم ، وايضا عدوان منهم .

انك اذا حدثت في انسان فقد اعتديت عليه واعتدى عليك بتحديقك فيه .
اجل ، ان وجودك عدوان على الآخرين او على بعض الآخرين حتى ولو
كنت انت صانع سفنهم للنزول بهم فوق القمر .
وان وجود الآخرين ايضا عدوان عليك .

ان وجودك مهما كان عبقريا لا بد ان يكون عدوانا على احد او على
شيء ما .

ان الوجود العبقرى قد يكون هو اكثر الاشياء عدوانا على الناس
وعلى الاشياء .

وانك ايضا ، اي اذا كنت غير موجود لن تغضب الالهة او ترضيها ،
لن تصنع لها السرور والانتسام بايمانك وصلواتك ، وان تصنع لها
الاحزان والبكاء بجحودك وعصيانك وذنوبك - او لن تصنع لها هذا او
هذا بالامك ومسراتك . اليس الذي يصنع للالهة السرور والانتسام

يهجوها ويحقرها اكثر من الذي يصنع لها الدموع والاحزان ؟ وهل يحقر
الالهة او يهجوها مثل ان تكون مسرورة نشوى ؟

وانك ايضا ، اي حينما تكون غير موجود لن تجعل السماء بأجهزة
مخابراتها ومباحثها وبموظفيها ومسئولياتها تقاسي وتتعذب بمراقبتك
وبالاحصاء عليك ، وبتعديد ذنوبك ، وبالتحديد في آثامك وفضائلك .
نعم ، ان كونك غير موجود يعني اراحة السماء وراحة اجهزتها من
الاحصاء عليك ومن الاشتغال بك .

اجل ، ان وجودك يتحول الى تعذيب وتكليف باهظ للسماء ولجميع
اجهزة مخابراتها ومباحثها واجهزة الاحصاء فيها ، ولجميع موظفيها
ومسئولياتها . ان وجودك في كل حالاته وصيغه ان يكون الا عقابا للسماء
وخسرانا لها .

انك كيفما كنت عدوان على السماء وارهاق لها .

انك حينئذ اي حين تكون غير موجود لن تصنع مجدا ولا عارا للالهة
الواقفة على بابك باهفة وتضرع ، تنتظر منك وترجوك ببكاء ان تصنع
لها المجد وبالا تصنع لها العار . وهل عار الالهة شيء اقبح من مجدها ؟ وهل
مجد الالهة شيء افضل من عارها ؟

اذن فهل الافضل لك او للناس او للحياة او للالهة او لاجهزة السماء
المختلفة ولموظفي هذه الاجهزة والمسؤولين عنها ، ان تكون مجردا ام الا
تكون ؟ اليس وجودك هو اقصى فسوق بعيون الالهة وبعيون جميع
الاشياء ؟

اذن هل كان وجودك او ايجادك محسوب الخسائر والارباح بذلكاء
وصدق وامانة ؟ ان انت ربح ؟ وكيف يمكن ان تكون له ربحا ؟

ما اقساك ايها المؤمن حينما تصنع الاطفال .. ما اشد قسوتك على
الالهة . كيف لا تخشى على الالهة من الاطفال الذين تصنعهم ؟ كيف لا
تخشى عليها من زندقتههم وفسوقهم ؟ كيف لا تخشى عليها من احتمالات
ذلك ؟

هل يوجد طفل واحد يحمل الامان من ان يكون زنديقا او فسوقا ؟
ما اقساك ايها المؤمن على اجهزة السماء وعلى موظفيها وعلى المسؤولين

فيها . ما افتك قسوتك على عيونهم التي لا بد أن تراك محدقة مشتومة
مدعورة محقرة مسخورا منها وبها . هل عيون السماء مزية لها وجمال
فيها ام تعذيب وتشويه ؟

اليس من الرحمة بالسماء الا تكون لها عيون ؟

هل قدرت انك بالاطفال الذين تصنعهم قد تصنع غضبا او حزنا
للالة الذي تؤمن به ؟ ان كنت قدرت ذلك ولو احتمالا صغيرا فهل يحتمل
ان تكون مؤمنا او محترما للالة ؟ وان كنت لم تقدر او تفكر في ذلك فما
اعظم ذكاءك واعظم اهتمامك بالهك . انك حينما تصنع طفلا فانت حتما
اما غير مؤمن بالالة لهذا لا تحتاط له ولا تخاف عليه ، او انك غير مبال
به ولا بأن يصيبه ما يصيبه من تحقير وغيظ ومن خروج وعدوان عليه .

ما اقساك ايها الانسان الذي ليس مؤمنا حينما تصنع الاطفال . ما
اقسالك على الحياة وعلى الآخرين . كيف لا تخشى على الحياة وعلى
الآخرين وعلى المذاهب والاخلاق والتعاليم والنظم وعلى الصدق والعدل
والذكاء والنظافة من الاطفال الذين تصنعهم ؟ اليسوا تهديدا لكل ذلك ؟
هل يمكن ان يجيء اي طفل دون أن يتحول الى عدوان على الآخرين او على
المذاهب او الاخلاق او التعاليم او النظم او على الصدق او الذكاء او
النظافة او العدل ؟

اذن ما اقساك ايها المؤمن . . وما اقساك ايها الانسان الذي ليس
مؤمنا .

* *

اذا انت قلت الحقيقة او ما تحسبه الحقيقة وهي في غير حساباتك
او وهي أخذ منك او محاكمة لك فلا بد أنك تريد وتنوي شيئا آخر غير
الحقيقة التي قلت . او لا بد أنك بقولك لها تكيد لها ، او انك تعرض
نفسك عرضا مزورا او مرضيا ، او انك تحاول ان تخفف من قسوة
التناقض بينك وبينها ، او انك تحاول اخفاء هذا التناقض ، او انك
تحاول بثمن رخيص وسهل ان تكفر وتعوض عن رفضك لها وخروجك
عليها في موافقك وممارساتك . او لانك تعلم ان قولك لها وثنائك عليها
وحديثك المجد عنها لن يسرع بها ، ولن يهبها قوة او انتصارا . او لان
فيك شخصين ، شخصا يمدح بالقول وشخصا يرفض ويعادي بالنية

والشهوة والسلوك . وهل يوجد انسان واحد ليس فيه الا شخص واحد ؟ هل يوجد انسان واحد ليس فيه اشخاص عديدون مناقضون له ، وايضا متناقضون ؟ او انك تكايد او تفاضب بذلك شخصا آخر او اشخاصا آخرين . ان الانسان ليقا تل بقول الحقيقة التي لا يحترمها كما يقا تل بالسلاح وبقول الباطل الذي يحترمه او الذي لا يحترمه .

انك قد تجعل اعلانك عن الحقيقة التي لا تنوبها او تلتزم بها سلاحا او سبابا او كيدا تطعن او تخيف او تهدد به انسانا او قوما .

ان البشر ليقا تلون الحقيقة بالحقيقة والصدق بالصدق ، بقدر ما يقا تلونهما اي الحقيقة والصدق بالباطل والكذب .

اننا قد نقول الحقيقة جدا لاننا نرفضها جدا . اننا قد نقول الحقيقة والصدق بكل الاعلان والجسارة لاننا نرفضهما ونخرج عليهما بكل الاعلان والجسارة .

أيها الملاك .. أنت أبشع جلاّو

« .. اني لست واهب اجوبة . اني احول كل جواب الى حشود من الاسئلة التي لا جواب عن واحد منها . اني احول كل جواب قد صاغته وعاشته وبصمت عليه كل الالهة والمعلمين وكل المذاهب والمذهبيين الى اعصى الاسئلة التي يموت كل اله ومعلم ومذهب دون ان يجد عن واحد منها جوابا .. »

« .. اني لست نبيا او واعظا او زعيما مذهبيا يضع امام كل سؤال اعدادا هائلة من الاجوبة ، يكون الموت والانهام بالزندقة او بالخيانة او بالتآمر بعض جزاء وصفات من يشك في واحد منها ، او من لا يصاب بكل تعبيرات ومعاني الجنون حماسا للاقتناع بها كلها ودعوة اليها كلها ودفاعا عنها كلها . »

« .. اني لست نبيا او واعظا او زعيما مذهبيا يضع فوق كل تساؤل عن اية دمامة او تفاهة او عبث او غباوة او قسوة او ظلم او بداءة او الم او جنون او طغيان في الكون او في المجتمعات او في النظم والقوانين ، اعددا تكبر على الاحصاء من الاجوبة التي تحرسها وتعلنها وتفسرها وتوقعها وتباركها وتقاتل دونها ، اشرس الالهة واغباها ، او اشرس المذاهب واغباها ، او اشرس المخاوف واغباها ، او اقوى واشرس الجيوش واغباها .. »

اني لست نبيا او واعظا او معلما او زعيما مذهبيا يسكت او يهرب او يقتل كل شجاعات كل العقول وكل تساؤلاتها بسطوة الالهة ، او بسطوة المذاهب ، او بسطوة التعاليم والتاريخ ، او بسطوة الجيوش . ما اوقح واقبح سطوة الجيوش .. ما اوقح واقبح الجيوش حينما تذهب تعلم العقول ذكائها وايمانها .. حينما تذهب تعلم العقول الاقتناع بالاله او بالمذهب او بالنظام او بالزعيم او بالمعلم .. وحينما تذهب تفسر مزايا الاله او المذهب او النظام او المعلم او الزعيم ، وتدلل على صدقه .. وهل يوجد جيش لا يعلم ذلك ؟ وهل وجد او يوجد جيش لا يتحول الى معلم ومفسر للالهة وللاديان والمذاهب وللعقول وللنبوات وللانبياء ؟

« ... اني لست نبيا او واعظا او معلما او زعيما مذهبيا يسكت ويرهب ويميت كل ما في العقول والنفوس من احتمالات البسالة والذكاء . ولكنني انسان يحول كل الاشياء الى اسئلة تتصاغر امام اصغرها كل قوى وذكاء وطغيان كل الالهة والمذاهب والزعماء والعلمين .. انني لا افسر الالام والعاهات والاحزان والمظالم والتفاهات والعبث تفاسير تتحول الى صلوات للالهة والطبيعة ، والى تكريم للانسان . ولكنني افسر المسرات واللذات تفاسير تتحول الى افتضاح للالهة والطبيعة والى عدوان على الانسان انني لا اضع التفاسير ولكني ابطل ما وضع منها ... انني لا اشيد الهياكل ولكني اهدم ما شيد منها .. انني هادم هياكل .. انني محرض لكل المعتقلين في كل الهياكل : ان انطلقوا ، انطلقوا ... »



اي صديقي .. شكرا لك ...
ما اصبر البشر على استعمالهم لانفسهم ، وعلى استعمالهم للعلاقات بينهم ، وعلى استعمالهم للغاتهم ولخطاباتهم ولذاهبهم ، وعلى استعمالهم لآلهتهم . ما افطع استعمال البشر لآلهتهم .
ما افطع تعامل البشر بانفسهم وبالاشياء ، او ما اصبرهم على هذا التعامل ، وما اغفرهم لدماماته .

ما اصبر البشر ، او ما اتفههم واعجبهم وابلدهم واكذبهم ، او ما اكثرهم جمودا في ممارستهم لكل ذلك ، اي في ممارستهم لكل معاملاتهم هذه مع انفسهم ومع الآخرين ، ومع اربابهم ومذاهبهم ولغاتهم ، او مع احلامهم وفراغهم وضياعهم واحزانهم ، او مع محاولاتهم الضائعة لكي يجدوا لوجودهم تفسيرا او تسويفا او منطقا ، او لكي يتحولوا الى اعتذار والى دفاع عما لا يمكن الدفاع ولا الاعتذار عنه .

ما اكثر ما يقول البشر ما لا يعنون او يريدون او يفهمون ، او ما لا يعني شيئا ولا يراد به شيء ولا يفهم منه اي شيء . ما اكثر ما يستمعون الى قول من لا يريد ان يقول شيئا او ان يسمع شيئا ، او ان يشير الى شيء ، او ان يثبت شيئا او ان ينفي شيئا ، او ان ينصر شيئا ، او ان يهزم شيئا .. ما اكثر ما ينادون الها لا يعرفونه ولا يعرفون وجوده ولا يعرفون اخلاقه او مذهبه ، ولا يعرفون انه يسمع منهم او انه يستجيب لهم ، بل وهم لا يتوقعون منه شيئا ، ولا يعتبون عليه او يفضلون عليه او يهجرونه اذا لم يفعل شيئا واذا لم يتوقعوا منه ان يفعل شيئا .

ما اكثر ما يتخاطبون مع اله لا يعرفون لغته ولا يعرفون انه يعرف لغة،
ولا يعرفون انه يعرف لغتهم . وهل يعرف الاله اية لغة ؟

ما اكثر ما يتعامل البشر بما لا يفهمون ، وبما لا يريدون ، وبما لا يصدقون ، بل بما ينكرون ويرفضون ويكذبون . ما اكثر ما يبسدون وكانهم لغة لا يمكن فهمها ولا تفسيرها - كأنهم لغة لا يفهمها أو يفسرها احد ، حتى ولا الذين يتكلمونها . حتى كأنهم لغة تنطق فقط دون ان تفهم أو تفسر ، ودون ان يريد احد ان يكون لها تفسير أو معنى .. حتى الذين يتكلمونها ويتعلمونها ويستمعون اليها لا يفترضون أو يفكرون أو يريدون أو يطالبون ان يكون لها معنى أو تفسير . ما اكثر ما يتكلم البشر دون ان يكون في حسابهم ان يتخاطبوا أو يتعاملوا أو يسمع بعضهم لبعض أو يسمع بعضهم بعضا . ما اكثر ما يتكلمون دون ان ينووا الكلام .

حينما قلت ايها الصديق في اول هذه الرسالة : « شكرا لك » هل اردت انا بذلك شيئا ؟ هل اردت حقا ان اهبك شيئا أو ان اتقدم اليك بشيء ، هذا الشيء هو الشكر ؟ هل اردت ان اعلمك شيئا أو أمرك بشيء أو انهاك عن شيء أو اخبرك بشيء حينما قلت : « شكرا لك » .

وهل فهمت انت اني اعني شيئا من ذلك بهذه الكلمة المهانة المسحوقة الشرف والكرامة ؟ وهل تأثرت اذن بقولتي هذه ؟ هل ارتجفت ، هل تهيات لفهمها أو للاستجابة لها أو للتعامل بها وبما تعني ؟ هل قبلت ، هل رفضت ، هل رضيت ، هل غضبت ، هل حدثت لك اية مشاعر جديدة ؟ هل تغيرت عواطفك أو هواؤك أو علاقاتك بي استجابة لهذه الكلمة ، لاني وهبتك شكري ، ولانك انت قد فهمت وقومت ما وهبت لك وما قبلت انت ان اهب لك ؟

ليس قولي لك شكرا لا تعني الا : انت تدلني أو تخيفني أو تحقرني أو تجعلني اخجل أو اخرج أو اكذب وانا فاق أو اقول مالا معنى له أو مالا يعني شيئا أو يعنى به شيء ؟

نعم ، ما معنى الشكر ؟ هل فهمته انت اخذا متقبلا له ؟ هل فهمته انا واهبا له ؟ هل فهم احدنا ما اعطى ، وفهم الآخر ما اخذ ؟ وهل اردت انا ان اخذك باني قد اعطيتك شيئا لآخذ ثمنه ، أو لآخذ ثمن هذه الخديعة والانخداع ؟

هل اردت انت ان تخدعني بان تأخذ مني شيئا ، أو بانك قد قبلت

مشكوراً متفضلاً خديعتي لك ، او باقناعي بانك قد اقتنعت بانني بارع في صناعة وصياغة الخداع - بانك قد اقتنعت بانني قادر على ان اخدع الآخرين ، قادر على ان اكون خادعاً ، او على ان اهب شيئاً حتى ولو خديعة الاصدقاء ، حتى ولو جعلهم يقتنعون بالانخداع او بخديعتي لهم ؟

اليس الاقناع - حتى ولو خداعاً وانخداعاً - عطاء ما ؟ اليس الخداع معطياً ؟ اليس المخدوع معطى وآخذ ؟ ما هو العطاء ؟ اليس الذي يعطينا خديعة افضل او اقل ايداء لنا - ولو احياناً - من الذي يعطينا حقيقة ؟ اليست الخديعة او الانخداع انبل - ولو احياناً - من الحقيقة ؟

نعم ، اليس الخداع عطاء والانخداع اخذ ؟ اليسا ولو احياناً هما افضل ما يعطى وافضل ما يؤخذ ؟

اليس الخيال احياناً افضل واذكى وانظف واشرف من الرؤية ؟ اليس الاحتلام اكثر انسانية وتقوى وبراً بنا من اليقظة ؟ اليست معاشتنا للاحلام خيراً لنا من ممارستنا للواقع ؟ اليس اعطاؤنا الجنة كذباً افضل من اعطاؤنا النار صدقاً ؟ اليس اعطاؤنا النار وعداً افضل من اعطاؤنا النار تنفيذاً ؟ بل اليس اعطاؤنا الجنة وعداً افضل من اعطاؤنا الجنة تنفيذاً ؟ اليس الذي يحدثنا بلا نية ولا تفسير افضل من الذي يحدثنا بنية وبتفسير ؟

هل تقبلت شكري الذي وهبته لك او استقبلته لانك تريد ان تستغلني باخذك مني شيئاً هو شكري ، لانك تريد ان تسرق مني شيئاً ، او لانك تريد ان ترضيني وتجاملني بتقبلك لما وهبتك وهو شكري ؟ هل في مثل هذا الموقف او في مثل هذه المخاطبات شيء من ذلك ؟

هل نحن - انت وانا - نتعامل بهذه الكلمة - الشكر - باي اسلوب او بآية نية من اساليب او من نيات التعامل ؟ اذن لماذا نصر على انفاق انفسنا بمثل هذه الاساليب والوسائل العابثة ؟ لماذا ننفق انفسنا دون ان نقصد معنى الانفاق ، ودون ان يكون هناك موضوع او شيء ننفق عليه او فيه ؟ لماذا ننفق انفسنا دون ان نتعامل بانفاقها ، ودون ان ننوي التعامل بهذا الانفاق لانفسنا ؟

لماذا نصر على استعمالنا لانفسنا ولغاتنا وعلاقات بعضنا ببعض هكذا بلا قصد ولا تفسير ؟ هل نحن عابثون بهذه القسوة ؟ هل نحن موجودون لكي يفرض علينا ان نبدد انفسنا ووجودنا وطاقتنا فقط كان هذا التبديد هو المنطق العظيم الذي وجدنا من اجله ؟ كان هناك الهال لا يمكن فهمه ،

يحتاج الى ان يعبد ، دون ان يوجد أي أساليب لعبادته سوى ان يبذل
الموجود وجوده بين يديه هكذا ؟

وهل لعبادة أي اله من تفسير غير ان يبذل الموجود وجوده بلا تفسير ؟
اليس كل مزايا الاله انه جهاز تبديد ؟

هل منطق وجودنا هو فقط ان نبذل وجودنا ؟ وهل التبديد منطق ؟
هل ارادة التبديد خطة ؟

ولكن هل يوجد أي منطق لأي شيء غير منطق التبديد ؟ هل لأي
شيء تفسير أو معنى أو خطة أو وظيفة غير ان يبذل وجوده ، ان يبذل
ذاته ، بأي أسلوب ، وبكل أسلوب ، وبلا أسلوب ، وخروجا على كل
أسلوب ، وبأردا وأغبي أسلوب ؟ أليس كل أسلوب وعمل هو تبديدا لان
كل وجود ، كل أسلوب وجود هو تبديد ؟

اليس النجوم ، اليس الشمس ، اليس كل الطبيعة بلا منطق
ولا تفسير ولا معنى ولا خطة غير ان تبذل وجودها وذواتها بأغبي وأقبح
أسلوب ، بل بلا أي أسلوب ؟

هل في الكون ما ليس تبديدا أو ما يستطيع ان يكون غير تبديد ؟ هل
في الكون ما كان خطة أو ما كان تنفيذا لخطة أو استجابة لاحتياج أو لمنطق ؟
اذن هل في الوجود ما يستطيع ان يكون غير تبديد ؟

ان أقسى نموذج واضخم نموذج لهذه القضية هو الاله . ان الاله
هو أقسى وأكبر نموذج للموجود الذي لا منطق ولا تفسير ولا خطة ولا
وظيفة لوجوده سوى تبديد وجوده ، سوى تبديد ذاته وطاقاته بكل أسلوب ،
بلا أي أسلوب ، بأبذل وأردا أسلوب ، بأكثر الأساليب وحشية ، بكل
أساليب أقصى أساليب الوحشية ، بكل الأساليب التي هي أكثر وحشية
من كل أساليب الوحشية .

أيها الاله . قف ، ماذا تصنع ، ماذا تصنع هنا ؟ لماذا هذا أيها
الاله ؟ لماذا تمارس نفسك بهذا الأسلوب ؟ لماذا تبذل طاقاتك هكذا ؟ ألا
تجد أسلوبا آخر ؟ ألا تستطيع الصمت عن العمل ، عن هذا التبديد
لذاتك وطاقاتك بمثل هذه الوحشية ، بهذا التفوق على كل وحشية ؟

أيها الاله قف وسائل نفسك ، قف وجرب مساءلتك لنفسك قف
لنساءلك أيها الاله . ان رغبتنا في مساءلتك تفترسنا . قف لماذا خلقت هذا

اكون ، لماذا خلقتنا ، لماذا خلقت الحشرات؟ ولماذا تقتل هذا الكون وتقتلنا
وتقتل الحشرات ؟ لماذا تقتل ما خلقت ، لماذا تخلق لتقتل ؟ لماذا تهدم
ما بنيت ، لماذا تبني ثم تهدم ؟

قف ايها الاله . هل رأيت نفسك ؟ هل فكرت فيها ؟ هل رضيت
عنها ؟ قف واسأل من راوك ايها الاله .

لماذا تخلق ، لماذا تبني ، لماذا تصنع شيئا حتى ولو لم تقتل وتهدم
وتفسد ؟ لماذا ؟

هل لك خطة او منطق او هدف او حاجة او رسالة فيما تمارس
وتعاني ؟ هل انت تخدم أحدا او تطيع أحدا ؟

هل يوجد عبث مثل عبثك او في قسوة عبثك ايها الاله العظيم ؟

انت تبدد ذاتك ووجودك وطاقاتك . انت فقط تمارس التبيد حينما
تخلق وتبني وتعمل حتى ولو لم تقتل وتهدم وتنقض . ان عملك لا يكون
الا تبديدا حتى ولو لم تناقض نفسك ، ان وجودك لا يكون الا اقسى
اساليب التبيد حتى ولو قضيت كل وقتك في الصلاة لنفسك وفي الثناء
على نفسك .

انت تبدد ذاتك وطاقاتك ووجودك ضدنا وضد الحشرات وضد
الطبيعة . ألا تستطيع ان تصمت وتكف عن التبيد ؟ ان صمت الالهة لن
يكون الا اسلوبا شاملا من اساليب الصمت عن التبيد . هل انت مسخر
او موظف او محكوم عليك بان تكون ضد الذكاء وضد المنطق وضد
الحكمة والوقار والاحترام للنفس ؟

ألا تستطيع ان تبدد نفسك - اذا لم يكن بد من التبيد - بأسلوب
آخر ، بأسلوب لا يتحول الى معاناة أو تعذيب أو تشويه لنا أو للكون أو
للحشرات أو الى هجاء لنفسك وتشويه وتعذيب لها بلا ثمن ؟ هل يوجد
افضل من أن تتوقف ايها الاله عن التبيد لنفسك ، اي عن أن تعمل اي
شيء ؟ ما أنبل صمتك عن العمل ..

قف ايها الاله . ماذا تصنع ؟ لماذا تصنع ؟ لماذا تصنع بهذا الاسلوب؟
لماذا تصنع ضدنا ، ضد الآخرين ؟ جرب ان تصمت ايها الاله ، جرب ان
تصمت عن العمل ، عن تبديد ذاتك . جرب الوقار ايها الاله . ما أجمل
ان يصمت الاله .. ان يصمت عن العمل وعن العطاء وعن الرحمة وعن

التفكير والحب والذكاء ...

ولكن لا تجرب . أنت معذور ومغفور لك أيها الاله . أنت تبدد وجودك ، تبده ضدنا وضد الآخرين . ولكننا نفهمك ونعذرک ونغفر لك لاننا نحن ايضا نبدد وجودنا ، نبده ايضا ضد الآخرين ..

اننا نحن وانت متشابهون - اننا لسنا افضل منك ، انك لست افضل منا . اننا مستوى واحد وصيغة واحدة .

لهذا نفهمك ونعذرک ونغفر لك أيها الاله . ولكن لا . هل يمكن الغفران للاله ؟

اننا نعذرک - ونغفر لك اكثر مما نفعل لغيرك او لانفسنا . انك اكبر ، ان الشيء بقدر ما يكون كبيرا يكون اكثر احتياجا الى تبديد وجوده ، ويكون اكبر وابهظ تبديدا . ان الشمس احوج الى تبديد وجودها واكثر تبديدا لوجودها من شمعة المبد . لهذا أنت أيها الاله احوج من كل شيء ومنا الى تبديد ذاتك ، واكثر منا ومن كل شيء تبديدا لذاتك . ان العبقري احوج الى تبديد ذاته واعلى تبديدا لها من الانسان الصغير . ان العبقري يبدد ذاته ليتحول الى اجهزة تبديد يبدد بها الآخرون ذواتهم .

اننا لهذا نعذرک ونغفر لك أيها الاله اكثر مما نعذر انفسنا او نففر لها ، اكثر مما نعذر أي شيء أو نففر لاي شيء . اننا نعذرک ونغفر لك اكثر مما نعذر العبقري ونففر له حينما يبدد ذاته ليتحول الى اجهزة تبديد يبدد بها الآخرون ذواتهم .

أيها الاله افعل ما شئت ، بدد ذاتك بكل اسلوب ، حول تبديديك لذاتك اى اقسى تشويه وتعذيب ومعاناة لنا وللطبيعة وللحشرات البريئة . افعل ما شئت أيها الاله فقد غفرنا لك لاننا لا نستطيع ان نقاومك أو نحاكمك أو نعاقبك أو نعاتبك بأكثر من الغفران لك والاعتذار عنك . ان اردا ما فيك أيها الاله انه لا يمكن محاسبتك او محاكمتك او معاقبتك او معاتبك بأقصى من الغفران لك او من النسيان لك أو من التخطي لك او من العجز عن القبض عليك .

ما اقساك أيها الفافر ، أيها الفافر لالهه . ما اعظم ذنبك ، ما اعظم واكبر ذنبك أيها الاله ، أيها الاله المغفور له ، أيها الاله المحتاج الى الغفران الاشد احتياجا الى الغفران من كل المحتاجين الى الغفران . هل انت مسرور

أيها الاله بالغفران لك ؟ انه لغفران أقسى منه العقاب . انه غفران من لم يجدوك لكي يحاكموك ويحاسبوك ويعاقبك . انه اذن ليس غفرانا .

* *

وحينما نقول للاله : « شكر لك ايها الاله » هل نريد حقا ان نهيه شكرنا ، ان نصنع لقلبه السعادة والابتهاج والرضا بشكرنا ؟ هل في حسابنا ان نحسن الى الاله ، ان نرفع اليه شيئا يسره ؟

وهل في حسابنا ان الاله محتاج الى مجاملات لفظية او عاطفية لاعطائه مستويات وظروفا نفسية اكثر ابتهاجا وغناء ؟

وهل فهمنا معنى اشكر الذي وهبناه للاله ؟ وهل فكرنا في معناه ، او حاولنا ان نفكر ؟ وهل اردنا معناه ، كل معناه ؟ وهل في حسابنا ان معنى الشكر للاله هو فقط ان نقول له : شكرا ام ان له معنى اخر اكبر واثقل جدا ، يؤدي بوسائل اكبر واثقل جدا ؟ وهل في حسابنا اننا سوف نؤدي له ذلك المعنى الاخر بتلك الوسائل الاخرى ؟ وهل فكرنا في معنى هذا الالتزام للاله او قدرنا حساباته ، او حاسبناه بمحاسبتنا تقدرتنا عليه ؟ هل وثقنا بان قدرتنا متكافئة مع هذا الالتزام ؟

وهل اقتنعنا بان الاله يريد منا ان نشكره ، او ان شكرنا له يفيد او يرضيه او يسره ، او حتى يسمعه او يدري به ؟ هل اقتنعنا بأن الاله مثلنا يعجبه ان يشكر ، ان يشكره الصادقون والكاذبون ، الاذكياء والاقوياء والمتطهرون ، وايضا الاغبياء والضعفاء والعاجزون عن التطهر ؟ هل اقتنعنا بأن الاله مثلنا يعجبه ان يشكر ، ان يشكره حتى الذين لا يجدون اي سبب من اسباب الشكر ، حتى الذين يجدون كل اسباب السخط والغضب والانكار ، حتى الذين يتحول شكرهم الى اعنف اساليب الاستهزاء والهزاء لانهم يشكرون حيث يجب ان يرفضوا ويتهموا ويحكموا من يشكرون .

حتى الذين تنطلق كلمات الشكر من افواههم وكأنها اسلحة واقدرها على القتل ، مسددة الى اخلاق وضمائر ونيات اولئك الذين يتلقون منهم الشكر ويستمعون اليه باعجاب وكبرياء وبداءة اخلاق وجلافة نفس ؟

هل اقتنعنا بان الاله سوف يصدق ويفرح حينما يسمع ممن اوقع به كل الالام والاحزان والعاهات يقول شكرا لك ايها الاله الطيب وهل عرفنا او وجدنا في الشكر معطى ومقبولا معنى نبيل او كريما او ذكيا ؟ اليس الشكر دموعا او احزانا او هزيمة او ضعفا او احتجاجا او تورطا او استعطاء

أو خداعاً أو سبأاً بلغة أخرى ؟

اليس أحيانا فراغا وضيقا وتقليدا وبلادة ومطاردة وسخفا ؟
اليس الارتياح الى الشكر والترحيب به والاستزادة منه والتقبل له
والجزاء عليه تفاهة وضالة وبدانة وطفولة وقسوة واذلالا وصلفا ؟
اليس أحيانا اصفر واقل من ذلك ؟ اليس أحيانا هو اكبر من كل
هجاء وخسة ؟

وهل عرفنا واقتنعنا بالاسلوب الذي يجب ان نصوغ وان نقدم به
شكرنا الى الاله ، والذي لا بد ان يقبله وان يرضى عنه اسلوبا لشكره
او افضل الاساليب لشكره ؟

وهل عرفنا بالاسلوب جيد ان شكرنا له لن يفيظه او يفضبه او
يخرجه او يخلجه او يورطه او يسيء اليه ، الى سمعته او الى اخلاقه
او الى ذكائه او الى وقاره واتزانه ، او انه لن يلزمه بشيء لا يريده او
لا يستطيعه او لا يجرؤ عليه ؟

اليس الشكر أحيانا الزاما بشيء او مطابقة بشيء ؟ اليس أحيانا
احراجا ؟ اليس من يشكرنا - كمن يعجب بنا ، او يصلي لنا ، او يعتمد
علينا - اليس يسطو على مشاعرنا ويدقها ، - اليس يطارد مشاعرنا
ويسقط عليها ؟ بل اليس يهددها بالعقاب والرفض والهجاء ؟ اليس الشكر
هو دائما اسلوبا من اساليب الهجوم ؟ اليس الشاكر هو دائما محاربا ؟
اليس الشاكر هو دائما مهددا للمشكور ؟

لقد شكرنا بشروط ، بشروطه هو ، اذن يجب الخضوع لهذه
الشروط والا فانه سيعاقبنا ويرفضنا ويكفر بنا . لقد شكرنا او اعجب
بنا او صلى لنا او اعتمد علينا . اذن فقد يفعل بنا النقيض اذا لم نخضع
لشروطه او اذا لم تكن عند ظنه ، او اذا لم تكن حيث تتجه اهواؤه . ان
الشاكر ليس الا شروطا مهددة ، انه شروط يفرضها ويكتبها جانب واحد .
وهل عرفنا ان الاله يعرف كل لغاتنا التي نكلمه بها والتي نخاطبه
بها حينما نصلي له وحينما نشكره على ما فعل بنا او على ما فعل ضدنا
او على ما فعل دون ان يكون لنا او ضدنا - وايضا حينما نصلي له
ونشكره على ما لم يفعل وعلى ما لا يمكن ان يفعل ، وعلى ما نحاكم ونعاقب
به غيره لو فعله ؟

هل عرفنا أنه يعرف كل هذه اللغات التي نصلي ونشكر بها ؟
هل عرفنا ذلك ؟ هل عرفناه ؟

لماذا لا توجد في حساباتنا احتمالات أخرى ؟ لماذا لا يوجد في حساباتنا
ان للاله لغة أخرى لا يعرف غيرها او لا يريد ان يخاطب بغيرها او ان يسمع
غيرها ؟

هل عرفنا انه يعرف اية لغة من اللغات ؟ لعله لا يعرف اية لغة .
اليست اللغة تعدداً ومجتمعاً ؟ هل يمكن أن تصنع الوحدة اية لغة ؟
هل الوحدة خالقة لاية لغة ؟ هل الذي يكون وحده ويعيش وحده يحتاج
الى اللغات والى تعلمها ؟ اليس تعلم اللغات معاناة ؟ هل الذي لا يحتاج
الى المعاناة يحتاج الى تعلم اية لغة ؟ اليس الذي يخاطب الاله بأية لغة
يهجوه كالذي يحاول او يريد أن يعلمه اية لغة ؟

اليست اللغات تساؤلاً وبحثاً عن الفهم ومحاولة من محاولات الحياة
في الآخرين ومع الآخرين ومن محاولات الفرار اليهم ومضاربتهم ومشامتتهم،
ومن محاولات الفرار من الذات ومن الوحدة ؟

اذن كيف يمكن ان يكون الاله محتاجاً الى اية لغة ؟ ان احتياجه الى
اية لغة والى ممارسة اية لغة هجاء اليم له . ان معرفة اللغات والتكلم بها
والاستماع اليها وقراءتها ليست اخلاق او مستويات اله .

ان كل الناس في جميع العصور كانوا يصلون للاله ويدعونه بكل اهفة
وضراعة واخلاص وايمان ، ويلقون اليه بكل احتياجاتهم وآمالهم وهمومهم
بكل اللغات ، وعلى جميع مستويات الصدق والحب والاقتناع والشوق
والنظافة والتطلع ، لقد كانوا يهبونه كل ثقتهم بلا حدود ، محولين هذه
الثقة الى ضراعات والى مطالب لاهثة متلهفة ، مسقطة عن نفسها كل كرامة
وكبرياء وشجاعة واباء .

لقد كان كل الناس في جميع العصور وفي جميع المجتمعات وتحت كل
الظروف وفي كل المعابد ، أتباعاً ورعاياً لكل الانبياء والدعاة ، لكل الكتب
المقدسة - لقد كانوا يهتفون ويضرعون ويكون مقدمين بكل طلباتهم
واحتياجاتهم ومناشداتهم واحزانهم وآمالهم واقتناعهم وحبهم وخوفهم
وصدقهم ، الى الاله بكل اللغات ، بأساليب ومذلات ترق لها الصخور ،
وترق لها الاباسة وتخجل منها وتخجل لها الابالسة . ولكنه - سبحانه

وتعالى - لم يكن يستجيب لاحد ، او يرق لاحد ، او يخجل لاحد ، او يخجل من احد . لقد كانت جميع دعوات البشر ومطالبهم الضارعة الباكية تسقط تحت قدميه ، ودون اذنيه وبعيدا عن اذنيه ، لا تجرحهما ، ولا تقلقهما . لقد كانت جميع تضرعات البشر ودعواتهم ومطالباتهم تموت تحت قدمي الاله وصمته دون رثاء .

لقد كان محتوما ان تموت الوحوش وتفتت الصخور حزنا ورثاء لدعوات ومطالب البشر ولضراعاتهم وصلواتهم المتهاوية تحت اقدام الاله وبعيدا عن اذنيه ، مهزومة ذليلة مرفوضة ، لو كانت الوحوش والصخور تعرف اللغات التي كان البشر يدعون ويتضرعون ويصلون بها الى الهم الذي لا يستجيب ولا يطالبهم ان يكفوا ولا يقنعهم بان يكفوا . انه لم يكن يستجيب لتضرعاتهم . اذن لماذا لم يفهمهم ذلك ، ويطالبهم او يقنعهم بالا يدعوا ويتضرعوا ؟

ان اساليب القسوة وصور الدمامة في هذا الكون لا ضبط لها ولا رحمة فيها . ولكن ليس اقسى هذه الاساليب قسوة واكثر هذه الصور الدميمة دمامة هي العلاقات بين البشر المؤمنين والاله . هذه الدعوات والتضرعات والصلوات والمناشدات الهاتفة المنادية الباكية ابدا ، والمؤملة ابدا ، والمكررة المؤمنة المنتظرة ابدا ، والمرفوضة ابدا .

هذه الدعوات والتضرعات التي لا تجد من يرثي لها او يخجل لها ولا تكره نفسها ، ولا تخجل من نفسها ، ولا تغضب لنفسها من كثرة وطول الابتذال والتكرار والرفض .

هذه الدعوات والتضرعات لتي لا تجد من يرثي لها او يخجل لها او يفض لها او ينتصر لها .

وهذا الاله الصامت ابدا ، والرافض ابدا ، والغائب ابدا ، والمشفول بنفسه ابدا ، والقاسي ابدا ، والمعرض ابدا - هذا الاله الذي لا يمل ان يصمت ، ويرفض ويعرض ويقسو ويهزا .

هل توجد قسوة او دمامة اكبر من ذلك ، اكبر او ابشع من هذه العلاقات بين هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ويتضرعون ويصلون ويظلون ابدا مرفوضين ، يلحون ويؤمنون وينتظرون ويؤمنون ، وبين هذا الاله الصامت الرافض الغائب المتلهي القاسي المعرض ابدا ، ابدا ؟

هل توجد وحشية او دمامة افظع من هذه العلاقات بين الاله والمؤمنين ،

من أنتظارهم وأخلاقه ، ومن صراخهم وصمته ، ومن إيمانهم ورفضه ،
ومن حضورهم ومغيبه ، ومن انهيارهم الدائم وصلابته الدائمة ، من
دموعهم الدائمة ومن قدرته الهائلة على القسوة في مواجهة هذه
الدموع ؟

لماذا هذا ؟ لماذا لا يرق الاله أو يسمع أو يستجيب لهذه الدعوات
والتضرعات ؟ لماذا لا يفعل شيئا من ذلك ؟ لماذا لا يرق ويستجيب ولو
لبعض هذه الدعوات والطلبات ولو حياء أو تهذبا أو فرارا من قسوة
المناشدة وديمومتها ومضايقاتها ؟ لماذا لا يسمع ؟ لماذا لا يتعذب سمعه ؟
هل توجد مناشدة منتظرة مثابرة كمناشدة المؤمنين ، وهل يوجد
رفض مثابر مقنط كرفض الاله ؟

هل يمكن ان يوجد اي احتمال لموقف الاله هذا سوى احتمال
واحد ، سوى احتمال واحد فيه كل الدفاع عنه والتكريم له ، فيه تنزيهه
والارتفاع به عن الاحتمالات الاخرى الغظيعة ؟

هل يمكن أن يكون لهذا أي تفسير أو منطق غير الافتراض بل الاقتناع
بان الاله لا يعرف أية لغة من اللغات . انه لا يدري بالطلبات الضارعة
الدائمة التي تقدم اليه . ان المؤمنين يخاطبونه بلغة لا يعرفها . وهل
يوجد تفسير للدفاع عن الاله مثل هذا التفسير ؟ بل هل يوجد تفسير غير
هذا التفسير للدفاع عن صمت الاله امام مواكب البشر الراكمين تحت
قدميه يدعون ويؤمنون دون ان يقول ولو مرة واحدة لواحد منهم : انهض
فقد قبلت دعوتك .

... والمشكلة الدائمة ان المؤمنين ان يعرفوا هذه الحقيقة ولن
يحولوها ولو الى شك . انهم سيظلون أبدا يعتقدون بأنه يعرف كل لغاتهم ،
حتى لغاتهم التي يجب ان يتنزه ويتقدس عن معرفتها وعن الاستماع اليها
وعن مخاطبته بها . وهل يمكن ان يفهم المؤمنون - ولو احيانا - أنه ليس
شرفا أو مجدا لاله دائما ان يعرف لغاتهم ، وانه ليس نقصانا فيه ولا ألما
له الا يعرف لغاتهم أو كثيرا من لغاتهم ؟

والمشكلة الدائمة الاخرى انهم أي المؤمنين لو عرفوا هذه الحقيقة ،
لو عرفوا ان الاله لا يعرف أية لغة من لغاتهم لما وجدوا او عرفوا وسيلة
أخرى يخاطبونه ويرفعون اليه طلباتهم ومناشداتهم بها . وحينئذ قد

يصمتون البتة عن مناشدة الاله والتضرع اليه ومطالبته بأي شيء . وهذا قد تكون فيه راحة ووقار لهم ، أي ان فعلوه أو لو فعلوه .

وفي احتمال اخر قد يحاولون ان يخترعوا لغة جديدة ، ثم يحاولون ان يحولوها الى لغة عالمية يتكلمها كل البشر ، ثم يصنعون وسيلة ما ، لكي يعلموا الاله هذه اللغة التي يتكلمونها جميعا ، لكي يخاطبوه ويتقدموا بطلباتهم وضرعاتهم اليه بها .

وقد يكون في القضية احتمالات اخرى قد تكون افضل ، أو اقل بشاعة وارهقا وسخفا . وهل يوجد في جميع الاحتمالات اترديئة والمخيفة احتمال اكثر قبحا وقسوة وبلادة مما هو حادث ؟ هل يوجد في جميع الاحتمالات اكثر سوءا من ان يظل المؤمنون يدعون ويتضرعون وينتظرون ، بينما يظل الاله صامتا رافضا اما لانه لا يعرف ما يقولون لانه لا يعرف اللغات ، واما لانه لا يريد ان يستجيب ولا ان يبالي بما يقولون ؟ ايهما افزع : ان يكون الاله لا يعرف اللغات التي يخاطب بها أو لا يريد ان يجيب أو لا يستطيع ان يجيب ؟ اليس كل اله لا بد ان يكون مصابا باحدى الآفات الثلاث : لا يعرف اللغات أو لا يريد ان يستجيب أو لا يستطيع ذلك ؟

* * *

وحينما دعوتك « بصديقي » هل كنت انا مقتنعا حقا بانك صديقي؟ وهل أردت ذلك ، وأردت اعلانه والاعتراف به ؟ هل أردت تقرير هذه الصداقة وتثبيت معانيها وقوتها وديمومتها ؟

هل فهمت تفاسير الصداقة وقررت الالتزام بهذه التفاسير سلوكا واعتقادا مهما كانت تكاليفها وهمومها وذنوبها وتوريطاتها ؟

وماذا قصدت أو أردت من اعلانها أي من اعلان الصداقة ؟ ولماذا اخبرتك ؟ هل أردت ان اؤدي رسالة كونية أو انسانية ؟ وهل عرفت انك تقبل ان تكون صديقي أو ان اكون انا صديقك ، وان اعلن عن ذلك ؟ أو هل عرفت انك قد صدقتني حينما زعمتك ودعوتك صديقي ؟

وكيف جرؤت على ان اجعلك صديقي بلا تعاقد .. دون موافقتك بل دون استئذائك أو سماع رأيك ؟

اليس الصداقة عقدا أو تعامل بين اثنين أو اكثر ؟ اليس محتوما أو مطلوبا ان يرضى الطرفان بهذا العقد والتعامل به ، ويوافقا عليه . والا كان اسلوبا من اساليب العدوان أو المطاردة أو الاضطهاد أو السخف أو

النذالة ؟ الا يمكن ان يكون في الصداقة ولو احيانا كل معاني وتفاسير
واساليب وحوافز ونيات المعتدي والمطارد والمضطهد والسخيف والنذل ؟

واذا لم يكن الصديق هو كل هذه الصفات والمعاني او بعضها فما
هو اذن ؟ ان الصداقة ليست بحثا عن آله يراد منه الا يكون موجودا .

كيف تفرض على انسان صداقتك دون استئذانه ورضاه وموافقته ،
ودون ان تعلم بملاءمة صداقتك له ؟ اليس مثل هذه الصداقة اسلوبا
فظيحا من اساليب السقوط على الآخرين ؟

اليس في الصداقة ، في كثير من الصداقات كل معاني السقوط على
مشاعر الآخرين وعلى اخلاقهم وافكارهم وعيونهم ، بل على ذواتهم وعلى
مثلهم وقيمهم وعلى حدودهم الاجتماعية والتاريخية والانسانية ؟ ولكن
اليس سقوط الشيء على الشيء معنى من معاني الوجود ؟ اليس سقوط
الانسان على الانسان احتياجا في الساقط والمسقوط عليه ؟ اليس تداويا
من تفاهة وجودهما وتسويقا لا يمكن تسويغه ؟

وحينما دعوتك بصديقي هل عرفت انا انك تعرف معاني الصداقة ،
او انك قد تستجيب لها او تلتزم بها ، او انك قد تراها - أي قد ترى
الصداقة - عقدا رابحا في حساباتك ، او عقدا ملأنا لك ؟ الا يحتمل
ان يكون في هذا فرض للصداقة من جانب واحد ؟ اليس مثل هذا الفرض
ظلما وعدوانا وسخفا ووقاحة وبلادة ومخاطرة ؟

ولكن اليست الحياة بدون هذا الظلم والسخف والعدوان والوقاحة
والبلادة والمخاطرة شيئا اكثر قبحا وعدوانا وسوءا ؟

وهل عرفنا انت وانا اننا متشابهان او متكافئان او متلائمان او
قادران على ان نكون صديقين ، وان تسعد بهذه الكينونة او ان نرضى عنها؟
هل عرفنا ان خصائصنا او امزجتنا او مستوياتنا او اخلاقنا لا ترفض
ذلك ، او انها تأذن به وتباركه ، وتجعل منه شيئا طيبا او مفيدا او حتى
مقبولا ؟ اليس التلاؤم والتوافق ، او حتى التقارب والتشابه بين الصديقين
او الاصدقاء في المستويات والاهواء والاخلاق والخصائص والظروف والبداء
مطلوبا ان لم يكن مفروضا ومشروطا ؟

ولكن اليس التنافر والتفاوت والتناقض والتصادم ايضا شيئا
مطلوبا ومريحا ان لم يكن مطلوبا ومريحا اكثر ؟



اذن ما اصبر البشر ، او ما اعجبهم ، او ما اشد تفاهتهم وغباءهم
واكثر اكاذيبهم ، او ما اجمد جمودهم في ممارساتهم لانفسهم وللغاتهم
ولمخاطبات بعضهم لبعض ولعلاقات بعضهم ببعض ، ولممارساتهم لاربابهم
ومذاهبهم وافكارهم ونظرياتهم وعواطفهم ولجميع مواقفهم الماثلة ، بل
ولممارساتهم لاعضائهم ولاحزانهم ولسراتهم .

ما اصبر البشر وما اعجبهم واتفهم واكذبهم واضيعهم وابلدهم
واكثرهم جمودا وسخفا وضياعا وتبددا وتبيدا لوجودهم . ولكن هل
يكونون اكثر سعادة وذكاء ومجدا لو لم يكونوا كذلك ؟ وهل يكون حينئذ
اعجاب الشمس بهم وجبا لهم ، او اعجاب الاله بهم وجبه لهم اعظم
او انبل ؟

ما افظع هذا . اني انتقد وارفض ، ثم افعل باصرار وحماس واطعان
وشهوة كل هذا الذي انتقده وارفضه . ما افظع هذا ، ما افظع ممارسة
الانسان لنفسه ، لوجوده . ما افظع ممارسة كل موجود لوجوده . اننا
لا نرى هذه الفظاعة لانها هي التي تصوغ عيوننا ، وهي التي تصنع
مشاعرنا بها ونحوها . انها هي الناقدة لنفسها والمحامية لها المدافعة عنها .
اننا نحن المرأة ونحن الوجه . ما اسخف هذا . ولكن اليست اصدق امرأة
يرى بها اي وجه وجهه هي نفس ذلك الوجه ؟ اليست امرأة كل شيء
هي وجهه ؟

هل يوجد من يرى وجهه بغير وجهه ؟ هل يوجد من يستطيع ان يرى
المرأة الا بوجهه ؟



لقد اردت ايها الصديق ان تبالغ في مجاملتي وفي الثناء علي ، رثاء
لالامي وتعويضا عليها ، فوصفتني بما ظننته كل التمجيد والتعزية والتعويض
والعطف على احزاني العقلية والعاطفية والتاريخية والذاتية .
لقد وصفتني ايها الصديق بالمالك . وحتما قد وضعت في خيالك وحساباتك

حينما القيت علي بهذا الوصف كل ما في خيالك وحساباتك عن السماء من نظافة ومجد وارتفاع وتقوى . انك حينما تفضلت بوصفي بالملك كنت حتما ترثي لي اشفاقا علي من هول شموخي وتقواي ونظافتي وامجادي التي تعيش في السماء والتي تعيش كل فضائل والتزامات السماء لانك تعرف حتما أن معاناة اخلاق السماء ومعاناة مستوياتها تعذيب وليس مزية . ان كونك شمسا أرهاق لك لا تفضل .

ولكن هل عرفت حقا انك قد جاملنتني او انك قد اثنت علي حينما وهبتني هذا الشئ او هذا الهجاء ؟ الا يقع في تصورك احتمال آخر ؟ الا يقع في تصورك - ولو احتمالا - انك قد بالغت جدا في تحقيري وذمي حينما اطلقت علي كلمة « الملاك » ؟ انت حتما كنت في نيتك تمجديني جدا بهذا الوصف كما كنت حتما ترحمني من قسوة فضائلي علي لانها فضائل ملك . وهل يوجد من هو احق بالرحمة ممن يعيش فضائل الملك ؟

هل استأذنتني في اطلاق هذه الكلمة علي قبل اطلاقها ؟ هل عرفت انها امتداح ، هل عرفت انها ليست اقسى اساليب الهجاء ؟ هل عرفت ان ذلك سوف يرضيني ؟ لماذا لم تقدر النقيض ؟ لماذا ؟ هل اردت هجائي ؟ لماذا ؟ لا اظن انك قد اردت ذلك . اذن لماذا فعلت ؟

نعم ، ان هذا الشئ ثناء تاريخي . لقد مضى كل الناس في كل التاريخ يشنون على من يريدون المبالغة في الشئ عليه بأن يصفوه بالملائكية . لقد مضى الناس يقلد بعضهم بعضا في هذا الشئ ، وقد كانت ضمائر كثيرين منهم تعتذر الى الملائكة . لقد كان اصحاب هذه الضمائر يعتقدون انهم يحقرون الملائكة ويصنعون لهم الفضب والشعور بالحتارة والمرارة حينما يمتدحون احدا بأنه شبيه لهم في شيء من مزاياهم .

ان احدا لم يعتقد انه يحقر من يجعلهم اشباها للملائكة . لقد كان الملائكة نماذج خرافية لتصورات طفولتنا وانهزام اذاننا .

لقد مضى الناس - رافضين لاحتجاج ضمائرهم - يقلد بعضهم بعضا في امتداحهم لمن يريدون ان يبالغوا في امتداحه بأن يصفوه بالملك ، دون ان تجعلهم ضمائرهم المحتجة يهابون هذا التحقير المبالغ فيه جدا للملائكة . ان الرغبة في التصورات الضخمة تنتصر دائما على وقار الانسان وعلى ذكائه وعلى تقواه وضميره . ان التصورات الضخمة نوع من التعويض عن

الفقدان الضخم الاليم وعن كل انواع العجز .

حتى الاديان والكتب المقدسة لقد فعلت ذلك - لقد قلدت في هذا الشئاء . لعل الاديان والكتب المقدسة هي دائما تقليد واتباع مهما بدت او ظنت ابتكارا وتجديدا .

ولكن هل الاديان والكتب المنزلة تقلد ؟ لعلها هي المقلدة . لعلها هي التي صنعت هذا التقليد ، او هذا الشئاء الذي تحول الى تقليد ؟ لعل الاديان والكتب المقدسة هي البادئة بتصور اللائكية ثناء ومجدا .

ولكن هل يحتمل ان يكون ذلك افتراضا مقبولا ؟ هل يحتمل ان الاديان والكتب المنزلة هي التي تبتكر للناس تقاليدهم وتعاليمهم بل او اخلاقهم او مشاعرهم او لغاتهم ، او حتى تقواهم وصفات اربابهم ؟

هل النبي او الدين او الكتاب المنزل يبتكر نفسه او يصوغها او يجدها داخل ذاته ؟ هل يجدها موضوعة تنتظره داخل المغارات والكهوف المهجورة ، او يقرؤها مكتوبة على النجوم في تطلعاته اليها ؟

هل النبي او الدين او الكتاب المنزل يخلق نفسه ام يجدها في السوق - هل يجد نفسه في السوق ، في السنة ونيات واماني وجوع واحلام الجماهير الضعيفة المتخلقة البدوية جدا ، ام يجدها فوق المجرات ؟

هل الانبياء والاديان والكتب المقدسة تعطي المجتمعات ام تأخذ منها ، هل تعلمها ام تتعلم منها ؟

هل تتعلم منها وتعلمها ومن يعلم المعلم ؟ وكيف يتعلم ، وكيف يصبح معلما ؟ واذا كانت الاديان والانبياء والكتب المقدسة تعطي المجتمعات وتعلمها فهل تعطيها وتعلمها عطايا وتعاليم مستوردة من السماء ومصنوعة في السماء وعلى مقاسات السماء ، ام تعطيها وتعلمها ما اخذت وما تعلمت منها ؟

هل تعطيها وتعلمها كبرياء وذكاء وضخامة السماء ، ام تعطيها وتعلمها اتضاع السوق وتلوئها واوهامها وغباءها وبداءاتها وحماقاتها وصفائرها الاليمة ؟

هل الانبياء قوم يقدمون من السماء ليعلموا منطق من يعيشون في السماء ام يخرجون من الارض ليعلموا منطق من يعيشون الام وضعف الارض ؟

هل الانبياء معلمون ام متعلمون ؟ هل هم انبياء ام اتباع ؟ هل الانبياء قادة ام رعايا قد تحولوا الى قادة لانهم اكثر الرعايا تعبيرا عن مستويات واخلاق الرعايا ؟ لانهم اكثر الرعايا استيعابا لمعاني ومنطق الرعايا ؟ هل الانبياء يعلمون الجماهير نبواتهم ام الجماهير تعلم الانبياء مستوياتها وسذاجاتها واخلاقها ؟

هل الانبياء قوم يعلمون السوق المنطق ام هم قوم يتعلمون من السوق الخروج على المنطق وضعف المنطق ؟

ايهم الانبياء ، وايهم الجماهير ؟ هل الانبياء هم انبياء الجماهير ، ام الجماهير هي انبياء الانبياء ؟ هل الانبياء اكبر من الجماهير او فوق الجماهير ؟ هل هم اذكى ام اقل صراخا ؟

هل الانبياء والاديان والكتب المنزلة ابتداء من الفراغ ، ام هي تجميع وتركيز وتوكيد وتكرار والحاح وطرق دائم عنيف على الباب القديم الذي كان موجودا بالايدي القديمة التي كانت موجودة ؟

هل الاديان والنبوات والكتب المقدسة الا قراءة للناس على انفسهم ، والا تعليمهم مافي انفسهم وتعليمهم لانفسهم ؟ اليس هي ماكان ، مزعوما بصراخ انه ما لم يكن ؟ اليس النبي هو الذي يعلم الناس بيبكاء وعذاب وتطلع الى النجوم ما تعلم منهم ؟ اليس الفرق بين النبي وجماهيره فرقا في الاسلوب لا في المستوى ؟ اليس مستوى النبي هو مستوى السوق قد جاء صارخا وباكيا وحزينا وضارعا وملحا ومتجمعا ومتكررا ؟

اليس النبي هو الذي يحدث الناس عن احزانهم وتفاهاتهم واحتلاماتهم التي سمعهم يتحدثون عنها ، والتي تعلمتها ذاته واعضاؤه من اعضاء الناس ومن ذواتهم ، لان ذاته واعضائه ليست الا ابتكار ذواتهم واعضائهم ، ولان احزانه وتفاهاته واحتلاماته ليست الا تلقين وتوزيع احزانهم وتفاهاتهم واحتلاماتهم ؟ اليس النبي انسانا تتجمع فيه الجماهير باسلوب عنيف : تتجمع فيه اخلاق الجماهير وعواطفها وضياها وحيرتها وصراخها ولغاتها النفسية والفكرية والتعبيرية ؟ اليس هو الجماهير باسلوب اشمل وافنف ؟

ان كان النبي هو الذي يعلم الناس فمن يعلمه هو ، وان كان يتعلم من الناس فمن يعلم الناس ؟ اليس معلم النبي ومعلم الناس هو معلما واحدا ؟ اليس معلم الحشرات ، معلم قادتها واتباعها او صفارها وكبارها معلما واحدا ؟ اليس معلما الصلاة والحب هو معلما السباب والبغض ؟

ولكن هل النبوة تعليم ام جوع ؟ اليست جوعا قد تحول الى تعليم
والى تعاليم ، قد تحول الى نبوة ؟ هل النبي يعرف تعاليم اكثر ام يعاني
آلاما واحاسيس وظروفا اقسى ، ويعبر باسلوب اكثر بكاء واذلالا للذكاء
والكبرياء ؟

هل الانبياء هم الذين يعرفون اكثر ام هم الذين يعيشون في السوق
ويطاردونها ويصرخون فيها اكثر واقوى ؟

* *

هل عرفت او تصورت ايها الصديق ما هي اخلاق الملائكة التي اردت
ان تمجدني بها ؟ هل فكرت فيها ؟ هل قرأت عنها ؟ هل جربتها ، هل
رايتها ؟ هل رأيت من رآها او من جربها ؟ هل عرفت اخلاقهم ، وبأية
وسيلة عرفتھا ؟ هل حدثك عنها المحدثون ؟ هل حدثوك عنها بعد ان
جربوها ، بعد ان زاروا الملائكة او زارتهم الملائكة ، وبعد ان تعاملوا معهم
كل اساليب المعاملات وتحت كل الظروف التي تمتحن الاخلاق والتي
تقاسي منها الاخلاق ؟

ما عمل الملائكة وما اخلاقهم وما نياتهم ؟ هل هم انسانيون ، هل هم
اتقياء ، هل هم اصدقاء ؟

هل هم ديمقراطيون ، هل هم ثوار وفدائيون ضد الطغاة والظلمة ؟ هل
هم اعداء للطغاة ومستشارون جيدون جدا لهم ؟ هل لهم ضمائر واحاسيس
ترفض او تفضب او تقاوم ؟ هل هم منطوق او تفكير يحاسب وينقد ويحتج
ام هم آلات وادوات كالاعاصير والزلازل والابوثة والموت والخراب والقحط ؟
هل الادوات والالات - في قبضة الطفيان وتحكمه - ذات اخلاق
وتقوى ؟ هل الزلازل والبراكين والابوثة والقحط والموت والخراب نماذج
للفضيلة والامتداح والتدين ؟

ليس الملائكة زلازل وبراكين وخرابا وموتا وقحطا واوبثة ؟ اليسوا
كائنات تنفذ الاوامر الاليمة الرهيبة في هذا الكون وفي الحياة وفي الناس -
تنفذ الاوامر الشريرة بطاعة وتدين واخلاص وحماس ضد الكون والحياة
والناس ، دون ان تعصي او تقاوم او تراجع او تتألم او تحزن او تبكي
او تفضب او تتخاطب مع ضمائرھا او مع اخلاقھا ؟

ليست اخلاق الملائكة وضمائرها هي ان تطيع الاوامر الكثيصة
العدوانية : اوامر القتل والتعذيب والتشويه والتدمير والانتقام بلا ذنوب؟
... ان تطيع هذه الاوامر الموجهة اليها من اطفى وحشية في هذا
الكون ؟

هل طاعة الاوامر المتوحشة وانفاذها فضيلة او تقوى ؟ اذن ماهي
الرذيلة والفسوق والفجور ؟

ليست كل تقوى الملائكة وصلواتهم وفضيلتهم وايمانهم ان يشكروا
الاله ويقدسوه وينزهوه كلما قتل او فتك او عذب او اهان او افقر ، او
فعل شيئا رهيبا اليما ؟

... كلما عذب او شوه او امراض او اذل او امات شيخا او طفلا
او حيوانا بريئا او حشرة مؤمنة تمضي كل وقتها في تسبيح الاله والصلاة
له وفي الثناء عليه وفي التحدث عن مجده وحبه ورحمته ؟

ليس كل عمل الملائكة ان يقتلوا هذا ، او يمرضوا هذا ، او يفقروا
هذا ، او يشوهوا هذا ، او يهزموا هذا ، او يذلوا هذا ، او يفرقوا هذا ،
او يصيبوا هذا او هذا ، او كل هؤلاء بالآفات والعاهات والتشوهات
وبكل المظالم والاحزان والتكل واليتم والفقد ؟

ليس كل عملهم ان يضاوا ، ويفسدوا ، ويكيدوا ، وان ينفذوا
الى العقول والضمائر والرغبات والشهوات والى الاعضاء والنيات ليضعوا
فيها ويحببوا اليها كل الوان وجنسيات الفساد والغواية والشروع ؟

ليس كل عملهم ان يعدوا الجحيم وكل ادوات التعذيب والانتقام
والعقاب للبشر البائسين ، وان يضربوا الحراسة عليهم في الجحيم لئلا
يهربوا او يخرجوا منها ، وان يضربوا الحراسة على الجحيم لئلا تنطفئ
او تسرق او تهدم او تزال بقرار دولي او بقرار صحي او بثورة عالمية ؟
ليس افضل واتقى اعمالهم اي اعمال الملائكة ان يحموا الجحيم من كل
القرارات او الثورات العالمية او الكونية التي قد تغلقه او تهدمه او تحوله
الى شيء افضل ؟

ليس الملائكة هم صناع النار ومسعريها وسدنتها وحراسها وبوابيها
وحجابتها وجامعي الوقود لها ؟ ليس الملائكة كائنات نارية : يشيدون النار ،

ويؤثرونها ، ويحرسونها ، ويدلون عليها ، ويدخلون فيها ، ويتحدثون عنها ،
ويحرضون عليها ، ويعيشونها باخلاقهم ومشاعرهم ومنطقهم ومكانهم .
دون ان يقاوموها او يستفظعوها ويرفضوها او يرفضوا العمل فيها او
يتهيبوا النظر الى وجهه من يعاقب بها ؟

اليس عمل الملائكة ان يحرسوا ضمير الاله واخلاقه وعقله وعواطفه
ودموعه لئلا تصاب بالرقه او بالرحمة او بالعطف - لئلا تستجيب او
نضعف او تنهار امام الالام والويلات التي يعاني منها البشر في دار العقاب
والانتقام التي اعدّها واعد كل ما فيها من فنون الشر والتشويه والغضب
الملائكة انفسهم ؟ لقد كان اعظم ثناء صاغه الكتاب المنزل للملائكة قوله :
« عليها - اي على النار - ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم
ويقولون ما يؤمرون » . وهل يوجد هجاء اقسى من هذا الثناء ؟ انهم
غلاظ شداد في طاعتهم لطاغيته .

اليس كل عمل الملائكة ان يحرضوا قسوة الاله وغضبه وعذابه
وقوته الباطشة على البشر المقهورين ؟ انهم هم قسوة الاله وغضبه وعذابه
وبطشه . انهم هم الة ذلك واجهزته وادواته .

هل الف الملائكة وفودا او مجالس او مظاهرات او اضرابات او اية
تجمعات او تحركات ليطلبوا الاله بان يكون ارحم او اعظم نخوة او نبلا
او عفوا او تسامحا او ديمقراطية او نقدا للذات او مراجعة للذات ؟ هل
خالفوا الاوامر ؟ هل طالبوا بابطالها او بتعديلها او بتصحيحها ؟

هل هربوا ، هل مرضوا ، هل انتحروا استفظاعا او رفضا او
اشمئزازا مما يؤمرون ويمارسون ويشاهدون ويعلمون ؟ هل بكوا ، هل
صرخوا ، هل تفجرت عيونهم ، هل هابوا الرؤية هل عافوها ؟

اليس الملائكة هم ابشع واشهر جلادين لاشهر وابشع طغيان في
الكون ؟

اليس الملائكة هم وحدهم القائمين على اجهزة المباحث والمخابرات
والجاسوسية لهذا الطغيان الذي هو ابشع واشهر طغيان في الكون - الذي
هو طغيان اشهر وابشع طاغية في الكون ؟

بل اليس قيام الملائكة على هذه الاجهزة للمخابرات والمباحث
والجاسوسية هو كل عملهم ، وكل قيامهم وصيامهم وكل تقواهم وايمانهم ؟

هل توجد عيون أو قلوب في قسوة عيون وقلوب الملائكة ؟ هل توجد ممارسات في وحشية ممارسات الملائكة ؟

ما هي الفروق بين اعوان الطفاة من البشر وبين الملائكة الذين هم اعوان اشهر وابشع طفيان في الكون ؟ هل يقبل اعوان أي طفيان في التاريخ ان يسأل عن الفروق بينهم وبين الملائكة الذين هم اعوان اشهر وابشع طفيان في هذا الكون ؟ هل من العدل ان تقام مقارنة بين الملائكة وبين اعوان اي طفيان ؟

ان اعوان طفاة البشر يأخذون الثمن ، ويحولون الثمن الذي يأخذونه الى اساليب مختلفة من الاستمتاع واللذات والمسررات والاشياء الاخرى الكثيرة القوية الاغراء والاعواء والتحريض ، الكثيرة العشاق والمريدين . انهم يأخذون ثمنًا قد يفري وقد يلهب الشهية والرغبة ، وقد يرى انه اكبر مما يعطون ، وقد يرى انه متكافئ مع ما يعطون ، او انه دونه قليلا . انه مهما كان التقدير ثمن ، انه ثمن يختلف عليه المختلفون ، ويقبل التساوم عليه المساومون ، ويسقط تحت اغرائه واغوائه الكثيرون ، بل الكثيرون من الاقوياء والشامخين ، ويصبح الآخرون الناجون - وهم ينظرون اليه ويتلمسون مواقعه وضرباته داخل حدود ضمائرهم واخلاقهم : اللهم لا تدخلنا في تجربة مع ضمائرنا واخلاقنا .. اللهم لا تدخلنا في مثل هذه التجربة . اللهم لا تجعل ضمائرنا او اخلاقنا تجرب نفسها على نفسها ..

... اللهم لا تضعنا في خيار بين ان نكون هذا او هذا - بين ان نكون اعوانا للطفيان الرهيب لناخذ الثمن والامان منه ، وبين ان نعصي هذا الطفيان لتلقى اخطاره وغضبه .

... اللهم احمنا بالعجز لا بالفضيلة ، اللهم اعصمنا بقبضتك لا بخشيتك او محبتك .

.. اللهم اجعلنا رافضين لاننا عاجزون ، لا لاننا عاصون ، لا لاننا رافضون .

.. اللهم احمنا مما لا تريد بجيوشك لا بانبيائك ، بقوة جيوشك لا بتعاليم انبيائك .

... اللهم لا تجعلنا نجرب ضمائرنا او اخلاقنا على ضمائرنا واخلاقنا . ان افضل الاخلاق والضمائر هي التي لم توضع في مثل هذه التجربة

— هي التي لم توضع في خيار بين أن تكون هذا أو تقيضه . ان افضل الضمائر والاخلاق هي التي لم تجد نفسها في موقف المساومة مع الشيء وتقيضه . ان مواقف المساومة وظروفها هي دائما هزيمة للضمير والاخلاق ، او تعذيب واحراج للضمير والاخلاق . ان الاله الذي يضع عباده واعوانه في ظروف ومواقف المساومة والخيار هو اله يدعو الى ان يكون معصيا .

هل كان محتوما ان تكون الشمس هي الشمس ، او الزهرة هي الزهرة لو كانت مخيرة بين ان تكون هي ذاتها وبين الا تكون . ان مواقفنا مثل كينوناتنا ، انها ليست خيارا بين الشيء وتقيضه .

ان اي موقف واي شيء لم يكن كما كان تحت الخيار بين الشيء وتقيضه . حتى الاله لم يكن ذاته كما كانا بالخيار .

ولكن ما هو الثمن او الاجر الذي يأخذه الملائكة لكونهم اعوانا لاشهر وابشع طفيان في هذا الكون ؟ هل يأخذون ثمننا او اجرا ؟ اليس الثمن هو الثمن ؟ اليس الاجر الذي يأخذه الملائكة هو نفس العمل ، هو ان يستمروا في العمل الذي اجره هو العمل ، هو الاستمرار في العمل ؟

ليس الملائكة يمارسون التنفيذ للطفيان والوحشية ليكون كل اجرهم الاستمرار في تنفيذ المزيد من الوحشية والطفيان ؟

هل يوجد عمل اجره ليس شيئا سوى تكراره والاستمرار فيه ؟ هل يوجد من يعملون ليكون اجرهم ان يستمروا يعملون ؟ اليس هؤلاء هم الملائكة وحدهم ؟

هل يوجد من يعملون اعوانا للطفيان دون ثمن ؟ هل يوجد من يشتهون معاونة الطفيان اشتها لا ثمن له سوى الاشتها ؟

ليس كل الثمن الذي يقبضه الملائكة اجرا لكونهم اعوانا لاشهر وابشع طفيان في الكون هو ان يستمروا يعملون اعوانا لهذا الطفيان الذي هو طفيان اشهر وابشع طاغية في هذا الكون ؟ لعل بعض اعوان الطفلة يكون او يرثون او يقاسون من عملهم . اما الملائكة فيمارسون عملهم بشهوة ونشوة وتسبيح وهتاف .

انهم يمارسون عملهم الفظيع هذا بلا اغراء او تعويض ، انهم يمارسون الفظاعة لنفس الفظاعة . انهم يقتلون ويشوهون ويمرضون ويعذبون لكي يستمروا يقتلون ويشوهون ويمرضون ويعذبون . ان الملائكة يمارسون وظيفة

الجلادين لأنهم عاشقون لا لأنهم خائفون أو مدفوع لهم الأجر ، انهم عاشقون لا انانيون .

اذن هل يوجد في اعوان الطفاة من يشبههم ؟ هل يقبل اعوان اي طفيان ان يكونوا ملائكة ، ان يكونوا اشباها للملائكة او ان تكون مستوياتهم الاخلاقية او النفسية او الفكرية ، او حظوظهم مثل مستويات الملائكة او مثل حظوظهم ؟ هل يوجد انعس عملا وحظوظا من الملائكة ؟

هل تقبل ان تكون ملاكا لو انك حدثت في اعمال الملائكة وفي اخلاقهم وفي حظوظهم ؟

كم هو شيء فطيع ان يؤدي الكائن الحي الشاعر المفكر الذي يملك احساسا ورؤية ، والذي يأمر وينهي ويطيع - كم هو شيء فطيع ان يؤدي هذا الكائن عمله بالاسلوب الذي تؤدي به البراكين والزلازل والابنية والقحط والعاهات والموت والآفات عملها ؟

ليس الملائكة هم الكائنات الحية الشاعرة التي تملك الرؤية والاحساس والتفكير والعقل ، والتي تؤمر وتنهي ويطيع ، ومع هذا تمارس اعمالها بالاسلوب الذي تمارس به البراكين والزلازل والقحط والموت والامراض والآفات والعاهات اعمالها ؟ بل ليست هذه هي الاعمال الرسمية والدينية للملائكة بل وللالهة ؟ ليست هذه الاعمال والممارسات هي اتقى صلوات الملائكة واذكى تخطيطات الالهة ؟

اذن هل يوجد اردا وجودا او اخلاقا او حظوظا من الملائكة ؟ واذن هل يوجد من يقبلون ان يكونوا ملائكة او ان يكونوا في مستويات الملائكة ، او ان تكون لهم اخلاقهم او حظوظهم ؟

اذن هل الملائكة كائنات تستحق الغضب والعقاب والكره ، ام هم كائنات تستحق الرثاء والاشفاق والتعزية ؟ انه لاعزاء للملائكة في حظوظهم وفي بشاعة ممارساتهم الا الالهة ، وانه لاعزاء للالهة في حظوظها وفي بشاعة ممارساتها الا الملائكة . ان الالهة والملائكة ليتنافسون في رداءة الحظوظ والاعمال والاخلاق .

... ما هو الشيء الطيب او الجميل او الذكي او الحر او الاخلاقي او الشجاع او السعيد في حياة الملائكة او في عواطفهم او في قلوبهم او في

عقولهم أو في سلوكهم أو في ضمائرهم أو في تاريخهم ، أو حتى في عيولهم ونظراتهم ؟

ان اقسى وافجر جلاد لاقسى وافجر طاغية لهو اكثر « ملائكية » من الملائكة ، وانه لاقول ابيسية او شيطانية من الملائكة . ان الملائكة يصنعون الالام والشروع ويوقعونها بالانسان ، اما الشيطان فانه يدعو - اي يدعو الانسان - فقط الى ذلك دون ان يوقعه به . ولعل هذا الفرق هو الذي جعل الملائكة اقرب الى الله من الشيطان .

.. اي خلق في الملائكة ، او اي موقف لهم يمكن ان يتمناه اي كائن لنفسه ، او يمكن ان يسعد او يفخر اي كائن بانه خلقه او موقفه ؟ اي شيء فيهم يمكن ان تتمناه انت لنفسك او اتمناه انا لنفسي ؟ اي شيء فيهم لا ترفض انت ان تكونه او يكونك ، او لا ارفض انا ان اكونه او يكونني ؟

اي شيء ، اي شيء في الملائكة ؟ اي شيء فيهم يمكن ان يصبح امتداحا او مجدا او أمنية لاي كائن ؟ اي شيء فيهم لا يعد اقسى واقصى اساليب ومستويات العار والوحشية والدمامة ؟ اي طاغية لا يتمنى ان يكون له اعوان ومنفذون مثل الملائكة ؟ بل اي طاغية يتحمل طفيلانه ان يكون له منفذون واعوان مثلهم ؟

ان اردا كائن لن يقبل ان يكون رديئا كانبيل ملاك .

ان التاريخ في كل مستوياته لم يعرف طاغية كان له اعوان يملكون من الرداءة ومن القدرة على تنفيذها مثل الملائكة .

.. انه ليس في الكون ولا في العالم من يحابي القوة والقسوة ويطيعهما للبطش بالضعفاء والمظلومين مثل الملائكة . انه ليس في العالم او الكون عميل للقوة والقسوة الباطشتين المتوحشتين ، او منفذ لهما ، او مبارك لهما ، او معين عليهما ، او مشاهد لهما ، او شهيد عليهما ، او متبذل أمامهما ، كالملائكة . انه لن يوجد في البشر من يستطيع ان يتعلم من الملائكة كل قدرتهم على الاخلاص والطاعة والولاء والحب في تنفيذهم لاوامر وشهوات القوة والقسوة ضد الضعفاء والمقهورين المظلومين .

حتما انت لم تقصد هجائي او الاساءة الي حينما وصفتني بالملك . لهذا انا عاذر بل واحيانا شاكر . ولكن عذري وشكري لن يمنعاني من

محاولة التفسير لهذه القضية بهذا الصدق الصادم الاليم ، وبهذه الجساره التي قد تعد اسلوبا غير مألوف من الوقاحة او من الجنون .

كيف اجمع البشر كل البشر في كل تاريخهم على هذه الغفلة الكبرى ، على الاقتناع بان الملائكة هم كل التفاسير وكل النماذج لكل الاخلاق العظيمة والمعامة المطلوبة والمطموح اليها ؟

ان احدا في كل التاريخ - تاريخ الالهة والملائكة والسماء والمؤمنين - لم يفتن الى هذا الوهم العجيب في تصور اخلاق الملائكة ، وفي افتراض اخلاقهم هي النموذج الاسمى لاسمى الكائنات اخلاقا . ان البشر قد يعجزون عن رؤية اكثر الاشياء تجريحا للعيون .

انه لا مثيل للانسان في العجز عن الرؤية وفي القدرة على الرؤية ، في التقبل وفي الرفض .

لقد ظل البشر يحابون الملائكة في تصورهم لمزاياهم بالاسلوب الذي ظلوا به يحابون الالهة . لقد ظل البشر عاجزين عن امتلاك اي مستوى من مستويات النقد لسكان السماء ، لكل سكان السماء . لقد كان سكان السماء دائما عدوانا باهظا على ذكاء الانسان وتفكيره وتصوره ، بقدر ما كانوا عدوانا على وجوده وحياته واخلاقه ، وعلى جسده ايضا .

وهل يوجد او وجد مثل سكان السماء في عدوانيتهم وفي براءتهم ؟ هل عرف مثلهم معتدين على الانسان وحامين له من العدوان ؟ هل جاء مثلهم مهاجمين ومدافعين ، موجودين ومفقودين ؟

والآن هل تقبل ان تكون رديئا او وحشا او جلادا او عميلا للطفيان الرهيب كالملائكة ؟

هل تستطيع ان تمارس من البذاءة والذم والهجاء الظالم ما يجعلك تجرؤ على ان تصف اي كائن بأنه ملاك مهما كان رديئا او وحشا او جلادا او عميلا للطفيان والقبح ؟

.. الآن هل تقبل او تجرؤ على ذلك ؟

.. الآن ، هل يقبل اي انسان مهما كانت رداءته وذنوبه ان يمدح بأنه ملاك ، او بأن يهجي ؟

.. الآن هل يجرؤ الاله على ان يبقي على الملائكة اعوانا وجنودا
ومستشارين له ؟

* *

ثم ماذا ايها الصديق ؟ لقد اخذتني الى رحلة بعيدة ، الى رحلة قد
اصبحت بعيدة جدا في تاريخي وفي خطواتي مهما ظلت قوية ، قوية في ذكرياتي
وفي احاسيسي . لقد رجعت بي الى ماض بعيد بعيد جدا . انه بعيد ، بعيد
مهما ظل قريبا ، قريبا .

لقد اخذتني الى رحلة كنت اظن انك تحسبني قد اصبحت مبتوتا عنها
ومفارقا لها بلا عزاء او ذكرى او معاودة . لقد رجعت بي الى تاريخ قديم ،
قديم ، كان قويا ، قويا جدا في حياتي . لقد رجعت بي الى ذكرى كانت
حياة ، كانت حياة زاخرة بالانفعالات الزاخرة بالرهبة والرهبانة وبالضياع
الرهيب . اجل ، لقد رجعت بي دون ان تسأل او تستأذن ، وحتى ترفق ..

لقد رجعت بي ايها الصديق الى عالم لم يكن له مثيل في رهبته وفي
قوته ، ولم يكن له كذلك مثيل في احتراقه وفي جنونه وفي عذابه وفي كبرائه ،
كما لم يكن له مثيل في تفاهته ولا في ضياعه ولا في عقمه . الى عالم لم يكن
له مثيل له في صدقه ولا مثيل له في كذبه ، ولا مثيل له في حبه ولا مثيل
له في عدوانه .. الى عالم كان هو كل شيء ، وكان ليس شيئا ، كان يهيني
كل شيء دون ان يملك هو شيئا .

الى عالم كان يعلمني كل شيء بكل صدق وحماس وتعذيب وروعة
دون ان يجعلني اعرف شيئا ودون ان يعرف هو شيئا ... الى عالم كان
يفترسني بكل ادوات واساليب الافتراس والعدوان ، وكان يتراءى لي كأجمل
واضخم الامال التي تغفر كل افتراس وعدوان ، بل التي تحول كل افتراس
 وعدوان الى ابتسامات توزعها علي وتحيني بها كل ادوات واساليب
الافتراس والعدوان - يوزعها علي ويحيني بها كل شيء حتى كل ادوات
الافتراس والعدوان ، حتى كل اساليبهما كانت تحيني بهذه الابتسامات
وكانت توزعها علي ، اواه . هل كان ذلك الماضي سعيدا او كان شقيا ؟ هل
كان شقيا سعيدا وسعيدا شقيا ؟

ولكن ما هي الحدود بين الشقاء والسعادة ؟ وهل توجد حدود بينهما ؟
من وضعها ، ومن يعرفها ؟

لقد رجعت بي بلا شوق او نشوة ولكن بانبهار . لقد رجعت بي الى تاريخ كان عاصفا ، عاصفا ، ولكنه لم يكن مجيدا او عظيما او عزيزا . لقد كان تاريخا فيه كل المعاناة دون ان يكون فيه شيء من الابداع . كان تاريخا فيه كل معاني الرهبة دون ان يكون فيه شيء من معاني الروعة .

لقد رجعت بي ايها الصديق الى تاريخ كنت اعيشه هناك ، بعيدا ، بعيدا . كنت اعيشه مع الالهة ، في السماء ، في مجاهل وغابات السماء ، مع الانبياء ، مع الايات والاحاديث ، مع تفاسير الايات والاحاديث ، بين تهاويل واهوال الجنة والجحيم ، بين صورهما وتصوراتهما واوصافهما ، بين من يعيشون فيهما . وهل جربت ان تعيش هناك ، هل جربت ؟ اني اشفق عليك ان تكون قد جربت ذلك .

لقد رجعت بي الى تاريخ كنت اعيشه هناك هناك . بعيدا ، بعيدا ، بكل الاهوال والتهاويل كنت اعيشه بكل الصدق والتقوى . وهل جربت احوال الصدق والتقوى ؟ هل جربت عذاب الايمان الصادق ؟

هل كنت تعني شيئا اذ فعلت بي ذلك ، هل كنت تدبر ؟ هل كنت تنوي تعذيبي ؟ هل كنت تنوي ان تثير في معنى من معاني السرور ؟ هل كنت تقسو ام تأسو ام تمزح ام تمارس نفسك بلا تدبير او تفسير او منطق ؟ هل كنت تعرف ماتصنع بي حينما ارتحلت بي هذه الرحلة في اعماق العذاب الرهيب المهيب ، بين كتابة الالهة وكتابة الانبياء والقديسين ، وبين شتائم وتهديدات الايات والاحاديث ، وبين احوال وتهاويل الجنة والجحيم ؟ هل كنت تعرف ماذا تصنع او تنويه ؟

انك تسألني عن تفسير قصة دينية ، عن تفسير لقصة قد قصتها الكتاب المقدس .

تقول ان القرآن قد حكى في سورة الكهف ان نبي الله موسى قد اصطحب في رحلة دينية روحية غيبية عجيبة غامضة جدا اصطحب رجلا غامضا غيبيا قد امتدحه امتداحا قويا . وقد انطلقا موسى وذلك الرجل الغامض الغيبي في رحلتهم الدينية الغيبية الروحية العجيبة الغامضة بعد ان اخذ ذلك الرجل عاى موسى شروطا مسكتة لحرية عقله وتفكيره ولسانه حتى الانبياء يقبلون ان تفرض شروط على حرياتهم ، على حريات تفكيرهم ومشاعرهم وعلى حريات الكلمة فيهم . حتى الانبياء يقبلون ان يفقدوا كل حرية ويفاوضون على فقدانها . وفي بعض اشواط رحلتهم هذه وجدا سفينة

تعمل في البحر . ولم يذكر أي بحر هذا البحر . فحدث ذلك الرجل الفبي في السفينة خرقا . ولم يذكر بأية وسيلة أو آلة احدث ذلك الخرق ، ولا ماذا صنع اصحاب السفينة حينما فعل ذلك بسفينتهم . وهل رأوه . وهل دبر ما فعل بالاتفاق معهم .

وقد ركبوا السفينة بعد ذلك . وقد كان استغراب موسى واستنكاره اقوى من الشروط التي قد وافق عليها ووقعها باملاء ذلك الرجل الغامض الذي اصطحب وكانت هذه الشروط او كان منها الا يسأل عن أي شيء يصنعه ذلك الرجل مهما كان قبحه او ظلمه او جنونه او سخفه . حتى الانبياء يوقعون على فقد حرياتهم .

لقد قال موسى للرجل - ناسيا او رافضا الشروط المأخوذة عليه - كيف فعلت ؟ لقد فعلت شيئا منكرا . أنك تريد اغراق السفينة واهلها لقد قصدت ذلك . انك كائن لا يمكن فهمه ولا تفسيره ولا الاطمئنان اليه .

فذهب ذلك الرجل يفسر لموسى ما حدث . وكأنه كان يريد ان يظهر تفوقه ومواهبه واسراره الخارقة الرهيبة . كأنه كان يريد ان يثبت استعلاء وانتصاره على موسى . كأنه كان يقصد ان يعجد نفسه لا ان يعلم موسى ما لم يعلم . ولكن كيف ينكر النبي موسى على ذلك الرجل ان يفعل ما فعل وهو أي موسى لا ينكر على الاله ان يفعل شيئا مما يفعل ؟ اليس من يغفر للاله افعاله لا بد ان يغفر لكل احد كل شيء ؟ انه لا مثيل لغباء من يغفر للاله ولا يغفر للانسان .

قال ان السفينة لقوم من المساكين يعمرون في البحر ، وان وراءهم او امامهم ملكا ظالما لصا طاغية ، وانه يفتصب كل سفينة حتى مثل هذه السفينة التي يملكها ويعمل عليها مثل هؤلاء المساكين بمثل هذا الاسلوب المتواضع من العمل . وقد دبرت لحماية هذه السفينة من الاغتصاب الذي كان ينتظرها ، فكان هذا التدبير ان احدثت فيها خرقا . لقد خرقتها لانقاذها

ولم يذكر هنا ما هي العقدة الفنية أو الفكرية أو السلوكية العجيبة التي تجعل احدث خرق في السفينة يتحول الى حماية لها من اغتصاب ملك لص يفتصب كل السفن . ان كان خرق السفينة يعني اعدامها او اغراقها او

تعجزها عن العمل فهل في هذا اي اسلوب من اساليب الانقاذ للسفينة او لاصحابها المساكين الذين كان يراد انقاذهم ؟ اليس هذا يساوي اغراق السفينة خوفا عليها من الفرق ، او اعدام المال او الاثاث خوفا عليه من اللصوص ، او قتل المريض خوفا عليه من الموت ؟

اما اذا لم يكن خرق السفينة يعني هذا ، اذا لم يكن يعني غرقها ولا موتها ولا عجزها عن العمل فكيف يكون في خرقها انقاذ لها من الملك المغتصب ؟ فاية عقدة روحية سماوية دينية في هذه القضية ؟ وهل يمكن ان تفهم العقد الفنية او الفكرية او السلوكية في تفكير الالهة او في تأليفها او في تصرفها ، او في تأليف او تفكير او في تصرف الرجال الفيبين ؟

ثم استمرا اي النبي موسى وذلك الرجل الفامض منطلقين في رحلتها الدينية الروحية العجيبة الفامضة ، فوجدا في طريقهما غلاما يلعب مع غلمان في مثل سنه ، فهوى عليه ذلك الرجل الغيبي فقتله . فكان ذعر موسى واشمئزازه وتعجبه بلا حدود . انه لن يستطيع ان يسكت او ان يلتزم بالشروط التي وقعها على نفسه ، اي التي وقعها على عقله ومشاعره واخلاقه وعلى عينيه ، بالا يرى ما يحدثه ، وبالا يفكر فيه ، وبالا يشمئز منه او ان ينكره ، بل او ان يتعجب منه .

حتى الانبياء يفاضون على فقد حرياتهم ويوقعون على فقدها وعلى شروط فقدها . . حتى الانبياء يفقدون حرياتهم . لقد رأى موسى جريمة قتل متمممة لا يمكن الدفاع او الاعتذار عنها ، ولا يمكن تفسيرها بغير القتل المتوحش المتعمد . بل انه اكثر اساليب القتل المتعمد وحشية ونذالة وجنونا انه قتل بدون اي حافز او سبب من حوافز او اسباب القتل . انه لو لم يقبل ان يوجد من يقتل بدون ان تحركه حوافز واهداف القتل . ولكنه يعلم ان الله يقتل ويقتل دائما ويقتل كل الاحياء دون ان يكون محكوما بأي حافز او هدف او سبب من حوافز او اسباب او اهداف القتل . انه لو وجد كل من يقتلون مسوغا لان يقتلوا لبقى قاتل واحد لا يجد هذا المسوغ للقتل ولكان هذا الواحد هو الله .

ان كل الناس يغفرون لاله ما لا يغفرون لانفسهم او لاي كائن غيره ، حتى الانبياء ، انهم يغفرون لاله ويتقبلون منه ويفسرون له ما لا يستطيعون ان يغفروه او يتقبلوه او يفسروه لاحد سواه .

لقد عجز النبي موسى ان يغفر قتلة واحدة لذلك الرجل الغيبي الغامض الذي وقع عليه الشروط مع انه اي النبي موسى يغفر لاله ان يقتل كل احد وان يفعل كل الالام واندامات والذنوب المشهودة .

ان كل الناس حتى الانبياء يفرضون على انفسهم وعلى كل احد من الاخلاق والذكاء والوقار والعدل والاحترام للنفس ما لا يفرضون على الاله . انهم يغفرون للالهة ويعقلون منها ما لا يغفرون او يعقلون من سواها . انهم بهذا يقصدون تمجيد الالهة والارتفاع بمستوياتها الاخلاقية والمنطقية والنفسية . ان تمجيد الالهة لا يكون الا بان تكون معفاة من جميع الشروط والالتزامات الفكرية والاخلاقية والفنية . ان الثناء عليها لا يكون الا باعتقادها بلا اي مستوى . لقد رفض موسى ان يغفر لذلك الرجل قتله لذلك الغلام ، ورفض الالتزام بشروط الصمت والتسليم التي وقعها على منطقة وعلى اخلاقه وعلى عواطفه وعلى عينيه . لقد انكر عليه ان يقتل هذه النفس البريئة . عجباً ! كيف لم يقل له ذلك الرجل القاتل : اتنكر علي ان اقتل نفسا واحدة وتتقبل ان يقتل الاله كل النفوس البريئة حتى نفسك ونفسي حتى نفوس جميع الانبياء والقديسين ؟

ولكن ذلك الرجل الغامض القاتل راح يدافع عن جريمته ويفسرها لموسى . قال في دفاعه وتفسيره : ان ذلك الغلام ابن لايوبين مؤمنين ، وقد خشنا ان يرهقهما بطغيانه وكفره . لقد قتاته لذلك ، واني اريد ان يبدل الله ابويه به خيرا منه وازكى .

ثم تقول ايها الصديق انك لم تستطع ان تفهم ، كما انك لم تستطع ان تصمت .

تقول ان اصابة السفينة خيفة ان يأخذها ذلك الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا تشبه ان يكون هناك وجه جميل لامرأة جميلة ، وان يكون هناك رجل وحشي يريد اغتصابها والاعتداء عليها - او ان يكون هناك رجل قوي يفتصب كل امرأة جميلة ليعتدي عليها ، فيكون العلاج ان يشوه وجه تلك المرأة او وجه كل امرأة جميلة ، لكي يحميها تشويهها من الاعتداء عليها . وقد يكون في منطق الانسان او في منطق الطبيعة ان الجمال هو المعتدي على من يعتدي عليه . وقد يرى هذا المنطق ان يعاقب الجمال لانه جمال - او ان يكون هناك رجل مبصري ، وان يكون هناك حاسدون واعداء له يريدون قتله ، او

يحتمل أن يقتلوه حسدا ، او ان يكون هناك من يحسدون ويعادون كل عبقري ، فيكون العلاج لهذا الموقف ان يصاب ذلك العبقري ، او ان يصاب كل عبقري بما يجعله فاقدا عبقريته ، لكيلا يعتدي عليه حساده واعدائه او حساد واعداء كل عبقري . وقد تكون العبقرية هي المسئولة عن العدوان الذي يصيبها ، قد تكون العبقرية هي المعتدية على من يعتدون عليها ، قد تكون هي صانعة العدوان الذي يقع عليها .

ومع هذا هل يمكن ان يوجد من يعالج هذا او هذا بمثل هذا الاسلوب ؟ هل يمكن ان يصاب احد بجنون يجعله يرى او يتقبل او يمارس مثل هذا العلاج في مثل هذه الحالات ؟ هل يمكن ان تجن السماء لتبعث برجالها الروحانيين الفيين ليعالجوا الشرور والالام بمثل هذا الذكاء ؟ اليسست الارض حينئذ خليفة بان تعلم السماء الذكاء وعبقرية السلوك ؟ اليس حينئذ تعلم السماء من الارض غباؤها لتعيش وتضبط به سلوكها واخلاقها ، ليكون ذلك افضل لها - اي للسماء - من ان تعيش وتمارس سلوكها واخلاقها بذكائها هي ، او بذكاء الالهة المقيمين فيها ؟

نعم ، اليس هذا هو الذي يحدث دائما اي ان السماء هي التي تتعلم من الارض كل ذكائها وكل اخلاقها ؟

اليس العلاج الذي يجب ان تتعلمه السماء وسكانها من الارض ومن أهلها - نعم ، اليس العلاج في الحالة الاولى ان يقتل ذلك الرجل الذي يعتدي على النساء الجميلات او يعتقل او يعاقب او يصاب بعاهة تجعله عاجزا او يمنع من عدوانه بأية وسيلة من وسائل المنع ولو بالاسلوب الخارق الغيبي الذي يتصرف به ذلك الرجل القادر الفاضل المرسل من السماء ؟ اليس تشويه من يريد أن يعتدي ليكون عاجزا عن الاعتداء اذكى منطقا وأعدل سلوكا من تشويه من يراد الاعتداء عليه لئلا يكون معتدى عليه؟ ولكن اليس في سلوك الانسان والطبيعة - ولو أحيانا - ان يشوها الوجه الجميل بدل ان يعاقبا او اكثر مما يعاقبان العدوان الذي يقع عليه ؟

اليس العلاج في الحالة الثانية ان يعاقب او يمنع او يعجز اولئك الحساد والاعداء الذين يحتمل ان يقتلوا ذلك العبقري او ان يقتلوا كل عبقري بأي اسلوب من اساليب المنع والعقاب والتعجيز ، او ان يجعلوا غير راغبين في جريمتهم - لا أن يجعل ذلك العبقري او كل عبقري يفقد عبقريته ؟ ولكن

ليس قتل العبقريّة او تعجيزها او عقابها او اربابها او محاولة جعلها مفقودة او كالمفقودة اسلوبا تمارسه الطبيعة ولو احيانا ، ويمارسه البشر اكثر ، يمارسونه كثيرا بدل ان يفعلوا ذلك بمن يعتدون عليها ؟ ليس البشر احيانا او دائما يعاقبون العبقريّة اكثر مما يعاقبون اعداءها او بدل معاقبتهم ؟

ليس هذا هو العلاج البسيط القريب الذي لا يحتاج الى ذكاء السماء ولا الى خوارق واسرار ومعجزات رجالها الغيبين الروحانيين ؟

ليس هذا هو العلاج الذي يجب ان تتعلمه السماء ويتعلمه سكان السماء الاذكاء ، ان يتعلموه من الارض ومن اهل الارض الاغبياء جدا مهما علموا اي سكان الارض نقيض ذلك احيانا . . ان ذلك الرجل الغيبي قادر ان يقتل او يعاقب او يمنع او يهدد او ينذر ذلك الملك السارق المفتصب ليجعله عاجزا او غير راغب فيما يمارس ان ذلك الرجل كائن غيبي يتصرف باسلوب غيبي ، انه كائن خارق مرسل من السماء ليفعل باسلوب خارق . انه يستطيع ان يمنع ذلك الملك بالاسلوب الخارق الذي يؤدي به اعماله . انه يستطيع ان يفعل ذلك بكل الاساليب المعروفة وغير المعروفة . .

فلماذا عاقب السفينة واصحابها المساكين بدل ان يعاقب ذلك الظالم ؟ لماذا اساء الى من قد يظلم بدل ان يحميه ، وبدل ان يؤدب او يمنع الظالم ؟ هل العدل والذكاء ان يحبس المظالم او من يراد ظلمه او من يمكن ظلمه ، ام العدل والذكاء ان يحبس الظالم او من يريد ان يكون ظالما او من يمكن ان يصبح ظالما ؟ لماذا لا تتعلم السماء واهلها هذا الذكاء البسيط او هذا السلوك البسيط من الارض ومن اهلها ؟ ان هذا هو ذكاء الارض مهما كان سلوكها . ان اقل ما تطالب به السماء ان تتعلم من الارض ذكاءها . ان السماء لسم تستطع ان تكون ذكية السلوك ، ان اقل الاشياء اذن ان تكون ذكية الذكاء او ذكية المنطق .

ماذا لم يطلب هذا الرجل الغيبي السماوي من اصحاب السفينة الا يسافروا الى البلد الذي يحكمه ذلك الملك السارق ؟ لماذا لم يخبرهم بقصة هذا الملك ؟ او لماذا لم يصب السفينة بشيء من سحره واسراره ليجعلها غير مرئية او غير مرغوب فيها بدل ان يصيبها بالغيب ؟ كيف يحصنها بعاهة وهو يستطيع تحصينها بلا عاهة ، بسر روحاني يمنحها البركة والتقوى والجمال والحماية والحظ الجيد ؟

ثم تقول ايها الصديق : كيف ؟ ان خرق السفينة لن يجعل ذلك الملك الذي يأخذ كل سفينة اغتصابا يكف عن اخذها . انه يأخذها لانها سفينة تعمل لا لانها سفينة غير مخروقة . وهل الذين يفتصبون السفن والاشياء يكونون عن اغتصابها اذا كان فيها عيب او خرق ؟ هل الاشياء او الحياة تمارس بهذا الاسلوب او تفهم بهذا الاسلوب ؟ هل الناس مشروطون او متأنقون او متطهرون او متكبرون في امتلاكهم او في ممارساتهم الى هذا المدى الجيد الذي يرفض ما اصابه خرق او عيب ؟

ان الذين يعفون عن اخذ السفينة او يتكبرون على اخذها لو كان فيها ثقب لم يكونوا لصوصا ، ان مثل هؤلاء لن يأخذوا شيئا . ان في كل الاشياء كما في كل الناس عيوب وخروقا . ان من يرفض ما فيه او من فيه خرق او عيب فان يقبل شيئا ولا احدا . ان من يرفض الاشياء المخروقة لم يوجد ولن يوجد . انه لم يوجد ولن يوجد من لا يصابون بالخروق ومن لا يعيش الخروق وبالاشياء المصابة بالخروق .

ان العيوب والعاهات والتشوهات والذنوب في السفن وفي الاشياء وفي الحياة والناس اعظم جدا واكبر جدا واكثر جدا من الاصابة بالخروق والثقوب ، فاذا كان اقل ما في الاشياء والسفن والحياة والناس - وهو الاصابة بالخرق - يجعل المصاب بذلك مرفوضا ومردودا ، لا يفتصب ولا يراد ولا يقتنى ولا يمارس فلن تجد من يقبل شيئا او من يسرق شيئا او من يمارس شيئا او من يقتنى شيئا .

ان اشتراط البراءة في الاشياء من كل العيوب والذنوب والخروق لم يوجد ولن يوجد .

ان جميع الناس المعاصرين لذلك الملك اللص العاجز جدا سوف يعرفون حينئذ بالتجربة ان لصهم هذا الطيب المتعفف جدا يكف عن اغتصاب الاشياء التي فيها عيب ، اي عيب ، حتى ولو كان هذا العيب خرقا في السفينة ، حتى ولو كان العيب خرقا في السفينة لا يمنعها من ان تعمل . انهم حينئذ سيجعلون لصهم هذا عاجزا وراغبا عن اخذ اي شيء ، انهم حينئذ سيجعلون منه ملكا غفيفا نظيفا تقيا ، لا يأخذ اي شيء ولا يهم بأخذ شيء . انهم حينئذ لا بد ان يحدثوا في كل اشيائهم وسفنهم العيوب والعاهات والخروق

والذنوب لتكون معصومة من الاخذ ، من ذلك الملك اللص البليد الشاذ المغفل جدا ، او المشترط لنفسه ولاشئائه شروطا لا يشترطها كائن سواه .

ما اروعها قصة . قصة ملك لص يأخذ كل السفن غصبا حتى سفينة هؤلاء المساكين ولكنه يعف عن اخذ السفينة التي بها خرق ولو مدبرا . وتقول ايها الصديق : ان عقلك قد رفض ان يتقبل او ان يفهم او ان يغفر هذا الذكاء السماوي وقد جاءت لهجتك وكأن فيها شيئا غير قليل من ارادة التهكم بذكاء السماء .

ثم تقول ايها الصديق عن الحادثة الاخرى : انه اذا كان جائرا او واجبا قتل الفلام لاحتمال ان يجيء شريرا او كافرا او عاقا او صانعا للاذى او الفجور فان الواجب او الجائر حينئذ قتل جميع الفلماني ، بل قتل جميع الكائنات وتدمير جميع الاشياء ، حتى المصانع والبيوت والمدن وكل شيء . لان كل الاشياء وكل الناس يحملون في وجودهم احتمالات مضادة ، احتمالات رديئة او مؤذية او غير سارة ، احتمالات احيانا قاتلة .

ان ذلك الرجل الروحاني الغامض القادم من السماء ليعلم اهل الارض الغاز السماء وفنون عبقرياتها يقول انه قتل ذلك الفلام لانه خشي على ابويه من كفره وطفئانه . انه يقتل غلاما بريئا لانه فيما يقول يخشى ان يكون مؤذيا او رديئا او كافرا . انه يقتل بالخشية ، وان الخشية من الكفر او الضلال او الفجور او الطفيان توجب القتل او تجعله شيئا جائرا او طيبا او عملا صالحا .

اسمع اذن . ان لك ان تقتل كل احد وان تدمر كل شيء لانك قد تخشى ان يكون كل احد كافرا او مؤذيا او رديئا او طاغية ، ولانك قد تخشى ان يكون كل شيء ضارا او متعبا او غير ملائم او غير عادل . اسمع: ان لك اذن ان تقتل كل احد وان تدمر كل شيء كلما خشيت منه الضرر والفساد .

ان لكل احد ان يقتلك لانه قد يخشى ان تكون كافرا او فاسدا او طاغية او رديئا . ان لكل انسان ان يقتل كل انسان ، ان يقتل اي انسان ، لان كل انسان قد يظن او يخشى ان اي انسان آخر ، او ان كل انسان آخر قد يكفر او يفسد او يطفى او يكون أي شيء رديء .

ان لكل الناس اذن ان يقتلوا كل الناس لان كل الناس قد يخشون من

كل الناس ، اويخشون على كل الناس ان يكفروا او يضلوا او يطفوا ، او يكونوا اي اسلوب من اساليب الفساد . اذن فليكن كل احد قاتلا او مقتولا قاتلا :

لقد قتل ذلك الرجل الغامض الفلام لانه خشي منه اذن لقد كان لذلك الفلام ان يقتل ذلك الرجل بنفس المنطق والتفسير . . . اسمع . انك حينما تخشى ان يصبح اي غلام كافرا او ضالا او ظلما او منحرفا او مؤذيا لابويه او للناس فان لك او فان واجبا عليك ان تقتله . اذن ما اقوالك واتقاك . انك تقتل بالخشية . ما اقوى اذن خشيتك ، ما اتقاها واغلاها .

اذن كم انت مخيف لنا ولفلماننا ، وكم نحن مخيفون لك ولفلمانك ، متى تشعر او نشعر باننا يجب ان نقتل ؟

اسمع . ان هذه هي اوامر وارادة السماء التي يبلغها وينفذها جنودها القادمون ليعلموا الانبياء ذكاء السماء - التي يبلغها وينفذها جنود السماء الذين يجيئون لكي يصبحوا انبياء للانبياء . لقد كان ذلك الرجل الغامض نبيا للانبياء . وايهم اذكي او اتقى او اقوى تعاليم ونبوات : الانبياء ام انبياء الانبياء ؟ اجل ، ان للانبياء انبياء . اجل ، ان لكل نبي عديدا من الانبياء .

ثم تقول ايها الصديق : ان كان هذا الرجل الغامض انما يطيع اوامر الله ومشيئته في قتله لهذا الفلام - وهذا هو المفروض والمسلم به - فالتفسير اذن لهذا ان الله يأمر بقتل الفلام ويريد موته لانه اي الفلام سيكون بالقدر شريرا وهو يرفض ان يعيش الاشرار .

اذن لماذا خلقه الله ؟ لماذا اذن يدبر خلقه ان كان ذلك كذلك ؟

ان كان الله يدبر ويريد قتل من سيكون كافرا ويأمر بقتله ويرفض ان يحيا فلماذا اذن خلقه ودبر خلقه ؟

ان الله يعلم ان الفلام سيكون شرا على ابويه وعلى الله نفسه لانه سيكون كافرا طاغيا ، والله يرفض له ان يعيش لانه لو عاش لصنع هذا الشر والكفر ، والله يرفض ان يعيش من يصنعون الشر والكفر ، لهذا كان محتوما قتله ، كان محتوما او مطلوبا ان يدبر الله له وان يكلف من يقتله .

اذن اليس الاسلوب الاذكى والافضل والاكثر رحمة ونخوة وشهامة الا يخلقه؟ كيف لم تفتن السماء بكل ما فيها ومن فيها من ذكاء ورحمة وعلم وسكان وآلهة وملائكة ان هذا الاسلوب اي الا يخلق هو الاسلوب الاذكى والافضل والانبل والاعقل والاقل تكاليف ونفقات ومخاطر؟ انه ليس ذكاء ولا سلوكا لاي عاقل بل ولا لاي كائن غير عاقل ان يشيد مصنعا وهو يعلم انه لا بد ان يتهدم بالناس وعلى الناس، ثم يذهب يهدمه قبل العمل فيه لانه لا يريد له ان يتهدم بالناس او على الناس .

ان المنطق، ان كل منطق حينئذ الا يشيد ذلك المصنع لئلا يحتاج الى هدمه والى تحمل ما في هدمه من انفاقات ومعاناة وسفه اليم . ان المنطق الا يقيم ذلك المصنع، او ان يجعله قويا سويا لا يتهدم على الناس . اما ان يقيمه معدا للانهدام على الناس ثم يهدمه قبل ان ينهدم او لئلا ينهدم فهذا منطق انبياء الانبياء وحدهم .

اذا كانت ارادة الله ان يؤدي ذلك الغلام دوره فلماذا قتل؟ واذا كانت ارادته الا يؤدي دوره لانه دور شرير فلماذا خلق؟ اذا كانت الارادة ان يعمل ذلك المصنع فلماذا هدم؟ واذا كانت الارادة الا يعمل فلماذا اقيم؟ يقيم المصنع الذي يعلم انه لا بد ان يتهدم على من يعملون فيه قبل ان يعملوا ثم يهدمه بعد اقامته قبل ان يتهدم عليهم لانه لا يريد ذلك . اهذا منطق اله وانبياء وانبياء الانبياء؟

انه سؤال يسد على المنطق كل الطرق . انه سؤال يجعل المنطق عاجزا عن اي اسلوب من اساليب التفسير او التسويغ او الدفاع . انه سؤال يسقط كل احتمالات المقاومة والهرب على المنطق .

ثم تقول : اذا كانت مشيئة الله واوامره المنفذة ان يقتل جميع الغلمان الذين سوف يصبحون كفرا او طغيانا فان المحتوم والواجب حينئذ الا يعيish اي وليد محكوم عليه او مقدر عليه ان يكون كفرا او شرا . ان المعنى حينئذ لهذا الا يوجد في الحياة او في التاريخ او في الغيب المقبل انسان واحد شرير او كافر او ضال او طاغية ، لان مشيئة الله واوامره المنفذة ان يقتل جميع من يحملون في ذواتهم واقدارهم احتمالات الكفر والشر والضلال والطغيان . كما قتل ذلك الغلام .

وهل يمكن ان يكون هناك اي منطق او حكمة او تفسير لقتل هذا الغلام وحده اتقاء لاحتمالاته الشريرة دون جميع الغلمان الذين تعيش فيهم كل الاحتمالات المماثلة لاحتمالات ذلك الغلام ، بل الذين تعيش فيهم احتمالات هي اخبث واقسى واشد هولاً ونذالة وجنوناً ؟

ان التاريخ والحياة يعرفان بارتياح وبكل مشاعر الافتضاح والعار والاذلال اطول وأضخم مواكب الطفاة والكفرة والفاستدين والقتلة وللصوص والمجانين العالميين الذين صنعوا ابشع الحروب والحماقات والخراب والموت والطفيان والزندقات العالمية . ان تعاقب هؤلاء على اخلاق وضمير الحياة والتاريخ ، وانتصارهم الخالد عليهما لم يبق لهما اي مستوى من الكرامة او الشرف او الشجاعة او التقوى ، بل او الايمان . ان تعاقب وتزاحم هؤلاء على ضمير التاريخ والحياة وعلى اخلاقهما يجعل التحدث بأي صوت او لغة عن التقوى او الايمان او عن الشجاعة او عن الرفض او عن الشرف او عن الكرامة اسلوباً مخيفاً ومرهقاً من اساليب الوقاحة . انه لم يوجد في اي وقت اي حارس للتاريخ او للحياة او للانسان من اي عار او فجور او نذالة او زندقة لقد كان الانسان في كل تاريخه وحياته بلا اية حراسة .

فلماذا لم يوجد ، او لماذا لا يوجد اله طيب غيور رحيم يقتال هؤلاء او يبعث لهم من يفتالونهم وهم غلمان كما فعل هذا الاله الطيب الفيور الرحيم بهذا الغلام ؟ لقد كان هؤلاء يوما ما غلمانا ، كانوا يوما ما احتمالات ، احتمالات شريرة ، فلماذا لم يقتلوا حينما كانوا احتمالات ، حينما كانوا غلمانا للأسباب التي قتل لها هذا الغلام ؟ لماذا لم يكن الله طيباً ورحيماً وغيوراً الا في تعامله مع هذا الغلام او ضد هذا الغلام ؟ لماذا لم يكن قاتلاً لانه رحيم وغيور وطيب بهذا الاسلوب الا لهذا الغلام ؟ لماذا هذا الغلام وحده قد صنع للاله منطقاً جديداً وسلوكاً جديداً واخلاقاً جديدة وصيفة جديدة ووقاراً جديداً ؟ لماذا خلق له مذهباً جديداً يعامل به نفسه ويعامل به الاشياء حوله ؟

لماذا كان الله غيوراً وتقياً وحارساً للايمان والاخلاق والتقوى في معاملته لهذا الغلام وحده ؟

ما هي العلاقات النفسية الخاصة بين الاله وبين هذا الغلام ؟ لقد عامل الله هذا الغلام معاملة لم يعامل احداً بمثلها ، وحاسبه على احتمالاته المقبلة محاسبة لم يحاسب احداً على احتمالاته المقبلة مثلاً . فلماذا ؟ انه

لا بد ان تكون هنالك علاقات خاصة غير مستعملة من قبل بين الله وبين هذا الغلام . فما هذه العلاقات، ولماذا هي؟ او لا بد ان تكون هناك علاقات ممتازة وغير مجربة بين الاله وبين والذي هذا الغلام . فما هذه العلاقات ، ولماذا ؟

كم هم المؤمنون جدا في التاريخ ، بل كم هم الانبياء والقديسون في التاريخ ، الذين ترك لهم ابناؤهم او آباؤهم او ازواجهم او اقاربهم الاشرار والطفاء والزنادقة والفجرة جدا ، ليرهقوهم ويشقوهم بالطفيان والفجور والزندقة والعقوق وبكل الوان الفساد والضلال ، دون اية محاولة لانقاذ هؤلاء الانبياء والقديسين والمؤمنين جدا من هؤلاء الاقارب الاشرار بقتلهم بالنية وبالاسلوب اللذين قتل بهما ذلك الغلام ، بل دون اي رثاء لهؤلاء الانبياء والقديسين والمؤمنين جدا . لماذا لم يرق قلب الاله لهؤلاء الانبياء والقديسين كما رق قلبه لوالدي هذا الغلام ؟ كيف تحول الاله الى قاتل بل الى مقتال ليحمي والذي هذا الغلام ولم يتحول الى مثل ذلك ليحمي الانبياء والقديسين؟

لماذا خصت اخلاق الاله هذين الابوين بحمايتهم من ابنهما الشرير ، من احتمالات ابنهما هذا ؟ او لماذا خصت غيرة الله هذا الابن وحده دون جميع الابناء المماثلين بالغضب والعقاب والقتل ؟ هل في هذه القضية محابة لوالدي هذا الغلام وحدهما ، ام فيها غيرة وغضب واخلاقية وبغض اكثر واشد من المعروف عن غيرة الاله وغضبه واخلاقيته وبغضه ضد هذا الغلام ؟

هل في هذه القضية حب خرج بالاله عن وقاره ، ام فيها حقد افقد الاله اتزانه ؟ ان هذه القضية قد خرجت بالاله عن كل تاريخه . هل الاله هنا محاب ام متحامل ؟ هل هو محاب لهذين الوالدين ، ام هو متحامل على ابنهما ، ام هو محاب ومتحامل ؟ هل في القضية تفسير اخر لا تمكن معرفته ؟ هل نحن عاجزين ان نفهم ام ان الذين يجيئون الينا ليعلمونا ذكاء السماء لا يقولون او يفعلون شيئا يمكن ان يفهم ؟ وهل في الاشياء ما يفهم وما لا يفهم ؟ اليس كلها منطقا واحدا ؟ ان الكتب المقدسة تذكر انبياء عظاما قد اشقاهم ابناؤهم او آباؤهم او زوجاتهم او آخرون من اقاربهم بخياناتهم او بعصيانهم او بكفرهم العظيم . ان هؤلاء الابناء والاباء والازواج والاقارب لم يقتلوا وهم غلمان حماية لابنائهم او لابائهم او لازواجهم او لاقاربهم .

نعم ، حتى الانبياء والقديسون لم يحموا هذه الحماية التي خص بها هذان الوالدان لهذا الغلام . فلماذا هذان الوالدان المؤمنان فقط دون كل

العالم من المؤمنين، دون كل الانبياء وكل القديسين ؟ او لماذا هذا الولد الشرير وحده دون كل الاشرار في كل العالم وفي كل التاريخ ؟

لماذا لم يمارس الاله نبله ورحمته الا من اجل هذين الابوين ؟ او لماذا لم يمارس غضبه وغيرته وحمايته وانتقامه الا مع هذا الغلام ؟
لماذا هذان الابوان فقط ؟ او لماذا هذا الغلام الابن فقط ؟ او لماذا هذان الابوان لهذا الابن فقط ؟ هل يمكن ان يوجد اي تفسير للاله هنا او اي دفاع عنه ؟

بل هل يمكن ان يوجد اي تفسير للاله او اي دفاع عنه في اي موقف من مواقفه او في اي خلق من اخلاقه ؟

لماذا ايها الاله ، ايها القدر ، ايها الرجال الاتون من السماء ، من عند الالهة لتعلمونا ذكاء واخلاق السماء والالهة ؟ لماذا لم توجد الحماية للاهدين الوالدين ؟ لماذا لم تطلب الحماية الا من هذا الغلام ؟ لماذا ايها الاله ، ايها القدر ، ايها الرجال الاتون من فوق السماء ؟

لماذا ايها المفكرون عن السماء ، ايها المبغفون للارض ذكاء السماء ؟

لماذا ايها المفكرون عن السماء تفضحون السماء ، تفضحون ذكاء السماء ، بكل هذه القسوة ؟

لماذا ايها المبغفون عن السماء لا ترتفعون في ذكائكم الى مستويات السماء ؟

لماذا لا ترتفع السماء في ذكائها واخلاقها الى مستويات الارض في ذكائها واخلاقها ؟

لماذا تظل الارض دائما افضل ذكاء واخلاقا من السماء ، وتظل الواضعة لاخلق وذكاء السماء والمقياس لذكائها واخلاقها والكاشفة عن اخطائها ؟ ايها المفكرون عن السماء ، ايها المبغفون عنها . لقد علمتمونا ان الاله قد منح الشيطان الخلود لكي يستطيع ان يفسد وان يغوي وان يشوه وان يهدي الى الزندقة والضلال كل البشر في كل التاريخ .

لقد علمتمونا ايها المبغفون المفكرون عن السماء ان الله قد وهب الشيطان الخلود ووهبه كل احتمالات ومزايا القدرة على جعل الناس جميعا ، في كل اجيالهم زنادقة وفساقا وطفاة ولصوصا وملوثين .

لقد علمتمونا ايها المعلمون ان الشيطان لم يوهب الخلود الا لكي يظل قدرة دائمة على ان يعلم الزندقة والفسوق والتلوث والطفيان والعقوق وارهاق الآباء والابناء والازواج وكل الاقارب وكل الناس بكل الاحزان والآثام والشور الكبرى العالمية الدائمة . لقد علمتمونا انه قد ارى للشيطان ان يكون اضخم عبقرية في قدرته على ان يفسد ويفوي بلا حدود. لقد وضع الله كل عبقريته في عبقرية الشيطان ليكون اغواؤه بلا حدود

لقد علمتمونا ان الحكمة في تخليد الشيطان في منطق الاله وارادته هي محاولة تخيد الكفر والضلال والالام وكل الرذائل والذنوب والعدوان على الآباء والابناء والازواج والاقارب وعلى كل البشر .

لقد علمتمونا ان الشيطان ليس الا موظفا عبقريا كبيرا جدا ، جدا عند الاله لكي يعلم الكفر والضلال والالام والخبث تعليما عالميا ابديا ، ولقد علمتمونا انه اكبر موظف عند الله ، انه اكبر من الملائكة والانبياء وكل القديسين ، وان وظيفته تلك هي اعظم واكبر واكثر الوظائف في الارض وفي السماء .

لقد علمتمونا ايها المفكرون المبلغون عن السماء كل هذا ، فكيف تجيئون لتعلمونا قصة هذا الفلام ؟ كيف تعلموننا قصة الشيطان وان الله قد خلده لانه يستطيع ان يحول كل البشر الى كفر وكفرة وفساق وطفلة وملوثين ، وان الله قد وظفه لذلك ، ثم تعلموننا ان الله قد هبث برجاله الروحانيين الغيبيين الى هذا الفلام ليفتالوه لانه يحمل احتمالات شريرة واليعة لوالديه وللآخرين ؟

ان سلوك الله مع الشيطان وتوظيفه له في وظيفته المعروفة والمنقولة المروية لنا كان معناه ان يفرح الله أقوى الفرح بوجود مثل هذا الفلام ذي الاحتمالات الاليمة ، وان يبعث اليه حرسا سماويا ليحميه ويحافظ على حياته ويبارك وجوده واحتمالاته الشريرة . ان وجوده حينئذ مساعدة للشيطان ، انه قوة في وظيفة الشيطان التي هي اكبر وانبل واعلى وظيفة عند الله . ان وجود مثل هذا الفلام الشرير لا بد ان يكون حينئذ مجاملة ضخمة واستجابة ضخمة لحكمة الاله ولنطقه اللذين بهما خلق الشيطان ووهبه الخلود والواهب القوية المنتصرة على كل شيء حتى على الله نفسه وعلى انبيائه وعلى كل ما عانى من تعاليم ومواعظ وكتب مقدسة . ان

تخليد الشيطان ليفسد البشر ، وان تركيب الشهوات والضعف والغباء فيهم ووضع كل اسباب الفواية امامهم لادلة على ان الله محارب للانسان ومعاد له ، وليس مساعدا مهما بعث اليه بالتعاليم والنبوات المقهورة . ان الله يعلم ان الانبياء والمعلمين الذين يبعث بهم مهزومون امام الشيطان . فارسالهم استهزاء بالانسان لا مساعدة له . ايها المفكرون عن السماء ، المبلغون عنها ، لماذا تفضحون اخلاق وذكاء سكان السماء بكل هذه القسوة؟

وفي ختام رسالتك المأوأة بالتساؤل والحيرة والحماس النفسي والفكري ، تطلب مني ايها الصديق التفسير والهداية . لقد كانت تساؤلاتك تساؤلات حادة وصادقة ومحاصرة ومعاينة للفكر بقسوة وشمول . لقد كانت اسئلة فيها كل معاني وطاقت الافتراس .

ولكنني امرؤ لا يفاجأ بالتساؤلات ولا يهدى اليه جديد منها . ان كل التساؤلات وكل المتساثلين يعيشون داخلي ، انهم بعضي ، بعض وجودي وبعض تساؤلاتي الباهظة الآلام والأحزان . ان كل التساؤلات وكل المتساثلين يعيشون في ذاتي ، في عقلي ومشاعري وتحدياتي وفي اعصابي واخلاقي وكلماتي وفي كل آفاقي واتجاهاتي وفي كل تفاسيري وقراءاتي .

انني لست انسانا يسأل او انسانا مريضاً بالسؤال، ولكنني سؤال يسكن انسانا ويعذب انسانا . اني لست سؤالاً عالمياً او كونياً ، اني اكثر ممن ذلك ، اكثر معاناة وعذاباً من ذلك . انه ليس العالم او الكون هو وحده الذي يتحول الى اسئلة لتعاقبني وتعيش بوحشية في كل وجودي ، في كل افكاري وتحدياتي وآمالي واحلامي واخلاقي وفي كل الامي .

انه ليس الوجود وحده هو الذي يعتدي علي متحولاً الى اسئلة عدوانية مقاتلة لمنطقي واخلاقي ونماذجي واماني .

ان غير الوجود ايضا ، ان غير العالم وغير الكون يتحول في وجودي الى اسئلة فيها كل معاني القتال وادواته الضاربة ، الضاربة بكل عنف . ان غير الوجود يتحول الى اسلحة تقاثلني ، انه يتحول الى اسئلة فيها كل معاني وجنون وقسوة الاسلحة . انه لعذاب فوق الاحتمال ان تواجه الوجود ، متحولاً الى اسئلة ، فكيف تواجه الوجود وغير الوجود متحولين الى اسئلة ؟ ان غير الوجود يتحول مثل الوجود الى اسئلة

مقاتلة . ان ذاتي جهاز هائل لصناعة الاسئلة ولصياعتها ولاغرائها بالتجمع فيها ولدعوتها اليها وللترحيب بها وللبحث عنها ولاطلاقها على كل الاتجاهات والاشياء ، وبكل الاساليب وعلى جميع المستويات . اني امارس ذاتا هي اعظم مصنع في الكون للاسئلة ، واكبر مكان تتجمع فيه الاسئلة ، واكبر جهاز لاطلاق الاسئلة . انها اعجب جهاز لتحويل كل شيء الى عذاب ، الى تصادم ومناقضة باهظة التعذيب .

ان كل شيء ، وان اي شيء ، وان ما ليس شيئا ايضا ليتحول الى سؤال ، الى كل صيغ واساليب الاسئلة . انه لا شيء الا ولا بد ان يتحول الى اسئلة ، الى اعداد هائلة من الاسئلة تتقاتل في ذاتي . ان كل ما ليس شيئا يتحول في ذاتي الى اسئلة مقاتلة - حتى ما ليس شيئا .

حتى التساؤل ، انه يتحول في وجودي الى تساؤل . اني اسأل واحول كل شيء بل وكل ما ليس شيئا الى اسئلة ، ثم احول الاسئلة والتساؤلات الى اسئلة وتساؤلات . اني اسأل ثم اسأل :

لماذا اسأل ، من فرض علي ان اسأل ، من يلقي داخل ذاتي الاسئلة ، ولماذا ، وماذا اريد حين اسأل . وهل انا اسأل ، وماذا يعني ان اسأل وماذا يعني ان يكون الانسان سائلا ، وماذا يعني ان تكون الاشياء مسؤولة او مسؤولا عنها ، ولماذا تجيء كذلك . لماذا لا تجيء صامتة مصموتا عنها . لماذا انا سائل والاخرون صامتون .

وهكذا بلا توقف ولا راحة ولا اقتناع ولا جواب . ان الجواب ، ان اي جواب يتحول هو نفسه الى مسيرة لا نهاية لها من الاسئلة . ان اطول مسيرة واطول طريق في حياة الانسان هما تساؤلاته . ان التساؤل طريق لم توضع له نهايات .

ان التفسير يحتاج الى تفسير ، وان الاقتناع يحتاج الى اقتناع ، وان رؤية الشيء تحتاج الى اقناع لماذا هو ذاته ، ولماذا ذاته هي ذاته ، ولماذا هذا الشيء ، ولماذا اي شيء . وان رؤية الله لتتحول الى اسئلة اكثر واصعب واحد من اسئلة : اين هو الله ، كيف اقتنع بالله .

ان رؤية الله تصبح سؤالاً أضخم وأعصى من العجز عن رؤيته . ان رؤية الله تطلق الاسئلة ولا تسكتها .

ان اصطدامي بالله حين اواجهه - لو واجهته - اقسى واكوى من اصطدامي به وانا لا اراه ولا اواجهه ولا اقتنع به . انه لا شيء يريح من عذاب السؤال حتى ولا اصدق واكوى جواب .

ان الشمس تظل سؤالاً حزيناً ضائعاً ، طالعة وغائبة ، متعالية ومتهاوية .

ان هذا هو العذاب ، فهل هو عذاب نبيل ام عذاب رديء ، هل هو عذاب لذيد ام عذاب اليم ؟

هل هو عذاب ام هو محاولة للتخلص من العذاب ، او للفرار من العذاب او لتخفيف العذاب ام لخداع العذاب ؟

هل هو عذاب ام تداءى من العذاب دون امل في الشفاء ؟

هل السؤال موهبة ام تعليم ؟ هل موهبة التساؤل مزية ام تشويه ؟

لماذا نجى متسائلين او عاجزين عن اي تساؤل مع ان مواجهاتنا واحدة وعيوننا متشابهة ؟

ان التساؤل اسلوب من اساليب مقاومة العدوان ، وانه ايضا اسلوب من اساليب العدوان . الست حينما تتساءل انما انت انسان يقاوم العدوان او يوقع العدوان ؟ انت حينما تتساءل انما تحاول ان ترفض او ترد عدوانا قد وقع عليك ، او تحاول ان توقع عدوانا باحد او بشيء ما .

هل يمكن ان تسال لو لم تكن تريد ان ترفض عدوانا او تصنع عدوانا ؟ هل يسال من لم يرد عدوانا او يواجه عدوانا ؟

لقد اعتدى عليك الكون والطبيعة والحياة والآخرين والحشرات والمعلمون والمذاهب والنظم . لقد اعتدوا على عينيك وعلى اخلاقك وعلى تفكيرك وامانيك ونماذجك واحلامك وعواطفك وعلى احتياجاتك ووجودك بكل اساليب ومستويات العدوان وبكل تعبيراته . لقد اعتدوا عليك حتما ، انهم دائما عدوان عليك ، لانهم دائما تناقض معك ورفض

لك واصطدام بك وتحد بل واذلال وقهر لك . ان هذا هو الذي يحدث دائما ، ويمارسه دائما كل شيء وكل احد حتى انبل واتقى واعادل الناس ، حتى الانبياء والقديسون . ان هذا هو الذي يحدث دائما ويمارسه كل احد وكل شيء دائما وان كان ذلك بلا تدبير او قصد بل او علم .

ان اي شيء وان اي انسان لن يستطيع ان يكون غير معتدى عليه . ان الوجود عدوان معطى وعدوان مأخوذ .

ونحن في الاكثر لا نرى هذا العدوان ولا نفطن له ولا نقف ضده باسلوب المقاومة المعلنة المباشرة لكونه عدوانا شاملا ودائما ، لكونه عدوانا عالميا كونيا ابديا ازليا ، ولكونه احيانا يبدو كالاحتياج والضرورة والحمايصة والتدين .

اذن فانت حينما تسال عن الكون او عن الحياة او عن الناس والمذاهب او عن اي شيء : لماذا ، او ما هذا ، او من اين ، او الى اين ، او متى ، او كيف . . انما تحاول - باسلوب غير مقروء - ان تقاوم العدوان الذي يوقعه بك الكون والحياة والناس والمذاهب والنظم والانبياء والمعلمون - الذي يوقعونه بعينيك وتفكيرك وباخلاقك وبأمانيك ونماذجك وباحتياجاتك وبكل حياتك ووجودك .

ان منطقك واخلاقك وتحدياتك ونماذجك ومثلك واحتياجاتك وحتى آلهتك واقعة دائما تحت كل اساليب العدوان . . ان سؤالك عن الشيء يعني في نفسك ان ذلك الشيء الذي تسال عنه شيء غير معقول او غير ملائم او غير عادل ، او انه بلا هدف او معنى او منطق . اي انه شيء تستنكره ، وترفضه وتخطئه وتعاني منه اخلاقك ونظراتك . انك اذن تقاومه باسلوب ما من اساليب المقاومة . انها مقاومة فكرية واخلاقية ونفسية ، انها قتال بلا سلاح . ان القتال بلا سلاح هو اشمل اساليب القتال .

ان كل العلاقات والمواجهات والنظرات اساليب قتالية مختلفة ولكنها لم تحسب قتالا لانها كانت قتالا بلا سلاح .

هل يوجد انسان لا يقاتل هذا القتال ؟ هل يوجد انسان واحد - مهما كان عدوا للحروب والقتال ، ومهما كان جباناً او ضعيفا - لا يقاتل

هذا القتال الذي هو قتال بلا سلاح ، وبلا احدث جراح ؟

بل هل يوجد شيء ما لا يقاتل هذا القتال بكل اساليب القتال وبكل غضبه وحماسه وشهوته ؟

هل يوجد انسان واحد لا يقاتل الكون او الحياة او الناس او الحشرات او الالهة بأخلاقه او بتحدياته او بافكاره او باشمئزازه او بفثيانه او بأي اسلوب من مشاعره ؟

هل يوجد انسان واحد لا يعبر عن قتاله هذا بتساؤلاته ، بأي مستوى من مستويات تساؤلاته ؟ وهل يمكن ان يوجد من يسأل دون ان يكون مقاتلا ؟

او هل يمكن ان يقاتل من لا يسأل ؟ اليس السلاح هو اعنف اساليب التساؤل والمساءلة ؟

ان القديس او النبي الذي يهتف بكل قوة الايمان والتقوى والخشوع قائلا : يا الهي ، ما حكمتك ، ما اسرارك في كل ما ارى وتفعل - ما حكمتك البارعة البالغة في تعذيب هذا الحيوان الاعجم ، او في تشويه هذا الطفل البريء ؟ .. انني لم افهم يا الهي ما حكمتك ولا ما اسرارك فيما تفعل وارى .

همني يا الهي العظيم القدرة على الفهم ، على فهم اسرارك وحكمتك . همني القدرة على الفهم يا الهي الذي اسأله ولا أجادله او احاسبه ، والذي أعجز عن فهمه دون ان أعجز عن الايمان به او عن الاقتناع بحكمته ، والذي ابكي من ضرباته دون ان اشك في عدله او في جماله او في رحمته ، والذي ارفض افعاله دون ان ارفض اي شيء من تدبيره او من ذكائه او من منطقته ، والذي اخافه واخاف مفاجآته ونزواته دون ان اكرهه - والذي اكرهه دون ان اعتقد اني اكرهه .

نعم ، ان القديس او النبي الذي يهتف هذا الهتاف انما يعني ان يقول :

انت يا الهي معتمد علي- ، انت معتمد على رؤاي وعلى منطقي وعلى اخلاقي وعلى احتياجاتي ، وعلى كل نماذجي وآمالي وصوري النفسية ، وعلى كل مشاعري الانسانية . وانا لهذا اقاومك ، واقاومك ، واقتلك ،

اقاومك وقاتلك دون ان احمل عليك سلاحا - اقاومك وقاتلك
بتساؤلاتي .

اني اتساءل ، اني اذن اقاتل ، اقاتل ، قتالا شاملا ولكن دون ان
احمل سلاحا . . والقتال بدون سلاح هو اقسى واشمل وادوم اساليب
القتال . أن القتال بالسلاح هو بعض هذا القتال .

وهل تعلم الالهة ان الذين يتساءلون عنها أو عن حكمتها واسرارها
او يسألونها الفهم والرؤية انما هم قوم يقتلون وينكرونها ؟ او هل تعلم
ان الذين يحزنون او يثنون او يتألمون او يشكون مما يعانون او يرون او
يجدون او يعرفون انما هم قوم يحتجون عليها وينقدوها بصراخ واعلان . .
يحتجون على تدبيرها ومنطقها وعلى اخلاقها ، وينقدون كل ذلك منها ؟

هل تعلم الالهة ان الاشياء والبشر لا يقاؤون شيئا مثلما يقتلون
الالهة ؟ هل تعلم ان الصلاة لها من اقوى اساليب مقاتلتها ؟

انك اذن حينما تسال انما تحاول ان تقاوم عدوانا قد اصابك .

وكذلك انت حينما تسال انما تصنع عدوانا تصيب به احدا او شيئا .

لهذا فان جميع الالهة والطفة والانبياء والمعلمين يحرمون عليك ان
تكون سائلا او متسائلا . . انك اذا تساءلت عن شيء او عن احد ، او
سألته فلا بد انك قد حدثت فيه ، او انكرته ، او فكرت او شعرت
ضده ، او تناقضت معه ، او كرهته ، او عجزت عن فهمه وعن تسويفه ،
او اشمأززت منه ، او حسدته ، او نافسته . انك اذن قد اعتديت
عليه بأسلوب ما من اساليب العدوان . انك حينما تحدد بنظراتك انما
انت محدد بنفسك ، والتحديد النفسي هو اشمل اساليب العدوان . ان
اطلاق السلاح ليس الا بعض التعبير عن التحديق النفسي . ان السلاح
بعض ممارسة النفس لتحديقاتها .

ان تحديقاتك في الآخرين ، وان افكارك ومشاعرك المسددة اليهم ،
المطلقة عليهم ، وان تساؤلاتك عنهم ، وان مشاعرك بالتناقض معهم
وبالاشمئزاز منهم وبالحسد لهم وبالعجز عن فهمهم وتسويغهم - ان ذلك
كله ليس الا اسلحة قتالية تطلقها على قلوب الآخرين وعقولهم ، وعلى
مشاعرهم ونظراتهم ، بل وعلى خطاهم وايديهم ، وعلى توازنهم ووقارهم ،
وعلى كل وجودهم ، دون ان تشعر بالذنب ، بل ودون ان تعلم انك

فعلت ذلك ، ودون ان تريد فعله .
انك سلاح مطلق دائما على الاشياء وعلى الآخرين ، وان الاشياء
والآخرين لاسلحة مطلقة دائما عليك . وان التساؤلات عنك وفيك ومنك
واليك لهي اسلوب الاطلاق لهذه الاسلحة ، وجهاز الاطلاق ، ولغة
الاطلاق .

انك لن تتساءل دون ان تحدد او ترفض او تنكر او تناقض او
تشمئز او تبغض او تعجز عن الفهم او التسويغ او الاحتمال او التقبل ،
او دون ان تخاف او تشك او تغضب . وهل يمكن ان تكون كل هذا
او بعضه دون ان تكون ممارسا لكل اساليب العدوان او لبعض اساليبه ؟
اذن فانت اذا كنت هذا او بعضه فانت معتد . وحينما تكون
معتديا فهناك حتما معتدى عليه . اذن فالتساؤل ليس الا عدوانا
تمارسه ضد الاشياء وضد الآخرين ، او عدوانا يمارسه الآخرون ضدك
او ضد الاشياء . اذن هل يوجد من ليس معتديا ومعتدى عليه ؟
هل يمكن ان يوجد اي تشريع او اية حماية ضد هذا الاعتداء
مأخوذاً ومعطى ؟



ايها الصديق . لقد كنت عنيفا ، انه لم يكن فيك شيء من الرفق .
لقد اطلقت في احتشادا تاريخيا اليما . فهل دبرت لهذه القسوة على من
لا يحتاج الى أي مزيد من القسوة ؟

ولكن دعني اتساءل عما تساءلت عنه . غير أن عليك ألا تنتظر مني
اي جواب . انك قد اخطأت خطأ غير معذور ان كنت قد قدرت ان تتلقى
اي جواب .

اني ايها الصديق لست واهب اجوبة . اتني إحول كل جواب قد
بصمت عليه كل الالهة وكل المعلمين وكل المذاهب والمذهبيين الى اعصى
الاسئلة التي لا جواب عن واحد منها .

اني لست نبيا او معلما يضع امام كل سؤال جوابا يكون الموت
والاتهام بالزندقة أو الخيانة هما بعض جزاء من يشك فيه او من لا يجن
للاقتناع به والدعوة اليه .

ان الاقتناع بالاجوبة المصنوعة اسلوب تاريخي عالمي من اساليب

البحث عن السلامة والامن .

اني ايها الصديق لست نبيا او معلما يضع على كل تساؤل عن اية دمامة او غباء او عبث او تفاهة او قسوة او ظلم او قسادة او الم او جنون في الكون او في المجتمع اعدادا هائلة من الاجوبة ، تحرسها وتفسرها وتوقع عليها وتقاتل دونها اشرس الالهة واغباها او اشرس المذاهب واغباها ، او اشرس المخاوف واغباها ، او اقوى الجيوش واغباها ، او اشرس التاريخ واغباها . انني لا احرس الاجوبة المحروسة ولكني احاول ان ارفع الحراسة عنها وان القي بها الى اعنف المعارك .

اني لست نبيا ولا معلما يسكتان كل التساؤلات بسطوة الالهة والمذاهب ، ولكنني انسان يحول كل شيء الى تساؤلات تتصاغر امام اصفرها اشرس الالهة والمذاهب . انني لست نبيا ولا معلما يسكتان كل تساؤل بسطوة الالهة والمذاهب وبسطوة السلاح ..

اني لا افسر الالام والاحزان تفاسير تحولها الى صلوات للالهة والطبيعة والى محابة للانسان ، ولكنني افسر المرات والملاذات تفاسير تحولها الى افتضاح للالهة وللطبيعة والى عدوان على الانسان واذلال له .

اني لا اضع التفاسير ، ولكنني ابطل ما وضع منها .

اني لا اشيد الهياكل ولكنني اهدم ما شيد منها .

اني لست حارسا ولكنني مقاوم لجميع الحراسات . انني لست حارسا للالهة او للنبوات او لزعامات او للمقدسات او للتعاليم او للتاريخ من العقل او من الانسان او من غضبه وتمرده ولكنني حارس للانسان من كل حراسة .

اني لا اصلي لمن وهبني الظلام شكرا له لانه واهب ، اي لانه قد وهبني شيئا هو الظلام .

وكم هم الذين يصلون لمن وهبهم الظلام لانه في حسابهم واهب . والواهب ولو الظلام تجب له الصلاة .

ولكنني احاسب من وهبني الشمس لانه واهب عابث ، لانه قد وهبني الظلام والعبث . اليس من وهبك الشمس فقد وهبك حتما الظلام والعبث ؟

ليس من وهبك الحياة فقد وهبك حتما الموت والامراض
و شيسوعة والاحزان والتلوثات ؟

انني لا اشكر من اوجدني ، لانه لم يوجدني لانه يحبني ، او لانه
يختار لي ، او لانه يستجيب لما اريد . ولكنه اوجدني لانه يتمزى
ويتداوى من الآمه وفراغه بايجادي .

انه لم يوجدني بحثا عني او عن احتياجاتي لقد كان ايجاده لي
سجوما علي . انه لم يوجدني وانما اوجد نفسه .

انني لا اشكر من اوجدني ، لانه لم يوجدني بالتدبير ، وانما اوجدني
لانه لا يستطيع ان يصمت عن ايجادي ، لانه لا يستطيع ان يصمت بوقار
عن صناعة العبث .

انه يوجدني لانه عابث ، ولانه مدفوع من داخله ، لانه هارب الى
ايجادي ، وهارب بي والي . انه لا يوجدني لانه طيب . لانه يصنع
السرور او المجد لاحد او لشيء .

انه يوجدني كما يعبث المتعب بلحيته او كما يقضم اظافره ، ولا
يوجدني كما يضع المهندس خطوطه وارقامه . انه يوجدني بالمنطق
وبالنيات وبالاخلاق التي بها يمرضني ويشوهني ويقتلني .

انه لا يوجدني كما اريد او كما ينبغي . انه لا يختار لي ، ولكنه
يوجدني بالاسلوب وبالحافز اللذين بهما يصنع لي الدموع والاحزان والالام
والعار والدمامة دون ان يبكي او يخاصمه ضميره . هل شكر البشر كائنا
يستحق كل غضبهم ورفضهم مثلما شكروا من اوجدهم او من حسبوا
انه قد اوجدهم ؟

يَكْذِبُونَ لِكَيْ يَرَوْا الْآلِهَةَ جَمِيلًا

« .. الست حينما تقول : الكون جميل أو رحيم أو صديق أو معقول أو اخلاقي انما تدافع عن الاله وتغفر وتستغفر له وتستتر عليه ، اذا كنت تؤمن به - او تدافع عن الطبيعة وتغفر وتستغفر لها وتستتر عليها ، اذا كنت تؤمن بها ؟ اليس في الكذب كل معاني المحابة للاله كما ان في الصدق كل معاني الهجوم والقسوة عليه ؟ اليس هذه المحابة للاله مثل المحابة للأبناء حينما يوصفون او يمدحون بنقيض ما فيهم ؟ اليس مثل المحابة للسلطان الرديء او للوجه الدميم حينما يقال لهما أو فيهما ما يريدان أو ما يجب ان يكوناه لا ما يوجد فيهما ؟ هل يمكن ان يطاق الاله أو ان يغفر له لو عومل بالصدق أو فسر أو فهم بالصدق ؟ هل يمكن ان يطاق أي شيء أو يغفر له لولا الكذب - لولا الكذب المنطقي والنفسي والديني والمذهبي والتعليمي والاخلاقي ؟ اليس الكذب هو اذكى وانفع اختراعات الانسان في مواجهته للطبيعة ولنفسه وللآخرين ولاربابه وانبيائه وزعمائه - في معاملته لواقع لا يمكن غفرانه أو فهمه أو تفسيره أو تسويفه ، كما لا يمكن الفرار منه ؟

« .. اننا لمحتاجون الى ان نكون مكذوبا علينا مثل احتياجنا أو اكثر من احتياجنا الى ان نكون كاذبين ..

« .. ايها الكاذب أو المذنب : الوجه الدميم ام الذي يقول عن مثل هذا الوجه : انه جميل ، رحمة أو حبا أو تهديبا أو مجاملة أو تحرجا أو تمنيا ؟ .. وهل فيهما كاذب أو مذنب ؟ . »



يجيء الانسان ليظل يواجه ويعايش ويمارس كونا رهيبا من التصادم والتناقض والمخالفة والمقاومة والرفض . انه يجيء ليجد كل

شيء يصادم ويناقض ويخالف ويقاوم كل شيء فيه - ليجد كل شيء فيه يصادم ويناقض ويخالف ويرفض ويستنكر كل شيء يجده ويواجهه ويتعامل به او معه .

انه لا يجد شيئا كما يريد او يتمناه او مسالما لمنطقه او لاخلاقه او لاحتياجاته .

انه يجيء ليظل يتصادم بكل شيء حتى بذاته ، وليظل كل شيء يتصادم به حتى ذاته . حتى ذاته لتظل تتصادم به ، لتظل ذاته تتصادم بذاته .

ان الانسان يجيء ليظل يمارس حربا دائمة ، مختلفة المستويات والاساليب والمعاني والجبهات والاعداء .

ان منطقته واخلاقه وامانيه واحتياجاته وتوقعاته وضميره وحبه وبغضه وتعاليمه واديانه ومذاهبه وتجاربه ورؤاه - ان كل ذلك فيه ليتناقض ويتصادم بكل شيء ، وان كل شيء ليتناقض ويتصادم بكل ذلك فيه . انه لتناقض وتصادم يتحولان الى حروب وعداوات ، بكل معاني الحروب والعداوات ، وبكل اسبابها وشمولها ونياتها واحقادها ومخاوفها ، وبكل اسلحتها .

بل ان كل ذلك ليتناقض ويتصادم به هو ، وانه هو ليتناقض ويتصادم بكل ذلك . حتى آلهته وانبيائه وقديسوه ومعلموه ، انهم ليناقضونه ويصدمونه . انهم ليصدمون عينيه واخلاقه وذكاءه وايمانه وامانيه وجميع معانيه وتطلعاته . ان اربابه وانبياءه ومعلميه ليناقضونه ويصدمونه اكثر مما يناقضه ويصدمه اقوى اعدائه ، او شر اعدائه . ان معابد الانسان وكتبه المقدسة لتناقضه وتتصادم به اكثر مما تناقضه وتتصادم به ملاهيه وآثامه بل وخصومه واعدائه .

هل يناقض منطق الانسان واخلاقه ، او يصدمه في منطقته وفي اخلاقه مثلما يفعل له ذلك اربابه ؟ هل يصدم ايمان الانسان شيء مثلما تصدمه اربابه ؟

انه لا شيء يصدم ايماننا مثلما يصدمه ما نؤمن به ، وانه لا شيء يجرح عيوننا كالذي تريد التطلع اليه عيوننا .. ان الانسان ليجيء ليعيش في عالم موحش مخيف من الاعداء والاضداد ، ومن الخارجين عليه ،

ومن الراضين والمخيفين والغائطين له ، ومن الشائمين لمنطقه ولاخلاقه ولعينية ، ولكل معاني الانسان فيه . اما عيناه فوالسفاها لهما . انه لا شيء يواجه من العدوان عليه ومن الاسلحة المقاتلة له النافذة فيه مثل عيني الانسان . ان عيني الانسان هما اشهر معتدي عليه . ان كل شيء خروج عليه ، خروج على منطقته وعلى اخلاقه وامانيه وتفاسيره واحتياجاته ، وعلى ارادته وفهمه وسروره ، وعلى حبه وصداقته ، وعلى مثله ونماذجه ، وعلى اديانه ومذاهبه ، وعلى جميع مقاييسه المادية والادبية والروحية والانسانية . ان كل شيء يواجهه ويراه ويعلمه ويعامله خروج على ايمانه وعلى كل شيء طيب وجميل فيه ، بل وعلى كل شيء رديء ودميم فيه : ان كل شيء يتحول الى خصم له وعدوان عليه .

اجل ، حتى عيناه . . اواه . . ما اقسى ما تصنع به وتعامله وتشاتمه وتناقضه عيناه . ان عينيه لاضخم جهاز تفجير واشعـال حرائق دائمة باهظة داخل ذاته ، وداخل تفكيره . ان عينيه لاقسى ظالم له ، ان كل شيء لظالم له وظالم لعينية . ان شيئاً لم يظلم الانسان مثلاً ظلّمته عيناه ، وان شيئاً لم يظلم مثلاً ظلّمت عينا الانسان . انه مظلوم بعينية ومظلومة عيناه .

ان الواقع او الوجود هو دائما اقل او اضيق او اردأ او اغبى مما يريده ويتوقعه ويتمناه ويحتاج اليه الكائن الحي المعاش له والعائش فيه . ان الكائن الحي يجد الواقع او الوجود الذي قرّضت عليه معاشته والعيش فيه - انه ليجد الواقع او ليجد الوجود كل ذلك ، اي كل هذه المناقضة والمخالفة والعجز عن التكافؤ والملاءمة .

انه لا يجد شيئاً واحداً فقط جاء او يجيء مساوياً او مشابهاً او مقارباً ومجاملاً لشيء من مثله او من نماذجه المختلفة - النفسية او الفكرية او الاخلاقية او الدينية او المذهبية او الذاتية . ان كل شيء يتحول الى مشاتمة والى مهاجاة له . انه لا شيء يجيء مساوياً لاحتياجاته او لامانيه او لمثله ، تحت اي ظرف ولا باي تفسير ولا باي مقياس او منطق .

انه لتوجد دائماً فجوة او مسافة او خصومة واسعة وحادة بيننا وبين ما نجد - بين كيئوتنا ومنطقنا وكيئوتهم ومنطق جميع الاشياء

وجميع الكائنات التي فرضت علينا مواجهتها ومعاشتها ومصادقتها ، بل التي فرض علينا الخضوع لها والتعامل معها والتحديق فيها والدفاع عنها والتعري أمامها ، وتعريضها أمامنا . انه ليجد دائما بيننا وبين جميع الاشياء والكائنات خلاف وغضب وعداء وعجز عن التفاهم والتوافق والثقة والحب والاحترام ، وعن التشابه في الاهواء او في الاشواق او في النيات او في الاحتياجات او في الالام والمصير ، او في المنطق او في التفسير ، او في الاحزان والمسررات . اننا دائما غرباء ، نواجه ونعايش غرباء ، بل لا نعايش او نواجه الا غرباء .

ان هذا يعني ان الانسان لابد ان يكون بأسلوب ما وعلى مستوى ما بل لا بد ان يكون بكل الاساليب وعلى كل المستويات ، خارجا على نفسه ونقيضا لها بل وخصما ، وخارجا على ظروفه ، ومناقضا لمخاصمها ، وخارجا على الآخرين ومخاصما مناقضا لهم . انه لا يستطيع ان يتعامل بكل ذاته ومعانيه مع الاشياء والكائنات التي حوله او مع الآخرين تعاملًا حرا ومتلائما وصادقا ، او تعامل اصداقا او متوافقين .

اذن كيف يواجه هذا الموقف ؟ او كيف تغطى او تملأ هذه الفجوة او هذه المسافة ، او تعالج هذه الخصومة او المناقضة ؟ كيف يكون العلاج او كيف ينبغي ان يكون ؟ ان هذه هي القضية الصعبة . انه لا بد من العلاج ولو علجا كاذبا او زائفا . انه لا بد من محاولة العلاج . ان الانسان لا يستطيع ان يواجه ما لا يقبل او يريد بدون محاولة ما يبدو وكأنه قد انتصر . . ان الناس احيانا يحاولون ان يواجهوا هذه الحالة المحتومة الصعبة بالقوة وبالمقاومة وبأن يفعلوا شيئا . وقد يستطيعون ان يفعلوا ، او يظنون يحاولون . وقد يواجهونها ايضا بالصدق والنقد والرفض المنطقي والأخلاقي والنفسي . اي انهم قد يعرفون هذه الحقيقة ويعلمون اعترافهم بها ، ويرفضونها رفضا فكريا وتعليميا ونفسيا ، ولا يذهبون في مواجهتهم لها الى الكذب ليخفوها ، وليحولوا الكذب بها ولها الى تعاليم واديان ومذاهب والى مستويات انسانية .

وانهم اي الناس ليذهبون احيانا ليواجهوا ويعالجوا هذه الحالة بأسلوب آخر ، بأسلوب مناقض . انهم احيانا اخرى ليذهبون يواجهون ويعالجون هذه الحالة بالفرار والانخداع والخداع . ولكن هذا ايضا أسلوب ممن اساليب المقاومة . اليس الفرار من الموقف او من الرؤية او من الفهم او من المقاومة أسلوبا من اساليب المقاومة النفسية او الفكرية او الاخلاقية ؟

انهم احيانا ليذهبون يكذبون ويبحثون عن يكذبون لهم ويكذبون عليهم ليواجهوا ويمالجوا هذا الموقف الاليم المتصادم بين الانسان وبين وجوده ، وبينه وبين ظروفه ، وبينه وبين الآخرين . انهم حينئذ ليذهبون ويشترون الكذب ويشترون انبياء الكذب ومعلميه بكل شيء ، دون وقار او ذكاء او تأثم من دفع اي ثمن ، لكي يغطوا او يخفوا هذا التناقض والتصادم . لقد وجدوا في الكذب جهاز اخفاء وتغطية جيدا . ان الكذب هنا ليس هو اخفاء الواقع بل الاقتناع ضده وكذا التعليم ضده . انه الكذب العقلي . وليس في الناس من يمارسون احد الاسلوبين فقط ودائما دون النقيض . انهم جميعا يمارسون هذا وهذا على مستويات متفاوتة . حتى الاقوياء والاذكياء جدا لا بد وان يمارسوا ولو احيانا اسلوب الفرار والانخداع والخداع مهما مارسوا اسلوب القوة والمقاومة . كما ان الضعفاء والاغبياء لابد ان يمارسوا ولو احيانا قليلة اسلوب المقاومة والقوة . انهم لا يستطيعون ان يختاروا دائما الفرار والانخداع والخداع . ان القوي لا يستطيع ان يكون دائما مقاوما وقويا ، وان الضعيف لا يستطيع ان يكون دائما هاربا ورافضا للمقاومة

اننا لا نستطيع دائما ان نكون جناء وهارين . ان الجبن احيانا ، وكذا الفرار يصبح امنية صعبة ، لا يستطيع الظفر بها كل فارس مقدم . ان الجبن ليصبح احيانا بطولة لا يستطيعها احد ممن صناعتهم البطولات . انه اي الجبن قد يصبح شجاعة لا يجرؤ على اقتحامها اشجع الشجعان . ان الجبن قد يصبح مستوى او اسلوبا من اساليب الشجاعة والكبرياء التي لا يستطيع الاقدام عليها او الالتزام بها احد . نعم ، ان احدا لا يستطيع ان يكون دائما جبانا وهاربا .

لقد كان محتوما ان يصبح البارعون في الكذب الاجرياء عليه زعماء وقادة وانبياء ومعلمين ، كما كان محتوما ان يصبح الزعماء والانبياء والقادة والمعلمون كذبة باسلوب ما وعلى مستوى ما ، او كذبة بكل الاساليب وعلى كل المستويات . ان البارعين في الكذب والاجرياء عليه ، اي الكاذبين جدا يصبحون اكبر الزعماء والقادة والانبياء والمعلمين ، كما ان اكبر الزعماء والانبياء والقادة والمعلمين لا بد ان يصبحوا اكبر الكذابين ولا بد ان تصبح اكاذيبهم هي اكبر الاكاذيب . لقد كان مستحيلا ان يكون هؤلاء بلا اكاذيب كبيرة بقدر ما يستحيل الا يتناقض الانسان مع وجوده ومع عقله وأخلاقه وآلهته .

أن هؤلاء يجيئون كالاغترار عن هذا التناقض أو التصادم بين الإنسان وبين مواجهاته وممارساته ، أو كالتغطية أو التستر أو الاخفاء لهذا التناقض والتصادم . انهم يجيئون كالعلاج الكاذب المخفف ، أو كالعلاج الزائف المقبول المريح . انهم يجيئون كالطبيب الذي يعالج بالسحر وبالتحدث الى النجوم والى الأرقام والاسماء التي لا تمارس الحياة ولا تمارسها الحياة . بل انهم ليجيئون اعتذارا وعلاجاً ، لا كالاغترار وكالعلاج فقط ، وأطباء لا كالأطباء فقط .

ان الطبيب هو اصعب الكاذبين على الاكتشاف . انه لا احد يصعب اكتشاف زيفه وكذبه وجهله اكثر من الطبيب او مثل الطبيب . انه لا يوجد جاهل او كذاب او زائف يوثق به ويؤمن زيفه وجهله وكذبه على اعظم الاشياء واغلى الاشياء قيمة ، كالطبيب . ان الالهة مع ضخامة المحاباة التي يهبها اياها اعتقاد المؤمنين بها لتذهب تحسد الاطباء على ضخامة المحاباة التي يهبهم اياها ضعف الناس واحتياجهم وعجزهم وجهلهم .

انه لا يوجد جاهل عاجز كاذب يظن به العلم والقدرة والصدق ويطب منه المستحيل ويرجى منه المستحيل ، مثل الطبيب . انه لا يوجد من نحتاج الى الاقتناع به والى ان ننظر منه ان يصنع لنا ما لا يستطيع كالطبيب . ان الطبيب هو النبي الذي لا يحتاج الى اية معجزة .

ان جميع الزعماء والانبياء والقادة والمعلمين والوعاظ ، في جميع العصور والمجتمعات لا يساؤون اكثر من المسافة التي تفصل بين ما يريد الانسان وما يجده ، او لا يساؤون اكثر من التناقض او التصادم بين الانسان وبين وجوده ، او بين احتياجاته وامانيه وتطلعاته وبين واقعه . وان الكذب تحت جميع ظروفه ، ومفسراً بجميع اسبابه وتفاسيره لا يساوي او لا يعني اكثر من هذه المسافة الفاصلة بين ما يريد الانسان وبين ما يجده ، او من هذا التناقض والتصادم بين منطق الانسان وجوعه واشواقه وضروراته ، وبين ظروفه وما يستطيعه .

هل يمكن ان تؤمن بأي زعيم او نبي او واعظ او بأي اله او بأي دين او مذهب لولا التصادم والتناقض والتعادي بيننا وبين مواجهاتنا واحتياجاتنا ومعاشاتنا اي بيننا وبين ما نريد ونشاهد ونعامل ونجد ؟ انه لهذا لا بد ان يصبح اكذب الزعماء والدعاة والقادة والانبياء هم اعظمهم حظوظاً واعلامهم صوتاً ومكانة وقوة وسلطاناً وسحراً وتأثيراً على ذكاء السوق وفي حسابات

السوق . ان أي زعيم أو واعظ نبي ، لو دخل اية سوق بلا اية
اكاذيب ، لما وجد من يشتريه باي ثمن .
ان الكذب الذي تطالب به السوق وتريده وتحتاج اليه من هؤلاء ،
ومن جميع المتعاملين معها وعليها ، ليس هو فقط الكذب الاخلاقي ، وليس
كذلك هو فقط الكذب الفكري والنفسي والتعليمي ، بل هو كل ذلك .
ان البشر لمحتاجون الى ان يعيشوا كل انواع الكذب والى ان يتعاملوا بكل
انواعه ويعلموا كل انواعه . انه الكذب الفكري والنفسي والتعليمي
والاخلاقي .

وانه لهذا لا بد ان يصبح الصادقون من الزعماء والانبياء والدعاة
والقادة ، وكذا المحتاطون والمشرطون والمتوقرون والمتورعون في كذبهم ،
اي لو وجدوا ، ان هؤلاء لو امكن ان يوجدوا لا بد ان يصبحوا شذوذا
وقلما وتعديبا وتشوها في السوق والسوق . انهم لن يصبحوا انبياء ولا
زعماء في حسابات السوق او التاريخ . . انهم لو وجدوا فلن يجدوا منبرا
ولا محرابا ولا انسانا يصعدون فوقه او يتوجهون اليه او يتخاطبون
ويتفاهمون معه . انهم حينئذ لن يجدوا عيونا او آذانا او عقولا او ارواحا
يسقطون فيها ليفسدوا قدرتها على الرؤية والسمع وعلى الفهم والتقبل
والرفض ، او ليفجروا فيها صدقهم . ان من يصدقون ومن يحتاطون او
يتورعون او يتوقرون في كذبهم ، ان هؤلاء لو امكن ان يوجدوا لا بد ان
يوصموا بانهم من المفسدين والعوقين ، بل من الخونة والمرجفين ودعاة
الهزيمة والتشاؤم ، بل من المتآمرين والاعداء ، بل من الهدامين الضالين
المشوهين لجمال الالهة ولجمال الطبيعة والاشياء ، ولزاي المذاهب
والايمان والاتباع ، ولعقريات الزعماء والقادة والمعلمين والانبياء .

ان كل عبقرية الالهة والانبياء والزعماء وكل نظافتهم لا تساوي اكثر
من الكذب لهم ، ومن كذبهم لانفسهم ، ومن الكذب باسمهم . ان
هؤلاء - لو وجدوا - لا بد ان يتهموا بانهم من اعداء القيم الثابتة ، ومن
المخربين للثقة بالنفس وبالتاريخ وبالاياء وبما هو موجود ، ومن الملقين بكل
ذلك تحت انياب الشكوك المفترسة . انهم هدامون معادون لمجتمعات .
انهم اسلوب من اساليب الوباء . انهم صانعون لوباء ومعبرون عن وباء
وحاملون لوباء .

ان من يشكون محسوبون دائما من اخطر المخربين والمتآمرين

والأعداء . ان الشك كيفما كانت أسبابه وموضوعاته لا بد ان تحاسبه المجتمعات والمسيطرون عليها اي على المجتمعات مثل قوة معادية او مخربة او متآمرة او كل ذلك او أكثر من كل ذلك .
ان الصادقين لا بد ان يعدوا في كل الاسواق والمجتمعات وفي كل التاريخ مخربين واعداء .



أيتها الالهة والنبوات والزعامات والمذاهب والعقائد والتعاليم ..
أيتها الاشياء والكائنات - كل الاشياء وكل الكائنات .. ما اقل جمالك واردا
حظوظك لولا الاكاذيب التي تهبك كل جمالك وكل حظوظك - لولا
الاكاذيب العقلية والتعليمية والنفسية والاخلاقية . لولا الاكاذيب التي
تهبينها والاكاذيب التي توهبينها . لولا الاكاذيب التي تتحدثين بها وعنهما
والتي تتحدث منك وبك . ان هذه الاكاذيب هي غطاؤك العالي الرهيب
التأثير . ان تعليم التفاؤل هو احد اكاذيبك ، او هو احد الاكاذيب التي
هي كل غطاؤك . انه احد الاكاذيب لك بقدر ما هو احد اكاذيبك . انه
كذب منك وكذب لك وكذب بك .

ان التفاؤل ليس الا سلاحا يحمله الاقوياء والاذكياء والقناصة
والقاتلون والذين يجدون ويملكون ويمكرون - يحمله كل هؤلاء ليطلقوه
كسلاح ورصاص على الاغبياء والضعفاء والمهزومين ، وعلى الذين لا
يجدون ولا يملكون ، ويراد لهم الا يجدوا والا يملكوا . ان هؤلاء محتاجون
الى ان يقاتلوا هؤلاء بالتفاؤل بقدر ما هم محتاجون الى مقاتلتهم بالسلاح
والسجون والمعتقلات وبكل اساليب الارهاب .

ان الكذب والتفاؤل ليسا منطقا ، ليسا ذكاء او غباء او حبا او
اخلاقا ، ولكنهما ابدا سلاح ، سلاح للضرب والقتال لا للزينة او
الاستعراض .

ان السلاح قد يكون اسلوب زينة او استعراض . اما التفاؤل
والكذب فهما ابدا اساليب قتالية ان الذي يحمل السلاح فوق المنبر
ليس حتما مقاتلا ، اما الذي يقول الكذب والتفاؤل فوق المنبر فهو حتما
مقاتل .



ان الصدق لا بد ان يقتل ، او ان يكلف ما لا يطاق ، او ما يرهق ،
او ما لا يرضي ، او ما لا يريح ، او ما لا يصنع لنا التفاؤل ، او ما لا

يحولنا الى اعجاب وروعة وكمال في عيون الآخرين وتقديراتهم ، وفي معاملاتهم لنا واحساسهم بنا . ان الصدق لن يكون جمالا نحيا به ولا جمالا نرى به . انه لن يكون جمالا في تفاسيرنا ولا جمالا في ذواتنا او كينوناتنا .

ان الصدق يشوه صورنا ونماذجنا المعروضة في الاسواق والتي نريد عرضها فيها . انه يفسد رضا السوق عنا ويفسد رؤيتها لنا .

ان الصدق عدوان على آلهتنا وعلى ابطالنا وعلى اوهامنا وتفاهاتنا الجميلة . انه عدوان على رؤيتنا وعلى تفاسيرنا لآلهتنا ولابطالنا ولاوهامنا . انه عدوان على آباءنا . عدوان على رواياتنا عنهم وعلى تصوراتنا لهم وعلى اعجابنا بهم وعلى انتمائنا اليهم . ان الصدق الحاد وزندقة وفسوق عقلي واخلاقي وعاطفي ولفوي بالآلهة وبالابطال وبالمعلمين وبالقديسين وبالاباء ، بل وبالتاريخ وبالطبيعة وبجميع الاشياء .

ان الصدق بذاءة ودمامة وقسوة وعدوان على الآخرين وعلى جميع الاشياء . حتى الشمس . ان الصدق عدوان وبذاءة وقسوة عليها . انه يحولها الى دمامة ، الى دمامة عقلية واخلاقية ودينية ونفسية وذاتية .

ان الصدق همجية كهمجية الطبيعة . انه تعبير عن همجية الطبيعة ، وتحدث عنها ، وابرار لها ، وتذكر بها . ان الصدق هو رؤية الطبيعة والتحدث عنها كما هي بكل ذنوبها وبشاعاتها . وهل توجد همجية اقسى من ذلك او مثل ذلك ؟ هل يوجد من يستطيع رؤية الطبيعة والاشياء والتحدث عنها كما هي ؟ ان الصادق يتحول الى طبيعة همجية بذئنة ، ولكنه يتفوق عليها بالتعبير . ان الفرق بينهما ان الطبيعة تفعل وتمارس همجيتها وبذاءاتها دون تحديث او تعبير عنها باللغة والتفكير والمنطق ، اما الصادق فانه يتحول الى تعبير والى حديث عن هذه الهمجية وهذه البذاءات ، والى تذكير بها ، باللغة والمنطق والتفكير ، بل وبالرؤية والتعليم ، ان الصادق لا يعيش ويواجه فقط الدمامات والبذاءات ، بل انه يعلن عن ذلك ويشير اليه بقسوة وضجيج وباسلوب كانه التعبد ..

ايها الصادق .. انك لتستحق الرئاء والمجاملة لما تعاني من بذاءة وهمجة كم انت معذب ومزعج ومشوه ومخيف وشاذ وغير معقول .. كم

انت كائن غريب وفريد .. كم انت ايها الصادق كذلك لانك ترى الاشياء وتفهمها وتحدث عنها كما هي . انك تستطيع ان تراها وتفهمها وتعبر عنها كما هي . انك لتجروا على ذلك وعلى ممارسته . انه لاشد الهول لعقلك ولعينيك ولاخلاقك ، بل ولتقواك وايمانك ان ترى الاشياء وتفهمها وتفسرها وتعامل بها كما هي بكل الصدق والحقيقة .

اذن كم انت بذيء وهمجي وعدواني ومتوحش ايها الصادق ؟ انت ايها الصادق عدوان وخطر وتشويه وهجاء للالهة وللانبياء والآباء وللزعماء وللقديسين . انت تكذب لهم وتهديد لمجدهم ولسلطاتهم . انت ايها الصادق العدو الدائم والعالمي لكل الاشياء ولكل الناس ولكل الالهة ولكل الجمال والتفاؤل .

اما انت ايها الكذب .. ايها الصديق ، ايها المذهب ، ايها الفادي لنا ولدما ماتنا وتفاهاتنا ولاامنا ، ودفاعا عن آلهتنا وتجميلنا لدما ماتنا واخطائنا ، ولعبثنا ولضياعها وغبائها وعن آباءنا الصغار جدا وعن تاريخهم الكبير والعظيم جدا .

— اما انت ايها الكذب ، ايها الكاذب ، فما اجملك وارحمك وانبلك . ما اسمي واتقى اخلاقك وروحك . انك لا تكلفنا شيئا ، ولا تهددنا بشيء ، ولا تعيرنا بشيء ، ولا تفسد علينا شيئا . انه لا يوجد عميل او صديق او رحيم مثلك . ان اي شيء واي انسان واي كائن لا يستطيع ان يستغني عن صداقتك او عن رحمتك ايها الكذب .

انك ايها الكذب ، ايها الصديق النبيل ، لا تفرض علينا ان نكون شيئا ، ولا ان نعمل شيئا ، ولا ان نترك شيئا ، ولا ان نتنازل عن شيء من ذنوبنا او من اخطائنا او من قبحنا وصفائنا ، او من اكاذيبنا وبلاداتنا ، او ان نفقد او نخفي شيئا من تزويرنا وتلويننا لانفسنا ومن اساطيرنا عن آباءنا الصغار الملوثين جدا .. والكبار المتطهرين جدا .. الغزاة القهارين .. والغزوين المقهورين

— نعم ، انك ايها الكذب النبيل لا تفرض علينا شيئا من ذلك لكي نرضى عنا وتعجب بنا ، ولكي تعلن عن رضاك عنا وعن اعجابك بنا ، بل ولكي تعلمنا الاعجاب بانفسنا والرضا عنها ، وتعلمنا ان نعلن عن اعجابنا

وعن رضانا بل وان نحول اعجابنا ورضانا الى مذاهب واديان .

انك لا تشترط علينا اي شرط لكي تهبنا كل ما نريد وكل ما لا نريد ، وكل ما لا نستحق . وهل لنا واهب سواك ايها الكذب ؟ هل لاي شيء واهب سواك ؟ ان كل ما نعهده ونراه ونجده جمالا او مزية او ذكاء او منطقا لم يصبح او نجده كذلك الا بك .

انك لا تطالبنا بأن ندفن الجثة المخيفة البشاعة والدمامة ، ولا ان نحرقها ، بل ولا ان نلقي بها بعيدا عن بيوتنا او عن معابدنا او عن انفسنا .

بل انك لا تطالبنا حتى ولا باخفاء هذه الجثة . ولكنك تطالبنا فقط بانكارها ، بانكار وجودها ، او بانكار انها جثة ، او بانكار انها دميمة . انك لا تطالبنا بان نقتل عيوننا ، بل انك لتطالبنا بأن نفترض عيوننا غير موجودة .

انك لا تكلفنا بان ننظف ملابسنا من الاتساخ ، بل ان نلبسها من الداخل ، بل ان نلبسها بكل اتساخها من الخارج ، ولكن مع تعليق بطاقة فوقها نتحدث عن روعتها ورعة نظافتها . انك لا تشترط علينا شيئا من النظافة او حتى اخفاء القذارة لكي نتحدث عن نظافتنا . انك لا تترك الحديث من نظافتنا حتى حينما نرفض اخفاء قذارتنا او نعجز عن اخفائها . حتى الصمت ، انت لا تصمت عن الثناء علينا بما لا تجسد الا نقيضه . ولعل كل تعليم للنفس بان تكون فاضلة ونظيفة لا يعني الا لبس الملابس المتسخة من الداخل ، او لبسها من الخارج مع وضع رقعة فوقها تشيد بنظافتها ، او منقولة وساختها من وجهها الخارجي الى وجهها الداخلي . لعل كل التقوى لا تعني الا ان تكون مطيعا بحركاتك وطلواتك، عاصيا بنياتك وشهواتك واحتياجاتك .

انك ايها الكذب لانت افضل وانبل خالق ، لانك تحاول ان تخلق ما ينبغي وما يراد ، ولست تخلق فقط كما تفعل الالهة والطبيعة . انك تحاول ان تكمل وتجمل ما خلقته الطبيعة او الالهة ناقصا او دميما . لهذا انت ايها الكذب افضل وارحم خالق .

ما اقبح واقسى وانذل كل الاشياء لولاك ايها الكذب . . ايها المناظر لتستر عار الالهة ودماماتها ، ولتستر عار الطبيعة ودماماتها ، ولتستر عار الانسولين وضآلته وقضائحه وآلامه .

انك ايها الكذب لاضخم محاولة عالمية للتكفير وللاعتذار عن ذنوب الاشياء وأخطائها وعاهاتها ، واليها من ذنوبها وأخطائها ودماماتها .
انك لست فقط اعتذارا عن عيوب الاشياء بل واعتذار الى الاشياء من عيوبها .

انك ايها الكذب لانت اعظم مجاملة عالمية يجامل بها العالم نفسه . اذن لماذا يشتبك كل العالم ايها الصديق لكل العالم ، ايها الكذب ؟ لقد كان شتم العالم لك اسلوبا جيدا من اساليب التحية لك بل من اساليب المباينة لك انك اعظم صديق عالمي للالهة وللناس ولطبيعة ولجميع الاشياء . انك اعتذار الى كل شيء عن دماماته وتفاهاته . انك محاولة اعتذار عن كل شيء والى كل شيء . انه لم توجد وسيلة يعتذر بها كل شيء الى كل شيء مثل الكذب او غير الكذب . انه لا يوجد شيء يغفر لكل شيء اخطائه وعيوبه بكرم ونبل مثلك او غيرك ايها الكذب .

ان كل ذلك هو بعض مزاياك ايها الكذب انك لا تطالب بشيء ولا تكلف او تشترط شيئا ، ولا تحتاج الى شيء ولا تحوج الى شيء .

انك لا تطالب لنفسك باي شرط لكي تمارس كل نفسك ضد نفسك لمصلحة الارباب والزعماء والمعلمين بل ولمصلحة الانسان

انك ايها الكذب تحتاج فقط الى جمهور شديد الفناء وشديد الرغبة في الايمان والاتباع . بل انك احيانا تحتاج الى جمهور شديد الذكاء . ان شدة الذكاء قد تعني شدة الرغبة في التصديق والاتباع ، او قد تقترن شدة الذكاء بشدة الرغبة في التصديق ، او انه ليس محتوما ان تنافي احدهما الاخرى .

ان موهبة الذكاء لا تستطيع ان تعصم من احتياجات الفناء او من ممارساته او من ضعفه او من اخلاقه .

ان الاذكياء والاغبياء يتساوون او يشتركون في تصديق الاكاذيب ، بل قد يتفوق الاذكياء في هذا التصديق ، لان سلوكهم الذهني يكون اكثر واقوى حماسا واستقبالا وتلمسا ، واكثر حركة ، واقدر على الحركة . وتصديق الاكاذيب المعروضة قد يكون تعبيرا عن قوة الحماس والاستقبال والتلمس ، وعن سرعة الاستجابة والحركة ، وعن قوتها ، وعن القدرة على ممارستها . ان الاذكى قد يكون هو الاسرع الى الوقوع في الفناء وفي الاكاذيب الفبية . انه قد يكون هو الاجرا على ذلك والاكثر وقوعا في

طريقه .

ان تصديق الكذب ليس مستوى من مستويات الذكاء او الغباء او من مستويات التقوى او الفجور . ولكنه اي تصديق الكذب مستوى من مستويات الانسان ، او تعبير من تعبيراته . ان الانسان يصدق ويخدع ويتقبل لانه انسان لا لانه ذكي او غبي ، لا لانه طيب او شرير . انه يصدق ويخدع ويتقبل بالاسلوب الذي به يجوع ويخاف ويموت ويمرض .

ولعله اي تصديق الاكاذيب ليس مستوى من مستويات الانسان ، وانما هو تعبير من تعبيرات رفضه واحتجاجه وغضبه واشمئزازه ، ومن تعبيرات تناقضه وتصادمه بتفكيره وبرؤاه ، وبأمانيه واحتياجاته ، ويتطلع الدائم الحاد المصدوم المسدود دائما . لعل تصديق الاكاذيب هو اقصى واتقى اساليب الاحتجاج والفضب على كل ما هو كائن وعلى كل ما يمكن ان يكون . على منطق كل شيء وعلى اخلاق كل شيء وعلى احتمالات كل شيء .

ان الكذب الديني او الوطني او القومي او المذهبي او التعليمي لاعظم واسخى وانفع هدية يهديها الانبياء والزعماء والقادة الكاذبون الماكرون القتلة لجماهيرهم ومجتمعاتهم . ان هذا الكذب يهب هذه الجماهير والمجتمعات التفاؤل والراحة والاستقرار والتفاسير الذكية للحقائق البليدة . انه احيانا يخلصها من المعاناة الشاقة ، ومن الرؤى الاليمية الشديدة الدمامة ، ومن الرفض والاشمئزاز الواهين كل العذاب ، ومن التفكير ضد كل شيء ، وخروجا على كل شيء . اننا لا بد ان نكون خارجين على كل شيء لولا هذا الكذب الديني او الوطني او القومي والمذهبي او التعليمي . اننا بدون هذا الايمان لا بد ان نخرج على كل شيء احد اساليب الخروج .

ان الزعيم او القائد او النبي او المعلم الذي يذهب يتحدث بكل الصراخ والافتضاح عن انتصاراته العسكرية او السياسية او المذهبية ، او الدينية او الاخلاقية او الدعائية التي لا يتسع لها الكون ولا منطق الكون او ضميره او اخلاقه ، بل التي لا يتسع لها او يقدر عليها ذكاء الالهة او قدرتها او دهاؤها

— نعم ، ان ذلك الزعيم او القائد او النبي الذي يذهب يتحدث كذلك او يكذب بهذا الاسلوب على جماهيره الصابرة الطيبة المطيعة

الشديدة الاخلاص والغباء والولاء ، منتزعا لها هذه الانتصارات المتفوقة على ذكاء الالهة وعلى كرمها ورحمتها وعلى كل تاريخها .

نعم ، انه بذلك يهب جماهيره ويصنع لها اعظم الأشياء ، وانها لتباركه بكل مواهب الطاعة والاستسلام والايمان والشكر والحب والاعتراف فيها . انها لتذهب تهبه وتشكره وتباركه وتصدق بلا حساب . ان الجماهير لا تصدق او تشكر او تحب بقدر ما يصنع لها او بقدر ما ترى ، بل في الاكثر بقدر ما يقال لها ويكذب عليها .

انه لممكن دائما اخفاء الكاذب ، او التقبل او الغفران لها مهما كان افتضاحها وتعريبها . ان الناس قد يعجزون عن رؤية الكاذب مهما كانت ضخامتها ، او عن استقباحها مهما كانت دمامتها ، او عن رفضها مهما كانت بلادتها ، او عن محاكمتها او محاسبتها مهما كانت ذنوبها ، او عن الاشمئزاز منها مهما كانت وقاحتها . ان الكذب شيء لا يمكن كما لا يراد اكتشافه . واذا اكتشف او بدا انه قد اكتشف فالامر لا يمكن ان يكون كذلك . ان الذي اكتشف هو ان ارادتنا لا تريد هذا الكذب الذي اكتشف ، او الذي بدا انه قد اكتشف ، ولا تتلاءم معه ، وانما تريد كذبا آخر وتتلاءم مع هذا الكذب الاخر الذي ذهب يطارد ويرفض وينافس ذلك الكذب الذي بدا وكأنه قد اكتشف . ودائما الاكاذيب تتنافى وتتنافس وتتشتات وتتقاتل ويقتل او يهزم او يطرد بعضها بعضا . لقد كانت كل المجتمعات في كل التاريخ ولا بد ان تستمر تخوض كل المعارك باكاذيبها لمقاتلة الاكاذيب الاخرى .

ان القضية دائما هي ان كذبا يطارد ويهزم كذبا . وليست القضية ان كذبا ما قد اكتشف او انه قد يكتشف ، او انه قد يراد اكتشافه او يستطاع اكتشافه ، او يحاول اكتشافه ، او ان الكذب يكتشف الكذب .

ان الكذب قد يقتل الكذب او ينتصر عليه ولكنه لا يكتشفه كما تقتل الحشرة الحشرة دون ان تكتشفها .

ان ترك اي شيء او تخطيه ليس اكتشافا له ، او ليس اكتشافا لكذبه ، ولكنه استبدال به ، او قدرة على الاستبدال به ، او ارادة لهذا الاستبدال . ان ترك اله او زعيم او دين او مذهب للانتقال الي آخر ليس اكتشافا بل استبدال والتقال .

انه لا توجد لغة او علامات او شعارات او اخلاق خاصة بالكذب
واخرى خاصة بالصدق ، كما لا يوجد آلهة او انبياء او زعماء او قادة
للصدق واخرون للكذب . انه لا يمكن فهم هؤلاء او تمييزهم من هؤلاء ،
اي لو انهم كانوا موجودين ، اي لو انه كان الصدق آلهة وانبياء وزعماء
وقادة ، وكان للكذب مثلهم اي تقيضهم من الالهة والانبياء والقادة
والزعماء . ان الالهة وانبياء وزعماء اي مذهب او دين يستطيعون ان
يكونوا الالهة وانبياء وزعماء لادين او للمذهب المناقض تحت الظروف
الاخرى .

اننا مهما عشنا الكذب او عانينا منه فقد نظل نظنه اصدق الصدق .
لقد عاشت البشرية اضخم الاكاذيب وكل الاكاذيب ، اطول الدهور وكل
الدهور ، ولا زالت تفعل ذلك ، دون ان ترفض نفسها او تنكرها او
تنقذها او تكتشفها . ان معاناة الكذب لا تتحول الى نقد له او الى غضب
عليه . ولكن هل نكذب او نتقبل الكذب لو تحول الى معاناة ؟ السنا نتقبل
الكذب ونكذب هربا من المعاناة ؟

ان كل شيء يكذب هذه الاكاذيب السماوية الخالدة ، ويسخر منها ،
ويفضح ضعفها ، ويعري بكل قسوة سخفها واستحالتها .

ان اضخم الاكاذيب واكثرها بشاعة واقتضاحا قد تكون هي اقوى
الاكاذيب في كل اسواق التاريخ . لان اضخمها هي اكثرها اغراء للسوق
واستجابة لاحتياجاتها وتوافقا مع اخلاقها وشهواتها .

ان البشر عاجزون عن ان يجدوا او يبصروا حدودا بين ما هو صدق
وحقيقة وما هو كذب وباطل . انهم عاجزون عن ان يفهموا الفرق بين لغة
هذا وشعاراته ومذاهبه وزعمائه وانبيائه ، ولغة تقيضه وشعاراته ومذاهبه
وزعمائه وانبيائه . ان البشر لم يجتمعوا او يتوقفوا في اي وقت ليسالوا
عن الحدود والفروق بين النبي الصادق والنبي الكاذب .

ان هذه الحدود والفروق غير موجودة او غير مفهومة . انها حتما
غير معروفة وغير مستطاع ان تكون معروفة . ولكن هل هي موجودة ؟
انها مخاطرة عقلية واخلاقية وانسانية الزعم بانها موجودة .

ان المعلم او النبي او الزعيم الذي يقتنع بوجود هذه الفروق او
بمعرفتها ليستحق كل الرثاء .

ولعل حياة الانسان غير محتاجة الى معرفة هذه الحدود والفروق، بل لعل حياته غير محتاجة الى ان تكون هذه الحدود والفروق موجودة .

ولعل منطقته واخلاقه غير محتاجة كذلك الى شيء من ذلك .

لعل مذاهب الانسان واخلاقه وافكاره ونبواته غير محتاجة الى وجود هذه الحدود والفروق ، او الى معرفتها الا بقدر احتياج غده الجنسية الى ذلك .

لعل أي شيء في الانسان ليس محتاجا الى وجود هذه الحدود والفروق والى معرفتها الا بقدر احتياج منطق الحشرات وحياتها واخلاقها ورضاها عن نفسها وعن شرفها وذكائها الى ذلك .

ان الصدق هو واقع الطبيعة ، وان الكذب هو واقع الانسان - انه واقعه النفسي والفكري والمثالي والنموذجي والديني والمذهبي والاخلاقي. اي حينما نفترض ان الصدق والكذب شيئا ، او حينما نفترض انه يوجد صدق على اي معنى من معانيه .

اذن فالصدق والكذب كلاهما واقع ، اي حين افتراضهما شيئين او نقيضين . وحينئذ اليس الانسان احوج الى واقعه من احتياجه الى واقع الطبيعة ؟ أي اليس الانسان احوج الى ان يكون انسانا من ان يكون طبيعة ، أي احوج الى ان يكذب والى ان يعيش الكذب ويتعامل به ويتعلمه من ان يصدق ويعيش الصدق ويتعامل به ويتعلمه ؟ ان الانسان يكون انسانا اي يكون شيئا غير الطبيعة او فوقها او اكثر منها بقدر ما يكذب ؛ بقدر ما يكذب كذبا مذهبيا ودينيا وتعليميا واخلاقيا .

ان الزعيم او القائد او النبي او المعلم الذي يريد ان يكون صادقا ويستطيع ان يكون صادقا وبصدق - ان مثل هذا الزعيم او القائد او النبي او المعلم - لو وجد ، لو كان ممكنا ان يوجد - لا بد ان يخسر كل صدقه واغرائه وكل قدرته على الاقناع . انه يصبح كائنا كرهها وثقيلها ودميما وذميما وجلفا وقحا مرفوضا . انه لا بد ان يحرض على نفسه كره الجماهير ورفضها ومشامرها الجبانية الانانية بلا ذكاء او وقار . انه لا بد ان يحرض ضد نفسه احتياجات الجماهير وتفاؤلها البائس الكسول - هذه الجماهير التي لا تستطيع ان تعرف الصدق او تحترمه او تريده او تبحث عنه ، او يكون شوقا او املا من اشواقها او آمالها .

ولماذا تريد الجماهير الصدق او تحترمه ؟ ولماذا يصبح احد آمالها او
اشواقها او همومها ؟

انه اي الصدق لا يمكن ان ينفع الجماهير او يصلحها او يتلاءم معها
او يرضيها عن نفسها ، او عن اربابها وانبيائها وزعمائها وقادتها ، او عن
ماضيها او مستقبلها ، او عن آباتها وابنائها ، او عما في مجيئها وبقائها
وذهابها من منطق وكبرياء ومجد واهداف عظمى ، ومن تدبير بعيد الاعماق
والذكاء والاخلاقية .

انه للعذاب الشامل والقبح الشامل والتشويه الشامل ان تعجز الجماهير
عن تصديق الاكاذيب او عن قبول التفاسير الكاذبة لمعنى وجودها . كيف
تريد الجماهير الصدق ؟ ولماذا تريده ؟ وماذا يعني الصدق عندها ؟ ماذا
يساوي ؟ ولماذا يساوي ؟ وهل يساوي ؟ اعني لو كان ممكنا ان تعرفه او
تجده ان الجماهير حينما تقبل الصدق وتقتنع به او لو قبلته واقتنعت
به ، لا تفعل ذلك لانه صدق بل لانه يتلاءم معها او لانها لم تجد سواه .
ان الصدق لن يكون الا تحريضا للجماهير ضد رضاها عن نفسها وعن
آلهتها وعن تاريخها وعن مستقبلها وعن اسلافها وعن انبيائها ومعلميها ،
وعن اي شيء من واقعها واحتمالاتها وآمالها وتطلعاتها . ان الصدق
يحولها الى حرب ضد كل ذلك . انه يصدمها في تفاؤلها وايمانها وتقبلها
واعجابها .. انه يصدمها بنذالة ووحشية . ان التفاؤل أعظم وأنفع في
حياة الجماهير ولحياتهم من كل شيء ، من كل الحقائق والمواهب الاخرى .
ان الصدق يرى الجماهير نفسها كما يريها الاشياء بوقاحة وفضافة
وجلافة .

ان الصدق كائن كالح متوقع بنبيء عدواني . ان في الصدق كل
منطق الهمجية واخلاقها . ان البشر لم يكونوا اغبياء او مخطئين او
ظالمين او انذالا حينما اجمعوا في كل عصورهم ومجتمعاتهم على مقاومة
الصدق وعلى رفض التعامل به او معه .

ان اضعف الزعماء والقادة والعلمين اخلاقا ، واقسامهم ضمائر ونيات ،
واكثرهم سخفا وبلادة ، واقلهم شهامة وحبا وذكاء ، هم اكثرهم صدقا .
ان هؤلاء - اي اكثر الزعماء والقادة والعلمين صدقا - يتحولون الى اكثر
الوحوش والاعداء والاجلاف وحشية وعداوة وجلافة . ان الوحوش
والاعداء والاجلاف هم الزعماء والقادة والعلمون الذين يصدقون او

يريدون الصدق لانفسهم او للآخرين .

ولكن هل وجد في كل تاريخ الانسانية واحد من هؤلاء الوحوش والاعداء والاجلاف ؟ لقد كان هؤلاء يوجدون دائما في كل التاريخ والمجتمعات بالتفسير الاخرى الكثيرة . ولكن واحدا منهم لم يوجد بهذا التفسير . اي لم يوجد واحد ، واحد فقط يصدق او يريد الصدق لنفسه او للآخرين . لقد كان الزعماء والانبياء والقادة يرفضون دائما ان يكونوا اجلافا او اعداء او وحوشا بهذا التفسير . لقد كانوا عاجزين عن ان يكونوا اجلافا ، او وحوشا او اعداء على هذا المستوى ، لهذا كانوا ابدا عاجزين عن ان يكونوا صادقين .

ان الجماهير لا بد ان تأخذ او ان تؤمل ، بل انها لا بد ان تؤمل مهما اخذت . ان التأميل في الجماهير ليس بديل الاخذ او تعويضا عنه . ان التأميل فيها حاجة .

ان التأميل في الجماعات حالة من حالات الجوع . انه سفر روحي . انه شعر وغناء وفن من فنونها . ان الانسان مهما كان بلا اسفار او عاجزا عن الاسفار او ممنوعا منها فلا بد ان يظل مسافرا سفرا واحدا . لا بد ان يظل مسافرا بروحه . لا بد ان يتجاوز بروحه وامانيه .

ان الجماهير لو اسرت الاله وحولته بكل قوته وعبقريته الى مصمم وصانع ومنتج لاحتياجاتها وشهواتها ولجميع شروطها ومطالبها ، لظلت ايضا مؤملة . ان التأميل في حياتها ليس الا اسلوبا من اساليب الهرب من كينونتها والرفض لها مهما كانت صيغها اي صيغ كينونتها .

انها لهذا ابدا مؤملة . انها لا تكون الا كذلك مهما اخذت او اعطيت ، حتى ولو اخذت او اعطيت الاله ليكون اسيرا ومملوكا يصنع لها ما تشاء . ان كل اخذ وعطاء لن يكون شفاء من التأميل .

ان الآمال حتى ولو كانت كاذبة او مستحيلة او شريرة وعدوانية هي انبل وافضل واصدق واشمل واخلد انبياء الانسان . انه لمستحيل ان يعرف بالعلم او بالتفكير او بالاخلاق الفرق بين الآمال الطيبة والمعقولة والآمال الاخرى المضادة .

ان الآمال لا تساوي صدقها وركبها بل تساوي قدرتها على أن تهب
الحماس والروعة والنشوة وعجزها عن ذلك .

ان موهبة التأمل هذه في البشر لتضنع وتهين دائما أفضل وأقوى
الاحتمالات والغرض لكي توجد وتعيش وتنتصر ابشع وأضخم الأكاذيب
والبلادات ، وأغبي وأكذب الزعماء والقادة والمعلمين وسائر المحدثين عما
لا يرى او يوجد . لقد كانت هذه الموهبة هي دائما الدليل او المعجزة
الخارقة الدالة على صدق بنوة الزعماء والأنبياء والمعلمين وجميع المدعين ،
وعلى صدق زعاماتهم وتعاليمهم .

واذا كان من المشكوك فيه ان ترضى الجماهير ممن يعطونها فانه
لمحتوم ولو أحيانا ان ترضى ممن يغنون ويخطبون لها بالآمال الضالة التي
لن تصبح عطاء ولا وجودا . نعم ، ولعل الآمال التي لا تصدق ولا تعطي
هي أروع الآمال مذاقا وسحرا واطولها بقاء .

ما أجملك وأروعك أيتها الآمال الضالة . ما أقسى وأتفه الحياة
والوجود وجميع الأشياء لولاك أيتها الآمال الضالة . ألسنت أقوى وأفضل
الآمال أيتها الآمال الضالة ؟ هل يوجد من يستطيعون ان يواجهوا الأشياء
او الحياة او انفسهم بدونك ؟ حتى الالهة ، لقد عاشت وممارست نفسها
وجودها تحت رحمتك وفضلك وعزائك وخذاعك وأغرائك أيتها الآمال
الضالة .

لقد عاشت الالهة الآمال الضالة وتعاملت بها أكثر مما عاشتها الإنسان
وأكثر مما تعامل بها .

هل استطاعت الالهة ان تتعزى او تسعد او ان تتحمل كينونتها
الرهيبة الحزينة الا مؤملة ان يكون الانسان لها وحدها ، بل ان يكون كل
المجد والامر والقوة والصلاة لها دون اي ند او منافس آخر ؟ ماذا يبقى
للآلهة من عزاء او من ثمن او من تعويض او من اسباب السرور لولا
آمالها الضالة في ان يكون لها وحدها كل الانسان بلا تقسيم ؟

ان ضلالك أيتها الآمال لشدة اغراء فيك . انه أي ضلالك الشديد
لمستوى جمال توهيبه وتهيبه . ان ضلال الآمال هو أقوى وأعظم

مواهبها ومزاياها . ان ضلال الآمال لم يكن في اي يوم ضعفا او عيبا او
او عارا فيها او هزيمة لها .

ان الزعماء والقادة والانبياء والمعلمين الاغبياء والمرفوضين والذين
لا يشتهيهم أحد ليسوا هم الذين لا يهبون الجماهير احتياجاتها أو لا يقودونها
اليها ، بل هم الذين لا يفرقونها في الآمال الضالة - هم الذين لا يستطيعون
ان يحولوا احتياجاتهم الى اناشيد واديان ومذاهب وصلوات ونبوات والى
كتب مقدسة ، دون ان تستطيع التحول الى واقع . ماذا يكون لو ان
الحياة لم تبتكر الآمال الضالة ، لو أنها لم تهب سوى الآمال الصادقة ؟
هل تستطيع الآمال الصادقة ان تغطي او تخفف قبـح التشوهات او
التفاهات التي تغطيها او تخفف قبـحها الآمال الكاذبة ؟ ان الآمال حينما
تتحول الى واقع تصبح شيئا رديئا او دميما او صغيرا أو شيئا لا سحر
ولا اغراء ولا اعجاز ولا جمال ولا اقناع فيه . ان تحول الآمال الى واقع نوع
من الهزيمة والفضح والتشويه والهزاء لها . ان صدق الآمال عدوان عليها
وتشويه لجمالها . اذن فالآمال الضالة الكاذبة التي لا تصدق هي أضخم وأشهر
هدية يقدمها الانسان الى نفسه . . ان الواعدين الكاذبين ليبعدون احيانا
اكثر عزاء وعطاء ومجاملة للجماهير من الواعبين لها ، او من الصادقين
الفاعلين ، او من المحولين لآمالها المطلقة الضالة الى واقع متحدد متقيد
مفتضح بكونه قد أصبح واقعا ، او من الذين يهبونها ويحددون ويضيقون أو
يضعفون آمالها الضالة المنطلقة بلا ناه او زاجر او مروض ، او يحولونها
الى ارتياب في هذه الآمال الضالة المتمردة على جميع حدود وقيود الذكاء
والوقار والترويض . ان اروع وانبل ما في الآمال الضالة الكاذبة انها بلا
قيود من الذكاء أو الوقار . . ان الفردوس الذي نعهد به ولا نجده أو قبل
ان نجده لا بد أن يكون اكثر سحرا وجمالا من الفردوس الذي نعهد به
ونجده أو بعد أن نجده . ان دخولك الجنة التي يعدك بها انبيائك ومعلموك
لهو اعظم عدوان عليك وعليها . ما اعظم الهك الذي لن تراه ونبيك الذي لم
تستمع اليه أو تلقه .

ان الجماهير قد تحس في اوقات جوعها وعجزها وبتجاربها الحزينة
الاليمة ان الواقع الموجود أو المنتظر بكل حدوده ومستوياته واحتمالاته
الطبيعية - اي قد تدرك ان الصدق بكل أشواطه وطاقاته عذاب لا يطاق ،

ودمامة لا يستطيع التحديق فيها ، وتفاهة لا تحمل شيئاً من الأثارة أو العزاء ، وضآلة لا تتراكم فيها الآمال . وحينئذ لا بد أن تفرغ إلى الكذب وإلى الكاذبين لتنجو من عذاب الصدق ودمامته وتفاهته وضآلته ومن بروده وخموده وخموله ومن كل فنون الكآبات فيه .

ما أبشع كآبات الصدق وضآلته ودمامته . ما أقبح طلعتة ان لم يستتر بالزور ، بالاكاذيب الضخمة المنوعة .

ان الجماهير حينئذ لا بد أن تفرغ إلى الكاذبين الذين يخدعونها بلا أي قيد أو اشتراط أو أية وصاية من الذكاء أو الحياء أو الاخلاق أو التقوى أو المحاسبة أو الاحترام للنفس أو الخوف من التجهيل أو التأثيم . نعم ، ان هؤلاء الكاذبين يجيئون كنجدة واغاثة مهما جاءوا كأعداء وكعدوان ولصوص .

انها حينئذ قد تجد كل عزائها في هؤلاء الذين يجيئون متعاقبين عليها ، بل متواصين عليها ، ليعاموها الاكاذيب الدينية والمذهبية والقومية والتاريخية والوطنية والاخلاقية والاكاذيب من كل نوع وتحت أي اسم . وانها حينئذ لن تتسامح في تشريد أو صلب كل من قد يجيئون ليصححوا لها كذائبها هؤلاء أو ليضعفوا من الحماس لاكاذيبهم . هل تمادي المجتمعات أحداً مثل معاداتها لمن يحاولون ان يصححوا أو يفسروا لها بصدق انبياءها ومعلميها الخالدين ؟

ان الناس لا يكذبون أو يريدون الكذب لانهم أغبياء أو اشرار يريدون ايداء الآخرين ، أو افساد ذكائهم ، أو خديعتهم ، أو يريدون تهدييم العلاقات الطيبة بين الشيطان وصديقه الانسان ، أو بين الاله وانبيائه أو بين السلطان ورعاياه . ولكنهم يفعلون ذلك أو يريدون ذلك أو يتقبلونه لانهم يحاولون الهرب من شيء ، أو امتلاك أو بلوغ شيء ، أو لانهم يكرهون شيئاً أو يخافون شيئاً .

هل يمكن ان يكذب من لا يكون محكوماً بشيء من ذلك . ان الكذب ليس موهبة أو شهوة ذاتية بل تعبير عن تصادم .

ان الكذب ليس هو الاخبار بغير الواقع كما يقول الانبياء والمعلمون والمدرسون والواعظون . ان هذا هو الكذب في منطلق الحشرة وسلوكها وأحاسيسها . ان هذا هو الكذب في اخلاق الطبيعة واخلاق الاشياء .

لقد كان هؤلاء يعرفون الكذب ويفسرونه بمنطق ليس منطق الانسان وباخلاق ليست اخلاقه ..

ولكن الكذب هو الاخبار عن الواقع او عما في النفس تحت ظروف غير ملائمة . ان الكذب هو الاخبار عن الواقع باسلوب محتج ناقد رافض .

ان الكذب ليس هو الاخبار بغير الواقع كما تقول التعاليم ، وانما الكذب في جميع تفاسيره هو الرفض للواقع ، والاحتجاج عليه ، والنقد له ، والخجل او الاشمئزاز منه . ان الكذب هو الاسلوب الاليم الحزين لرفض الواقع وللاحتجاج عتيه وللخجل والاشمئزاز والهرب والغضب منه .

ان الاخبار بغير الواقع لا يعني او لا يساوي الا الرفض او الاحتجاج او النقد او الخجل والاشمئزاز من ذلك الواقع او من ذلك الواقع ومن كل واقع آخر . ان الاخبار بغير الواقع ليس اخبارا بغير الواقع وانما هو اعلان التناقض مع ذلك الواقع .

ان الكاذب مهما حكمنا عليه وضده يستحق منا الرثاء ، وحيانا يستحق الإعجاب ، اكثر مما يستحق ذلك الصادق . ان الكاذب ليس الا انسانا يقول : انا لا اطيق هذا الواقع ، لا اطيق رؤيته ولا الصبر عليه بل ولا التصديق بوجوده بل ولا الحديث عنه كما هو ، كما اراه واعلمه .

ان الموم ان كان يوجد من يستحق اللام ليس هو الكاذب ، بل هو الكون ، بل هو الكون الذي جاء ويجيء مناقضا صادما للانسان ، خارجا بلا اي قدر من التهذيب او الشهامة على جميع نماذجه ومستوياته الفكرية والنفسية والاخلاقية والمذهبية والدينية . انه حينما يكذب ليس الا مدافعا عن نماذجه ومستوياته هذه . انه ليس الا غاضبا لها ، رافضا الخروج عليها ، او رافضا الخروج عليها دون بكاء او مقاومة ، او معلنا ان خروجه عليها ليس الا خروجا مكرها عليه محكوما به من الخارج .

ان الكذب ليس الا اسلوبا من اساليب البكاء والالين والتمزق والصراخ من هول المشاهدة والممارسة والافتضاح . انه نوع من اعلان التمرد والعصيان باسلوب ما .

ولكن الكون نفسه ليس ايضا يستحق الرثاء لانه قد جاء ويجيء دائما مناقضا ومصادما لنفسه وللانسان ولجميع الكائنات التي تعيش

فيه وتعامل معه ، ولأنه قد جاء ويحيى محكوما عليه كما جاء وكما يحيى دون ان يستشار او يختار - لأنه قد جاء ويحيى محكوما عليه بمجيئه وبمسيره وبجميع نماذجه ومستوياته واخلاقه ؟ ليست الحشرة التي تجوع فتأكل الحشرة الاخرى تستحق آراء الذي تستحقه الحشرة المأكولة ؟ اليس الحجر الساقط محكوما بسقوطه مثلما الحجر الاخر محكوم بالسقوط عليه ؟

ان جميع التعاليم والفنون والاداب والاخلاق في جميع مستوياتها وتحت جميع ظروفها واسبابها وتفسيرها ليست الا اساليب واللوانا مختلفة من اساليب واللوان الكذب ، لانها جميعا ليست سوى تعبيرات عن الانسان وعن همومه وآلامه واحتياجاته تحت ظروف غير ملائمة . انها ليست سوى الانسان واقعا تحت ظروف مناقضة له ، معبرا عن هذه الظروف بأسلوب ما .

ان هذا هو الكذب في كل معانيه وتفسيره واساليبه .
هل يمكن ان يكذب الانسان ، او هل محتوم ان يكذب لو كان وحده بلا آخرين ؟

ان المفروض ان الجواب لا بد ان يكون : كلا ، انه لن يكذب حينئذ . ولكني اظنه قد يكذب او لا بد ان يكذب بأسلوب ما ، على نفسه او تحت حافز ما او ضرورة ما . انه حينئذ قد يتوهم وجود كائن آخر لكسبي يكذب به او يكذب عليه او يتعامل معه بالكذب .

ان الكذب - كما قد فسر - ليس سببه فقط هو التناقض مسع الآخرين ، او الاستفطاع والرفض لما يعانون ويواجهون ويمارسون . ان السبب الاكبر والاقوى للكذب هو التناقض والتصادم مع الكون وبه ، والاستنكار والاستقبح لآخلاقه ومنطقه وتفسيره . ان سبب الكذب هو التناقض والاستقبح . وهل يمكن ان يكذب الانسان لو جاء متناقضا متصادما دون ان يكون مستقبحا مستنكرا رافضا ؟

وهل التناقض والتصادم بالآخرين الا تعبير عن التناقض والتصادم بالكون ؟ حتى التناقض او التصادم الفكري او الاخلاقي بالآخرين هل يكون لولا التناقض والتصادم بالكون ؟

ليست كل اخطاء الانسان وآلامه وتناقضه هي التعبير الحاد او

التعبير الانساني عن اخطاء الكون وعن آلامه وتقاؤه ، او عن عنف املاء الكون على الانسان ؟ هل يمكن ان يكون الكذب الا تعبيرا عن املاء ما ؟ وهل يوجد اي املاء خارج املاء الكون ؟ وهل يوجد اي كائن الا وهو بكل نماذجه واخلاقه احد صيغ الاملاء الكوني ؟

لقد احتاج الناس مجتمعين الى ان يكذبوا على انفسهم ، او لانفسهم ، او ضد انفسهم وكانهم كائن واحد يكذب لنفسه او على نفسه او ضد نفسه امام الآخرين او في تعامله مع الآخرين او لخداع الآخرين او لارضائهم .

لقد كانوا يفعلون ذلك لانهم كانوا يواجهون جميعا الكون متناقضين معه . انهم لم يكذبوا دائما كأفراد متناقضين او متنافسين او متحاربين ، بل لقد كذبوا ايضا كفرد واحد يناقض او ينافس او يقاتل كائنات اخرى او كائنا آخر .

ان البشر يقاتل ويخاف بعضهم بعضا ، ويقاثلون ويخافون ايضا مجتمعين . وبنفس الاسلوبين ايضا يكذبون .

انه لا يكذب بعضهم على بعض فقط ، بل ويكذبون مجتمعين على انفسهم في مواجهتهم للكون المواجه لهم بتحد وعدوان ووقاحة وعجز دائم وكامل عن التفاهم والتوافق بل حتى عن التهادن معه . ان البشر اذن يواجهون ويمارسون نوعين من الكذب : كذب بعضهم على بعض ، وكذبهم مجتمعين على انفسهم او لانفسهم في مواجهتهم للكون المتحدي المناقض لهم . انه اذن لو وجد انسان واحد بدون اي آخرين او احتمال آخرين لجاء هذا الانسان الواحد ، ولظل ايضا متناقضا مع الكون كل اساليب ومستويات وتعبيرات التناقض . ولكان محتوما حينئذ ان يحتاج الى الكذب على نفسه ، لكي يقاوم او يخفف او يغطي او يغالط او ينافق هذا التناقض بينه وبين الطبيعة التي تناقضه وتخاصمه وتخرج عليه وتسخر منه وتقاتله اقوى وافظع واكثر لؤما مما يفعل جميع الآخرين ، بل جميع الاعداء . لعله حينئذ يذهب يتصور آخرين حوله ليكذب عليهم ويكذبوا عليه ويكذب معهم ويكذب بهم .

نعم ، ان كذب هذا الانسان الواحد سيكون حينئذ بلا لغة او بلفة اخرى . ان الكذب ليس لغة ولكن اللغة هي احدى صيغ الاعلان عنه .

ان اللغة هي آخر واضعف اساليب الاعلان عن الكذب . بل ان الكذب باللغة قد يكون اسلوبا من اساليب مقاومة الكذب وابطاله . لان الكذب باللغة اسلوب من اساليب الفضح للكذب ، والتشويه له ، والدعاية ضده ، والاخبار عنه .

ان الكذب باللغة اسلوب من اساليب التحدث عن الخطئة الشريرة المدبرة . ان الكاذبين جدا لا يكذبون باللغة ، وان الكاذبين باللغة ليسوا كاذبين جدا .

ان من كذب باللغة فقد طعن كذبه بالخطئة او بالتدبير او بالنية او بالواقع .

ان الذي يكذب باللغة هو انسان يقاوم كذبه باساليب المقاومة وان لم يكن يدري او يريد .

ان الطبيعة بلا لغة هي اكذب الكاذبين ، بل هي كل الكاذبين ، وصناعة جميع الكاذبين ، ومعلمتهم جميعا ، بل وامرتهم وملزمتهم . ان الطبيعة تصنع في الناس ولهم الكذب بالاسلوب والالزام اللذين تصنع بهما لهم وفيهم المخاوف والهموم والمجاعات والرؤية والسمع والمرض والمسوت والشيخوخة . . ان اضعف واسدج واطيب الكاذبين هم الكاذبون باللغة . ان هؤلاء في التفسير للاشياء ، وفي منطق ونيات الاشياء ، ليسوا كاذبين ، ولكنهم مقاومون للكذب ، او رافضون له ، او محتجون عليه ، او واقعون في قبضته ، محكومون به .

ان هؤلاء مكذوب بهم انهم مجعولون كذبا وموقع بهم الكذب . انهم ترويع الكذب لا موقعوه .

ومع ان الطبيعة عاجزة عن ان تكذب كذبا دينيا او مذهبيا او اخلاقيا او قوميا او وطنيا او سياسيا كما يكذب الزعماء والانبياء والمعلمون والسياسيون وكل البشر فانها اي الطبيعة هي كل الكذب ، وكل من يعلمه ويحرض عليه ويأمر به ويجعله التزاما ، بل يجعله منطقا عالميا ، بل اخلاقا عالمية .

ان كل الفنون والاداب والتعاليم والاديان والنظريات هي دائما بحث بوسيلة ما عن حالة او عن مستوى ما من مستويات الجمال او الكمال

او التلاؤم المفقود المطلوب مع اشياء لا يمكن التلاؤم معها ، ولا يمكن ان تكون جميلة او كاملة . والكذب ايضا هو بحث عن ذلك ، هو بحث باسلوب ما عن تلاؤم او عن جمال او كمال لا وجود له . اليس الكذب في كل حالاته رفضا لما وجد ، وبحثا عما لم يوجد ، او ادعاء لذلك ، او تظاهرا به او تمنيا له ، او تحويله الى امنية ؟ اليس الكذب هو دائما محاولة فرار مما لا يراد او ينبغي او يطاق ؟ انه لهذا قد يكون اكذب الناس هو اكثرهم واقواهم بحثا عن هذه الحالة او عن هذا المستوى من حالات او من مستويات الجمال او الكمال او التلاؤم المفقود المطلوب ، واكثرهم واقواهم احتياجا الى ذلك واحساسا به وبفقدته . كما قد يكون اي اكذب الناس هو اقواهم واكثرهم استقباحا ورفضا للنقائص والتناقص والدمامات ، واحتجاجا عليها ، واشمئزازا منها واحساسا بقبحها ووقاحتها وبتحديدها له ولكل نماذجها ومستوياته وتطلماته .

اذن قد يكون اكذب الناس هو اتقى الناس وانبلهم نفسا ومنطقا ونية وشوقا ورفضا للدمامات .

ان الكاذب هو كائن يريد ثم لا يستطيع ، ويرى ما يرفض او ينكر ، ثم لا يستطيع ان يزيل او يقاوم او يغير ويبدل . وحينئذ ماذا يصنع ؟ انه لا يستطيع ان يتقبل او يغفر او ينسى او يعفى عن الرؤية ، كما لا يستطيع ان يقهر . انها ورطة . فكيف يواجهها ؟

الصدق وقاحة وعدوان وتشويه ويأس وجحيم وقيد وعبودية وتحديد . اما الكذب فادب وتهذيب ورحمة وشعر واحتلام وخيال واطلاق وانطلاق وحرية وجمال واختيار . . وان لم يكن الكذب كذلك فانه على كل حال فرار او محاولة فرار من الوقاحة والقسوة والتشويه والجحيم والقيد والعبودية والبذاء ولو بالكلام والتعبير .

اليس محتوما ، او اليس الافضل حينئذ ان يكون كاذبا لا صادقا ؟ اذن اليس الذي يحاول ان يكذب هو انسان يحاول ان يكون متحضرا وطيبا ، وان الذي يحاول ان يصدق هو انسان يحاول ان يكون همجيا شريرا ؟

ان الكاذب كالمخترع او المكتشف او العالم كلاهما يرفض ويتجاوز ولكن باسلوبين مختلفين .

ان الكاذب هو انسان يتحدث عما يريد ، ويتمنى ، ويحب وعما يشترط للاشياء وعلى الاشياء ولنفسه وعلى نفسه .. انه لا يتحدث عما يجد او يرى او يعلم او يكون . ان الكاذب يتحدث عما في نفسه اي عن واقع في نفسه او عن واقع نفسه . انه حينما يقول : هذا الشيء موجود ، وهو غير موجود ، او يقول : هذا الشيء جميل ، وهو دميم ، فانه يريد في الحالتين ان يقول : اتمنى ان يكون ذلك الشيء كذلك ، او اشتهي او اريد ان التحدث عنه . بانه كذلك .. انه حينما يتحدث عن نفسه لا عن الواقع الذي يراه او يلمه او يجده . انك حينما تكذب لانسان او عانى انسان لا يمكن ان تكون معزولا عما في نفسه . اذن فهل انت كاذب؟ حتى سامعك ، انه يعرف انك تتحدث عما في نفسك لا عن واقع خارجها . ان اي انسان لا يستطيع ان يتحدث عن غير واقع وعن غير حالة نفسية ان اي حديث لا بد ان يكون تعبيرا عن واقع ما بأسلوب ما ، او ان يكون تعبيرا ما من حالة ما نفسية بأسلوب ما . ان كل حديث لا بد ان يكون عن واقع ما اما داخل النفس وخارجها ، واما داخلها فقط . اذن كيف يمكن ان يكون اي حديث كذبا ؟

ان الكاذب اذن ليس كاذبا مهما كان ما يتحدث عنه غير واقع في الخارج ، لانه حتما لا بد ان يكون حينئذ واقعا في الداخل اي في داخل النفس . ان من قال للدامة او مشيرا الى الدامة : هذا جمال فهو حتما يعني ان في نفسه شيئا اي رفضا او احتجاجا او استبشاعا او خوفا او تمنيا او محاولة ما ..

ايها الكاذب .. كم انت خليق بالثناء والاحترام . كم يستحق موقفك ونياتك من التمجيد والعطف الصادق . انك أسلوب فداء وعزاء . انك صيغة مثيرة من صيغ الطموح . انك انسان يعشق نجما عاليا . انك تعشق نجما لا تستطيع الصعود اليه ، وحينئذ تحاول الصعود اليه بالمغازلة والتمني ، وبالتنظر وبالاعجاب ..

ان الكذب مغازلة للاشياء البعيدة او غير الموجودة بالاماني والتحديد وبالحب المتألف المصدوم .

انك ايها الكاذب كائن يضع شروطا للاشياء ولنفسه ، وعلى الاشياء وعلى نفسه . انك لا تقبل الاشياء او تقبل نفسك كما هي بل بشروط . وانت لا تجد هذه الشروط . وحينئذ لا بد تصبح الكائن الذي ندعوه

كاذبا لانك تحاول ان تفترض او ان تدعي او ان تجد شروطا لما لا شروط فيه او له .

ان من لا يشترط اية شروط لنفسه او للاشياء او للآخرين لا يمكن ان يكذب او ان يحتاج الى الكذب .

انك تحاول ان ترضى عن نفسك وعن الاشياء وعن الآخرين ، وان ترضى نفسك وترضى الاشياء وترضى الآخرين . فلا تجد هنا الذي تحاول او تريد . . لا تجد ما ترضاه او ما ترضى عنه او ما ترضى به من تريد ارضاءهم . وانك وهاب لا يجد ما يهبه ، ونبي لا يجد الاله الذي يرضى عنه ليقدمه الى السوق .

انك حينئذ تذهب تقول حيث لا تستطيع ان تفعل او ان تجد . انك حينئذ تذهب تتعذب لتجد هذا الرضا او هذا الارضاء بالتعذيب والمعاناة .

انك تتعذب عذابا نبيلًا . انك تتعذب عذابا لا يتعذبه سوى الانسان . انه عذاب الانسان الاسمي .

انك تذهب تقول ما يرضى او ما يراد او ما يجب او ما هو الافضل او الأتقى او الاذكى او الاعدل ، حيث لا تستطيع ان تفعل ذلك او ان تجده .

انك حينئذ تذهب تتحدث عن الشروط التي تتمناها لا عن الشروط التي تجدها او تحياها . انك الكائن الذي يريد للاشياء وللناس من الشروط الجيدة ما لم ترد لهم او لها الالهة او الطبيعة ، ويرفض لهم ولها من السوء ما لم ترفض لهم او لها الالهة او الطبيعة .

انك حينئذ انسان نصفه كامل بدل ان تكون انسانا كله رديء . انك حينئذ انسان لفته ونياته وتمنياته فاضلة ومهذبة وملائمة ، بينما حقيقته رديئة ، او بينما الحقيقة الموجودة رديئة ، بدل ان تكون انسانا لفته ونياته وتمنياته غير مهذبة وغير فاضلة ولا ملائمة ، بينما حقيقته رديئة ، او بينما الحقيقة الموجودة كذلك ايضا رديئة .

انك حينئذ كائن شروطه جيدة بينما واقعه وقدرته غير ذلك بدل ان يكون واقعه وشروطه غير ذلك .

انك حينئذ تتحول الى اعتذار ، او الى استغفار ، او الى تخفيف

من القبح الذي لا تستطيع ازالته ، او لا يستطيع احد ازالته . انك تحاول ان تكون ذلك . انك تحاول ان تكون كفارة عن ذنوب الالهة وعن ذنوب الطبيعة وعن ذنوب الانسان .

ان الشيء الرديء او الذميم او المنكر ليس هو الكذب او الكاذب ، بل هو الذي يجعل الكذب ضرورة او مزية او مجدا او انتصارا او تفوقا او نجاة - او يجعله زعامة او نبوة او دينا او اخلاقا وتقوى . ان الذنب ليس هو ان تنكر او تشتمز او تستقبح ، ولكن الذنب هو ان يوجد ما يصنع الانكار والاستقباح والاشمئزاز .

انك حينما تقول عن الدمامة او الظم انهما جمال وعدل فالسوء او فالذنب في ذلك هو وجود الدمامة والظلم ، ووجود الظروف التي اوجدتهما ، وايضا وجود الظروف التي جعلتك تقول ذلك ، او حكمت عليك بقوله ، او جعلتك تستفيد من قوله ، او تستريح او تأمن به اي بقوله . ولا يمكن ان يكون السوء او الذنب في قوله . انك حينما تقول انا خائف اوجبان او منافق او ضعيف وانت كذلك فان ذنبك ان كان لك ذنب لن يكون في قولك بل في كونك كذلك او فيمن جعلك كذلك او في الظروف والطبيعة التي جعلتك كذلك .

ان الزعيم او النبي او المعلم الذي يكذب تحت الظروف التي جعلته يفعل ذلك نرثي له ونقاومه ، كما نرثي للحيوان المفترس وللحشرة السامة البذيئة مع مقاومتنا لهما - اعني لو كنا نقاوم او نرفض الكذب او الكاذب .

ان الزعيم او النبي او المعلم الذي يكذب تحت ظروف الكذب ليس الا كالذي يبكي تحت ظروف البكاء .

ان الظروف او الحوافز او الاسباب التي تجعل مصدق الكذب يصدقه ليست انبل او اتقى او اذكى من الظروف او الاسباب او الحوافز التي تجعل قائل الكذب يقوله .

ايهما الكاذب ، او ايهما اكثر كذبا : الذي يكذب ام الذي يصدق .

ايهما اكثر خديعة للاخر وعدوانا عليه ؟ ايهما اكثر فجورا وجريرة ؟ ايهما الكاذب او المذنب : الوجه الذميم ام الذي يقول عن هذا الوجه : انه جميل ، رحمة او مجاملة او تحرجا او تمنيا ؟ وهل اذنب او

كذب واحد منهما ؟

أيهما الخاسر أو المتعذب أو المتشوه أكثر : النبي أو الزعيم الذي يكذب للمجتمع وعليه أم المجتمع الذي يستقبل ذلك ويرحب به ويهتف له ، بل ويحتاج إليه ويحباه به ؟

أيهما أكثر براً بالآخر وإحساناً إليه وإعطاء له ؟ أيهما أكثر دموعاً للآخر ؟ أيهما النبي أو الزعيم ؟ أيهما التابع ؟

أيهما الملقى للخطبة : الصاعد فوق المنبر يلهث ويعرق ويكذب ويهرج ويتشوه أم الجالسون تحته ، يوحون إليه بالمزيد من الكذب والتهريج واللهاث والتشوه والغواية والسقوط والافتضاح .. يهتفون ويصلون ويصرخون ويبكون ويطالبون ويحنون إعجاباً وحبا وإيمانا وشكراً وثناء ؟

أيهما أكثر أفساداً للآخر : تعاليم النبي أو الزعيم أو الخطيب وأكاذيبه أم إيمان الجماهير وهتافها وضعفها وبلادتها ؟ أليس المستمع إلى القصيدة المناقضة والجازي عليها مشاركا في صنعها أو هو صانعها ؟ أليس متقبل المديح هو الخالق لآخلاق المادح والفسد له ؟

هل الجماهير مأكرة أم بائدة ؟ هل هي مخدوعة أم خادعة ؟ هل آمنت واتبعت بلادة وانخدعا أم خبثا ونفعية ؟ هل يوجد هنا خبث أو خداع أو بلادة ؟

هل هي ضحية أم قاتلة ؟ هل هي صانعة الكذب أم واقعة فيه ؟

أيهما العاشق للآخر : السوط أم الظهر ؟ أيهما الداعي وأيها المستجيب : الجسم أم المرض ؟

هل الكذب غواية أم ضرورة ؟ هل هو عدوان وذنب ودماة وسقوط أم هو مقاومة أو مواجهة للعدوان والدمامات وللذنوب وللسقوط ؟

هل الكذب هجوم أم دفاع ؟ هل هو فجور أم تقوى ؟ هل هو تمجيد للاله أو للسلطان أم هجاء له ؟

وهل يوجد صدق وكذب ، أم يوجد واقع لثيم كره يشترك معه وضده المواجهون له والحكوم عليهم به بكل أساليب الاشتباك المختلفة المتناقضة ، وبكل الأسلحة التي قد يسمى بعضها صدقا وقد يسمى بعضها كذبا ؟

اليس الاختلاف بين ما يدعى صدقا وما يدعى كذبا لا يساوي اكثر من الاختلاف بين سلاح وسلاح ، او بين اسلوب قتال واسلوب آخر في معركة واحدة او في معارك مختلفة ومتعددة ؟

اليس الصادق والكاذب ، او من يحسب صادقا ومن يحسب كاذبا - اليسا يقاتلان في معركة واحدة ، بنية واحدة ، ضد عدو واحد ، لاهداف واحدة ، بسلاحين مختلفين ، او يبدوان مختلفين ، او يظنان كذلك ؟ اليس الصادق والكاذب كلاهما صادق او كلاهما كاذب او كلاهما صادق وكاذب او كلاهما لا صادق ولا كاذب او صادق وكاذب ؟



اجل . ان في الكذب كل معاني الدفاع عن الاله بقدر ما فيه مسن معاني الدفاع عن السلطان او عن الوجه الدميم ، او فيه اي في الكذب كل نيات هذا الدفاع ، او محاولاته ، او صيغه واساليبه ونتائجه وتفسيره ، وهل يوجد كائن يحتاج الى ان يدافع والى ان يعتذر عنه مثل الاله ؟ ولكن هل يمكن ان يجدي او يقبل اي دفاع او اعتذار عنه ؟

ان الكاذب قد يكون انسانا يحاول ان يغفر للاله ، او يستغفر له ، او ان يستر عليه ، او ان يرفق به . انه حينما يكذب قد يقصد ، او قد يعني ذلك دون ان يقصد التغطية على ما في منطق الاله وعلى ما في اخلاقه وفنونه وشهوته واعماله من ضعف واخطاء وعيب ودمايات وقسوة .

وهل الكاذب حينما يكذب لهذا الغرض يقصد ان يرحم الاله ويرفق به ام ان يرحم نفسه ويرفق بها بالقسوة على الاله ؟

وكم هي صعبة ، او كم هي مستحيلة الانتصار هذه المحاولة - محاولة التغطية على وجه الاله ، او على يديه ، او على ضميره ، او على اخلاقه ، او على بصماته . . كم هي صعبة او كم هي مستحيلة الاقتناع هذه المحاولة ؟

لعل التفسير الكامل لقضية الكذب : ان الانسان قد رأى الله ، رآه في الاشياء ، فوجده شيئا لا يطاق رؤية او تفسير او اخلاقا او منطقا او موهبة . وجده شيئا لا يطاق لجسامة وشمول ذنوبه وعاهاته ودماياته ، فذهب يكذب له . لقد ذهب يكذب للاله ليجعله شيئا يطاق . لقد ذهب يستغفر ويغفر للاله . ذهب يرفق به ويستر عليه ، بأن يدعى الجمال

والكمال والذكاء والرحمة والمنطق والضخامة والحب والصدق والتدبير والتفاؤل حيث لا شيء من ذلك . كما ذهب ينفي وجود النقيض حيث يوجد كل هذا النقيض . لقد ذهب يفعل ذلك لكي يستطيع ان يرى الاله جميلا لكي يستطيع ان يرى الالام والتشوهات والمظالم التي يوقعها به جميلة بل رحيمة بل ذكية بل عبقرية .

الست حينما تقول : الكون جميل او منطقي او رحيم او صديق ، تدافع عن الاله ، وتغفر وتستغفر له وتستتر عليه ، اذا كنت تؤمن به - او تدافع عن الطبيعة ، وتغفر وتستغفر لها وتستتر عليها ، اذا كنت تؤمن بها ؟ لقد كان الانسان في كل التاريخ قصة دفاع شامل عن الارباب والسلطين والآباء والاديان والمذاهب .. عن كل الدمامات والتشوهات والالام والنقائص ..

ان في الكذب اذن كل معاني المحابة للاله ، كما ان في الصدق كل معاني الهجوم والقسوة عليه . انها كالمحابة للابناء حينما يمدحون او يوصفون بنقيض ما فيهم . انها كالمحابة للسلطان . وهل كان الاله بهذه المحابة يحابي ام يحقر ويهان ويشوه ويظلم ؟ هل كان يحابي ام يحابى عليه ؟

هل يمكن ان يطاق الاله او ان يغفر له مع الصدق ؟

هل يمكن ان يطاق اي شيء او ان يغفر له لولا الكذب - لولا الكذب بكل انواعه ؟

وهل استطاع الكذب ان يصوغ اي جمال في وجوه الدمامات الشاملة ؟

كل هذا السلاح لقتل الشيطان

« .. ان المواهب الانسانية لا ترحم دموع الالهة . انها لا تتخلى عن تفجراتها وتحليقاتها اشفاقا على ضعف الالهة او رثاء لاحزانها او استجابة لمسرانها . ان دموع الالهة لا تجد من يرثى لها . انها اضيع دموع في هذا الكون . ان هزائم ومصارع الالهة هي اعظم ما يهب العقول المتفجرة المتحدية المقاتلة النشوة والسرور والرغبة في المزيد من التفجر والتحدي والقتال . ان المواهب لا تحترم او تهاب شيئا غير قدرتها على ان تكون او لا تكون . انها فقط تستطيع او لا تستطيع . ان هذا هو كل تاريخها وكل اخلاقها .. »

« .. ان المواهب الميتة هي ميتة وليست مقتولة . ان الالهة لم تقتلها ولا تستطيع قتلها ، وان اي شيء لا يستطيع قتلها . ان المواهب الميتة هي مواهب لم توجد . انها لم تمت ولم تقتل بل لم توجد . ان المواهب اما موجودة واما غير موجودة . انها ليست مقتولة او غير مقتولة ، وليست ماذونا لها او ممنوعة . ان الالهة هي اضعف اعداء الانسان . انها لم تستطيع ان تصيبه في كل تاريخها وتاريخه باي ضرر او ألم . انها عاجزة عن ذلك . انها اعجز اعدائه . انها في كل تاريخه وتاريخها لم تستطيع ان تفعل له او به افضل او اردا من ان تتحول الى تفاسير وتسويغات وشعارات لما يريد ويستطيع ويكون او لما لا يريد ولا يستطيع ولا يكون . انها لم تعطه ولم تأخذ منه غير ان فسر نفسه بها . ان كل احاديثه عن الالهة ورؤاه وتفسيره لها ليست الا تفاسير لنفسه ، لما تريد او لما ترفض . »

« .. ان كل مبقرية الالهة ، كل ذنوبها وحسناتها ان تصبح متهمة .. ان تتحول الى تفاسير وتسويغات وشعارات دون ان تريد او تدري ، ودون ان تقبل او ترفض ، ان تحزن او تسر ، ودون ان تقاقل لتهزم

الظلم والعدوان عليها والكذب باسمها والاثام لها .. »
« .. ان الآلهة والاديان هي انبل اعداء الانسان لانها اضعف
اعدائه .. »



انه مستحيل ان نستعيد الماضي بكل رذائله ومزاياه ، او بكل قوته
وضعفه ، او بكل آلهته وطفاته وابالسته ومعليمه ، او بكل غفلته
واستقامته غير التقيه او الذكيا . بل انه لمستحيل ان نستعيد اي شيء
من الماضي بكل صفاته ، او بكل حماسه ومعانيه ، او بكل قوته او بكل
ضعفه ، او بكل ذكائه ، او بكل غيائه ، او بكل سحره وغواياته .

انه لمستحيل ان نستطيع ذلك مهما حاولنا وارادنا ورغبنا واشتقنا
وبصدقنا واخلصنا .. ان ذلك ليستحيل مثلما يستحيل ان يستعيد الاله
تفاؤله او وقاره او براءته او اخلاقه او قواه او اشواقه او مجده او
انتصاراته القديمة ، او ان يستعيد شيئا من سلطانه الذي قد كان او
الذي كان الحديث عنه ، دون ان يكون الحديث عنه جادا او صدقا .

— او مثلما يستحيل ان يستعيد الاله تصديقه القديم لمن يتحدثون
عنه واليه وباسمه ، او يستعيد اعجابه وسروره بمن يصابون له ويقرؤون
عليه وبين يديه كلماته وآياته ، او بمن يتعلمون ويحفظون او امره ونواحيه
وتحليله وتحريمه وتمنياته وشهواته وانشيده لاحزانه .

— او مثلما يستحيل ان تستعيد الطبيعة بداوتها وبراءتها القديمتين .
او ان تتساوى حياتان اختلفت ظروفهما ، او ان يتساوى انسانان اختلفت
ذاتاهما ، او ان تتساوى ذاتان مهما تساوت ظروفهما الخارجية ، او ان
تتساوى ظروفهما مهما توحد زمانهما او تساوى ، او ان تتساوى عينان
في تحديقهما الى الشمس او في رؤيتهما لما في ذاتها واخلاقها وذكائها من
غباء ومن ذنوب وعاهات .

— او مثلما يستحيل ان تكون مشاعرنا واستعداداتنا واستجاباتنا
واهواؤنا وافكارنا وظروفنا الذاتية وال خارجية ثابتة ومتساوية مع حركة

وتغير وتناقض وتبدل الكون والحياة والمجتمع الذي نحن اجزاء واشياء منه ومن صنعه - بل مع حركة وتغير وتناقض وتبدل ذواتنا وحياتنا ووجودنا . وهل يمكن ان يتبدل ويتناقض الكائن دون ان تتبدل كينوناته؟

- او مثلما يستحيل ان تتساوى آلهة الناس المختلفين ، او ان تتساوى اديانهم او مذاهبهم او افكارهم ، او ان تتساوى تفاسيرهم ورؤاهم لآلهتهم ولمذاهبهم ولاديانهم ولرؤياتهم ، اي حينما نفترضهم هم مختلفين . او ان تتساوى احساسيس هؤلاء الناس المختلفين ، او ان تتساوى لمانيهم او مخاوفهم او احقادهم او همومهم او ذنوبهم واخطاؤهم . هل يمكن ان تتساوى رؤى الاقوياء والضعفاء ؟

- او مثلما يستحيل ان يكون لالهك صورة واحدة او ارادة واحدة او اخلاق واحدة او شهوة واحدة او تفسير واحد في كل حياتك وحالاتك ومستوياتك وامانيك المختلفة المتناقضة المتفاوتة . هل يمكن ان ترى الله او اي شيء في حجم واحد وهلى بعد واحد في كل حياتك وتحدياتك ؟

ان صور الهك واحجامه واخلاقه لتتبدل وتتغير وتتناقض بتغير ما يحدث من ذلك في ذاتك ولذاتك وحولك .

- او مثلما يستحيل ان يتكلم الاله الى كل شعوبه ورعاياه ، بل الى ذاته واخلامه ، في كل حياته وظروفه وتحت كل انفعالاته وكل انتصاراته وهزائمه - ان يتكلم بثقة واحدة او باخلاق واحدة او بمستوى واحد ، او بنموذج واحد من الجهر او الغضب او الحب او البغض او الرفق او العنف . هل يمكن ان يرى الله دائما ذاته في صورة واحدة او ان يمارس دائما نفسه باسلوب واحد ؟

ان الله ليرى نفسه ويحبها ويريدها باشتات الصور والاحجام والاساليب والمستويات كما تفعل نحن .

- او مثاما يستحيل ان نتعصب لاهواء الاخرين ولمصالحهم ولاربابهم ومذاهبهم وعقائهم وبلاهااتهم مثلما نتعصب لاهوائنا ولمصالحنا ولاربابنا ولمذاهبنا ولتفاهاتنا ولبللاهاتنا .

- او مثلما يستحيل ان نرى كل قبحتنا ووقاحتنا حينما نتعصب

لأوثاننا ضد أوثان جيراننا ليفعل جيراننا مثل فعلنا .

— أو مثلما يستحيل أن نعيش أربابنا ومذاهبنا وأدياننا وتعاليمنا ومزاعمنا لأنفسنا وعن أنفسنا بكل قدرتنا وإخلاصنا وأهواننا .

— أو مثلما يستحيل أن تكون ملتزما بالهك أو بمذهبك أو بدينك أو بتعاليمك أو بشرفك وكرامتك ثم تستطيع أن تكون إنسانيا . حتى الشرف والكرامة . أن الالتزام بهما يجعلنا غير إنسانيين

— أو مثلما يستحيل أن يكون الهك أو دينك أو مذهبك أو ضميرك أو تفكيرك أخلاقيا .

— أو مثلما يستحيل أن يكون لوجود الأشياء كما وجدت وبالنموذج الذي به وجدت ، أو لموتها بالأسلوب الذي به تموت ، أو بأي أسلوب آخر ، منطق أو تفسير أو حافظ أو هدف أخلاقي ، أو أي هدف آخر — مثلما يستحيل أن يتقبل أي منطق وجود آلهة لكي يذهب يقاسي في خلق الكون وفي إرادته وتدبيره وفي خلق الإنسان لكي يذهب يقاسي ويقاسي في انتظار عبادته له وإيمانه به .

— أو مثلما يستحيل أن يكون مدبر هذا الكون وخالقه ومسيره ومالكة سعيدا أو مسرورا أو محظوظا أو معجبا بعبقريته أو بأخلاقه ، أو راضيا عن مستوياته أو عن وجوده أو عما فعل — بل مثلما يستحيل ألا يكون خالق هذا الكون ومدبره ومالكة هو أرباب الكائنات حضا وسرورا وعبقرية وراضا عن نفسه .

— أو مثلما يستحيل أن تكون زعيما أو نبيا أو قائدا أو معلما ثم تكون نظيفا أو عفيفا أو مهذبا أو محبا أو كبيرا في نياتك ، أو في شهواتك، أو في اتجاهاتك ، أو في لسانك — بل ثم لا تكون أقل الناس نظافة وعفة وشرفا وتهذيبا وجبا وشهامة وطهارة في النيات وفي الكلمات وفي الاتجاهات .

— أو مثلما يستحيل أن تحب نبيك أو زعيمك أو مذهبك أو وطنك، أو أن تتعصب له ، أو أن تفضب له بقدر ما تفعل كل ذلك من أجل أطفالك الأشقياء الأغبياء المشوهين المتوقحين — أو أن تغفر لعدوك أو لخصمك

ذنوبه وأخطائه وبلاداته مثلما تغفر لنفسك أو مثلما تريد أن يغفرها هو لك .

— أو مثلما يستحيل أن يكون الهك أو نبيك أو زعيمك أو كاهن مذهبك مثلما تتحدث وتحدث عنه ، أو مثلما تتصوره أو تتمناه أو تفسره أو تريد وتنتظر منه .

— أو مثلما يستحيل أن تكون صادقا أو شريفا أو نظيفا أو أبيا أو شجاعا أو حرا حينما يكون النقيض هو النافع المنقذ المريح الملائم لك، وهو المطلوب المنتظر منك ، وهو كذلك الاعلان عن مجدك وصعودك ، وهو ايضا الواهب لك السرور والرضا عن النفس والانتصار على الأنداد والاعداء

— أو مثلما يستحيل أن تكون في كل حياتك أو في كل مواقفك نموذجاً واحداً ، بل أو حتى نماذج عديدة متقاربة ، من الشجاعة أو النظافة أو الشهامة أو الصدق أو الكرم أو القوة أو الرفض .. مثلما يستحيل أن تكون كما ينتظر منك أو كما يراد منك أو كما يجب عليك أو كما ترى نفسك في المرأة أو أن يكون وجهك كما تراه في المرأة ، أو مثلما يستحيل أن يكون الهك أو زعيمك أو نبيك أو دينك أو مذهبك كما تراه أو تعتقد فيه أو تريد منه أو تطلب منه أو تتحدث عنه ...

انه لمستحيل أن يستعيد أي شيء نفسه بكل حدوده وتفاسيره ، أو أن يظل نفسه أبداً . أن ذلك ليستحيل بقدر ما يستحيل أن يستعيد الكون إحدى صيغه التي كانت ، أو أن يظل أبداً صيغة واحدة ، أو أن نظل نحن أنفسنا أبداً .

أن أي نبي أو معلم أو زعيم من أولئك الأنبياء أو المعلمين أو الزعماء الذين كانوا في التاريخ ومن الذين لا تزال قلوبنا ومحاريبنا وأفواهنا تعبدهم — لو عاد إلى الحياة اليوم لكان مستحيلاً أن يستعيد نفسه ، بل لكان محتوماً أن يرفض نفسه ، بل لكان محتوماً أن يخاف من نفسه وأن يهرب ويخجل منها ، بل لكان محتوماً أن يجد العار في أن يكون هو ذلك الذي قد كان . بل لكان محتوماً أن يفعل كل شيء يستطيع فعله لينفي نفسه ، وليثبت أنه لم يكن هو ذلك النبي أو المعلم أو الزعيم الذي قد كان ، والذي لا تزال تعبده القلوب والمحاريب والكلمات ، وتتمنى عودته .

أن أي نبي أو معلم لو عاد اليوم لكان مستحيلاً أن يكون صيغة كاملة لوجوده القديم . أنه لن يريد ذلك ولن يستطيعه .

انه مهما بدت قلوبنا أو منابرنا أو أفكارنا أو إدياننا أو تعاليمنا أو أغانينا وأشعارنا أو أمانينا أو كتبنا المقدسة — اننا مهما عبدنا ماضياً ما بكل ذلك فاننا لن نستطيع ان نجعل ذلك الماضي يحيا أو يعود أو ممكناً ان يحيا أو ان يعود . بل اننا مهما فعلنا ذلك فاننا لن نستطيع ان نتقبله أو ان نغفر له لو عاد ، أو ان نتهاون في مقاومته ومطاردته ، أي لو عاد .

نعم ، اننا نتقبل الماضي ونصلي له ونتمناه ونمجده ونقاتل من أجله ومن أجل عودته . ولكننا نفعل ذلك بشرط واحد لا يمكن ان نتراجع عنه أي عن هذا الشرط الواحد . هذا الشرط الواحد هو ألا يعود ذلك الماضي الذي نقاتل ونعادي من أجله ومن أجل استعادته .

اننا لن نكون أقل رفضاً لذلك الماضي الذي تصلي . وتهتف كل أجهزتنا له ، أو أقل تناقضا معه أو أكثر عفوا عنه ، من أشد خصومه ، أي لسو عاد الينا . اننا لن نكون حينئذ أقل عجزاً عن التوافق معه بسلوكنا أو بشهواتنا أو حتى بأفكارنا . كما اننا لن نكون أقدر على طاعته أو على التسامح في مقاومته ، أي من أشد أعدائه . أجل ، ان شرطنا الدائم على الماضي الذي نطالب بعودته وننتظر عودته ونبكي شوقاً إلى عودته — ان شرطنا الدائم ان تكون مستحيلة عودته .

انه لو عاد الينا واحد من أولئك الانبياء لو عاد الينا من نراه اعظم واكبر أولئك الانبياء الذين لو جنت الشمس وبالفت في توقعها وزندقتها وجنونها فزعمت انها اسطع ضوءاً أو اكبر حجماً أو انظف جسداً أو قلباً أو أخلاقاً من أقلهم وأضالهم ضوءاً وحجماً وقلباً وأخلاقاً وجسداً ، لكان محتوماً ان نفتي بقتلها أي بقتل الشمس مصلوبة لفحشها في كفرها .

— نعم ، انه لو عاد الينا من نعتقه اعظم واكبر وآخر أولئك الانبياء ، ليفرض تعاليمه وأخلاقه ومنطقه وعصره وظروفه وكل فضائله وتقواه على حياتنا وأخلاقنا ونياتنا وشهواتنا وعلى عصرنا بالالزام الكامل بلا إفلات أو تسامح ، بجيش تقوده الملائكة أو وحداته كلها من الملائكة ، لكانت أرفق وأرق آرائنا فيه ، أي في ذلك النبي ان نصيح :

مجنون ، مجنون .. انه اكبر واسخف مجنون ..

او ان نصيح :

انه زنديق ، زنديق .. انه أقطع زنديق قد جاء الينا ، قد هجم علينا ،
ليحملنا على ان نكون زنادقة ، على ان تكفر بنبينا العظيم ، بنبينا الذي
هو نفسه ، اي على ان تكفر به .

اني احذرك يا نبينا العظيم الطيب من الحضور الينا . من الانخداع
بشوقنا اليك وبانتظارنا لمجيئك .

انه لمحتوم حينئذ ان نصيح ونصيح او استجبت لشوقنا وحضرت :
احذروا ، احذروا . لقد جاء اليكم هذا الزنديق ليدعوكم الى الزندقة ،
الى الكفر به .

انه لمحتوم حينئذ ان نصيح من جميع المنابر وبكل الافواه :

ان نبينا هذا هو عدو نبينا هذا . انه كافر بنفسه ومشوه لتعاليمه ،
وانه ليريد منكم ان تكفروا به وان تشوهوا تعاليمه .. لقد جاء ليكون
ضد نفسه .

لقد جاء نبينا ليعلمنا الكفر بنبينا ، اي ليعمنا الكفر به .
اذن اقتلوه ، اقتلوه ..

ان جميع الناس قتلة انبياء ومعلمين . ان الانبياء والمعلمين لم يقتلهم
قوم دون قوم او عصر دون عصر او تاريخ دون تاريخ ، او تفكير دون تفكير
او طفيان دون طفيان . ان كل الطقيان وكل الناس وكل التاريخ وكل العصور
والافكار قد قتلت كل الانبياء والمعلمين في كل العصور والمجتمعات . ان كل
الناس لقاتلون لكل الانبياء ولكل المعلمين . انه ليس في الناس انسان واحد
لم يقتل جميع الانبياء وجميع المعلمين .

ان جميع الناس قاتلون لانبيائهم ومعلميهم ، حتى المجانين جدا في
ايمانهم وتقواهم واخلاصهم لمذاهبهم . انهم جميعا قاتلون لتعاليم انبيائهم
ومعلميهم ، وقاتلون لشرائعهم وكتبهم ولمذاهبهم . انهم قاتلون لها في حياتهم
واهوائهم ونياتهم . انهم قاتلون لوجود انبيائهم من وجودهم .

انه لا يوجد من الانبياء او من المعلمين عند المؤمنين بهم او المتبعين لهم سوى مقابرهم وكنائسهم وذكرياتهم وسوى الاحاديث عنهم وباسمهم . ان جميع الانبياء والمعلمين مقتولون ومنفيون من جميع المجتمعات ، في جميع العصور . بل ان جميع الانبياء والمعلمين قاتلون وناقون لجميع الانبياء والمعلمين . انهم قاتلون لانفسهم ووجودهم وناقون لانفسهم ووجودهم . انهم لا يعيشون انفسهم ولا يوجدون فيها .

ان الانبياء لم يوجدوا في اي مجتمع . لقد كانت المجتمعات تؤمن بهم وتحفل بقدمهم وتصنع الاستقبالات الضخمة لمجيئهم على شرط الا يجيئوا اليها ، بل على شرط الا يوجدوا . كما انهم اي الانبياء لم يوجدوا في وجودهم . لقد كان جميع الانبياء ضد وجودهم اي ضد وجودهم انبياء . ان نبيا واحدا لم يعيش نفسه او نبوته .

لقد كان يوجد دائما وفي كل العصور من ينادون باستعادة الماضي ، بل من يهتفون لعودته وينتظرونها ويؤمنون باحتمال هذه العودة ، بل بكونها حتما احيانا .

والماضي المهتوف له والمنتظرة عودته قد يكون دينا ، وقد يكون اخلاقا ، وقد يكون نيات وطهارة نفسية مقروءة ومكتوبة ومتمناة . وقد يكون حبا انسانيا قد ضخمه التصور الجائع . كما قد يكون ذلك الماضي مذهبا من المذاهب ، او زعيما او نبيا او معلما .

ولكن لقد ظل كل الماضي ثابتا في مكانه ، لم يحاول ان يتقدم او ان يدنو ولو خطوة واحدة الى المناجين له ، آلهاتفين به ، الضارعين اليه ليجيء ، والمفنين له كل أناشيد الشوق والحنين والبكاء ، والملحن عليه بكل الاساليب واللغات والضراعات ليسرع ويسرع في مجيئه .

وانه ليس في نيته ولن يكون في نيته ان يتحرك من مكانه ، ولا ان يخطو ولو خطوة واحدة ليكون ادنى الى من يوشكون ان يقتلهم الشوق والحنين اليه والانتظار له .

ولعله رفض المجيء خوفا ممن يضرعون اليه ليجيء . لعله قد عرف كيف سيستقبلونه ويعاملونه لو جاء ، لعل معرفته هذه زجرته من المجيء .

وهل يوجد اقصى من الماضي على الضارعين اليه والمؤمنين به والمطالبين له بالعودة ؟ هل يوجد اظلم منه لهم ؟ هل يوجد اكثر منه جفاء في معاملتهم وفي هجره حتى للاستماع الى ضراعاتهم وصلواتهم ؟

هل يوجد اقصى او اظلم من الانبياء والمعلمين الذين تهتف لهم كل هذه المنابر والحناجر والقلوب واللهفات ضارعة اليهم ان يجيئوا فلا يجيئون بل ولا يفكرون في المجيء ، بل ولا يحولون مجيئهم او طلب مجيئهم الى قضية من قضاياهم تستحق اهتمامهم او تفكيرهم او تحرك احزانهم او تتخاطب مع دموعهم ؟ وهل كانت هذه قسوة ام خوفا ام ذكاء وتهديبا ورفقا بالمناديس الهاتفين وتفاهما معهم على الا يكون المجيء مهما كانت المطالبة به والاشواق اليه ؟ انهم مهما دعوا هذا الماضي طالبين اليه المجيء فانه لن يجيء بل ولن يدنو منهم ولا خطوة واحدة . اذن فهل يزداد عنهم ابتعادا ؟ بل ولا هذه . انه لا يزداد عنهم ابتعادا لانه لا يستطيع ان يكون اقرب ولا ابعد . ان بعده لا يقبل التغير ، لا يقبل ان يكون اقربا واكثر بعدا ، لانه في موقف المحال ، والمحال لا يقبل ان يكون اقوى او اضعف . انه لا يقبل ان يكون اكثر او اقل استحالة . ان المحال ليس درجات . انه درجة واحدة وبعد واحد . ان التعدد والتفاوت لا يوجدان في المحال ، لا يوجدان فيما ليس موجودا . انه لتعبير خاطيء ان تقول : هذا اكثر استحالة من هذا او من ذاك . ان هذا القول يساوي ان تقول : هذا فان او ميت او مفقود اكثر من ذاك .

انه ليس في الفناء او الموت او في فقدان اي فقدان الوجود تفاوت ، ليس فيه اكثر او اقل ، ولا اضعف او اقوى . ان هذه التعبيرات اذن تعبيرات خاطئة الا اذا كانت الكلمات والالفاظ مرادا بها غير معناها الدقيق . نعم ، ليست الكلمات دائما او غالبا يراد بها غير معانيها الدقيقة ؟

ان الماضي لا يعود ولا يستعاد ، وانه لا يقرب ولا يبعد من المؤمنين به او من المنادين له او من المحاولين الزحف اليه . انه ثابت في مكان واحد لا يتحرك منه او فيه .

بل ان الماضي ليس في مكان ، لهذا فهو ليس قريبا ولا بعيدا

ان الخطر او الضرر اذن ليس في اعادة الماضي ، فلا شيء يستطيع

ان يجعله يعود ، ولكن الخطر او الضرر في الشوق والحنين اليه وفي الانفاق عليه ، وفي ضخامة الاكاذيب والغوايات والمزاعم التي لا بد ان تملأ وان تغطي كل السوق باسمه اي باسم الماضي وباسم الجهاد لاستعادته .
ما اعظم اذن الاحتمالات الشريرة تحت مزاعم النضال لاهياء الماضي .
ما اعظم الاحتمالات الشريرة تحت مزاعم النضال لاعادة احد الانبياء او احد المعلمين او احدى العقائد .

كم سرق الناس وضللوا وخدعوا وشغلوا وسرق ذكاؤهم وكرامتهم وحریاتهم وسرقت أشواقهم ولهفاتهم وتطلعاتهم تحت زعم من هذه المزاعم .

كم شغل الناس وصرفهم وأخذ منهم وخبلى ذكاءهم وأشواقهم وتطلعاتهم أنبيأؤهم ومعلموهم ، وعاظهم وقادتهم الذين يزعمون لهم أنهم يجاهدون لكي يستتبوا الشيطان ويعلموه الصلاة والتدين والإيمان ، ويعلموه العودة الى ماضيه ، الى الله ، والى سالف تقواه . ما أكثر الانبياء والمعلمين والوعاظ الذين يجيئون الى الناس لكي يحولوا كل دنياهم الى منابر ، لكي يعلموا من فوقها الشيطان كيف يتوب ويستعيد تقواه القديمة .

كم كان الحديث عن الماضي والشوق اليه سارقا وخادعا وآخذا وشاغلا ومسوغا للطفيان والاكاذيب والاستفقال ، وصانعا للطغاة والمخادعين والمنافقين واللصوص وللقاتلين على ذكاء الانسان وعلى مجده وعلى كرامته وعلى تاريخه .

كم كان الحديث عن إعادة الماضي عدوانا على الانسان . ما أكثر أعداء الانسان الذين يحاربونه اشرس وادوم وأشمل الحروب بأسلوب الاعادة لماضيه ، بأسلوب الاحياء لالهته التي قد ماتت .

ان الاصدقاء جدا للماضي بأشواقهم وتمنياتهم وتطلعاتهم وتعاليمهم قد يكونون من أردأ الناس حظا ومن أسوأهم حالا وأكثرهم تمزقا وضياعا - أعني ان كانوا صادقين في إيمانهم بالماضي وفي أشواقهم وحنينهم اليه . ذلك لانهم لا يستطيعون ان يبلقوا أشواقهم او ان يقرّبوا منها ، ثم لا يستطيعون ان يتخلوا عنها ، او ان توت او حتى تضعف لهفاتهم اليها اي الى أشواقهم . وانهم كذلك لا يستطيعون ان يتلاقوا هم وأشواقهم وأفكارهم وحياتهم

و ضرورتهم في مكان . انهم اناس مقسمون ممزقون مفرقون . ان اشواقهم وتحدياتهم في مكان وزمان ، وان حياتهم ووجودهم وافكارهم وضرورتهم في زمان آخر ومكان آخر . وانه لا يمكن الالتقاء بين الزمان والزمان ، ولا بين المكان والمكان . انه مؤمن صادق الايمان . انه يتطلع الى الافق البعيد والغارب بلهفة وحنان . انه ينتظر عودة مسيحه الديني او المذهبي او الاخلاقي او الانساني . اذن ما اشد عذابه وتمزقه وضياعه .

ان بين حياة هؤلاء المفتونين بالماضي وبين اشواقهم وتطلعاتهم لمسافة تموت فيها كل الاشواط واللهفات والآهات ، وان بين حياتهم وضرورتهم وبين اشواقهم وتطلعاتهم لتناقضا لا ينتهي الى نصر ولا الى هزيمة ولا الى اتفاق او صلح .

وفي هذا التناقض وفي هذه المسافة يستطيع ان يتخلق ويتجمع ويتحرك ويعمل ويتألق ويصعد ابشع واخبث اللصوص والتافهين والادعياء والاغبياء ، يسرقون ويكذبون ويزعمون ويفسدون ويصيحون ويضللون ويستمررون . ما أقدر اللصوص والاغبياء والاعداء على التجمع في المسافة الممتدة بين اشواقنا وواقعنا ليقتلوا ويسرقوا ويكذبوا ويدعوا ويسودوا .

ما ابشع ما حدث وما يحدث وما سوف يستمر يحدث تحت شعارات الاستعادة للماضي . ما ابشع العدوان مسوغا باستعادة هذا المحال . ما اضخم الانفاق على هذا المستحيل .

ان كل هذا يعني انه ليس ابعاد الماضي عن صيفنا الرسمية او الحكومية او القانونية هو الذي يعصمنا من الخداع والعدوان والسرقة والطفيان باسمه . ولكن الذي يعصمنا من ذلك هو تحررنا الداخلي او الذاتي منه - أي تحرر افكارنا واشواقنا وامانينا وتطلعاتنا وانتظارنا منه .

انه اذا تحررت نفوسنا من عبودية الماضي ومن غبائه وسلطانته والتطلع اليه والانتظار له - أي اذا تحررت نفوس آحادنا - فانه لن يضربنا او يأخذ منا شيئا ان تكون لنا حكومة او أجهزة تقدس ذلك الماضي وتنشد فيه أكثر الاناشيد تهيجا وسخفا ، وتقيم له أحفل الاعياد ، وتصوغ كل شعاراتها باسمه في ضجيج مصاب بكل أساليب ولغات ومعاني الغواية .

ولكن اليس في ذلك اخذ منا ايضا على نحو ما او بأسلوب ، بل
بأساليب عديدة ؟

اما اذا لم تتحرر افكارنا واشواقنا وامانينا وانتظارنا من قبضة
ورهة وسحر ذلك الماضي فانه لن ينفعنا اي نفع ، او لن ينفعنا كثيرا ، او
نفعا كاملا ، ان تكون لنا حكومة او أجهزة محايدة بين الله والشیطان ،
او منحازة الى الشيطان ، او ملحدة ، او علمانية ، او اي شيء - ما لم
تفعل اي تلك الحكومة او الاجهزة شيئا لتحرير نفوسنا واشواقنا وتطالعائنا .

ان البشر لا يعيشون حكوماتهم ولا احتفالاتها ولا اعيادها ولا شعاراتها
ولا اجهزتها ، ولكنهم يعيشون اشواقهم ونياتهم وقدراتهم وجوعهم . انهم
لا يعيشون حكوماتهم او دعاية حكوماتهم او اجهزة حكوماتهم او اعياد
حكوماتهم الا بأشواقهم ونياتهم ومشاعرهم وقدراتهم . ان البشر لا يعيشون ولا
يطيعون الا ذواتهم مهما أطاعوا وعاشوا حكوماتهم . انهم لا يحترمون حكوماتهم
او يخافونها الا من خلال احترامهم لذواتهم وخوفهم منها . ان البشر
يخافون حكوماتهم ويطيعون اوامرهم بذواتهم وبأخلاق ذواتهم وبأوامر
ذواتهم لا بذوات حكوماتهم ولا بأوامرهم .

ان البشر لا يفهمون أية لغة ولا اي منطق غير لغة ذواتهم وغير منطقها
مهما تكلموا كل اللغات ، ومهما وضعوا كل الافكار وتحدثوا عن كل الافكار
وقاتلوا باسم كل الافكار .

اذن ما اكبر خطأ أولئك الذين يقولون نريد مجتمعات متدينة وحكاما
متدينين ، ولا نريد حكومات دينية . ان هذا يشبه ان يقولوا :

نريد مجتمعات متقدمة وذكية وحكاما اذكياء تقدميين ، ولا نريد
حكومة تقدمية او ذكية - او نريد مجتمعات متعصبة جاهلة وحكاما
متعصبين جاهلين ، دون ان نريد حكومة متعصبة جاهلة . والحكم هنا
يختلف لاختلاف النظر الى الدين .

وهذا القول يشبه ايضا ان يقال نريد مجتمعات مذهبية وحكاما
مذهبيين ، ولا نريد حكما مذهبيا .

ان هذا القول يعني اقتناعا لم ينطق بأن التزام الدين بالاخلاق او بالتفكير او بالسلوك او بالتعامل او بالاعتقاد او بالمشاعر شيء لا يستطيع أن يعيشه الانسان او المجتمع ، ولا ان تتحمله او تتقدم به الحياة - بل شيء لا ينبغي ان يحدث ، ان حدوثه لو كان ممكنا حدوثه شيء فاضح واليم كرية . وهذا الشيء الفاضح الاليم الكرية لن تكون بشاعته واضراره في سلوك الافراد وفي حياتهم مثل بشاعته واضراره في سلوك وحياة الدولة او في سلوك وحياة الحكم . انه في سلوك وحياة الدولة والحكم أضخم واوسع في مستويات دمايته ووحشيته وتشويهه للاشياء وللانسان .

ولانهم هكذا يفهمون القضية قالوا بالمجتمع المتدين او بالأحاد المتدينين لا بالدولة الدينية . لقد نصحوا بالتزام اقل الاسلوبين أو اقل المستويين قبحا وسخافة وتخلفا وضرا .

حتى المجتمعات التي لا يوجد فيها من ينادون بذلك أي بالمجتمع المتدين لا بالدولة الدينية هي تفعل وتحيا ما يعني هذه الفكرة التي لا تقولها ولا تنادي بها .

ذلك ان هذه المجتمعات تحشد وتطلق كل أجهزتها دعوة الى العقائد القديمة لتحويلها الى سلوك وحياة واقتناع لكل الناس بينما تتصرف وتفكر وتتعامل كدولة بأساليب أخرى بعيدة جدا عن الاستمسك بما تدعو اليه ، بل بعيدة عن الاحترام له او المبالاة به .

ان رفض الدولة الدينية يعني في معناه وتفسيره رفض المجتمع المتدين ورفض الحكام المتدينين . كما أن تأييد المجتمع المتدين او الحكام المتدينين يعني في منطقهم تأييد الدولة المتدنية .

ان القضية حتما سوف تصوغ نفسها هكذا :

ان كانت المعتقدات القديمة او الدينية خيرا او نافعة او مصلحة للناس او صانعة للحب والسلام والنخوة والشهامة بينهم فلماذا لا يريدونها للدولة او للحكم ؟ اما ان كانت غير ذلك او نقيضه فلماذا يريدونها للمجتمعات او للاحاد ؟ قد يكون المعنى المضمّر : ان التدين او المعتقدات الدينية شيء رديء ومفسد للعلاقات بين البشر ولكن لا يصح منع الافراد من ذلك

لان حرية التعامل بالذات يجب الا يعتدى عليها .

ان الدولة التي ترفض او لا تستطيع او لا تجرؤ ان تكون دينية لواجب عليها الا تدعو جماهيرها الى ان تكون متدينة ، والا تريد لها ذلك، بل انه لواجب عليها اي على هذه الدولة ان ترفض وتقاوم تدين جماهيرها . ان عليها ان تقيم اضخم وا قوى الاجهزة لمنع الناس من التدين ، اي لاقناع الناس بالتخلي عن التدين وبرفض المعتقدات الدينية لا لمنعهم بالقانون او بالقوة

ان مثل هذه الدولة حينما تكون سياستها تحريض مجتمعتها على التدين وتسيط كل الاجهزة وكل اساليب الاغراء والاغواء والتخويف عليه ليكون متدينا ، ليكون متدينا بلا حدود وبلا وقار او ائزان فالمعنى هنا هو كالمعنى او هو نفس المعنى حينما يريد حاكم ما ان تكون جماهيره ضعيفة ومهزومة ومقهورة ومستعبدة وبايدة ليكون هو نقيض كل ذلك . انه يدعو الى نقيض ما يفعل ونقيض ما يريد لنفسه . انه يختار لنفسه نقيض ما يختار لجماهيره . ان الحاكم حينئذ ليس داعية ، ولكنه معاد ومحارب بأسلوب الداعية . نعم، ان جميع الحكام الذين يريدون من شعوبهم ان تتدين وان تؤمن بالعقائد ليسوا الا محاربين لها . انهم ليسوا دعاة في حوافرهم او نياتهم . ما اعظم وانبل اثار الحكام والاقوياء في المجتمعات المتدينة . انهم يؤثرون على انفسهم بأسلوب هو فوق جميع نماذج الشهامة والورع والفداء والايثار .

ان اردنا ما في هذه القضية ان رعايا هؤلاء الحكام في هذه المجتمعات لا تظن الى هذا الاثار والى معانيه الكبيرة .

ان الاقوياء والحكام في المجتمعات المتدينة يذهبون يتنازلون عن الله وعن الايمان به ، وعن التقوى ، وعن جميع الاخلاق والالتزامات الدينية - انهم يذهبون يتنازلون عن كل ذلك بكل اساليب ومستويات الكرم ، ليكون ذلك كله لرعاياهم وليكون لهم هم شيء آخر .

وهل يوجد سخاء في نبل سخاء من يتنازل عن الاله وعن امتلاكه ليكون اي الاله امتلاكاً لانسان آخر ، ايثارا وشهامة ؟

ان هؤلاء الحكام والاقوياء لا يتنازلون عن شيء لرعاياهم بكل معاني الكرم وتفاسيره وصيغه مثل تنازلهم لهذه الرعايا عن الله وعن الخوف منه وعن التأميل فيما عنده ، وعن انتظار هذا الذي عنده ، وعن الاحترام له ، وعن الاستماع اليه ، متحدثا عن أحزانه وعن مشاكله وعن مطالبه الكبيرة الباهظة الدائمة . هل وهب الحكام والاقوياء في المجتمعات المتدينة مجتمعاتهم شيئا مثلما وهبوه الله ؟ هل وهب شيء في العالم أكثر أو أخص مما وهب الله ؟ هل تنازل الاقوياء للضعفاء عن شيء مثل تنازلهم لهم عن الله وعن الاستقامة ؟

كيف يريد مجتمع من المجتمعات ان يلتزم بمعتقداته وتعاليمه القديمة كاحاد ، ثم يرفض ذلك لنفسه كدولة او كحكم او كحكومة ؟ اليس المطلوب من كل حكم او المفروض فيه ان يكون استجابة لأكبر ما يمكن من احتياجات الآحاد ومن آمالهم وجوعهم ومن نماذجهم الذهنية والنفسية والاخلاقية المختارة بأسلوب جماعي الزامي ؟ اليس المطلوب من كل حكومة او المفروض في كل حكومة ان تكون نموذجا كبيرا ومثيرا وقويا لنماذج الآحاد ولستوياتهم الفكرية والنفسية والاخلاقية ، واحتياجاتهم وطموحهم ، ولما يريدون ولما يراد منهم ؟ اليس المطلوب والمفروض ان تكون كل حكومة تعبيرا قويا وشاملا عن كل ذلك ؟ هل يوجد من يحاول او يريد ان يكون الوجه جميلا ونظيفا ويكون باقي الجسم دميما قذرا ، وان يكون الجسم نظيفا وجميلا ويكون الوجه قذرا ودميما أي ان يكون أحدهما تقيضا للآخر في الجمال والدمامة والنظافة ؟

ان نظم واخلاق وافكار واماني حكمنا هي التعبير عن أمانينا ورغباتنا وعن افكارنا واخلاقنا ومصالحنا ان كان الحكم صالحا وطيبا ، والا فهي التعبير عن مصالح وأهواء وحسابات طائفة او فرد منا ان كان الحكم رديئا ومستبدا وظالما وجاهلا .

انه لا انفصال او لا تناقض بين سلوك ومنطق وطموح ونظم حكمنا وشرائعنا وبين أمانينا او أماني طائفة منا .

اذن كيف نذهب نتمنى الشيء ثم نرفض تمنيه في حالة واحدة ؟

كيف نذهب نتمنى ان يعيش الله بكل جبروته وبكل ممارساته

لنفسه وللأشياء ولكون مع الحاكم في بيته بكل هذا الجبروت والرهبوت وبكل هذه الممارسات للنفس ولكون وللأشياء ، ثم نرفض ان يعيش الله معه أي مع الحاكم فوق عرشه ؟ كيف نذهب نتمنى ان يجلس الله فوق كل كرسي ليمارس كل اراداته وشهوته ثم نرفض ان يجلس فوق أضخم وأعلى كرسي ؟

كيف نتمنى ان يوجد وان يعيش وان يجلس الله في كل مكان وفوق كل شيء ثم نرفض ان يوجد او ان يعيش او يجلس فوق العرش ؟ كيف نريد ان يكون الله في غرفنا ومتاجرنا وأسواقنا ثم لا نريد ان يكون في دور ومكاتب حكمننا ؟ كيف يكون الله جمالا وتهذيبا في مكان وغير ذلك في مكان آخر ؟

كيف يكون الله طيبا ومعقولا ومقبولا وخيرا مع كل انسان وداخل ذات كل انسان وفي فم كل انسان ، ثم يكون تقيض ذلك مع الحاكم وداخل ذاته وعلى لسانه ؟ اليس التعامل بالاله شيئا جيدا في كل الاوقات وتحت كل الظروف ومع كل الناس ، كل اصناف المعاملات ؟

اليس من افطع اساليب الهجاء للاله والدين الزعم بأنه يجب اخفاؤهما او ابعادهما حين التعامل مع الآخرين ، او حين لقاء الآخرين ، او حين التحدث الى الآخرين ؟

ماذا لو قيل نتمنى شعبا حرا مفكرا شجاعا ذكيا نظيفا ، ونرفض حكومة لها هذه المزايا ، او لها هذه الرذائل او نتمنى حكومة لها كل هذه المزايا او الرذائل وشعبا تقيض ذلك ؟ اليس القضية يجب ان تكون هكذا :

ان ما ينبغي او يطلب ان يفعله الانسان او يكونه بمعنى الانسان فيه ينبغي ويطلب ان يفعله وان يكونه بمعنى الحاكم فيه ، وما لا ينبغي او يطلب ان يفعله او يكونه بأحد معنييه لا ينبغي ولا يطلب ان يفعله او يكونه بمعنى الآخر ؟ ان الدعوة اذن الى الماضي ليست خيرا ولا شرا ، انها ليست شيئا ، لانها لا تصنع او تهب أي شيء . انها لا تصنع أي قدر من الخطر أو الضرر ، لانها لن تعيد او حتى تقرب ذلك الماضي .

ان الدعوة الى استعادة الماضي ليست الا اسلوبا كبيرا شهيرا مشيرا

من اساليب العبث الذي لا جمال ولا فن فيه . ان هذه الدعوة مثل الدعوة الى كراهة الذات او الى حب الآخرين أكثر من حب النفس ، او الى حب الموت شوقا الى رؤية الله ، والى دخول ملكوته الاعلى ، والى مصاحبة الانبياء والقديسين هناك . انها كالدعوة الى ان نخاف ونحافظ على عيون اطفال جيراننا وأعدائنا لئلا تصاب بالبغض او بالحقد او بالوقاحة أكثر من خوفنا على عيون اطفالنا ومحافظتنا عليها لئلا تصاب بعاهة البذاءة او القسوة او البلادة او بعاهة العدوان او الهمجية . ان مرض العيون العقلي والاخلاقي لمن اقصى الامراض .

ان هذه الدعوات دعوات لا تعني شيئا . انها ليست الا عبثا ولفوا ولهوا ليس مسليا .

ولكن لا . انها ليست لفا وعبثا فقط . انها أكثر وأردأ من ذلك .

ان في الدعوة الى الماضي والى استعادته سرقة للانسان . ان في ذلك سرقة للتاريخ ، سرقة لعينون التاريخ ، ولأذنيه ، ولأعصابه ، ولوقاره ، ولتقواه ، ولحماسه ، ولاشواقه ووجهه وصدقاته وتهذيبه ، ولحاريبه ومنابرهم ، ولصلواته وفصاحاته ، ولانبيائه ومعلميه وأذكيائه وأغبيائه . ان الدعوة الى استعادة الماضي والجهاد لاستعادته سرقة للحياة وللتاريخ . ولعل البشر لم يسرقوا سرقة أضخم أو أشمل أو أشهر من هذه السرقة .

وان في هذه الدعوة لاطارا واضراراً تصعب وتروع وتخجل حساباتها .

انها تمكين رائع وممتاز وشرير لكل أعداء الانسان ولصوصه لكي يوجدوا وينتصروا ويسودوا .

انها دعوة ملحة ومفتوحة لجميع الكاذبين والمخادعين والماكرين والتافهين والأغبياء والعاجزين والخاملين الكسالى ولكل اللصوص ولكل من لا يحملون او يعيشون او يعرفون اية مزية انسانية اخلاقية او عقلية او شعورية .

— انها دعوة ملحة وشاملة ومفتوحة موجهة الى كل هؤلاء لكي يخلقوا ويتكاثروا ويقدموا ويتسلطوا ويتألقوا ويصعدوا ويكبروا ويعظموا ويعبدوا ويخلدوا ويأخذوا ويعبثوا ويتكبروا وينسخوا التاريخ ويكتبوه كيف شاءوا واستطاعوا ، بل ويصقوا على التاريخ ، بل وعلى الحياة ، بل وعلى المنابر والمحارب ، وليصقوا فوق المنابر والمحارب ..

ان الأغبياء والكاذبين والتافهين والقنلة يكتبون التاريخ كما يكتبه العبقرة والقديسون والعظماء ، او اكثر واشمل وأقسى .

انها دعوة لكل هؤلاء ليحيثوا وليكونوا كل ذلك ، ثم ليحسبوا انبياء وابطالا وشهداء وقديسين وفدائيين وقتلى في سبيل الله وفي سبيل الانسان — بل ثم ليصبحوا مغاسل وانهارا كونية مقدسة ، تفتسل بها الشמוש والنجوم والانهار والبحار من آثامها وادرائها وزندقاتها .

ان التاريخ ليتحرك ويتلمس طريقه بارتجاف وبيطء ويتلفت وبضراعة فوق طوابير طويلة وهائلة من هؤلاء الانبياء الطغاة الكذبة الذين تفجروا فوقه واقتحموه وامتلكوه واذلوه كشهداء وابطال قد حبلت بهم السماء ليصنعوا للانسان ماضيه العظيم ، او ليعيدوا له ذلك الماضي الذي قد أصبح عظيما ، ولكي يتوبوا الشيطان ويعيدوه الى تقواه القديمة .

لقد أصبح حظ الانسان والحياة من هؤلاء الانبياء الطغاة الكذبة الذين حبلت بهم وولدتهم السماء حظا عظيما . ما اقسى حظوظ الحياة وحظوظ الانسان بمن تحبل بهم السماء وبمن تلدهم السماء . ان كل حبل السماء وكل ولاداتها ليست الا تشويها للحياة وللانسان . انها حبل بالعاهاث وولادة لها .

ان كثيرا من المجتمعات لتنفق على الدعوة لعودة هذا المحال الذي لن يعود ، وعلى اجهزة ووسائل التحدث عنه والتبشير به اكثر جدا مما يمكن ان تنفق على استضافة الاله وعلى اطعامه وعلى الاحتفال به ، وعلى تمجيدته وتكريمه وحشد كل اسباب الراحة له ، وعلى اقامة الاستعراضات والمهرجانات له ولتخيته ولجمع كل معاني السرور والرضا في قلبه وعينيه ، اي لو أنه هبط الى الأرض في أضخم واكبر مواكبه السماوية ، لينزل ضيفا عليها اي على هذه المجتمعات — لينزل ضيفا عليها هو وجميع

مستشاريه وأعوائه وجنوده من سكان السماء ،

— لينزل ضيفا جائعا جوع اله ، حزينا حزن اله ، محتاجا الى التمجيد والتكريم والاستقبال والتحية والى الاحتفالات والاستعراضات والمواكب والدوي احتياج اله ، مستغيثا طالبا استغاثة وطلب اله ، بائسا يؤس اله ، مشترطا لنفسه ولن معه اشتراط اله . ولكن ليس اله ضيفا دائما جائعا ، تقام له اضعف الموائد والاحتفالات والمهرجانات في جميع المجتمعات المؤمنة المتدينة بأشمل وأغنى اساليب السرقة ؟

كم انفق الانسان ، وكم سرقت حياته ، وكم كذب على التاريخ وسخر وشوه وأهين وهزم واقتيد الى الفضائح والحقائق والتفاهات ، وكم قيدت خطواته وتحليقاته ، وكم ماتت وزاغت تحديقاته ، وفضح شرفه وذكاؤه .

— نعم ، كم حدث كل هذا ، او كم أريد كل هذا منققة عليه ابهظ المحاولات وأضعفها سرقة للانسان وللتاريخ وللحياة — كم جدت او كم أريد كل هذا تحت شعارات الاحياء للاله الذي لم ير قط في أي مكان ولا في أي عصر حيا ، او ممارسا لنفسه وشؤونه مثل حي — اوتحت شعارات الاستعادة لذات الله الى الارض التي قد هرب منها او التي قد طرد منها ، او التي لم يره قط احد فيها ، كما لا يريده ابدا اجد فيها — او تحت شعارات الانتقاذ لمجد الاله ولشرفه وسلطانه من قبضة الشيطان ومن سلطانه المتفوق القهار . ان نضال الانسان الطويل العاجز المهزوم لانقاذ مجد الاله من طغيان وتفوق الشيطان لهو اعجب نضال بائس حزين في هذا الكون . ان الكون لم يشهد مأساة مثلما شهد هزيمة الاله والانسان امام جيروت الشيطان .

انه لقصة حزينة ومثيرة قد عاشت طويلا فوق هذه الارض ، ولا تزال تعيش بقوة وبدوي احيانا فوقها . تلك هي قصة محاولات الانسان الدائبة البائسة بالتبشير وبالصراخ وبالتمني وبالا انتظار وبالا انغلاق الباهظ المخيف لكي يجعل الاله الهارب المطرود من هذه الارض يعود اليها — لكي يجعل الاله يعود ويعيش في هذه الارض التي لم يجده احد قط فيها ، بل التي لم يعيش يوما ما فيها .

— لكي يجعل الشيطان يموت أو يهرب أو يهزم أو يعتقل أو يتوب .

— لكي يجعل الصدق والحب والنظافة والاستقامة والتقوى تستعيد مجدها القديم أو تصنع لها مجدا جديدا ، أو تحكم وحدها العالم أو تعيش وحدها فوق هذه الأرض — أو ليزعم انه يريد ذلك ويجاهد له . ان جميع البشر اشتركوا في طرد الاله من الارض بل في منعه من المجيء اليها . حتى المؤمنون جدا الذين ينفقون على استضافته اي على استضافة الاله أضخم النفقات قد كانوا اول الطاردين له بل المانعين له من المجيء . انه المستحيل الذي لا يتحول الى مستحيل ، ولا يعرف انه مستحيل ، ولا يترك كما يترك المستحيل . انه المستحيل الذي لا يمل . انه المستحيل الذي يمارسه كل اناس ، كل الاذكياء وكل الاغبياء ، كل التقديميين والثوار والاحرار ، وكل الرجعيين والمستعبدين والمحافظين ، بل وكل الاتقياء والصادقين المؤمنين وكل الفجار والكذبة والزنادقة . هل كل الناس يمارسون المستحيل ؟ هل يوجد فرق بين الاذكياء والاغبياء في ممارسة المستحيل ؟ هل الاذكياء والاقوياء اكثر ممارسة للمستحيل من الاغبياء والضعفاء ؟

انه المستحيل الذي يتحول الى أضخم السرقات والى أضخم اساليب التضليل والعبث البليد . انه العبث الذي يمارس ويعلم عنه ويمجد كأعظم وأقوى الجد .

انها الاكذوبة او الخديعة العالمية العظمى التي لم تستطع ان تموت ، ولم تستطع كذلك ان تحيا ، بل ولن تستطيع .

انه الانفاق الباهظ على ما لا امل فيه . انه الانفاق بلا وقار او حدود على ما لا يراد ، على ما لا يراد ان يكون ، بل على ما يرفض ان يكون ، بل على ما يقاوم ويحارب لئلا يكون .

ان جميع الناس ليرفضون ان يكون هذا الذي ينفقون عليه كل شيء ليكون ، بل ان جميع الناس ليقاتلون لئلا يكون هذا الذي ينفقون عليه كل هذا الانفاق لانهم يزعمون انهم يريدونه ان يكون . ان كل الناس لمستعدون ان يقاتلوا بكل اسلحتهم وبكل دمائهم لئلا يجيء الاله الذي

ينفقون على استضافته وعلى الاحتفال به وعلى الاعلان عنه والدعاية له كل هذه الانفاقات ..

انه التبديد . وهل الكون والحياة والناس وكل شيء الا تبديد ؟
اليس التبديد بلا تفسير هو التفسير الشامل لكل شيء ؟ اليس هذا التبديد هو الغزاء لكل شيء ؟

اليس تبديد الوجود او تبديد الحياة او تبديد الذات هو العلاج لكل موجود ولكل كائن حي من ورطة وجوده او ورطة حياته ؟

اليس التبديد بلا تفسير هو التفسير الشامل لكل ممارسة ولكل نية ، بل ولكل تدبير وتفكير ؟ اليس التفكير والتدبير اسلوبين من اساليب التبديد ايضا ؟

اليس التفكير والتدبير اسلوبين من اساليب البحث عن صيغ وتسويغات للتبديد ؟ اليس كل ما يحدث وكل ما يصنع وكل ما يقال وينوى لا يعني الا التعبير الشامل عن التبديد الشامل ؟

اليس ممارسات المسرات والضحك واللذات اساليب مختلفة من عمليات التبديد مثل ممارسات الاحزان والبكاء والالام ؟

انك لست الا مبددا لشيء ما حينما تمارس مسرة او لذة وحينما تستغرق ضاحكا . وانك كذلك حينما تحزن وتبكي بتعبير ما ، وحينما تمارس الما من الالمك باعلان وصراخ . ان البكاء بصراخ لاسلوب من اساليب التبديد كالصلاة ببكاء ، وكالتحدث بتوتر جاهر غاضب شاتم .

اواه .. ما اقسى العذاب لو ان البشر لم يعرفوا ويبتكروا كل اساليب التبديد لكل شيء حتى لعبقرياتهم ومسراتهم .



لقد كان دائما يوجد عبث كبير . لقد كان يوجد دائما عبث كان يغطي كل التاريخ . انه لعبث لا يزال حتى اليوم يغطي كل العالم كما كان يغطيه في كل التاريخ ، في كل المجتمعات ، تحت كل المعتقدات والنظريات والمذاهب والقيادات .

لقد كان كل من كان في العالم ، وانهم لا يزالون ، يتحدثون عن النيات الطيبة . انهم يريدون ، بل ويحاولون أن يعالجوا كل أخلاق الإنسان ومشاكله وأخطائه وغواياته المذهبية والفكرية والاعتقادية - بل وان يعالجوا كل مشاكل الحياة وتعقيداتها وآلامها بالنيات النظيفه وبالارادة الطيبة المخصصة الصادقة . انهم ليريدون ويحاولون أن يعالجوا علاقات الإنسان بالشمس والقمر وبكل الكون ، وعلاقاته بأعضائه أيضا ، بالنيات . وهم لم يعرفوا أو يسألوا من أين تجيء النيات ولا لماذا تجيء ولا من يصوغها ولا لماذا بهذا الاسلوب وبهذه الصيغة دون النقيض .

ان البشر في جميع عصورهم وتحت جميع مذاهبهم ومعتقداتهم ونظمهم ومستوياتهم الحضارية المختلفة يقسمون النيات الى صالحة ونظيفة وصادقة وانسانية والى نقيض ذلك . وانهم ليقسمون أنفسهم الى ذوي نيات من هذا النوع والمستوى أو من النقيض . انهم يختلفون في سلوكهم وتصرفاتهم للاختلاف في النيات بين الشيء ونقيضه فيما يرون ويزعمون ويعلمون ويتعلمون .

انهم ليحاولون ، أو يبيدون وكأنهم يريدون أن يعالجوا كل شيء بعلاج النيات ، انهم ليتصرفون وكأنهم يرون ان كل الالام والمشاكل والاختفاء والتناقضات وكل الشرور والعداوات والخصومات والحروب لا تعني الا رداءة النيات وتلوثها .

ان كل الناس يعبثون كما كان كل التاريخ يعبث .

ان العبث خلق عالمي . ان العبث مستوى انساني وليس مستوى حضاريا أو مذهبيا أو اخلاقيا أو فكريا . انه مستوى الانسان وليس مستوى حضارته أو مذهبه أو آلهته أو اديانه .

ان العبث مستوى وخلق كونيان ، وليس فقط مستوى وخلقنا انسانيين .

ان الشمس ، وكذا الانهار والبحار والحقول والنجوم وكل الأشياء لتعبث اكثر واشمل مما يعبث أعبث انسان لا يمارس الا أعبث العبث .

انه لا شيء في الكون أو في الانسان لا يعبث . ان اصابع الانسان

وعينه ومشاعره وشعرات جسده وكل أعضائه وغدده ووظائفها وممارستها، وكذا مسراته وأحزانه وإبتساماته ودموعه - ان كل ذلك في الانسان ليعبث كما يعبث منطقته وأخلاقه وعلاقاته ، كما تعبث أديانه ومذاهبه وكتبه وصلواته ، وكما تعبث محاربه ومنابره وفصاحاته وتعاليمه ومواعظه .



ولكن كيف ، هل يوجد جد وعبث ؟ اليس كل الاشياء عبثا ؟ اليس اكثر الاشياء جدا هي اكثر الاشياء عبثا ؟ اليس الجسد في كل صيغه هو العبث في كل تفاسيره ؟ اليس الحياة اكثر عبثا من الموت ؟ اليس الموت بعض عبثها ؟ هل الانسان او الطبيعة او الاشياء نيات وارادات ، أم وجود وضرورات وقوانين وقدرة وعجز ؟ هل تختلف نيات البشر ، او هل يختلفون في نياتهم ؟ هل الفروق بين البشر فروق نيات ؟ هل الفروق بين الحشرات او الوحوش او الاشياء او حتى بين الاعضاء هي فروق في النيات ؟ هل الفرق بين كبد او غدد هذا وبين كبد وغدد ذاك فرق في النيات ؟ هل تختلف الاعضاء في ادائها لوظائفها لاختلافها في نياتها ؟ هل الانسان الا اعضاء جاءت بلغة انسان او بصيغه انسان او بمشاكل انسان ، او بتلوث انسان ؟ هل الانسان الا اعضاء جاء بأسلوب ما ؟ هل لبعض البشر نيات من مذهب أو من دين أو من طبيعة أو من مادة أو من جنسية أو من مستويات اخلاقية وانسانية ، بينما للآخرين من البشر نيات من النقيض ؟ هل تختلف مذاهب أو اديان أو طبائع أو مواد أو جنسيات أو اخلاق النيات - او هل تختلف النيات اذا اختلفت مذاهبها أو اديانها أو جنسياتها أو ظروفها أو مواعظها وتعاليمها - هل تختلف الى نظيفة والى مصابة بكل الادران ؟ هل اختلاف النيات او الاهواء اختلاف في نظافتها وقذارتها ؟ هل الاختلاف بين الاعضاء في سلوكها اختلاف في نظافة نياتها ؟ هل اختلاف البشر واختلاف سلوكهم وكيوناتهم ومستوياتهم يساوي اختلاف نياتهم واراداتهم ؟ هل اختلافهم في ذلك او في شيء آخر يساوي رداءة نياتهم وفضيلة نياتهم ؟

هل اختلاف مذاهبهم أو ذكائهم وغبائهم أو حضاراتهم أو قوتهم وضعفهم أو اتباعهم للشيطان أو للاله يعني اختلاف نياتهم ؟ هل ذلك يعني انه توجد نيات نظيفة أو بريئة وأخرى مذنبه وملوثة ؟ وما معنى نظافة

النيات وبراءتها ؟ وما معنى كونها مذنبه وملونه ؟ وهل الاحساس بالجوع ينقسم الى مذنب وبريء ؟ هل يمكن اصلاح الناس وتغييرهم ونقلهم من كينونة ومستويات الى كينونات ومستويات أخرى باصلاح نياتهم وتغييرها ؟ وهل يمكن اصلاح نياتهم او تغييرها بوعظها وتعليمها ، او بنقلهم الى مذهب او الى دين آخر او الى زعامة أخرى ؟

* *

ومرة أخرى : ما هي النيات ؟ أجل ما هي ؟ هل عرفنا او سألنا ما هي ؟ ماذا تعني طيبة وردية ، مذنبه وبريئة ؟ هل نيات الاله والنبي انظف او اتقى من نيات قاتلهما ؟ من يحكم ، وما المنطق الذي يحكم به ؟ كيف تحدث او تجيء هذه او هذه ؟ وكيف ، او لماذا ، او متى يصاب هذا الإنسان او هذا المجتمع بالنيات او بالارادة الطيبة ؟ وكيف ، او لماذا ، او متى يصاب الانسان الآخر او المجتمع الآخر بالنقيض ؟ كيف تجيء النيات المختلفة ، وكيف توزع على الناس ، او كيف يختار هذا النوع من النيات هذا الفريق من الناس ليختار النوع الآخر من النيات الفريق الآخر من الناس ؟

* *

ان كلمات طهارة النيات وخبثها ، او نظافة النفوس وندسها كلمات في اللغة لا في التفسير او التفكير . ان بين كل كلمة وأخرى فروقا لغوية دون ان تكون بينها فروق انسانية او طبيعية او تفسيرية . انها فروق توجد في قواميس اللغة دون ان توجد في سلوك او في اخلاق او منطق واضعي هذه القواميس . ان واضعي القواميس اللغوية ومفسري اللغات لا يعرفون اية فروق منطقية او أخلاقية او ذاتية بين النيات .

نعم ، هل الزعيم او القائد او العالم او المفكر او الفنان او القديس العظيم انظف نيات من السارق او القاتل او من أي انسان صغير جدا ؟ هل اعضاؤه اطهر او اشرف او اصدق جوعا او اقل جوعا او احتياجا من اعضاء السارق او القاتل او من اعضاء الانسان الصغير جدا ؟

هل اعضاء الانبياء والقديسين والرجال العظام والكبار جدا اقوى على رفض الجوع او التعب او الام او الاعياء او الانهيار او الارتجاف او التلوث من اعضاء أي برغوث يعيش في التراب والاحوال والشقوق ؟ هل اعضاء

الانبياء والقديسين والقادة والكبار والعظماء تتحول في وظائفها واحتياجاتها
ونياتها الى انبياء وقديسين وقادة وكبراء وعظماء ؟ هل تختلف الاعضاء
في نياتها ؟

هل الانسان اكثر نظافة او رفضا او صعودا في اعضائه او في نيته
من اية حشرة ليس لها كتب مقدسة ، وليس لها كذلك محاريب او منابر
او انبياء او تعاليم زاخرة بفنون البلاغة والارهاب والكبرياء ؟ هل اية حشرة
اكثر صدقا او شرفا او طهارة او شموخا في نياتها من اية حشرة اخرى ؟
هل استطاعت جميع محاريب الانسان ومنابرهم وانبيائهم وتعاليمهم وكتبهم
المقدسة ان تصنع له اعضاء انظف نيات او اكبر على الجوع من اعضاء اي
صرصار يتغذى بالهوان ؟

هل الاله في نيته او في حوافزه او في اهدافه او في اي تفسير من
تفسيره انظف او اشرف او اكثر اباء من اية ذبابة قد عانى اي الاله معاناة
باهظة في خلقها وفي التفكير والتدبير والتخطيط لصياغة وجودها في اذكي
واعظم وابرع النماذج والصيغ ؟

هل يمكن ان يباهي الاله اية ذبابة بطهارة نيته او حوافزه او اهدافه ؟



ان الناس جميعا لا يستطيعون او لا يريدون او لا ينوون ان يفعلوا
او ان يكونوا الا ما يقدرون عليه ، او الا ما يصنع لهم الطموح او الكبرياء
والنشوة او الراحة او الاعجاب بالنفس ، او الا ما يروونه ملائما لهم ، او
صانعا لقلوبهم ولاعضائهم ولتفاهاتهم ولجوعهم المسرة والتعري والنزق
واللذات المخرمة او البديئة او المخجلة او العدوانية او الفضاحة او المذلة ،
اي ما لم يضطروا الى تقيض ذلك اضطرارا . هل نيات الاله او النبي
او العبقري تتكون او تتحرك بمنطق او بأخلاق او بأسلوب غير المنطق
والاسلوب والاخلاق التي تتكون وتتحرك بها نيات الحشرات ؟

ان البشر جميعا في جميع ممارساتهم ونياتهم وتدابيرهم وتفكيرهم انما
يحاولون الفرار من شعور الى شعور آخر ، او من حالة الى حالة ، او
من موقف الى موقف ، او من اي شيء الى تقيضه . انهم جميعا ودائما
انما يحاولون الانتقال من الالم الى اللذة ، وحيانا من اللذة الى الالم ،
او من الالم الى الالم ، او من اللذة الى اللذة ، او من العبث الى العبث ،

أو من أي شيء إلى نفسه بصفة أخرى أو بمعاناة أخرى ، أو تحت زعم ما أو عقيدة ما أو مذهب ما أو اكدوبة ما .

ان الشيء الواحد يصبح أشياء مختلفة متعددة تحت المذاهب أو المزايم أو الشعارات المختلفة أو المتعددة . ان الشيء ليصبح نقيض نفسه أو عدو نفسه اذا اختلف المذهب أو الزعيم أو الدين أو الانسان الذي ينادي به أو الذي يمارسه .

ان الشيء قد يعطي الشعور ونقيضه . ان الشيء الواحد قد يعطي اللذة كما قد يعطي الالم . ان ما يصنع لنا الابتهاج والاعجاب والكبرياء والايمان هو ما يصنع لنا الكآبة والاشمئزاز والغضب والرفض . ان الالم قد يعطي اللذة ، كما قد تعطي اللذة الالم . وان الانتقال من الجلوس الى الوقوف ، او من الوقوف الى الجلوس ، او من الصمت الى الكلام او من الكلام الى الصمت ، او من الحركة والارتجاج الى السكون والهدوء او من السكون والهدوء الى الحركة والارتجاج ، او من الخوف الى الامان ، او من الامان الى الخوف ، او من الرضا الى الغضب ، او من الغضب الى الرضا ، او من أي شيء الى نقيضه ، او حتى من الذكاء والرصانة والتهديب الى السفه والبلادة والافتضاح .

- نعم ، ان الانتقال من هذا الى هذا قد يصنع اللذة ، وقد يصنع الحالة النفسية التي يصنعها الانتقال من مذهب او دين او من تفكير او من شعار او من زعيم الى آخر . وان البشر جميعا في جميع ممارساتهم ونياتهم وتفكيرهم وتدبيرهم إنما يريدون هذا الانتقال و يبحثون عنه . ان القيمة ليست دائما لمستوى او لنوع ما يمارس ، بل لنفس الممارسة . ان حاجتنا الى الممارسات والى اساليبها اكبر من حاجتنا الى الشيء الذي نمارسه . اننا لا بد ان نمارس وان نغني حتى ولو لم نجد شيئا نمارسه ونغني له .

انه ليست للبشر نيات لا نظيفة ولا ملوثة اكثر او اقل من بحثهم عن انفسهم وعن محاولات الانتقال او الهرب بها من شيء آخر ، او من أشياء الى نفسه بشعور آخر ، او بزعم آخر ، او بأسلوب آخر ، او تحت مذهب او دين او نظام آخر .

ليس كل انتقال قد وقع أو سوف يقع ما هو الا انتقال من الشيء الى نفسه او الى معناه وتفسيره تحت دعوى أخرى او شعارات أخرى او أكاذيب أخرى ؟

ان شعور الانسان دائما متحرك ، انه دائما يطلب التغيير حتى ولو بلا هدف او خطة او غرض معروف او مقصود . وقد يطلب الانزعاج والمفامرة والمخاطرة . انه قد يطلب التغيير رغبة في التغيير لا فيما يعطيه او يصنعه التغيير . اننا لو لم نجد اي أسلوب من التغيير نمارسه الا بأن نقاوم ونعادي انفسنا لكان محتوما ان نقاوم ونعادي انفسنا .



ان المفامرة او المخاطرة المثيرة معنى كبير من معاني الحياة . انها شوق من اشواقها ونشوة من نشواتها . ان المخاطرة الحقة هي احدى رقصات الحياة بل احدى رقصات الكون السعيدة .

ان المخاطر الباهظة هي احد اساليب الحياة في مغازلاتها لنفسها ، انها احد اساليبها في تسويقها وتفسيرها لتفاهاتها وآلامها وسخافاتهما . انها بالمخاطر تهرب بنفسها عن التحديق في نفسها وعن القراءة لنفسها وعن محاسبة نفسها . ان الحياة قد تخاطر لتهرب من مواجهة نفسها . انها قد تخاطر لتهرب من قراءتها لنفسها او من محاسبتها لنفسها .

ان المفامرة او المخاطرة لنفس المفامرة او المخاطرة ، فرارا من الامان او الصمت او الاستقرار ، مطلب من مطالب الحياة ، وتفسير من تفاسيرها . ان الامان والاستقرار لعذاب وموت احيانا .

ان العاصفة المدمرة قصيدة رائعة وخالدة من قصائد الكون ، ومن اغانيه وانشاداته لنفسه . ان العاصفة نشيد رائع ، تعزي وتحيي وتجامل وتغازل به الطبيعة نفسها ، او تغالط به احزانها وآلامها وضياعها وتفاهاتها ، او تغطيها به .

ان الامان والاستقرار الدائمين لهما اقصى عذاب تعاقب به الحياة نفسها وتعاقب به الانسان .

.. ان الخطر والخوف المتحركين المتجددين لهما اعظم وانبل هدايا
الحياة الى الحياة والى الانسان ايضا .

* *

اذن من هم نظاف النيات ، ومن هم ماوثوها ، ومن هم متطهرو
النفوس ومن هم مدنسوها ؟ هل يوجد هؤلاء وهؤلاء ؟ وهل هؤلاء غير
هؤلاء ؟ هل يمكن معرفة هؤلاء ومعرفة هؤلاء ؟ هل توجد حدود فاصلة او
صفات مميزة بين الفريقين ؟ ما هي الحدود الفاصلة ؟ ما هي الصفات او
العلامات المميزة بين النقيضين ؟

ان كل الناس لا بد ان يكونوا هؤلاء فقط ، او هؤلاء فقط . انهم جميعا
لا بد ان يكونوا كلهم من ذوي النيات النظيفة او ان يكونوا كلهم من ذوي
النيات الاخرى . انه لا يمكن ان يكونوا هؤلاء وهؤلاء . انهم مهما انقسموا
في لغاتهم او في تعبيراتهم او في مذاهبهم او في اديانهم او في حضاراتهم او
في اخلاقهم ومستوياتهم او في تقواهم او في نظافة اجسادهم وثيابهم ، فانهم
لا يستطيعون ان ينقسموا في نياتهم ، اي في نظافتها وتلوثها ، في ورعها او
في فسوقها .

ان النيات كالاحاساس بالالم او بالتعب او بالجوع الذي لا يقبل الانقسام
الى نظيف وملوث او الى ورع وفاسق .

ان الشمس والقمر لا بد ان يكونا رديئين جدا او فاضئين جدا .
انهما اي الشمس والقمر لن يكونا هذا وهذا ، بل لا بد ان يكونا معا هذا او
هذا . لن يكون احدهما رديئا والاخر فاضلا ، بل محتوم ان يكون كلاهما
رديئا او كلاهما فاضلا .

ان البشر لمثل الشمس والقمر في هذه القضية .

* *

ان جميع البشر ليطلبون الراحة واللذة ولو الراحة واللذة اللتين
يهبهما التعب والالم ، كما انهم جميعا يرفضون الالم والتعب ويهربون منهما ،
ولو الالم والتعب اللذين تصنعهما الراحة واللذة . انه ليس فيهم من ينوي
نقيض ما ينوي الاخر ، مهما وجد فيهم من يريد ويفعل ما لا يريد وما لا

يفعل الآخر . ان نياتهم لا تختلف في طبيعتها مهما اختلفت في تعبيراتها ، وان
اعضاءهم لا تختلف في وظائفها مهما اختلفت في ممارستها وفي تعبيراتها .

ان البشر جميعا لا يطلبون ولا يفعلون الا شهوتهم كيف كانت ومتى
كانت ، مهما كانت الاساليب ، او مهما اختلفت او تعددت الاساليب
والممارسات والتعبيرات .

ان المعنى الخير او المعنى الشرير الجامع لكل البشر في كل مستوياتهم
الدينية او المذهبية او الحضارية او الانسانية او حتى العبقريّة هو الشهوانية .
انهم جميعا شهوانيون . انهم لا يختلفون في انهم جميعا شهوانيون مهما
اختلفت مواقع شهواتهم او اصنافها او اساليبها . انهم جميعا مفترسون
مهما اختلفت او تعددت انيابهم او فرائسهم او هجماتهم ، ومهما كانوا
بلا انياب او فرائس او هجمات ، او انهم جميعا غير مفترسين وغير نابيين
مهما كانت فرائسهم وانيابهم .

اذن هل هم طيبون ام رديئون ؟ هل الشهوانية هجاء ام ثناء ؟ انهم
اذن جميعا طيبون او جميعا رديئون . ان البشر مهما انقسموا الى ارناب
ووحوش فانهم جميعا في نياتهم اما ارناب فقط او وحوش فقط . ان
التفاوت والخلاف بينهم في الاسلوب او في التعبير او في التقدير او في القدرة
لا في الشهوانية . ان الارانب ليست اقل شهوانية او انظف او اتقى شهوانية
من الذئب .

ان الحمائم ليست اكثر تدينا او روعا في شهواتها او نياتها من الصقور
او من الافاعي .

ان صانع السلام ليس اتقى او اقل شهوانية من صانع افطع الحروب .

ان رافض الطعام ليس اتقى جوعا او اقل جوعا من سارق الطعام .

ان الناس لا يتفاوتون في التقوى مهما تفاوتوا في تعبيراتهم او في
ضراعاتهم او في صلواتهم . انهم لا يتفاوتون في قربهم او في بعدهم من
السماء ، او في حبهم للالهة او في رؤيتهم لجماها . انهم لا يتفاوتون في
التقوى مهما تفاوتوا في اساليبهم او في محاريبهم . انهم مهما اختلفوا في
اساليب صلواتهم فانهم لا يختلفون في مستوى تقواهم ولا في حوافر تقواهم
او نيات تقواهم .

انه ليس في الناس من ينوون ان يؤثروا الالهة على انفسهم . ان الانبياء واقديسين ليسوا في نياتهم اكثر ايثارا للالهة على شهواتهم من اشد العصاة عصيانا وشهوانية .

انهم لا يختلفون في ضغط اعضائهم عليهم او في احساسهم بالجوع والالم والتعب والكآبة وبالجنس وبال حاجة الى النوم وبالسقوط الى الارض .

انهم لا يختلفون في خضوعهم لقانون الجاذبية الارضية . انه ليس فيهم من يرفض جسده الخضوع لقانون الجاذبية ، من يرفض السقوط الى الارض ، ولو الى الارض التي فوق . ان النازلين على القمر ليسوا الا هابطين الى ارض اخرى . انهم خاضعون لقانون الجاذبية الارضية الاخرى .

انهم لا يختلفون في وظائف اعضائهم ولا في القدرة على عصيانها . انهم مهما عصوا اعضاءهم فانهم مطيعون باستسلام لها . انهم يطيعونها بعصيانها . انهم يختلفون في اساليب عصيانهم لاعضائهم . ولهذا فقد يبدون وكأنهم يعصون اعضاءهم حينما يكونون مبالغين جدا في طاعتها .

ان عصيان البشر لاعضائهم ليس الا استسلاما لها بأسلوب آخر . انهم يطيعونها بأسلوب من يعصونها ، انك لا تستطيع ان تعصي اعضاءك الا بقدر ما تستطيع ان تطيعها . ان الصراع فيك هو صراع بين اعضاءك وأعضاءك وليس بين اعضاءك ونياتك او بين اعضاءك وتقواك .

ان كل التفاوت بين البشر ، بين اتقيائهم وفجارهم هو تفاوت في الاساليب والصيغ التي يعبرون بها عن خضوعهم لاعضائهم ولجاعاتهم ولاحاسيسهم بساطان الجوع والجنس والالم والتعب والخوف عليهم . ان كل تفاوتهم هو في صيغ واساليب خضوعهم الشهوانية .

ان اضعف حرصار جائع مطرود من كل اماكن الطعام ليس اشرس شهوانية او اكثر استسلاما للشهوانية من اعظم انسان او من اتقى قديس .

ان املئ المعلمين او الزعماء صوتا ووعظا ضد الشهوانية ليس اقل شهوانية او احساسا بها من من اشرس الذئاب جوعا واقتراسا .

واذا كنا نعد القديسين قديسين وهم لا يريدون ولا ينفذون الا شهواتهم خاضعة ومتعاملة اي شهواتهم مع ظروفها وقدرتها ، فلماذا لا نعد الخاطئات ايضا قديسات وهن كذلك لا يردن ولا ينفذن الا شهواتهن ، خاضعة اي شهواتهن لظروفها وقدرتها ، ومتعاملة اي شهواتهن مع ظروفها وقدرتها ؟

ان التقوى والايمان يصبحان شهوة وارادة وهوى مثل ممارسة
الحرام ومثل سب الاخرين والعدوان عليهم .

انه ليس بين البشر خلاف او تفاوت في التفسير او في الترجمة . ان
كل التفسير بينهم في اللغة . ان جميع الاشياء واكائنات لكذلك . ان الخلاف
او التفاوت بين الشمس الواهة القائدة المضيئة وبين القمر الموهوب
التابع المظلم ليس الا خلافا او تفاوتا في اللغة اي في اسلوب التعبير وفي
مستواه ، وليس اي الخلاف او التفاوت بين الشمس والقمر في التفسير
او في الترجمة ، اي ليس في المنطق او في النية او في الحافز او في
الهدف .

ان سلوك الشمس ليس اتقى من سلوك القمر لا في النية ولا في الفكرة
ولا في الحوافز ولا في الاهداف .

ان البشر اذن جميعا سواء في طهارة نياتهم او في تلوثها . انهم جميعا
اما طاهرون مفتسلون بجميع انهار القداسة والتظافة ، واما هم جميعا
انجاس لا يستطيع شيء ان يجعلهم يتطهرون او يتنظفون حتى ولو غرقت
او احترقت جميع اعضائهم وشهواتهم ونياتهم وضمائرهم في كل ما في الكون
وبكل ما في الكون من انهار وبحار ومن شمس ونيران . وهل يوجد فرق
بين الطهارة والنجاسة ؟ ومن صنع او وجد او رأى او حسب هذا الفرق ؟
وما هو هذا الفرق ؟ وما تفسيره ، وما حدوده ، ولماذا هو ؟



ان احكام البشر ورؤاهم ابدأ ذاتية . ان جميع ما لا يوافق او يلائم
او ينافق او يريح منطقهم او ظروفهم او رغباتهم او مواقفهم او مصالحهم
او آلامهم او مسراتهم الخاصة فهو لن يكون نظيفا ولا كريما ولا صحيحا ،
بل ولا ذكيا . والعكس صحيح بنفس القوة والنسبة . ونحن ومن هم
موضوع احكامنا ورؤانا متساوون في هذه الذاتية . نحن نحكم بهذه الذاتية
ونخضع لها ، وهم مثلنا سواء يحكمون بها ويخضعون لها .

انه لا فضل لاحد على احد في هذه القضية او في هذه الذاتية ،
بالمستوى الذي لا فضل فيه لحجر على حجر ولا لحشرة على حشرة في

الخضوع للقوانين الذاتية والطبيعية وللجاذبية الارضية والكونية .
ان اختلاف الحشرات في سلوكها لا يعني اختلافها في نياتها . وكذلك
اختلاف الناس في سلوكهم .

ان النبي والكافر به يعيشان حقيقة واحدة ، ولكنهما يعبران عنها
بلغتين مختلفتين او باسلوبين مختلفين . ان نياتهما لا تختلف ، وانما
تختلف ممارساتهما لهذه النيات . ان النبي لا يعصي نفسه اكثر مما يعصيها
الكافر به ، وان الكافر بالنبي لا يطيع نفسه اكثر مما يطيعها النبي .

ومهما اراد الانسان ان تكون نياته او شهواته فانه لن يستطيع ان
يضع فيها اي في نياته وشهواته غير ما يلائمه او يريحه او يشتهي او يهبه
المسرة او الكبرياء او الرضا عن النفس ، او الشعور بالامان او الاستقرار ،
ولو في ظنه وتقديره . وهذا الذي يفعل له ذلك لا يكون ابدا الا ذاتيا . وهل
الذاتيات تختلف ؟ وهل اختلافها يعني شيئا رديئا وملوثا وشيئا جيدا
ونظيفا ، اي هل يعني انها هذا وهذا ، او انها تنقسم الى هذا والى هذا ؟

* *

انه الهزل الباهظ الثمن ، واعني به محاولتنا الدائمة والواسعة
والكبيرة ان نغير النيات او الاخلاق او السلوك او القدرة او العجز او الحياة
او الاشياء او احتياجات الاعضاء او مجاعاتها او وظائفها او نظافتها او
تلوثها بالدعوة الى التطهر والتطهير .

انه الهزل القديم الحديث الدائم الشامل الذي يدفع فيه كل البشر
اضخم الاثمان والتكاليف . انه الهزل الغالي الثمن والتكاليف ، الغالي
الاجهزة ، الغالية الانفاق والاعداد والحماس . انه الهزل الذي لا يخجل منه
احد والذي لا يخفيه او يرفضه او يقاومه او يبشر ضده احد . بل انه
الهزل الذي يفاخر به كل احد ، بل كل مجتمع .

انه الهزل الذي يمارسه كل الناس ، وكل الاديان وكل المذاهب وكل
التعاليم وكل الحضارات والمستويات والعقول والاخلاق والمجتمعات وكل
الانبياء والزعماء والمعلمين والمنابر .

انه الهزل الذي يمارسه ويفكر فيه وبعد له ويهتم به وينتظر منه جميع البشر ، حتى الكبار جدا ، وحتى العلماء ، وحتى المفكرون ، وحتى الملحدون ، وحتى الثوريون جدا ، في منطقهم واخلاقهم وسلوكهم ومشاعرهم ونياتهم ، وحتى الجادون جدا الرافضون والمقاومون جدا لكل اساليب ومستويات الهزل .

انه ليس هزلا يمارسه فقط الهازلون او الباحثون عن الهزل او الذين لا يخلجون او يشمئزون من الهزل ، او من اي هزل . انه ليس الهزل الذي يمارسه وعاظ السماء وحدهم ، ولا الذي يعجب به سكان السماء وحدهم . انه الهزل الذي يمارسه ويعجب به ويعان عنه وبعد له وينفق عليه كل مذهب ودين وفكر وذكاء ومجتمع ، وكل نبي ومعلم وزعيم وقائد واله . انه الهزل الذي تمجده الالهة وتمجد به الالهة بل الذي لا تمجد الالهة بسواه ولا تمجد سواه .

وهل يمارس الهزل او يعجب به او ينفق عليه او يعلن عنه او يدعو اليه او يمجده مثل الالهة ؟ اليسبت الالهة هي اكثر الهازلين هزلا ؟ وهل تستطيع الالهة ان تصنع سوى الهزل بل او ان تريد سوى الهزل ، بل او ان تمجد سوى الهزل او ان تمجد بشيء سوى الهزل ؟ وهل للالهة صفات او افكار او اهتمامات غير ان تعيش الهزل وان تفكر فيه وان تهتم به وان تطالب وتفرح به ؟

وهل يوجد هزل الا وهو حيلة هزل الالهة ؟ هل يستطيع احد ان يهزل لولا هزل الالهة ؟ اليس كل هازل وكل هزل قد وجدا لان الالهة قد هزلت هزلتها الكبرى ؟

لقد هزلت الالهة هزلتها الكونية فاصبح كل شيء هزلا . هل يمكن ان يكون شيء ما غير هزل اما في ذاته ووجوده وتمادجه وممارساته ، واما في حوافزه واهدافه ومنطقه ؟

بل ان كل شيء لا بد ان يكون هزلا في كل ذلك ، اي في ذاته وفي اساليبه واحتياجاته ، وفي مبدا وجوده ، وفي صيغ وجوده ، وفي كل ممارساته وتفسيره المنطقية والاخلاقية والنفسية والتاريخية بل والذاتية .
انه الهزل الذي تمجده الالهة وتمجد به الالهة بل الذي لا تمجد وكل تفاسيرها هي كل الهزل وكل تفاسيره .

ان كل وجود يجيء ويظل بلا تفسير ، اذن كل موجود يجيء ويظل ويلذهب بلا تفسير ، اذن كل موجود لا بد ان يكون هزلا في مجيئه وفي جميع صيغ مجيئه ، وفي بقائه وفي جميع صيغ بقائه ، وفي ذهابه وفي جميع صيغ ذهابه .

اذن كل شيء لا بد ان يكون هزلا كيفما جاء وكيفما بقي ، وكيفما ذهب وكيفما جاع واحتاج ومارس جوعه واحتياجه ، وكيفما فسر او مارس نفسه او وجوده .

ان كل وجود اول لا بد ان يكون هزلا ، اي لا بد ان يكون هزلا كل وجود غير مسبوق بوجود اخر يحتاج اليه ويريده ويخطئه ويخطط له ثم يوجد بصيغة وبمستوى وتحت ظروف تكون ملائمة له ومفهومة ومحسوبة وموضوعة .

واذا كان كل وجود اول لا بد ان يكون هزلا كان كل وجود لا بد ان يكون هزلا لان كل وجود لا بد ان يكون وجودا اول او وجودا ناتجا عن الوجود الاول ، اي لا بد ان يكون هزلا او ناتجا عن الهزل ، اي حاجة من حاجات الهزل او ممارسة من ممارساته ، اي خبطة من خبطاته .

ولكن ما هو الهزل ؟ انه ما ليس جدا . اذن ما هو الجد ؟ انه ما ليس هزلا . ولكن اليس هذا الكلام عن الجد والهزل او هذا التفسير لهما هو اهلئ مستويات الهزل ؟



أن الاشتغال بالتطهير الذاتي للنفس أو للنيات ، أو بالدعوة إلى هذا التطهير ، أو بتجريم أهواء النفس أو النيات ، أو بمحاسبتها على اتجاهاتها ومجاعاتها وتقلباتها .

— ان الاشتغال بذلك ليس الا اسلوبا من اساليب الدعوة للاعضاء المحرمة المخافة خجلا منها الى التطهر والتحرر من اخلاقها وضروراتها ووظائفها ومن احساسها بنفسها وبضغوطها ومن نياتها ونداءاتها غير المهذبة وغير الملتزمة بالحياء او بالوقار والتهذيب او بالاديان او بالمذاهب او بالتعاليم او باوامر الزعماء وخطبهم المتوترة المهددة البليغة .

ان الاشتغال بذلك او بالدعوة اليه ليس اذكى او افضل من الاشتغال بدعوة الحشرات الى ان تكون اكثر نظافة او استتارا او حياء او شهامة او تقوى .

اذن اليس جميع الدعاة وواعظي الاعضاء بان تتطهر من جوعها وشهواتها ونياتها هم وعاظ ودعاة حشرات ؟

* *

ان دعوة النيات الى ان تكون اتقى او انظف او اقوى ليست افضل من دعوة اية حشرة الى ذلك . ان كل تعاليم الاديان والمذاهب والفلسفات والاخلاق لن تستطيع ان تصنع للنيات موجهة اليها ، مسلطة عليها اكثر او افضل مما تستطيع اي تعاليم الاديان والمذاهب والاخلاق والفلسفات ، ان تصنع لاخلاق ونيات الذبابة لو وجهت اي تعاليم الاديان والمذاهب والفلسفات والاخلاق اليها اي الى الذبابة وسلطت بكل جبروتها وارهائها عليها . ان جميع التعاليم والمواعظ التي جاءت بها الاديان والمذاهب والفلسفات والاخلاق لم تكن الا تخاطبا مع اخلاق ونيات الذبابة لتكون اتقى وانظف .

ان نبينا عظيما لو توجه اليها بكل موكبه ورهبوته السماوي ليطالب نياتنا بان تتطهر من شهواتها واهوائها لما صنع لنا افضل مما يمكن ان يصنع لاية ذبابة لو انه توجه اليها بكل ذلك . ان مناشدة النبوات لنياتنا

ليست افضل عطاء من مناشدة النبوات لاخلق الحشرات . اذن لماذا جاءت
النبوات لتخاطب اعضاءنا ونياتها اكثر مما جاءت لتخاطب اعضاء الحشرات
ونياتها ؟

* *

اننا لا نوجد او نحيا او نتعامل او نتحرك او نفكر او نعمل او نسعد
ونبتهج بالنيات الطيبة او المخلصة او المحبة او النظيفة او المتدينة او
الملتزمة بالذهب او بالنظام او بالعقيدة ، وانما نفعل ذلك ونكون ذلك
بالمعرفة والقدرة والاحتياج والضرورة والهوى وبالرغبة وبالالزام الذي لا
نختاره ولا نختار ازاءه او معه .

اننا لا نتلاقى او نتصافح او نتعاون او نتجمع او نتحالف او نتعاقد
بالصدقة او بالايثار او بالاقتناع بقيمة الالهة او بقيمة الطبيعة او الحياة
او بقيمة المذاهب والتعاليم والاخلاق والاديان او بقيمة ونبل ما نفعل - ولكن
بالانانية والخوف والضرورة والتقليد والاستمرار والاندفاع والحماس
والافتراس ..

اننا لسنا كائنات تعيش او تتعامل بالحب ، ولكن بالضرورة والارادة
والاشتواء والجوع والافتراس والمنافسة والغيرة والكبرياء والاستسلام
والهزيمة .

اننا لسنا نظريات او افكارا او اديانا او مذاهب او مواعظ ، ولكننا
قوانين .

اننا لسنا قوانين اخلاقية او فكرية او انسانية ، بل قوانين طبيعية .
اننا لسنا قوانين حتى ولا طبيعية . ان القوانين الطبيعية مضبوطة ومقررة
ومحتومة . فهل نحن كذلك ؟

اننا لسنا ارادات بل ضرورات . اننا نريد حتما ، ولكن لماذا نريد ؟

ان ارادتنا خاضعة لغير ارادتنا ، انها محكومة بغير ذاتها ،

وهل نحن حقا ضرورات ؟ وما هي الضرورة في ان نكون وفي ان نكون محتاجين ومحكومين بالضرورات ؟

نحن لا نريد لاننا نريد ان نريد ، ولا لاننا نريد ما نريد او نعرف ما نريده او نحترمه ، ولكن لان شيئا ما يجعلنا نريد ويجعلنا نريد ما نريد . اننا نريد ونريد ما نريد كما نعرض ونتألم ونجوع ونموت . ان ارادتنا نوع من الاصابة لنا او من الحكم علينا او من القهر او التعذيب او الالتزام لنا . اننا نريد بالاسلوب الذي به نتألم ونسقط اعياء .

ولو كنا نستطيع الان نريد والا نريد ما نريد لكان سؤالا صحيحا وقويا ان نسال : لماذا نريد ، ولماذا نريد نفس ما نريد وبالاسلوب الذي به نريد .

اي منطق او تفسير لهذا او في هذا ؟ اي منطق او تفسير لان نكون كما كنا ؟

ان ارادة الانسان مفروضة عليه كما فرض عليه وجوده ومولده ونموذجه وصفاته وظروفه وسماته وحياته ومكانه . ولهذا فان حريته ليست اكثر من خربة الحجر في ان يكون اي الحجر حجمه وذاته ومادته وصفاته ، وفي ان يكون حجرا لا شيئا اخر ، وفي الا يكون حجرا .

انه اي الانسان يريد ، والحجر لا يريد . اذن هو اكثر حرية من الحجر ، او هو حر دون الحجر . ولكن الانسان خاضع لارادته ومحكوم بها . اذن هو غير حر في مواجهته لارادته ، وارادته غير حرة لانها خاضعة لغير ذاتها ومحكومة بغير ذاتها . وهل يكون غير الحر والمحكوم بقوة غير حرة حرا ؟ اليس الذي يفعل ويريد لانه لا يملك الا يفعل والا يريد اكثر عبودية من الذي لا يفعل ولا يريد لانه لا يملك ان يفعل او ان يريد ؟ اي اليس الانسان اكثر عبودية وفقدا للحرية من الحجر ؟

اليس الذي يمرض ويموت ويشيخ ويحزن ويتشوه لانه ليس حرا

في الا يفعل ذلك ، او لانه حر ان يفعل ذلك ، اكثر عبودية واكثر فقدانا للحرية من الذي لا يفعل ذلك ولا يستطيع ان يفعله ؟ اليس الذي يتحرك ويفعل ويختار ويريد وهو غير حر اكثر او اقصى عبودية من الذي لا يصنع شيئا من ذلك وهو غير حر ؟

اذن اليس الانسان اقل حرية او اقصى عبودية من الحجر ؟

* *

ان السلاح يقتل ويجرح ويدمر . ولكنه لا يفعل شيئا من ذلك الا وهو خاضع للانسان الذي يطلقه ويصنعه . وان الانسان يصنع السلاح ويقتل ويجرح ويدمر به كما يصنع كل اساليب ومستويات حياته ، وكما يصنع ايضا خطاياها وحقايقه . ولكنه لا يفعل شيئا من ذلك الا وهو خاضع لارادته . وارادته خاضعة لغير ارادته . انه لم يرد ارادته ولم يدبرها ولم يعرفها ولم يخترها . وانه لا يدري كيف فرض عليه ان يكون مريدا ، ومريدا بهذا الاسلوب ، ولهذا المزداد ، وبهذه القوة او بهذا الضعف ، وبهذا النزق او بهذا الوفاق .

فمن اكثر حرية ، او اقصى عبودية : السلاح ام الانسان ؟

وما هو الافضل او الانفع للكائن او للانسان : ان يكون حرا ام ان يكون فاقدا للحرية ؟

* *

انه لا يوجد فاقد للحرية ويبدو كاعظم مالك لكل الحرية مثل الانسان . ان حريته في ان يكون ويحيا ويبدع ويحارب ويسالم ويصنع الحضارات العظيمة والحقايق والذنوب العظيمة ايضا ليست اعظم او اقوى من

خريته في أن يمرض ويتألم ويتشوه ويشيخ ويموت ويجوع وينام ويعادي الحريات ويقاومها ويخاف منها .

ان الإنسان ليبذو وكأنه هو وحده الحر في هذا الكون ، او كأن شيئاً ما لا يساويه في حريته في هذا الكون .

ولكن هل الإنسان أكبر حرية من النهر او من المطر او من الشمس او من الطقس او من الزلزال او من الأعصار او من أي شيء طبيعي في ممارسته لنفسه او لأعماله او لضروراته او لجبريته او لفقده لحريته ؟ هل حدوث الإرادة في الإنسان أكثر حرية من حدوث الزلزال او الفيضان او الأعصار في الطبيعة ، او من أصابته أي إصابة الإنسان بالمرض او بالتشوه او بالشيخوخة او بالموت او بضعف البصر او بمرض الأسنان وسقوطها ؟

وهل فقد الإنسان لحريته في مواجهته لأرادته أقل من فقد الأحداث الطبيعية لحريتها حين خضوعها لعواملها الموجبة لحدوثها ؟ هل خضوع الإنسان لأرادته الكاملة الموجبة أقل من خضوع المطر لعوامله الكاملة الموجبة ؟ هل يختار الإنسان أمام إرادته الكاملة أكثر من اختيار المطر أمام عوامله الكاملة ؟ ان المريد لا يمكن ان يكون حراً . ان الإرادة هي اقصى واشمل مستويات الهزيمة للمريد . انك بقدر ما تكون مريداً تكون مهزوماً لذاتك ومهزومة ذاتك . انه اذا وجدت إرادة الإنسان الموجبة لان يفعل فلا بد ان يفعل ، واذا لم توجد هذه الإرادة الموجبة فلا يمكن ان يفعل ، أي انه اذا وجدت الإرادة الكاملة والمشرطة للفعل فلا بد من وقوع الفعل ، واذا لم توجد هذه الإرادة فلا يمكن ان يحدث الفعل

اذن متى يكون الإنسان حراً في أن يفعل وفي ألا يفعل ؟ انه اذا فعل فليس حراً في ألا يفعل ، وانه حين لا يفعل ليس حراً في أن يفعل ، انه ليس حراً في أن يفعل ما لم يفعل ولا حراً في ألا يفعل ما فعل .

ان يدي لتبدو حرة دون القلم الذي اكتب به . فهل اليد أكثر حرية من القلم ؟ وهل الإنسان حراً الا بالاسلوب أو بالمقدار الذي تبدو به اليد او تكون به اليد حرة ، او بالاسلوب أو بالمقدار الذي يبدو به القلم او يكون به القلم حراً ؟

خريته في أن يمرض ويتألم ويتشوه ويشيخ ويموت ويجوع وينام ويعادي الحريات ويقاومها ويخاف منها .

ان الانسان ليبذو وكأنه هو وحده الحر في هذا الكون ، او كان شيئاً ما لا يساويه في خريته في هذا الكون .

ولكن هل الانسان اكبر حرية من النهر او من المطر او من الشمس او من الطقس او من الزلزال او من الاعصار او من اي شيء طبيعي في ممارسته لنفسه او لاعماله او لضروراته او لجبريته او لفقده لحرية ؟ هل حدوث الارادة في الانسان اكثر حرية من حدوث الزلزال او الفيضان او الاعصار في الطبيعة ، او من اصابته اي اصابة الانسان بالمرض او بالتشوه او بالشيخوخة او بالموت او بضعف البصر او بمرض الاسنان وسقوطها ؟

وهل فقد الانسان لحرية في مواجهته لارادته اقل من فقد الاحداث الطبيعية لحريتها حين خضوعها لعواملها الموجبة لحدوثها ؟ هل خضوع الانسان لارادته الكاملة الموجبة اقل من خضوع المطر لعوامله الكاملة الموجبة ؟ هل يختار الانسان امام ارادته الكاملة اكثر من اختيار المطر امام عوامله الكاملة ؟ ان المرید لا يمكن ان يكون حراً . ان الارادة هي اقصى واشمل مستويات الهزيمة للمرید . انك بقدر ما تكون مریداً تكون مهزوماً لذاتك ومهزومة ذاتك . انه اذا وجدت ارادة الانسان الموجبة لان يفعل فلا بد ان يفعل ، واذا لم توجد هذه الارادة الموجبة فلا يمكن ان يفعل ، اي انه اذا وجدت الارادة الكاملة والمشرطة للفعل فلا بد من وقوع الفعل ، واذا لم توجد هذه الارادة فلا يمكن ان يحدث الفعل .

اذن متى يكون الانسان حراً في ان يفعل وفي الا يفعل ؟ انه اذا فعل فليس حراً في الا يفعل ، وانه حين لا يفعل ليس حراً في ان يفعل ، انه ليس حراً في ان يفعل ما لم يفعل ولا حراً في الا يفعل ما فعل .

ان يدي لتبدو حرة دون القلم الذي اكتب به . فهل اليد اكثر حرية من القلم ؟ وهل الانسان حر الا بالاسلوب او بالمقدار الذي تبدو به اليد او تكون به اليد حرة ، او بالاسلوب او بالمقدار الذي يبدو به القلم او يكون به القلم حراً ؟

هل كان الإنسان مخطئاً في رؤيته وقراءته لنفسه أم كان محاييلاً متعمداً لها حينما زعم أو اقنع أنه حر ؟ وهل اقنع الإنسان حقاً أنه حر، مهما زعم أو تحدث أو خطب أو علم وتعلم أنه كذلك ؟ ٦- مهما قل له معلومه ذلك ؟

لقد كان الانسان يفسر دائما ويرى دائما بانه هو اكثر الاشياء حرية ،
أو بانه هو وحده الحر دون كل الاشياء وكل الكائنات . والسبب في هذا
التفسير للانسان أو في هذه الرؤية له انه هو اكثر ، ولسرع الكائنات تحركا
وتنقل بين جبرياته وضروياته للتنقضة أو المختلفة أو المتعددة . انه يتغفل
من هذا الشيء أو من هذا الموقف أو من هذا المكان أو من هذا المنعجب أو من
هذا النطق والتفكير ، أو من هذا التقيض الى الآخر ، المتخالف أو المتعارض
أو الموافق أو المناقض بسرعة وسهولة ولعلان فيه كل معاني للتساهي ..
وحينئذ يبدو اي الانسان حرا ، ويفسر بانه هو وحده الحر دون أي قيد .
انه لهذا السبب لا بد ان يرى مالكا لكل اساليب ومعاني الحرية .

ومن الذي رأى الإنسان حراً أو اعتقد أنه كذلك؟ لعل أولئك هم
معلموه وطفاته وقادته. وهم يظلمونه بأن يطيعهم ويموت لهم .

ان الانسان يتحرك ويتنقل بين الاشياء او بين جبريلقه وضرورلتسه المتناقضة والمختلفة والمتعارضة بهذه السهولة والسرعة لانه لكثير الاشياء وقوعا تحت عوامل واسباب الضغط الكثيرة المتعاقبة عليه بقسوة وجبروت وارهاب ، لتتنقل به بين مختلف وعديد المواقف والممارسات والاهواء والشهوات والضرورات التي كلها استعباد واكراه لا مثيل له في وحشيته وعنفه . ان التنقل السريع بين الضرورات والارادات هو اقصى لمسايلب العبودية .

انه يتنقل بين عوامل الاكراه اكثر واسرع من كل الاشياء وكل الكائنات . انه لهذا اكثر واقسى واشمل من كل الكائنات عبودية بينما بدأ وفسر وكأنه اكثر الكائنات حرية ، أو كأنه هو وحده الحر دون اكل الاشياء وكل الكائنات .

لقد فسر أكثر الكائنات عبودية بأنه أكثرها حرية . أنه لم يزور تفسير كائن ما مثلما زور تفسير الانسان .

لقد تخلقت وعاشت في الانسان اكبر واكثر الاخطاء بقدر ما عاش هو

وفي أكبر وأكثر الأخطاء ، وبقدر ما خلق واختلق هو أكبر وأكثر الأخطاء .

إن كل الأشياء فاقدة للحرية الذاتية ، أو فاقدة للحرية في مواجهتها لذاتها أو في ممارستها لذاتها أو في تعاملها مع ذاتها — أو فاقدة للحرية داخل ذاتها ، أو ذاتها سالبة لحرية ذاتها .

إن جميع الأشياء ليست حرة في تعاملها مع ذاتها وبذاتها وفي ذاتها .

إن كل شيء مستعبد لذاته ومستعبدة له ذاته . إن كل شيء فاقدة للحرية الذاتية . وإن الإنسان لأحد الأشياء للفاقة للحرية الذاتية . إن ذاته لمستعبدة لذاته . إن كل ذات وكل شيء يتعامل بعضه مع بعضه بلا حرية . إن كل ذات هي قيد أضخم على نفسها .

إن ذات الكون هي أضخم قيد على الكون . وإن أي قيد على الإنسان لا يتعامل إلا مع قيود ذاته عليه .

إن كل شيء ليس إلا جهازا يحكم ويستعبد ويقيّد ويضبط بعضه بعضا كما يفعل أي جهاز علمي يصنعه الإنسان . وإن الإنسان ليس إلا جهازا من هذه الأجهزة التي يستعبد بعضها بعضا . إن إرادة الإنسان وتفكيره وخوفه وقدرته واحتياجاته وكل ضروراته ومعانيه الأخرى ليستعبد بعضها بعضا ويخضع بعضها بعضا وبذل بعضها لبعض وينافق بعضها بعضا ويجوع بعضها إلى بعض ويخاف بعضها من بعض ، ويطلق بعضها على بعض ، ويكذب بعضها على بعض ويضال أو يخدع بعضها بعضا . وإن ذلك كله لمحتوم أن يحول الإنسان إلى جهاز أو إلى آلة أو إلى شيء أو إلى ذات لا مثيل لها في عبوديتها ، لا مثيل لها في فقدانها للحرية الذاتية . إن ذات الإنسان لميدان رهيب لاعداء يتقاتلون داخله عليه . وفي نية كل عدو من هؤلاء الاعداء أن يسلبه كل حرته .

إن النهر والمطر والزلازل والاعصار والنجم وكل شيء لمستعبد لذاته . إن كل سلوكه ووجوده وأخلاقه وكل خطواته ليست سوى تعبيرات عن هذا الاستعباد للذات أو عن الاستعباد الذاتي . وإن الإنسان كذلك وإن كان على مستوى أو بأسلوب أعنف وأقسى أدلالا . أنه لا يوجد شيء يقاسي من أذلالات ذاته له مثل الإنسان .

ان الاذلال أو الاستعباد الذاتي الذي يعانيه الانسان هو اقصى اذلال
أو استعباد ذاتي يعاني منه أي كائن أو أي شيء . ان كل اذلال قد يحتمل
أو يفقر أو يهون أمام اذلال ذات الانسان للانسان . انه اذلال بكل الاساليب
وعلى جميع المستويات وبكل التفاسير وبكل الجهر والاعلان والحدة
والاصرار .

ولعل فقدان الحرية الذاتية في الاشياء وكذا في الانسان ليس شيئا
رديئا ، او لعله ليس اردا الاحتمالات . بل لعله شيء طيب او حظ جيد .

ان فقدان هذه الحرية الذاتية هو الذي حول الاشياء والكون والحياة
والانسان الى انتظام أو نظام أو الى ضبط ، وهو الذي جعل الاشياء والكون
والحياة والانسان تظل اشياء وحياة وكونا وانسانا ، وهو ايضا الذي وهبها
القدرة على التطور والتكامل والبقاء . ان أي شيء لا يعني او لا يساوي
سوى فقدانه للحرية الذاتية . ان الحياة والكون والانسان لا يساوي الا ذلك .

ماذا لو ان كل شيء كان يملك حرية الذاتية ، لو ان كل شيء لم يكن
مستعبدا استعبادا ذاتيا أي لو لم يكن فاقدا للحرية الذاتية ؟

ماذا لو كانت الانهار او البحار او الجبال او النجوم او الشمس حرة
حرية ذاتية ولم تكن خاضعة لعبودية ذاتية شاملة لا خلاص منها ولا رحمة
فيها ؟ هل كان يمكن أن يظل شيء كما هو ، أو أن يسير أو أن يجيء أو أن
يمارس نفسه كما يسير وكما يجيء وكما يمارس نفسه لو كانت هذه الحرية
الذاتية موجودة في الاشياء ؟ هل كان يمكن حينئذ أن يوجد أو أن يبقى أي
نظام ؟

أليس من المحتوم حينئذ أن تمارس الانهار والبحار والجبال
والشموس وكل الاشياء ذاتها أو حرياتها بأساليب أخرى ، لتكون اشياء
أخرى - لتكون زوالا أو تدميرا أو جنونا لا نستطيع تصوره أو تحمله ؟ ما الذي
منعها من ممارسة هذا الجنون أو هذا الذكاء ؟

ما الذي منع الكون من ان يجن أو أن يعقل ليكون غير ما هو كائن ؟
ولماذا ظلت كل الاشياء مؤدبة وعاقلة ومتوقرة ومستمسكة بالنظام
الموجود الذي تسير عليه وتخضع له ؟ اليس تفضل ذلك وتستمسك به

لأنها فاقدة للحرية الذاتية، لأنها لا تستطيع أن تفعل شيئا آخر ؟ أنها لن تظل مستمسكة بهذا النظام دائما لو كانت تستطيع الخروج عليه مهما كانت تقواها وأخلاقيها وطاعتها للنظام . أن استمسكها بنفسها ليس حياء ولا ذكاء . انه عجز .

هل يمكن أن نقتنع - مهما كان مستوى ذكائنا - بأن الشمس سوف تظل كما نجدتها لو كانت تملك حرية الخروج على نفسها وعلى سلوكها وتهذيبها ، أو على خنوعها وهوانها ؟

والإنسان لو كان حرا في أن يموت ويرفض ويفادر ويعصي ذاته وأراداته وخوفه وضروراته وجوعه وأفكاره ومشاعره وتفاهاته وحقاراته وأوهامه وكل وجوده واحتياجات وجوده - لو لم يكن مستعبدا لذاته ، أو لو لم يكن فاقدا للحرية الذاتية بأسلوب هو أشمل وأكثر تشويها مما تفقدها الأشياء ، مما تفقد الصخور والأشجار والآلات والأشياء حريتها الذاتية .

- نعم ، والإنسان لو كان يملك هذه الحرية الذاتية هل كان يمكن أن يقبل حينئذ أي نموذج أو سلوك أو ممارسة أو تفكير أو شعور من نماذج أو من أساليب سلوكه أو ممارساته أو من أساليب وجوده وحياته وبقائه وأفكاره ومشاعره ؟

هل يمكن أن نتصور الإنسان خاضعا لوجوده أو لحياته أو لظروفه أو لكونه أو لضروراته واحتياجاته واحتمالاته وقيوده ، أو لتفاهاته ووقاحاته وتشوهاتة وهمومه ، أو لحضاراته ، أو لمذاهبه وعقائده وأوهامه وأحلامه وأكاذيبه ، أو لزعاماته ومعلميه وآلهته ، أو لعلاقاته وارتباطاته ، أو لتقواه وأخلاقه وصلواته .

- هل يمكن أن نتصور الإنسان خاضعا لكل ذلك أو خاضعا لأي شيء أو مقيدا بأي شيء لو كان يملك الحرية الذاتية - لو كان يستطيع أن يخرج على ذاته وأن يعصيا وأن يختار أمام املاءاتها عليه واذلالها له ، أو لو لم يكن محكوما عليه بأن يكون مريدا ، وبأن يكون مستعبدا لارادته لا مستعبدا لها ، وبأن تكون ارادته مستعبدة لغير ارادته .

- أو لو لم يكن هو السجان والمسجون ، والقيد والمقيد ، والسيف

والرقبة ، والسلاح والقتيل — أو لم يكن مستعبدا من داخله بأقنسى
وأشمل مستويات وأساليب العبودية ؟

اذن فالعبودية الذاتية في الكون والحياة والأشياء والإنسان ليست
شيئا أو حظا رديئا . ان هذه العبودية الذاتية ليست ضد الكون أو الحياة
أو الأشياء أو الإنسان ، بل ليست ضد تقدم أو صعود أو بقاء الكون أو
الحياة أو الأشياء أو الإنسان ، بل انها هي الضائعة لذلك والمطورة له
والحافضة عليه . ان كل شيء هو هبة العبودية الذاتية في الأشياء . ان
الحرية الذاتية — اي لو وجدت — لا تعني الا مقاومة ورفض كل الأشياء .

ان العبودية الذاتية ليست عدوانا على اي شيء ، بل انها هي الحماية
لكل شيء . انها هي التفسير لوجود كل شيء ولتطوره ولبقاءه ولفهمه
ولتلاؤمه مع نفسه ولأرادته وتقبله لنفسه ، ولصبره عليها وامجابه بها
ودفاعه عنها . انك معجب بوجودك وصابر عليه وممارس له بنشوة لانك
لا تملك من داخلك حرية رفضه وكرهه والاشمئزاز منه ..

انه لا خوف على الإنسان من هذه العبودية . ان كل الخوف والخطر
عليه لو لم يكن محكوما بها . وانه كذلك لا خوف على كرامته أو على كبريائه
أو على اعجابه بنفسه وبحريته الشناطة أو على اقتناعه بحريته ، بأنه حر
بلا اي قيد .

— نعم ، انه لا خوف على ذلك من علمه بأنه فاقد لحرية الذاتية ،
وبأنه اي الإنسان مستعبد استعبادا ذاتيا كالشجر أو الحجر ، بل أشد
وأغنف ايلانا وتشويها وشمولا .

انه لا خوف على الإنسان من معرفته لهذه الحقيقة . لا خوف عليه
ولا مساس به ولا ايداء لشعوره ، لانه سيظل مقتنعا بأنه حر ، وسيظل
يهتف لحرية المطلقة ويتحدث عنها بتمجيد. وهو بذىء مهمما عسرف انه
مستعبد كل معاني ونماذج وأساليب الاستعباد .

ان المعرفة لا تمنع من الاقتناع بالنقيض . ان المعرفة تقبل القدر
بنفسها ، بل انها تغدر بنفسها . ان المعرفة لا تنتحر من الفيرة او من مواجهة
وممارسة الهزيمة . ان فيها كل القدوة على التواضع والتنازل .

ان الانسان يستطيع ان يعرف حقيقة ما ، ثم يستطيع ان يظل مقتنعا بنقيضه اي ينقيض تلك الحقيقة التي عرفها ، ويظل يتحدث عن ذلك التقيض وكأنه لا يعرفه سواه . ان الانسان ليس متعصبا لذكائه او لما يعرف اكثر من تعصبه لغبائه او لما لا يعرف .

ان عقل الانسان يستطيع بدكاء وكبرياء أن يجامل وينافق اقتناعه ، كما يستطيع بشجاعة وشرف أن يخاف من ارادته فيلقي بكل موهبته وشحمه تحت أوامرها ، أي تحت أوامر ارادته . ان الانسان لا يذل شيئا ولا يخرج على شيء مثلما يذل عقله ويخرج عليه . ان العقل الانساني هو أشهر مهان مضطهد معتدى عليه في العالم .



ان الانسان - لما سبق تفسيره من فقدانه للحرية الذاتية - لا يكون في حكم الاخلاق القائم على التفسير النفسي للسلوك البشري ظالما او فاسدا او ملوما مهما فعل الا بقدر ما يكون الوحش او الحشرة او الطبيعة كذلك لانها آذت او قتلت او خربت .

ان الانسان الظالم او القاتل او الفاسد الشرير قد اراد فقبلته ارادته . انه لم يرد ارادته ولم يصنعها ولم يستطع ان ينتصر عليها او أن يطردها ويخرجها من ذاته . لقد اضلته ارادته اصابة كما تصيبه الرصاصات او الضائقة . انه لم يطلقها وانما اطلقت عليه . انه كائن مهجوم عليه لا هاجم . انه حينما يعاقب على ما يفعل - وهذا مشروع ومحتوم - فمن اجل انقاذه وحمايته من ارادته . ولكن ارادته الغالبة هي ايضا مغلوبة . ان ارادته لم ترد ارادته ولم تصنعها او تحرضها .

ان عقابه او تهديده بالعقاب لئلا يفعل ما لا يريد المجتمع او ما يؤدي الآخرين بشبه حمايته من ان تصيبه الرصاصات او المرض . ولكن ذلك لا يعني انه ظالم او فاسد او ملوم اي في التفسير النفسية للسلوك الانساني . كما ان محاولة انقاذ المريض او الضعيف من مرضه او من ضعفه لا تعني الحكم عليه بأية مؤاخذه اخلاقية . ان العقاب او التهديد بالعقاب أسلوب من اساليب معاقبة الارادة او منعها او زجرها لئلا تهاجم المريد وتعتدي عليه ، وخلق ارادة اخرى مضادة فيه .

ان العالم الذي يفسر الاخلاق بعلم النفس او يجمع بين علم الاخلاق

وعلم النفس في تفسيره للسلوك الانساني لن يرى ان الظالم القاتل ظالم
او شرير اكثر من المظلوم المقتول ، كما لن يرى أن القاذف بنفسه في مياه
النهر حيث كل احتمالات الهلاك لينقذ طفلا او حيوانا من الفرق ، حيث لا
يراه احد ليشكره او ليشتمه ، افضل اخلاقا او انبل نفسا او نيات مسن
قاتل اليتيم .

ان ذلك العالم المفسر للبشر ، لسلوكهم ونياتهم بعلم النفس لا بد ان
يرى ان الظالم القاتل المعتدي قد يكون واقعا تحت اكراه وضغوط وعدوان
عليه اكثر من المقتول المظلوم المعتدى عليه . قد يكون مظلوما ومقهورا اكثر .

انه لا بد ان يرى المطر الواهب للارض الموات الحياة ليس اكثر تقوى
او حبا او فضيلة نفسية من الاعصار او الزلزال المدمر للمدينة النائمة بين
همومها ومتاعبها وهزائمها وذنوبها وفضائحها وضياعها على ذراع الظلام .

انه سيري ان الظالم السارق الضال الغريق في الغواية يستحق الرثاء
والشفقة التي يستحقها المريض والشيخ العاجز المحكوم بهوان شيخوخته
وقسوتها .

ان مثل هذا العالم لا بد ان يقتنع بأن المؤمن المطيع بتصوف وافتضاح
لتعاليم نبيه او لأوامر وحماقات قائده لا يستحق من الثناء او الاعجاب او
من أوصاف التقوى أو البطولة أو الاخلاص أو الفداء اكثر مما يستحق من
يذهب ليلقي بكل وقاره وايمانه وتقواه تحت قدمين يقف فوقهما جسد حرام
قد تجمعت فيه كل الابالسة تخطب بكل اللغات ، وبكل فنون البلاغة والاغراء
والاغواء ، داعية الى الافتتان به ، والى بيع جميع الزايا الدينية والمذهبية
والوطنية والحضارة الانسانية ، ثمنا للمسة سريعة من أطراف احدى يديه
او من أي مكان في جسمه المسلح بكل اسلحة القدرة على الانتصار والتدمير
لكل ارادات المقاومة والتقوى والوقار ، والمسكون بكل أجهزة التحريض على
الغواية والافتضاح .



ان الارادة مفروضة ومقهورة مثل فقد الارادة . اننا نريد بالقهر
والفرض ، وكذا نعجز عن أن نريد . ان ارادتنا مقهورة ومفروضة علينا

مثلما هي مفروضة على نفسها . لقد فرضت على نفسها كما تفرض كل الاشياء على نفسها . ان كل شيء مفروض ومفروض عليه بالاسلوب الذي فرضت به الارادة وفرض على الارادة وفرضت على غيرها الارادة .

ان الشمس والصرار لم يريدوا نفسيهما ولكنهما فرضا على نفسيهما، وفرضت عليهما نفسيهما . ان احدهما اي الشمس والصرار ليس اكثر حرية او اختيارا لنفسه او اعجابا بها من الآخر . ان الوحشية التي فرضت على احدهما هي التي فرضت على الآخر . ان الالهة التي خلقت هذا الكون لا تتفاضل في مواهبها او في اخلاقها . ان اي شيء لا يتفوق في منطقته او في اخلاقه على الآخر . ان اي شيء لم يرد ان يكون كمبا كان ، ان يكون بالاسلوب او بالشخصية التي بها قد كان ، ولم يكن لانه قد اراد ان يكون . ان اسلوب كينونة اي شيء ونموذجه وشخصيته وصورته مفروضة عليه بالقهر والوحشية والظفیان الذي فرض به وجوده عليه .

انه لو كان هناك خيار أو ارادة تختار لما كان اي شيء كما كان . لقد جاء كل شيء بأسلوب الظفیان والعدوان ، ثم جاءت ارادته لنفسه ولصيغة وجوده وتقبله لذلك بالعدوان والظفیان ايضا . ان ذات كل شيء قد فرضت عليه بالظفیان والعدوان . حتى الالهة ، لقد فرض عليها وجودها وفرضت عليها مستوياتها واخلاقها وهومها بالعدوان والظفیان .

ان كل شيء اذن معتدى عليه ومطفي عليه حتى الزهرة ، حتى الشمس ، حتى أعلى مستويات الجمال ، لان كل شيء قد جاء وصيغ وفرض بأسلوب العدوان والظفیان .

حتى الالهة . انها معتدى عليها ومطفي عليها لانها لم ترد كينونتها ولا صيغتها التي بها كانت ، ولم ترد ارادتها كينونتها ولصيغتها . وهل فرضت على شيء ذاته وشخصيته مثلما فرضت على الاله ذاته وشخصيته ؟

ان وجود الالهة ووجودها كما وجدت مفروضان عليها ، وكذلك مفروض عليها ارادتها لما فرض عليها . لقد فرضت عليها كينونتها وفرض عليها ان تريد ما فرض عليها .

ان الالهة لو كانت تختار نفسها ونموذجها وارادتها وضرورتها وارادتها لارادتها لما كان شيء كما كان ، او لما كان شيء مما كان بأي اسلوب

أو صيغة أو صورة أو نموذج .. لعل شيئاً ما لم يعتقد عليه مثلما اعتسدي
على الآلهة حينما افترض نموذجها عليها ..



هل توجد وحشية أقسى من الوحشية التي فرضت على الآلهة أن
يكون كما كان ؟ إذن هل يوجد من يستحق الرثاء والاستفاد أكثر من الآلهة
أو مثل الآلهة ؟

أن الإنسان محكوم بقوة محكومة . أنه عبد لعبد ، أنه مقيد بمقيد ،
أنه مسجون بمسجون ..

إذن كم هي قاسية حرية الإنسان ؟ كم هي مستعبدة حرية الإنسان ؟
أن حرية الإنسان هي أقسى مستويات العبودية .

أن أقصى تعبيراته عن حريته هي أقصى تعبيراته عن عبوديته .

أن كل شيء خاضع لذاته خضوعاً لا رجوع عنه ولا توبة منه ولا علاج
له .. إذن ما هي الحرية ، وكيف يمكن أن توجد ؟

إذن كيف وضع البشر في لغاتهم كلمات الحرية ؟



أيها الكون ، أيها الإنسان ..

لقد جئت وعشت ومارست نفسك وأردت نفسك ، وتلامت معها ،
وخضعت لها واشتسلت لكل أعلاماتها ومجاهلاتها وهنومها وأعبائها ولكل
نمذجها لا تلك ، تلك الحرية الذاتية .

.. وأيضاً فارقتها أو لا بد أن تفارقها ، أو طردت منها بنفس الأسلوب
والمنطق .

فهل أنت أيها الإنسان ، أيها الكون ، جيد الحظ أم رديئته ؟
ولكن ما هو الحظ الجيد والحظ الرديء ، وما هي الفروق بينهما ؟
وهل توجد حدود تفصل بينهما ؟ وما هو النموذج الذي يقاسن عليه ويحكم
به ؟ هل توجد أية وسيلة لمعرفة هذا من هذا ؟

ان للرسالة الزوجية ، أو لنقل ان للرسالة الدينية حدين : حدا تهديبيا أو اخلاقيا موضوعه معاملة الذات والمجتمع ، ومعاملة وقاحات وبداءات الاعضاء والحشرات فينا . اما الحد الآخر في الرسالة الدينية أو الروحية فهو حد فكري موضوعه تفسير الاسباب والمسببات ، وعلاقتنا بهذه وهذه ، أي بالاسباب والمسببات . ان موضوع هذا الحد هو ممارساتنا ورؤايتنا الذهنية لانفسنا وللأشياء .

ان الحد التهديبي الاخلاقي قد جاء الينا ليخاطبنا . ويزجر ويهزم ويقتل فينا الارادة والضرورة : جاء ليأمرهما وينهاهما محاولا قتلهما إلى عصيانهما أو الانتصار عليهما ، بل محاولا كل ذلك بكل منطق القور والقسوة والسداجة . لقد ازاد ان يفعل كل ذلك دون ان يكون طبيبا أو ساخرا أو ذكيا أو قويا دون ان يملك . أو ان يحمل معه اية معجزة . لقد نازل وحاول وقتل بأضعف أساليب السداجة ، وبأقوى أسلحة الهزيمة . لقد اكتفى بالوهد والوعيد ، متحدثا اليهما إلى الزادة والضرورة بلغة لا تفهماتها ولا تستطيعان تعلمها أو تكلمها . ان الزادة والضرورة لا تستطيعان الاستماع إلى الوعد والوعيد اللذين يتحدثان بلغة غير لفتها أي غير لغة الارادة والضرورة .

ان هذا الحد لم يغير أو يقهر شيئا . لقد اكتفى بأن تحدث بلغة لا يعرفها ولا يستطيع ان يتعلمها من تحدث إليه ، وبمنطق لا يتعامل به شيء من العالم الذي خاطبه بمنطقه . لقد كان محتوما ان تنتصر الطبيعة على الامر والنهي اللذين لا تفهم لفتها ولا تستطيع ان تتخطى عن نفسها وعن التزاماتها وأغراضها وعن قوائنها احترامها أو حياء منها أو مجاملة أو رثاء أو نفاقا لهما . ان الطبيعة لا تنافق ولا ترضي ولا تجامل . انها في هذا أقوى وأفضل اخلاقا من الانسان ، أي ان كان الترفع عن النفاق والمجاملة والرثاء قوة أو اخلاقية .

لقد ظلت الطبيعة تنتصر دائما وبأسلوب مذل على كل ما في الالهة من شراسة وعلى كل ما في لفتها من بلاغة الجحيم . لقد كانت هزائم الالهة وهزائم توعدها ونيرانها امام املاء الطبيعة وشهوات الطبيعة هزائم تصنع كل الرثاء والاشفاق عليها أي على الالهة .

لقد كانت هزائم في كل العصور وفي كل المجتمعات وفي كل الميادين وتحت كل الظروف وبكل القسوة .

لقد تجمع من تجارب التاريخ ومن مشاهدات الحاضر ما يستطيع ان يقنع اعجز الناس عن الاقتناع بأن محاولة صياغة الانسان والانتصار على جوع اعضائه وعلى ضروراتها ، ومحاولة تعليمها اي تعليم اعضاء الانسان اخلاقا غير اخلاقها ، او اخلاقا تتحدث عنها السماء ، دون ان تعيشها او يعيشها سكان السماء ، او محاولة الانتصار على توقع الحياة والطبيعة فيه اي في الانسان .

— نعم، لقد تجمع من تجارب التاريخ ومن مشاهدات الحاضر ما يستطيع ان يقنع اقل الناس ذكاء وعجزا عن الاقتناع بأن هذه المحاولات ، مرادا منها ولها وبها ان تكون مجدية او منتصرة بقوة تضخيم جبروت الالهة في النفوس ، ليست افضل او اذكى او اقوى من محاولة وعظ الذباب بالآيات والاحاديث وبخطب الزعماء ونصائح الاطباء لكي يكون اي الذباب تقيا ومهدبا ومتواضعا ومتوقرا ورحيما ونظيفا ، فلا يتنقل ببذاءة او ببراءة من العيون والوجوه الجميلة والانوف الشامخة الى الاحوال والى الاماكن الاخرى ، او من الاحوال والاماكن الاخرى الى القفز فوق الوجوه والعيون الجميلة وفوق الانوف الشامخة . ان تضخيم جبروت الاله لن يعظ شهوات الانسان افضل مما يعظ بذاءات الذباب . ان عيني النبي لن تريا يدي الاله ممسكين بالسلاح اكثر من ان تراهما كذلك عينا الذباب .

ان الشيطان لن ينسى فنونه الجميلة العالمية او يتخلى عنها خوفا من الآيات والاحاديث ، او احتراما للآيات وللاحاديث التي تذهب تبالغ في تضخيم جبروت الاله وجبروت جحيمه وغضبه .

لقد كان يكفي هؤلاء المؤمنين المبشرين بالزايا الوعظية الهائلة لابقاظ وحشية الاله وجبروته في ضمائر الناس — كان يكفي هؤلاء الذين يريدون ان يوجدوا انسانا بدون اخلاق الطبيعة وبدون وقاحاتها واوحالها .

— كان يكفيهم ليدركوا خطاهم العالمي المعاد ، المعاد على مستوى عالمي ان يحدقوا بغضب وترويع في هذه الجماعات التي لا تتحدث الا عن جبروت الاله وجحيمه وعن غضبه المتوحش والتي لا تقرا او تتعلم غير الآيات والاحاديث التي لا تعلم سوى الخوف من جبروت الاله ومن جحيمه ومن غضبه المتوحش ، والتي لا تضخم او تهول سوى جبروت الاله وجحيمه وغضبه المتوحش ، والتي لا تحترم او تمجد شيئا سوى جبروت الاله وجحيمه

وغيظه المتوحش ، والتي لا يصفح او يحيي بعضها بعضا الا بالتخويف
بجبروت الاله وبجحيمة وغيظه المتوحش .

— كان يكفي هؤلاء ليدركوا خطاهم العالمي المعاد ان ينظروا بتحديد
وذهول وانصاع الى هذه الجماعات التي لا تتحدث عن مجد اي شيء مثلما
تتحدث عن مجد الجبروت والجحيم والفضب الذي يملكه ويدبره ويعدده
الاله ، وكأنها انما تتحدث عن ذلك لكي تفجر فوقه كل احوالها وتشوهاتھا
وفسوقها وشهواتها غير المتحضرة وغير المهذبة بقدر ما تتحدث عنه ، وبقدر
ما تؤمن به ، وبقدر ما تمجده وتضخمه وتهوله وتعلمه وتعلمه وتصلي له
وتصلي خوفا منه . كأن الايمان بالشيء انما يعني دائما العدوان عليه
والاساءة اليه والفسوق به . وهل يعتدي على الله وعلى الانبياء ويشوهم
ويسيء اليهم ويتهمهم ويخرج عليهم الا المؤمنون بهم . كأن الايمان بالشيء
عقاب له .

ان هؤلاء سوف يجدون حينئذ انه لا احد يفجر ذنوبه وعاهاته ونياته
الملوثة فوق جبروت الاله وفوق جحيمة وغيظه مثلما تفعل هذه الجماعات
التي لا تتعلم او تعلم سوى الخوف من جبروت الاله ومن جحيمة وغيظه .

انهم سوف يجدون ان الشيطان لا يستطيع ولم يستطع في كل
تاريخه المجيد السعيد ان يكون سعيدا وسيدا وقائدا محظوظا ومتفردا
بلا منافسة او عصيان او تمرد بين أي قوم مثلما كان ويكون بين أولئك
القوم الذين لا يتعلمون او يعلمون او يقرؤون سوى الآيات والاحاديث التي
لا تعرف ولا تعلم سوى التخويف بجبروت الاله وبجحيمة وغيظه .

— انهم سوف يجدون ان هؤلاء القوم المتدارسين لمجد جبروت الاله
ولمجد جحيمة وغيظه المتوحش لم يستطيعوا ان يحيثوا على مقاس نموذج
واحد من نماذجهم النفسية او الاخلاقية او حتى الدينية التي تتوقد
وتحترق بالشوق وبالدهوة اليها ، وبالايمان والتخويف بها ارواحهم
وعظاتهم ونبواتهم وآياتهم واحاديثهم المنزلة ببداوة وباستبداد رهيبين .
ان هؤلاء سوف يجدون ان الذين يؤمنون بوحشية يخرجون على ايمانهم
بمثل الوحشية التي يؤمنون بها . كأنهم يعاقبون ايمانهم او من يؤمنون به
بالخروج عليه والمخالفة له . لقد شوهد دائما ان الذين يؤمنون بالاله
يذهبون يعصونه او يغيظونه ويخرجون على اوامره وتعاليمه بلا أية تقوى

أو وفاء ، حتى ليبدو لنهم انما يريدون أن يعتذروا عن إيمانهم به أو ينتقموا من إيمانهم . . ان أي مهزوم في التاريخ ، في كل التاريخ لم يواجه هزيمة أكبر واشمل أو أعمق أو أدوم من الهزيمة التي واجهها وعانها الإله . وأنبيأؤه وتعاليمه وكتبه ومخاريبه ومنابره .

إن احدا لم يهزم في كل التاريخ مثلما هزم الإله . وانه لم يهزم في أي مكان ولا امام أي اعداء أو خصوم مثلما هزم ويهزم في بلاده وسكنه ومعبدته ، وامام المؤمنين به ، امام أهله وأصدقائه . ان اردا حظوظ الإله هي حظوظه بين أهله والمؤمنين به .

ان الإله لم يواجه هجرا نا اخلاقيا ونفسيا مثل الهجر الذي يواجهه به المؤمنين به اعتقاديا وتعليميا .

وان أي كائن في هذا الكون لم يتلق من امجاد النصر والتفوق مثلما تلقى الشيطان ، وانه لم يتلق من الانتصارات مثل الانتصارات التي تلقاها في معاركه السهلة عليه والتي خاضها ضد الإله وضد أنبيائه وتعاليمه وكتبه ومخاريبه ومنابره ، أو مثل الانتصارات التي قلده مجدها أعداؤه وأصدقائه عدوه ، أي التي قلده بمجدها المؤمنون بالإله . ان الشيطان لم يكسب من الامجاد مثلما كسب منها بين الاقوام اللاعنين له الواهين كل إيمانهم وصلواتهم للإله .

انه لا يوجد من خذله وهزمه واذله أصدقائه مثل الإله ، ولا من نصره وكرمه أعداؤه الشاكسون له الكافرون به مثل الشيطان .

انه لا يوجد حظ جيد مثل حظ الشيطان ، ولا حظ رديء حزين مثل حظ الإله . انه لا يوجد كائن يستحق كل البراء والشفقة والدموع لفداحة هزيمته مثل الإله . انه لم يقهر احد مثلما قهر الإله . وانه لو كانت الهزائم تقتل لما أمكن ان يعيش الإله ولا يوما واحدا ، وانه أي الهزائم لو كانت تسكت لما استطاع الإله ان يتكلم كلمة واحدة .

وانه لا يوجد من يستحق كل التهلة أو كل الحسد أو الفيط أو المنافسة لضخامة انتصاراته وتفوقه مثل الشيطان . ان الانتصارات لو كانت تتحول إلى ضخامة في حجم الذات لكان محتوما ان يملا حجم ذات الشيطان كل مكان في الكون ، ولما وجد الإله لذاته مكانا في أي مكان أو ذات .

إن أي كائن لم يدخل أية معركة لمهزم فيها بالأسلوب والمستوى
الذين دخل الله بهما معركة لهزم فيها . . إن احدا لم يصبر على فضائح
اللهزائم التي لا شبهة لها مثلما صير الله . . لن جميع الأجهزة ، الله للضعيفة
والوعظية والإرهابية ، بل ، والعسكرية . لم تستطع أن تنتصر انتصارا واحدا
على أهواء أو شهوات أو نيات أعضاء لئسنان واحد ، أو إن تضعفها أو إن
تجعلها تفقد شيئا من شهيتها أو من حماسها أو من وقاحتها ، أو إن
تذهب شيئا من الحياء أو من التهذيب أو من القدرة على الاستمرار ، أو
الغثيان .

إن جميع هذه الأجهزة الضخمة العالمية الأبدية الشاملة ، التاريخية
الرهيبة لم تستطع في أي وقت ولا في أي مكان من الأرض ، أو من التاريخ
أن تجعل الشيطان يشهر أن له منافسا أو أنه قد يصبح له منافس على
أعضاء أو أهواء أو شهوات كل البشر .

أنه أي الشيطان لم يخف في أي وقت ولا في أي مكان أن تستطيع
كل هذه الأجهزة التي توجه ضده بكل هذا الشمول وهذه العالمية والضخامة
أن تصنع له أية منافسة على التفرد بالمجد والسلطان وبقوة الإغراء في
قيادته لأعضاء وأهواء وشهوات كل البشر .

إن الشيطان لم يخش أن تنتصر عليه هذه الأجهزة إلا بقدر ما يمكن
أن يخشى الذباب - لو كان الذباب يستطيع أن يخشى - أن تجعله هذه
الأجهزة تقيا أو مهذبا أو رحيما أو متواضعا ، حتى لا يجرؤ على أن ينتقل
بين العيون والوجوه والأنوف الجميلة والبريئة والضارعة والشامخة وبين
الأحوال الأخرى ، بكل هذه البراعة أو بكل هذه البذاءة . أنه لمحتوم أن
الشيطان يسر ويرحب بتأثير من مجيء الأنبياء والعلمين والوعاظ الذين
يجشون بالاديان وبالعاليم وبالكتب المقدسة ليخاربوه ويهزموا مجده .
لأنه يعلم أن مجيء هؤلاء سيصبح عناء لهم دون أن يخسر هو شيئا . وأما
أنوجه المفكوري أو الحد المفكوري للرسالة الروحية أو للدينونة فإنه قد يكون
شيئا رديئا أو مسيئا لأنه يجيء ليساعد جوافز ورغبات الضعف والفرار
والتخلي فينا ، أو يجيء داعيا إلى ذلك ومعلما له . ومحتوم أن تكون الحياة
مشحونة بل محكومة بجوافز ورغبات واحتياجات التخلي والفرار .

إن الرسالة الروحية أي الدعاية الدينية تعلمنا بأننا لسنا صانعين

لأنفسنا ولا للطبيعة التي نحيهاها ، ولا مسئولين عنها ، وأنه لا ينبغي أن نكون كذلك كما لا يمكن ذلك . انها اي الرسالة الروحية او الدينية تخلينا وتحررنا من مسئوليات ومتاعب الارباب ومن التزاماتهم وهمومهم الشاقة المبدعة . انها تعفينا من ان نكون مسئولين عن أنفسنا او عن اي شيء حولنا او ملتزمين بشيء من ذلك مسئولية والتزاما كاملين او حقيقيين . لانها تضع فوقنا قوة هائلة لا حدود لقدرتها ولا لاستبدادها ولا لتدخلها فينا وضدنا ولنا ومعنا ، ولا منطق لارادتها او لاخلاقها او لما تطالب به او لما ترفضه .

ان هذه الرسالة تعلمنا اننا عبيد مصنوعون ومفلوون ومسيرون دائما ، يراد لنا ويراد بنا ، ويراد ضدنا ، ويراد ، ونشيد ونحطم ، ونوهب ونسلب ، ونصاغ ويقذف بنا كما لا ندري ولا نريد ولا نختار ولا نستشار ولا يفكر في احتياجاتنا او في همومنا او في الامنا . ان هذا هو اخف أو اقل ما تهبنا الرسالة الروحية او الدينية او الايمان بان فوقنا كائنا هائلا خالقا شاملا . او هو اخف وأقل ما تعلمنا هذه الرسالة او هذا الايمان .

انها قصة لا مثيل لما فيها من عدوان وهوان وتشويه وتحقير وكآبة ووحشية ، انه خيال لا يملك اي قدر من المجد او من العظمة او من العافية النفسية او العقلية .

ان هذا الخيال او القصة او الرسالة الروحية الدينية قد تريحنا مما نهاب ومما يتعبنا ومما ترهقنا تكاليفه ومعاناته ومسئوليتنا عنه ، ومن وضع عظمتنا ونذالتنا ورضانا عن أنفسنا واحتقارنا لها تحت حساباته . ان كل هذا قد يكون نافعا لنا وقد نكون محتاجين اليه . اننا حتما محتاجون اليه . اننا حتما محتاجون الى ان نراح من محاسبتنا لأنفسنا ومن وضعها تحت مراقبتنا ومسئوليتنا .

ان ذلك قد يكون سببا من اسباب رغبة الناس في الايمان ، ومن اسباب اقتناعهم السهل بمسوغاته وبتفاسيره وبمنطقه وبانبيائه وبدعائه الكذبة والجهلاء واللصوص والمتاجرين والمنافقين . لعل رغبة الناس في الايمان هي التي وهبت انبياءهم وزعماءهم كل مزايهم وقدرتهم على الاقتناع وعلى الانتصار في السوق .

هل آمن الناس وصدقوا غباء وانخدعوا ام احتياجا وفرارا ؟ هل خدعوا
ام اضطروا حينما آمنوا بما لا يمكن الايمان به ، وحينما صدقوا من لا يمكن
تصديقهم او صدقهم ، ومن لا يفقر تصديقهم او اتباعهم ؟ هل الناس
يصدقون لانهم يقتنعون ام لانهم يريدون ؟ وهل يقتنعون لانهم يجدون
ام لانهم يريدون ؟ هل النبي يساوي نفسه ام يساوي المؤمن به ؟

لعل الناس قد بحثوا عن مسوغات الايمان واحتاجوا اليها قبل ان
يجدوا اسباب الايمان او براهينه او مسوغاته ، او دون ان يجدوا هذه
الاسباب والبراهين والمسوغات ، او اكثر مما وجدوها ، ولعلمهم قدا احتاجوا
الى انبيائهم وزعمائهم ومعلميهم والى تصديقهم والتهاف لهم ورؤية
معجزاتهم ومزاياهم وعبقرياتهم قبل ان يجدوهم او يروهم ، وقبل ان يجدوا
او يروا شيئا من مزاياهم او معجزاتهم او عبقرياتهم ، او شيئا يحرض على
تصديقهم او يفقر تصديقهم او يمتلئ عن بلادة تصديقهم - او دون ان
يروا او يجدوا هذه العبقريات والزايا والمعجزات ، او اكثر مما وجدوها
ورأوها .

لعل الناس قد رأوا معجزات وعبقريات ومزايا انبيائهم وزعمائهم
ومعلميهم وآمنوا بهم وهتفوا لهم واتبعوهم قبل ان يوجدوا وقبل ان يروهم ،
بل ودون ان يوجدوا او يروهم .

نعم ، لعل الناس قد آمنوا بانبيائهم وزعمائهم وهتفوا وصلوا لهم ورأوهم
وجربوا تقواهم وصدقهم واخلاصهم وجميع مزاياهم قبل ان يوجدوا
ويحضروا ..

لعل الناس قد آمنوا بانبيائهم وزعمائهم وب نماذج ومستويات ومواهب
هؤلاء الانبياء والزعماء ثم جاءوا اي ثم جاء انبيائهم وزعمائهم بنماذجهم
ومستوياتهم ومواهبهم التي كان الايمان والاقتناع بها اولا . لقد جاءت
نماذج ومستويات الانبياء والزعماء وفق ما في نفوس المؤمنين لا وفق ما في
ذوات الانبياء والزعماء . لقد عاش الانبياء والزعماء في نفوس المؤمنين لا
في ذواتهم هم .

هل آمن الناس بانبيائهم وزعمائهم تمجيذا او تحية او تكريما او عرفانا
لهم او معرفة بهم ام آمنوا بهم ليكذبوا ويصغروا ويتبدلوا ويتشوهوا بهم ،
وليلقوا عليهم بذنوبهم وعجزهم وهوانهم وخوفهم وهزائمهم وتفاهاتهم ،
وليسوغوا بهم نقائصهم وهربهم وعاهاتهم وتخايهم عن المسؤوليات والمعاناة
وعن التفكير والدكاء والشجاعة ؟

هل آمن الناس بالانبياء والزعماء ليقودوهم الى النظافة والقوة ام
ليجعلوهم تفسيراً وتسويفاً لتلوثهم وعجزهم ؟

هل كان الناس حينما آمنوا وصدقوا واتبعوا وهتفوا نبلاء ، يهبون
 نبيلهم وحبهم واعترافهم وذكاءهم ، أم كانوا اندالا يلقون بهمومهم واعباتهم
 ومسئولياتهم وتلوثاتهم وضعفهم على كائنات أخرى ، يسمونها آلهة أو أنبياء
 أو زعماء أو معلمين ، دون أن يريدوا لهذه الكائنات أي مجد أو سعادة أو
 سرور ، ودون أن يشعروا لها بأي قدر من الاحترام أو الشوق أو الحب ؟
 هل مكانة الآلهة والأنبياء والزعماء في السوق مكانة من يكرمون ويمجدون
 ويصلون لهم أم مكانة من يهجون ويحقرون ويتهمون ويعتدي عليهم ؟
 إذن فإن أقوى وانفع ما في الدعوات والتعاليم الروحية أو الدينية
 هو اغفائها من يؤمنون بها ، أو محاولاتها اعفاءهم ، من تبعات والتزامات
 ومن هموم وأخلاق ومواقف وحسابات ومحاسبات شاقة باهظة ، واقناعها
 لهم ، أو محاولتها الاقناع لهم ، بأنهم عبيد محكومون مصنوعون مسيرون
 مربوبون بقوة لا حدود ولا نموذج لقدرتها وشمولها وتسلطها وتفرد لها
 وتدخلها وغيرتها ومنافستها وكبريائها وشهيتها للاقتراض والاستبداد .
 وأيضا اقناعها لهم بأن هذا الهوان ليس هوانا بل مجد وعزة ، أو هوان
 هو كل المجد وكل العزة . . .

إن هذا يهب البشر الراحة الفكرية والنفسية والأخلاقية أيضا . إن
 جميع البشر ولو أحيانا يبحثون عن مثل هذه الراحة . وقد يشترونها بكل
 كرامتهم وشجاعتهم وذكائهم . أنهم يناضلون - ولو بعض الأحيان ببعض
 الأساليب للفرار من وطأة التبعات والالتزامات ، ولا سيما الشعورية
 والنفسية والفكرية والأخلاقية منها . ولكنهم أحيانا أخرى يناضلون بجنون
 للوقوع تحت عقاب أقسى وأضخم وأشرس التبعات والالتزامات والهموم
 الإنسانية الباهظة .

أنهم قد يجنون بحثا عن الظروف والالتزامات التي تصنع لهم أقصى
 العذاب . والبشر لا يمكن تفسيرهم أو فهمهم بصيغة واحدة أو بمنطق واحد
 كما تفسر وتفهم الطبيعة .

إن الإنسان هو أقصى الكائنات على الفهم بقدر ما هو أقدر الكائنات على
 الفهم ، وأنه كذلك لأكثر الكائنات طهارة وشموخا وشجاعة بقدر ما هو أكثرها
 تلوثا وهوانا وجبنا . أنه وحده المصلي للآلهة ، وأنه وحده المشوه الهاجي لها .
 إن المسافة الممتدة بين حدي الإنسان أو طرفيه أو نقيضيه لا طول من كل
 مسافة ممتدة بين حدي أو طرفي أو نقيضي أي كائن آخر . إن الإنسان لبعيد
 جدا وقريب جدا . أنه لبعيد جدا في قربه ومع قربه وعن قربه ، وأنه
 قريب جدا في بعده ومع بعده وعن بعده .

إذن فالوجه الأخلاقي أو السلوكي في الرسالة الروحية أو الدينية
 ليس له أي نفع . أنه لا يمكن التزامه لأن التزامه ضد الطبيعة وفوق

ضرورتها وتفسيرها . انه ليس الا معاناة فقط وتبيدا فقط وحماسا ضائعا فقط .

انه ليس الا قراءات وتفسير ونصوصا ضائعة ، والا ارهابا عقليا ونفسيا واخلاقيا مفرغا من القيمة .

ان البشر لم يربحوا ولم يأخذوا في كل تاريخهم من مجيء انبيائهم ومعلميهم ووعاظهم ، ومن ممارستهم لهم ولاديانهم ولكتبهم المنزلة ولمحاريبيهم ومنابرهم ، ومن استماعهم اليهم وعلاقاتهم بهم ، ومن حفظهم لاقوالهم وتعاليمهم ، ومن وعظهم لاخلاقهم ونياتهم بهم وبما جاءوا به وبمحاريبيهم ومنابرهم ، ومن شتمهم لهم ومن وعودهم ووعيدهم ، ومن بذاءاتهم وبدائياتهم الفكرية والنفسية والاخلاقية واللغوية .

- نعم ، ان البشر لم يربحوا او يأخذوا من كل ذلك في كل تاريخهم سوى المعاناة وسوى التبيد وسوى الحماس الضائع . ما كان اضخمه من حماس ضائع . لقد كان حماسا لا يحمل معنى الحماس او قيمته او موضعه او تفسيره . انه لم يكن حماسا لشيء جيد موجود ولا ضد شيء ردى موجود .

لقد كانت قضية المعاناة والحماس للانبياء والمعلمين والوعاظ ، وللكتب المنزلة وللمنابر والتعاليم المحفوظة الموعوظ بها قضية خسران فقط ، خسران فقط دون انتظار اي شيء يؤخذ او يسترد او يتحول الى تعويض .

كيف تقبل البشر معاناة هذه المعاناة وهذا الحماس ؟ كيف حدث هذا ؟ هل هو بحث عن الفناء ام عن الضياع ؟

انهما معاناة وحماس بالنفس والفكر والاخلاق والتاريخ والزمن لا مثيل لهما في الضياع والخسران . فهل كل البشر مجانيين ؟ هل الجنون احتياج محتوم من احتياجات الحياة ، من احتياجات جميع العقلاء ؟ هل الجنون احتياج او غذاء او عزاء او مجد للعقل ؟

هل تستطيع ان تكون عاقلا فقط ؟ هل من الافضل لك او من العقل ان تكون عاقلا في جميع ممارساتك وتفكيرك وتدبيرك ؟ هل يستطيع العقل ان يواجه او ان يمارس نفسه دون ان يعيش الوانا كثيرة ومختلفة من الجنون ؟ اليس العقل محتاجا الى ان يسوغ نفسه بالجنون ؟ اليست معايشة الحياة والناس والذات والعقل بلا جنون هي اقصى حالات الجنون ؟ لقد كان الناس في كل التاريخ ينفقون اضخم المعاناة والحماس والعقول الذكية والموهوبة على الجنون ، وعلى ما لا امل في ان يهب او يفيد او يعزي او يمدد او ينقذ . فهل كانوا جميعا مجانيين ؟ هل كانوا جميعا باحثين عن الخسران والجنون ؟

هل المعاناة والحماس للخسران والجنون عبقرية انسانية او مجرد

انساني ؟ هل المعاناة والحماس بلا ثمن اسلوب جيد من اساليب البحث عن السعادة وعن المجد والعبقريّة ؟

هل الآلهة تعبد بالمعاناة والحماس الضائعين ؟

هل المعاناة والحماس الضائعان هما التفسير الشامل والمنطوق الشامل لكون الشيء موجودا ؟ هل هما أي المعاناة والحماس الضائعان احتجاجان عالميان على عبث الكينونة التي لا تفسير ولا منطق لها غير المعاناة والحماس الضائعين ؟

ولكن هل يوجد جنون وعقل ؟ اليس كل وجود هو جنونا ؟ هل في الوجود ما هو عقل ؟ اليس الجنون هو الفعل أو الكينونة أو ايجاد الشيء أو وجوده بلا هدف أو خطة أو تدبير أو منطق مقصود ومقصودة معروفة مطلوبة نتائجه ؟ وهل في الوجود أو في الابداع ما هو كذلك ؟ اليس كل الاشياء قد وجدت بلا هدف ولا خطة ولا تدبير ولا منطق سابق مقصود معروف معروفة أو مطلوبة نتائجه ؟ هل يمكن ان يكون الوجود الاول أو الوجود مجتمعا بتدبير أو بخطة أو بمنطق سابق أو بالبحث عن هدف أو بالانطلاق عن أي حافز .

هل وجد الصرصار بهذه الشروط ليكون وجوده أو ايجاده عقلا لا جنونا ؟ هل وجد الانسان بعقل أو بمنطق أكثر من العقل أو المنطق الذي وجد أو أوجد به الصرصار ؟

هل موجد الصرصار لو كان له موجد أكثر جنونا أو أذكى تدبيرا وتخطيطا من موجد الانسان ؟

أذن اليس كل وجود أو ايجاد جنونا ؟ وأذن هل من الاشياء أو من الموجودات أو من الكينونات أو من الممارسات ما هو عقل وما هو جنون ؟ أذن اليس الجنون هو سلوك كل شيء ومنطق وتفسير كل شيء ؟ بل اليس العقل نفسه هو احدى صيغ أو تعبيرات الجنون أو احدى ممارساته ؟

هل يكون شيء أو انسان عاقلا الا بقدر ما يبدع الجنون ويؤمن بالجنون ويحترم الجنون ويلتزم بالجنون ؟

هل يكون العقل الا استجابة لما هو جنون أو عطاء ما هو جنون أو املاء ما هو جنون أو احتياج ما هو جنون ؟ هل يكون العقل الا احدى لغات الجنون أو احد مطالبه أو احدى مجاعاته أو خطواته أو ضروراته أو ضرباته أو رقصاته أو حماقاته أو غلطاته ؟

هل يوجد عقل ليس ناتج الجنون ؟ اليس الجنون هو مبدا كل الاشياء ومنطق كل الاشياء ؟ اليس الجنون هو أيضا منتهى وغاية كل الاشياء ؟ أذن فان من المحتوم ان تكون جميع ممارسات البشر أساليب مختلفة

من الوان الجنون لانه لا يمكن أن يكون شيء غير جنون . واذن فالمعاناة والحماس الضائعان المنفقان على الضياع وبلا ثمن هما من هذا الجنون الذي لا بد منه ، والذي لا شيء غيره ، والذي لا بديل عنه ، ولا مهرب منه ، ولا بداية ، ولا نهاية الا اليه .

.. هذا الجنون الذي هو كل البداية وكل النهاية وكل التفاسير وكل المنطق وكل العبقريات وكل التفاهات .

اذن فالمعاناة والحماس الضائعان على مجيء الانبياء والمعلمين وعلى استقبالهم والترحيب بهم والتعلم منهم والاستماع اليهم وشق الطرق وايجاد الاماكن والهتاف والحب لهم ، والخوف منهم ، والبحث عنهم - والضائعان ايضا على المنابر والمحارب وعلى المواعظ والاديان وعلى الكتب المنزلة .

- نعم ، اذن فالمعاناة والحماس الضائعان على ذلك هما من هذا الجنون الذي لا بد منه ، والذي لا شيء غيره ، والذي لا بديل عنه ولا مهرب منه ، والذي لا يستطيع البشر أن يمارسوا سواه أو يجدوا سواه أو يفكروا في سواه لانه لا يوجد سواه .

ان مجيء الشيء أو الانسان هنا ليس اقل جنونا من اصابته بالجنون بعد مجيئه . ان ولادة العبقرى ومجيئه هنا ليسا اقل جنونا في كل منطقته وتفاسيره من ولادة اية نملة أو حشرة .

ان اصابة أي انسان بالجنون ليست أشد جنونا في منطقها أو في تفاسيرها أو في حوافرها وأهدافها بل أو في نتائجها من مجيء اعقل العقلاء هنا ، ليمارس كل مستويات وأعلى مستويات العقل الموجود هنا . ان المجيء هنا هو كل الجنون وكل معاني الجنون وكل اسباب كل الجنون وأعلى مستويات الجنون والجامع لمنطق كل منطق كل الجنون .



اما الوجه الفكري الداعي والموصل الى العبودية العقلية والنفسية فهذا هو الوجه الخطير في الرسالة أو في التعاليم الروحية والدينية . انه الوجه الخطير في الاديان وفي مجيء الانبياء والمعلمين وفي وجودهم ، او في وجود تعاليمهم بيننا .

ان ذلك هو الوجه الخطير لانه هو الذي يتحقق ويتقبل في المجتمعات . انه يتحقق ويقبل ، أو يصبح شيئا يعني شيئا لانه يجمع للمؤمنين بين الاستجابة للارادة والشهوانية والاستجابة للضعف وللرغبة في الفرار من الالتزامات والتبعات والمعاناة الصعبة . انه يجمع للمؤمنين بين هذا وهذا ، أو هو يأذن لهم أو يتسامح بأن يجمعوا بينهما .

ان الرسالة أو التعاليم الروحية أو الدينية هي اكثر الاشياء قسوة

وطفيانا على العقل والفكر والمنطق ، بينما هي اكثر الاشياء تسامحا او ضعفا او اغضاء او حياء او انهزاما امام التلوثات والشهوات والضعف الاخلاقي . انه لا مثيل للرسالة الروحية او الدينية في تسامحها مع التلوث وفي تعصبها ضد التفكير .

انها لا تحابي شيئا مثل محاباتها لسقوط الاخلاق ولا تقاوم شيئا مثل مقاومتها لشموخ العقول .

ان الدعوة او التعاليم الروحية او الدينية سلاح يقتل دون ان يصنع نصرا او ان يهزم عدوا . انه سلاح لا يطلق على الاعداء ولا يستطيع ان يصيبهم . انه سلاح لا يقتل الا حامله ومستعمله . انه سلاح ليس ذكيا ولا شهما ولا وفيا . انه سلاح اكبر اهدافه واكثر امدافه سقوطا تحت طلقاته هو العقل والذكاء . انه سلاح لا يقاتل او يصيب سوى كبرياء العقل والذكاء .

ان الرسالة الروحية او الدينية ليس لها خصم تقاتله سوى عقل الانسان وذكائه .

ولكن اليس من المحتمل جدا ان الناس لا يخطئون في تفكيرهم او يعجزون في سلوكهم لانهم يحملون او يعيشون او يتعلمون افكارا خاطئة ، بل لانهم عاجزون عن ان يفكروا تفكيرا صحيحا وعن ان يصنعوا سلوكا قويا او عظيما او نظيفا ، لا لان لديهم افكارا خاطئة او ضعيفة تعلمهم الخطأ والضعف وتدعوهم الى ذلك ؟

اليس التفكير الخاطيء او الرديء ، والسلوك العاجز او الرديء هما تعبير عن انذات العاجزة الرديئة لا عن الافكار الخاطئة الرديئة ؟
ان الافكار الضالة او المعوقة او المثبطة لا تستطيع ان تعوق او ان تضعف او ان تهزم او ان تضلل النشاط المقتحم او العقل القادر على ان يعرف والمريد ان يعرف او ان يقاوم او ان يتجاوز ويرفض . ولكنها اي الافكار الضالة والمعوقة والمثبطة قد تدل على مستوى او على احتياج او على ظروف واهواء من يؤمنون بها او من يعلنونها او من يدعون اليها . بل ان مثل هذه الافكار قد تكون عاجزة حتى عن هذا التفسير . انها قد تكون عاجزة عن الدلالة على مستوى من يؤمنون بها . انها قد تكون منفصلة عن مستوى المؤمنين بها او نقيضا حادا لمستواهم . ان الانسان قد يكون اكبر جدا من افكاره او من اديانه او من اربابه كما قد يكون اصغر .

ان اقوى الناس واقدرهم على الاقتحام والتجاوز واعظمهم عبقرية عقلية قد يؤمن بأضعف واسخف الافكار . وقد يتعصب لها ويمادي او يقاتل دونها وغضبا لها ، اكثر واعمق مما يفعل ذلك الاغبياء والعاجزون الذين يكونون اندادا بمواهبهم العقلية والاقتحامية لهذه الافكار والذين

يتساوون ويتكافأون باستعداداتهم وتطلعاتهم معها .
ان الموهبة والقدرة والرغبة والشهوة لا يمكن ان تقتلها ولا ان تهزمها
او ان تزجرها الافكار او التعاليم او الاديان مهما كانت كما انها اي الافكار
والتعاليم والاديان لم تستطع ان تقتل او ان تهزم او ان تزجر في الاعضاء
او في النيات او في الشهوات جوعها الى التلوث والى النذالة ، والى
السباحة والفرق في حمامات الشيطان .

ان كل ما في تاريخ البشر وكل ما سوف يكون في تاريخهم من آلهة
شرسة ، ومن انبياء ومعلمين غلاظ الاخلاق والعقول والتعاليم ، ومن
صلوات ومحاريب ومعابد ومنابر ، ومن آيات وانجيل ، ومن ارباب
ووعيد واوامر ومنه تصوغها وتوجهها بكل كبريائها وضخامتها ووحشيتها
وكآبتها كل الآلهة في كل ارجاء كل جحيم .

- ان كل ما في تاريخ البشر وما سوف يكون في تاريخهم من ذلك
لن يستطيع ان يمنع او ان يؤخر او ان يزجر او يخيف او يضعف امة
فكرة في أي عقل من ان تفتح كل السدود والحدود والحراسات
السماوية ، لتنتقل في زمانها ومكانها وعلى مستوى قدرتها وبكل قدرتها
وعنفها وشراستها وبكل قدرتها على القتال والانتصار ، دون ان تستاذن
او تحترم او تهاب حضور اي آله او اي نبي او أي معبد او اي محراب
او اي انجيل او اي قرآن ، يأمر وينهى ويوعد ويلعن ويحزم ويهدد
ويحدق بفضب تموت من رهبته وكآبته النجوم والشموس والابتسامات
في وجوه الحقول ووجوه الانهار وفي وجوه كل الاشياء . ان اي حضور
لا يتلقى من التحقير والغيظ والاذلال والعصيان مثلما يتلقى حضور الآلهة
والتعاليم والاديان والكتب المنزلة .

ان المواهب الانسانية لا ترحم دموع الآلهة او خوفها او ضعفها .
انها اي المواهب لا تتخلى عن تفجراتها وانطلاقاتها او تؤجلها اشفاقا على
ضعف الآلهة او احترامها لاحزانها او بحثا عن سراتها . ان دموع الآلهة
لا تجد من يرثي لها . انها اضيع دموع في هذا الكون . ان مآسي الآلهة
وهزائمها هي اعظم ما يهب المواهب المتفجرة المتحدية المقاتلة النشوة
والسرور والرغبة في المزيد من التفجر والتحدي والقتال .
ان المواهب لا تحترم شيئا او تهاب شيئا غير قدرتها على ان تكون
او لا تكون . انها تستطيع او لا تستطيع .

ان المواهب الميتة هي ميتة وليست مقتولة . ان الآلهة لم تقتلها وهي
لا تستطيع قتلها . وان شيئا ما لا يستطيع ان يقتلها .
ان المواهب الميتة هي مواهب لم توجد . انها لم تمت ولم تقتل ،
ولكنها لم توجد . ان المواهب اما موجودة او غير موجودة . انها ليست
مقتولة او غير مقتولة ، وليست ماذونا لها او ممنوعة .
ان الآلهة هي اضعف اعداء الانسان . انها لم تستطع ان تصيبه باي

ضرر أو ألم في كل تاريخه . انها عاجزة عن ذلك . انها عاجز أعدائه .
ان الآلهة هي أنبل أعداء الإنسان لانها أي الآلهة هي أضعف أعدائه .
ان الآلهة في كل تاريخها لم تستطع ان تفعل للإنسان أو ان تفعل
به أكثر ، أفضل أو أردأ من ان تتحول الى تفاسير وتسويغات وشعارات
لما يريد ويستطيع ويفعل ، أو لما لا يريد ولما لا يستطيع ولما لا يفعل .
انها في كل تاريخها وتاريخه لم تعطه ولم تأخذ منه غير أن فسر نفسه
بها . ان كل احاديثه عن الآلهة ورؤاه وتفسيره لها ليست الا تفاسير
لنفسه ، لما يريد أو لما يرفض لها .

ان الآلهة لا تستطيع ان تكون أكثر من متهم بذنوب لم ترددها ولا
تستطيع ان تفعلها ، أو بمزايا لم ترددها ولا تستطيع أيضا ان تفعلها بل
ولا ان تريدها .

ان كل عبقرية الآلهة ، ان كل ذنوبها وحسناتها ان تصبح متهمة . .
ان تتحول الى تفسيرات وتسويغات وشعارات دون ان تدري أو تريد
ودون ان تقبل أو ترفض ، ودون ان تحزن أو تسر أو تقا تل لترفض
الظلم والعدوان عليها والكذب باسمها ، والاتهام لها ، لذنوبها وأخلاقها
وتاريخها .

هل ترى حظوظ الآلهة اذن جيدة ام رديئة ؟

هل تراها قد افادت الإنسان أو الحياة ؟ هل تراها قد اصاب
الإنسان أو الحياة بأي ضرر ، أي بهذا التفسير لها ، بهذا الاتهام أو بهذه
التبرئة ؟

ان الآلهة رديئة جدا ، ولكنها جيدة جدا ، وكذلك التعاليم الروحية
والدينية . انها رديئة جدا في كل تفاسيرها وأخلاقها واحتمالاتها .
ولكنها جيدة جدا لانها لا تفعل شيئا ولا تستطيع شيئا . ان عاجزها
هو اعظم مزاياها بل كل مزاياها . انها عاجزة عن ان تفعل للمؤمنين بها
أو ان تفعل ضدهم .

ان الآلهة وكذلك الاديان وكذلك كل رسالة أو تعاليم روحية لا
تستطيع ولم تستطع ان تكون قيذا بل ولا أمرا أو نهيا على سلوكنا أو على
أفكارنا أو على نياتنا .

انها لم تستطع ان تصبح اغراء أو تحريضا أو زجرا في أي وقت .
لهذا فكم هي نبيلة ورحيمة ومهذبة في سلوكها وتأثيرها مهما كانت
رديئة ومتوحشة وهمجية في كل تفاسيرها وحوافزها وأهدافها ونياتها .
ان كل ذنوبها انها تتحول الى بيت ضخم ، ضخم تنفق وتبدد عليه
أفدح النفقات دون أن يسكنه احد أو يأوي اليه احد ليتقي به الحر أو
البرد أو الرياح أو الافتضاح .

ان الآلهة والاديان والرسالات الروحية هي البيوت الضخمة الشامخة
التي لم يسكنها في أي عصر أو مجتمع احد من مصمميها أو من دعايتها
أو من المنفقين عليها أو من البائنين لها بأيديهم واجسادهم .

الانسان .. هل خدع خيال الآلهة

« .. لقد كان التاريخ في جميع اشواطه وصياغاته واهتماماته وتفاسيره كانه لم يكن يعني او يريد الا ان يصنع الموت والخراب والآلام والاحزان والجنون والغباء والتشويه والاذلال لكن الناس ، يجعل من كل ذلك تحية وتمجيذا وتويجا وصلاة لانتصارات وامجاد القادة والزعماء والمجانين الشخصية . لقد كان التاريخ يتحرك وكأنه يرى ان أي مجد او انتصار او ابتهاج لأي قائد أو لأي زعيم ليس الا غفرانا بل ليس الا شفاء لكل ما في الكون والحياة والناس من عاهات وتفاهات ومن شقاء وجنون وعدوان وتلوث وبلادة وذنوب . لقد كان التاريخ يهتف دائما لنفسه وهو يصنع ابشع الآلام والاحزان والحقاقت والمظالم والتخريب ، لانه كان يعتقد او كانه كان يعتقد أنه بذلك إنما يحيي ويصافح الزعماء والقادة والمعلمين القتلة الاغبياء ، ويهتف لامجادهم وانتصاراتهم ، ويصنع لهم التيجان المنسوجة والمسحوبة من جسد الانسان ومن ذكائه وكبريائه وشجاعته . ان المظالم والحقاقت التاريخية ليست مغفورة فقط لانها تتحول الى تحية والى تمجيد وتكريم ومحابة لامجاد وانتصارات الزعماء والقادة والمعلمين ، والى اعلان بذيء شرير عن أمجادهم وانتصاراتهم . بل أنها اي المظالم والحقاقت التاريخية اكثر من مغفورة . لقد كان التاريخ يؤدي أدواره وكأنه يرى ان امجاد وانتصارات هؤلاء القتلة والمجانين لا يمكن ان توجد أو ان تكون عظيمة او مقبولة او مقروءة او معروفة او معترف بها او صانعة لهم الكبرياء والمجد والابتهاج الا اذا صنعت كل الموت والدمار والويلات الشاملة لكل الناس ولكل الاشياء . أن ذلك هو وحده الذي يهبهم الدوي والخلود واللمعان . لقد ظل التاريخ في كل التاريخ عميلا وقحا ندلا منافقا لجميع القادة والزعماء والمعلمين الاغبياء القتلة وكأنه لا عبقرية له غير ذلك .. » .



لو ان كائنا فلكيا استطاع من بعيد ان يستمع الى ما يقول ويذيع البشر ، وان يقرأ ما قالوا وما يقولون ، ما قاله ويقوله اربابهم وانبيائهم وزعمائهم ومعلموهم ومفكروهم ووعاظهم وشعراؤهم وكل من مارسوا

ويمارسون الكلام والتعاليم فيهم .

— نعم ، لو أن كائنا فلكيا استطاع ذلك بوسيلة ما فكيف يمكن أن يفهم البشر أو أن يتصورهم أو أن يفسرهم ؟ هل يتصورهم اقوياء واذكياء؟ هل يتصورهم ضعفاء واغبياء ؟ هل يتوقعهم سعداء أم أشقياء ؟ هل يمكن أن يراهم بأي نموذج أو مقياس أو مستوى من نماذجهم أو من مقاساتهم أو من مستوياتهم ؟ هل يمكن أن يفسرهم أو أن يفسر أي شيء فيهم ، أي شيء من أخلاقهم أو من نياتهم أو من حياتهم تفسيرا طيبا أو سعيدا ؟

هل يمكن أن يكون نماذجهم حينئذ في افتراض ذلك الكائن الفلكي عملا من أعمال العقل أو الخيال أو التصور أو التفسير أو التوقع ؟ هل يمكن أن يرى أو أن يجد نماذجهم فيما قالوا وفيما كتبوا لو أنه استمع لو قرا ما قالوا وما كتبوا ؟

هل يمكن أن يفهم ذلك الكائن الفلكي بما يسمع ويقرأ عن البشر ولهم ماذا يكونون أو يعنون أو يساؤون أو يربون أو يعملون ؟ هل يمكن أن يقدر ولو تقديرا مقاربا طول قاماتهم العقلية أو الأخلاقية أو ارتفاع هاماتهم العقلية أو الأخلاقية أو النفسية بما يسمع ويقرأ منهم ولهم ؟ هل يمكن أن يراهم أو يفهمهم أو يفسرهم أو يتوقعهم أو يتصورهم أو يحدد طول قاماتهم أو ارتفاع هاماتهم النفسية أو الأخلاقية أو العقلية بالقراءة لهم ، أو بالاستماع إليهم ؟

هل يمكن أن يفهم البشر مما يقولون ويكتبون ؟ هل يمكن أن تفهم مستوياتهم ، أو نماذجهم ، أو تلوثهم ونظافتهم ، أو كبرياؤهم وانضاعهم ، أو ضآلتهم وضخامتهم ، أو ممارساتهم لحياتهم أو لانفسهم أو للآخرين ؟ هل يمكن أن تفهم نماذج البشر أو مستوياتهم أو تصدق أو تفترض بالعقل أو بالخيال أو بالتفسير بدون ممارستهم طويلا ، طويلا .

هل يمكن تصور البشر كما هم أو قريبا مما هم بدون قراءة لهم وبدون استماع إليهم ؟ هل يمكن أن يصبحوا صورا عقلية أو خيالية في عقل أو في خيال كائن ، أي كائن فلكي أو غير فلكي لم يراهم ، ولم يمارسهم بأي أسلوب من أساليب الممارسة ؟ هل يمكن أن يهتدي أي عقل أو خيال — بالتصور والافتراض والتقدير — إلى نموذجهم ، إلى أي نموذج من نماذجهم ؟

هل البشر نموذج يمكن تصوره او افتراضه او اقتراحه او اختياره
او تمنيه او الاهتداء اليه ؟ هل هم نموذج ، هل هم باخلاقيهم او بدكانهم او
بدواتهم او بأية صيغة من صيغ حياتهم وممارساتهم ، نموذج يمكن ان يراه
او يتمناه او يقترحه او يرضى به او يفهمه خيال او عقل اي اله او اي
كائن فلكي او كوني يعيش فوق الكون ، فوق النجوم ، بعيدا عن الارض
التي يعيش فوقها البشر دون ان تراهم اي الارض او تنظر اليهم او تفهمهم
او ترحب بهم او ترضى عنهم او تقترحهم او تقترح نموذجهم او تستشار
في مقدمهم اليها او في نموذجهم - دون ان تتصورهم او تدعوهم او تجوع
اليهم او تشعر بالحاجة الى التزين بهم - دون ان تؤمن بالآلهة او تصلي
لهم أو تتأدب في طاعتها ومعاملتها لهم شكرا لهم على اهدائهم البشر اليها؟

هل البشر نموذج يمكن لاي كائن ان يجامل او يجمل موهبته بأن
يبدعه او يقترحه او يتصوره او يفهمه او يعجب به او يدعيه او ينسب
اليه ؟ هل للبشر نموذج تعاني أية موهبة في التطاول اليه ؟

هل يمكن ان يكون البشر تصورا او امنية او اقتراحا او تدبيرا أو
منطقا او خيالا لاي كائن ، لاي اله او لاي فنان او لاي مفكر او لاي كائن
فلكي ، لا يراهم ولا يمارسهم ولا يتعذب بممارستهم وبرؤيتهم ؟ هل يمكن
ان يكون البشر صيغة في أي منطق ، او في اي تصور او في اية امنية او
في اية عين او في اية موهبة لم ترهم ، ولم تعان من رؤيتهم طويلا ، طويلا،
جدا ، جدا ؟

هل يمكن ان يمدح اي اله او أي مبدع بأن نموذج البشر من تخطيطاته
او من اقتراحاته او من أمانيه او من تصوراته او من شهواته ؟ هل يمكن
ان يكون نموذج البشر رؤية اله او رؤية فنان ؟ ان يكون حلم اله او حلم
فنان ؟ ان يكون احتلام اي اله او احتلام اي فنان ؟ هل يمكن ؟

هل يمكن ان يكون الانسان نموذجا لنفسه ؟ هل يمكن ان يكون نموذجا
لتصوره او لخياله او لاقتراحه او لتمنيه او لارادته او لمنطقه او لاختياره؟

هل يمكن ان يرى هو نموذج نفسه بكل مستوياته او بشيء من
مستوياته ، رؤية عقلية ؟
هل يمكن ان يختار نموذجه او يعرفه او يهتدي اليه بالتصور او

بالافتراض او بالتفكير او بالرؤية من بعيد ؟ هل يرضى الانسان بنموذجه او يختاره لو كان مخيرا ؟ هل نموذج الانسان عدوان على الانسان ؟

هل يمكن ان يكون نموذج الانسان تصورا او اقتراحا او تمنيا او اختيارا او رؤية بالتفكير او بالمنطق او بالخيال ؟ هل يمكن ان يكون الانسان نموذجا عقليا او اخلاقيا او أي نموذج لاي خيال او لاية رؤية او لاي احتلام ؟

لو ان جميع التصورات والخيالات والارادات والاقتراحات والتمنيات والرؤى العقلية والاخلاقية الموجودة والمحتملة والتي قد وجدت قد تجمعت في مؤتمر مفتوح لتمارس كل نشاطها وحماسها وذكاها ، وكل اهتماماتها وقدراتها وعبقرياتها واساليبها المختلفة فهل يمكن ان تتمنى او تريد او تتخيل او تتصور نموذج الانسان ، او تقترحه ، او تراه رؤية عقلية ، او رؤية شعرية او فنية ، او حتى دينية ؟ - هل يمكن ان تتمنى او تريد او تتخيل او تتصور او تقترح ، او ان ترى رؤية عقلية او اخلاقية او فنية او شعرية او دينية نموذجه النفسي او العقلي او الاخلاقي او العاطفي او اللغوي او الديني او الذاتي ؟ هل يمكن ان يكون اي نموذج من نماذج الانسان اهتماما من اهتماماتها او مستوى من مستوياتها ؟

هل يمكن ان يكون نموذج الانسان أي افتراض من افتراضاتها . او ان يكون داخل اي نشاط من نشاطاتها ؟

ولو فوجيء أي اله او أي مبدع بمواجهة الانسان لأول مرة وبالتحديد فيه وفي نماذجه المختلفة فهل يمكن ان يجيء في احد حسابات هذا الاله او المبدع أنه قد يتصور نموذجه او يتخيله او يقترحه او يختاره او يعجب به او يرضاه نموذجا لاي شيء ، تعبيرا عن أي مستوى من مستويات فنونه ومواهبه ، او أنه قد يراه رؤية فكرية او اخلاقية أو دينية او شعرية ، او أنه قد يخلقه ويصوغه ، او أنه هو الذي خلقه وصاغه ؟

ولو ان هذا الاله او المبدع المفاجأ برؤية الانسان للمرة الاولى اتهم او امتدح بأنه هو الذي اقترح او تصور او تخيل او ابدع او رأى بفكره وموهبته الفنية نموذجه ، أي نموذج الانسان فهل يمكن ان يصدق ذلك او ان يراه احتمالا ؟ هل يمكن ان يتقبل هذا الاتهام او هذا الامتداح ؟ هل

يمكن ان يرى هذا الامتداح او الاتهام احتمالا قد يكون صادقا ؟ هل يمكن ان يصدق ان ذلك قد يكون احتمالا في تصور أي آله او أي مبدع ، او في خياله او في تمنياته او في اقتراحاته او في رؤاه العقلية ؟ انه يعني دائما بنموذج الانسان جميع صيغه وتعبيراته السلوكية والشعورية والنفسية والفكرية والجسدية ، بل واللغوية والدينية ، بكل اساليبها ومستوياتها واحتمالاتها ، بل ويعني بذلك أسلوب مجيئه واسلوب ذهابه ، وجميع اساليب معاناته وممارساته لفضائحه وآلامه ولسراته ايضا .



ان ذلك الكائن الفلكي او الانسان الفلكي المفترض انه قد سمع وقرا ما يقوله البشر وما كتبوه ويكتبونه سيجد فيما يقرأ ويسمع ما لا يمكن ان يتحول الى نموذج للبشر ، الى نموذج مفهوم او متوحد او عظيم . ان ما سوف يقرؤه ويسمعه لن يستطيع ان يتحول الى تفسير لنموذج البشر ، لاي نموذج من نماذجهم . انه لن يجد في ذلك تفسيراً لنماذج البشر ، بل انه لن يجد فيه تفسيراً لاي شيء .

انه لن يجد فيه تفسيراً ولا لنموذج آية حشرة ، ولا لنموذج اي شيء .
ان ما سيقروؤه ويسمعه سيلقي به في ظلام دون اية علامات .

انه مهما كان محتملا ان يخدع ذلك الكائن الفلكي او الانسان الفلكي في تصوراتهِ وتفسيرهِ لنماذج البشر ولستوياتهم المختلفة - لان ما سوف يسمعه ويقرؤه لهم وعنهم ومنهم وفيهم قد يخدع ، او هو جدير بأن يخدع ، او محتوم ان يخدع - فان احتمالات ذلك الانخداع والخديعة ، او حتميتهما لن تصبح شيئاً خطيراً او شيئاً مفهوماً او شيئاً متحدداً .

انه لو خدع لما جاءت الخديعة لمصلحة البشر ، لما جاءت تمجيدها لهم او مزيداً من تمجيدهم . انها حينئذ خديعة قد تجيء ضدهم .

وقد يكون هذا القول باحتمال الانخداع أو الخديعة لهذا الكائن الفلكي ليس الا تصورا لواحد من البشر ، وليس موقفاً سوف يعاني منه كائن يعيش بعيداً ، يعيش وراء الكون وفوق النجوم . اننا نحن البشر قد نخدع انفسنا بما نقول عن انفسنا ولانفسنا ، ولكن هل نخدع به الكائنات الفلكية؟

قد يكون الامر انه لن يوجد اي احتمال لانخداع اي كائن فلكي في

تصوره لنماذج البشر ولستوياتهم المختلفة حينما يسمع ويقرا ما يقولون ، وما كتبوا ويكتبون دون ان يعاني معاشتهم ورؤيتهم معاناة فيها كل اهتمامات التجربة ورؤاها ومنطقها وشروطها والامها وتحدياتها وذنوبها وفضائحتها . قد يكون الامر انه لو خدع ذلك الكائن الكوني بما يسمع ويقرا عن البشر ولهم ومنهم لكانت خديعته ضدهم لا لهم . انه قد يتصورهم ويفهمهم ويفسرهم اقل من نماذجهم لا اكثر لانه قرا وسمع لهم .

انه سيسمع ويقرا - مصدوما مروعا - ما لن يستطيع ان يتبين هل هو صادر عن عقلاء ام عن مجانين ، عن مستوى غريب وشاذ جداً من المجانين . وهل يحتمل ان يتصور صدور مثل ذلك عن عقلاء ، عن اي عقلاء ، عن اي مستوى من مستويات العقلاء ؟ وماذا يمكن ان تكون صفات العقلاء او صفات المجانين في تصور ذلك الكائن الفلكي ، وما هي الفروق في حساباته بين هؤلاء وهؤلاء ؟

انه سيسمع ويقرا ما لن يستطيع ان يتصور ان مثله قد يصدر عن كائنات عاقلة او ذكية او متحضرة او مهذبة او صادقة او مخلصه او مؤمنة او سعيدة ، او نظيفة ، او يمكن ان تفهم او تعامل او تعيش او تقبل او تحتمل او تستطاع رؤيتها او التفاهم معها او الثقة بها ، او فهم ماذا تريد ، او ماذا تعني ، او ماذا تقول ، او ماذا تستطيع ، او ماذا تنوي ، او ماذا تفهم - او ماذا يمكن ان تعطي او تفيد الالهة التي دبرتها واوجدتها ان وجدت هذه الالهة - او ماذا تعطي او تفيد نفسها لانها قد وجدت . انه لن يستطيع ان يفهم أي شيء معقول او محترم او مدبر او مراد مقصود في هذه الكائنات التي يسمع منها ويقرا لها . انه لن يستطيع ان يفسرها او يضبطها بأي مقياس من مقاييسه ولا بأي منطق .

انه سيجد فيما يقرأ ويسمع كل شيء ونقيضه . سيجد الامتداد لكل شيء والذم لكل شيء . سيجد الامتداد للشيء الواحد والذم له في وقت واحد او في اوقات مختلفة ، من مكان واحد او من اماكن متعددة ، من قم وعقل واحد او من عقول وافواه متعددة مركبة في كائن واحد .

انه سيجد الايمان بكل شيء والجحود بكل شيء والجحود او الرفض لكل شيء . سيجد ان الشيء الواحد يقع عليه الايمان ويقع عليه الكفر في اوقات مختلفة او في وقت واحد ، من مؤمن وكافر واحد او من مؤمن

وكافر آخر - من كافر مؤمن ، او من كافر ومؤمن ، من كافر هو المؤمن، او من كافر هو الكافر ، او من كافر هو المؤمن بشيء آخر - بنفس الحماس والافتناع ، وبنفس الاعلان والافتضاح والغرور والتحدي والدعوة الى المبارزة .

انه سيجد الشيء الواحد ، سيجد الاله او النبي او المعلم الواحد ، سيجد الدين الواحد او المذهب الواحد او التفكير الواحد او المنطق الواحد او النظام الواحد او التاريخ الواحد او الوضع الواحد او المستوى الواحد او القائد الواحد او الرجل الواحد .

- سيجد الشيء الواحد حقا وباطلا ، صدقا وكذبا ، ذكاء وغباء ، جمالا ودمامة ، عدلا وظلما ، شرفا ونذالة ، شجاعة وجبنا ، قوة وضعفا ، تقدما وتأخرا ، تلوثا ونظافة .

انه سيجد أن كل شيء هو نفسه وتقيض نفسه، هو الشيء والخروج على الشيء ، هو التفسير والتفسير الآخر ، هو الفكرة ومقاومتها ، هو الفكرة والفكرة الاخرى ، هو المبدأ والمبدأ ، هو النظافة والتلوث هو الايمان والنفاق ، هو البطولة والاجرام - هو الشيء وعكسه، هو الشيء ومعاداته، في زمان واحد او في زمانين ، في مكان واحد او في مكانين ، في لسان واحد او في لسانين ، في دين واحد او في دينين ، في تعاليم نبي واحد او في تعاليم كل الانبياء ، في مشيئة وشهوة اله واحد او في مشيئة وشهوة كل الالهة ، في لغة واحدة او في كل اللغات .

انه سيجد ان الحق هو الباطل وان الباطل هو الحق ، وان الذكاء هو الغباء وان الغباء هو الذكاء، وان المنطق هو الخروج على المنطق وان الخروج على المنطق هو المنطق ، وان العدل والصدق والتطهر هو نفس الظلم والكذب والتلوث ، وان التلوث والظلم والكذب هو نفس العدل والصدق والطهارة .

انه سيجد أن النبي هو الدجال وان الدجال هو النبي . وسيجد ان البطل هو المهرج وان المهرج هو البطل . وسيجد ان الذي يوصف بهذا هو الذي يوصف بهذا ، وان الذي يهتف بحياته وله هو الذي يهتف بموته وضده ، وان الذي يمجّد ويصلّي له في هذا المبدأ او في هذا الدين او المذهب هو الذي يحقّر ويكفر به في الاديان والمذاهب والمعابد الاخرى .

انه سيجد كل شيء يتحول الى نقيضه فيما يسمع ويقرأ ، انه لن يعرف اي النقيضين هو المعتدي وايهما المعتدى عليه ، ايهما الله وايهما الشيطان .

انه لن يجد فيما سوف يسمع ويقرأ شيئاً واحداً يمكن ان يفهمه او يميزه او يختاره او يراه الافضل او الاصدق او الاذكى او الاكثر تهديبا او تقى ، او الاشرف اتباعا ودعاة .

انه لن يجد الها او نبيا او معلما او ديناً او مذهباً او منطقاً او طغياناً او ادعاءً او حقداً او طموحاً او عدواناً او غباءاً او جنونا واحداً بلا نقيض او مخالف او منافس او مزاحم او مشاتم ، له نفس الدعاوى والكبرياء والبداءات والضجيج والاسلحة والمبشرين والمقاتلين والاتباع العدوانيين ، له كل شهود الزور ومنابر الزور وكل ادوات الفتك والتسلط والتضليل والافساد ، له نفس الدعاية بكل فحشها واكاذيبها وغواياتها وتكالييفها ، له كل ظروف النقيض وشرعيته واحتمالاته ، له كل ذكائه وغبائه ، له كل اقتناعه بنفسه وبذكائه وغبائه ، له كل ما له من هتافين ومؤمنين متساوين في الغباء والهلوان .

انه لن يجد فيما سوف يسمع ويقرأ الها ليس امامه عديد الالهة تنافسه وتعاديه وتقاتله وتشتاتمه وتكذبه وتطعن في طهارته وفي اخلاقه وفي نياته ، وتكيد له ، وتحاول ان تأخذ منه ، وان تسطو عليه ، وان تقتاله ، وان تشهر به - ليفعل هو بها نفس ما تفعل او اكثر ان استطاع . انه لن يجد الها لا يتبادل الشتائم والاحقاد والاتهامات والعداوات والمخاصمات والحروب مع منافسين وانداد آخرين دون اي تهذيب او وقار او عدل او ذكاء او شرف .

انه لن يجد مذهباً او نظاماً او ديناً لا تقف في مواجهته اديان ومذاهب ونظم أخرى موقف القتال والحسد والغيرة والعداوة والعدوان والتجريح والتشهير والتهديد والتربص والتضليل والمفاخرة والمطاوله ، وتدعي لنفسها من الصدق والخلود والذكاء والنزاهة والنظافة والتقوى مثاماً يدعي لنفسه او اكثر مما يدعي ، وتحاول ان تحشد في معابدها وتحت اقدامها وفي معتقلاتها العقلية والنفسية والارهابية كل كائن وكل ما ليس كائناً بلا اي مقدار من الصدق او الورع او النبيل - ليفعل هو نفس الاشياء التي تفعل بنفس الجنون والوقاحة والشهوة العدوانية والافتراسية ،

وبنفس الافتضاح والضجيج والرغبة في الالتقاء بكل الملابس الداخلية والخارجية ، ملابس التجميل والزينة وملابس الاحتشام والاستتار - ملابس الخداع وملابس المقاومة لوفحات العورة ، ملابس الصلاة وملابس الحمام ، ملابس الميدان وملابس النوم والخذع .

انه فيما سوف يسمع ويقرأ ان يجد قائدا او نبيا او معلما واحدا او حتى كاتباً او مفكراً او شاعراً ، او حتى كاهنا او واعظا واحدا لا يخوض كل المارك في ارض كلها اوحال وذنوب وحشرات ووحوش ضد انداد وامثال لهم نفس الحوافز والغايات والنيات والمستويات والصفات .

انه سيجد فيما سوف يسمع ويقرأ آلهة ونبوات واديانا ومذاهب ونظما وزعامات وقيادات وجيوشا وحدودا وتجمعات واحلافا واحقادا وعداوات وبذاءات ومنابر ولغات وهموما وهزائم ومجاعات وشهوات وذنوبا ومطامع تتصارع وتتلاعن وتتعدى وتتقاذف بكل الاتهامات والبذاءات والبغضاء وبكل اساليب التعبير والسفه ، وبكل معاني الحققد والتطاول والعدوان ، وبكل نيات القدر والخداع والتدمير - بنفس المنطق والحجة والادعاء والحافز والاسباب ، وبنفس الايمان والتقوى والغيرة والصدق والحب للجمال وللذكاء وللعدل .

انه سيجد كونا من الجنون ، من كل معاني الجنون وتفاسيره ومستوياته .

ان الاسباب التي يجب ان يكون بها هذا مقتولا ومهزوما ومنفيا ومرفوضا ومذموما هي نفس الاسباب التي يجب ان يكون بها قاتلا وهازما ونافيا ورافضا وذاما . ان الاسباب التي تدعوك نبيا ، التي تدعي لك النبوة هي نفس الاسباب التي تدعوك شيطانا ، التي تحولك الى شيطان . ان الاسباب التي تجعل منك قديسا وزعيما عظيما هي نفس الاسباب التي تجعل منك مشعوذا ومجرما يعاقبه القانون .

انه سيجد فيما يقرأ ويسمع ان الاسباب التي تجعلك تملك هذا الكون او التي تهلك المنطق والقدرة على امتلاكه او على ادعاء امتلاكه والمطالبة بامتلاكه هي نفس الاسباب التي تنفيك من هذا الكون وتعطي خصومك المنطق الذي يطالب بنفيك من الكون ، وتعطيهم القدرة على ان ينفوك .

انه سترهق خياله مستويات الضعف والاعياء والخوف والضياع والجوع والتفاهة والبلادة التي سوف يكتشفها في البشر حينما يقرأ ويسمع منهم لهم . انه سيكتشف بارتفاع اضعف المستويات حتى فيما يبدو انه اقوى المستويات ، او انه التعبير عن اقوى المستويات . ان تلك المستويات التي حسبت اقوى المستويات وتحدث عنها على انها اقوى المستويات ستعصف بخياله ، ستتحول الى عقاب لخياله .

انه سيجد كل الضعف والتفاهة والغباء فيما يبدو او يظن انه كل العظمة والقوة والالمية الذهنية . انه سيسمع ويقرأ عن المواقف الشجاعة والنبيلة والمجيدة والنظيفة والمهذبة والذكية والفادية والواهة كل ضروب المسمرات ليجد فيها التعبير الفادح ، الفادح جداً ، عن النقيض، عن النقيض جداً . انه سيجد هذا النقيض ، هذا النقيض جداً ، في مذاق الكلمات وفي صوتها وفي حشرجتها وفي كبريائها ، وفي بذاءتها ، وفي انانيتها ، وفي عدوانييتها ، وفي جرائتها وفي تناقضها وفي غبايتها .

انه سيجد اردا مستويات الضعف في أعلى مستويات التعبير عن أعلى مستويات القوة . سيجد ان اقوى اساليب التعبير عما يراد فهمه وتصديقه هي اقوى اساليب التعبير عما لا يراد فهمه ولا تصديقه، عما يراد اخفاؤه وانكاره .

انه سيجد اردا المواقف واضعفها مفسرة بأبلغ الكلمات عن انبل واتقى واقوى المواقف . انه سيجد كل الدمامة مخبوءة بقاء حيث يجد الحديث عن كل الجمال . انه سيجد الاعلان عن الدمامة كلما وجد الاعلان عن الجمال . انه سيجد الافتضاح حيث يراد الاستتار انه سيجد كل التعري حيث توجد كل الملابس .

انه سيكتشف ما في نفوس البشر من انخفاض وقبح وفحش وتلوث وصفائر حينما يسمع ويقرأ ما يقولون ويكتبون من اساليب الثناء عليها ومن اساليب التحدث آليها ، وحينما يقرأ ويسمع أوصافهم لانفسهم واساليب الامتداح لها ، وحينما يسمع ويقرأ ما يقولون وما يكتبون عن الآخرين والى الآخرين ، وكيف يصفونهم وكيف يريدون لهم وكيف يشعرون ازاءهم وكيف تتعامل افكارهم وعواطفهم وكلماتهم معهم .

انه سيكتشف كل معاني الفحش والقبح والضعف في البشر حينما

يسمعهم ويقرؤهم وهم يتحدثون وبيارزون ويفاخرون ويتهددون ويتوعدون ويتلاعنون ويتجادلون ويدعون بكل ما في الوحش والحيوان والحشرة من بذاءة ووقاحة وسموم وجلافة وبلادة وافتراس ، وبكل ما ليس في الحشرة والوحش والحيوان من حقد وبغضاء وكبرياء وكذب وتنافس ونفاق ودمامات اخرى .

وهل يتصور الكائن الفلكي ان كائنا ما قد يتحدثى او يبارز او يفاخر او يتوعد او يهدد او يجادل او يلاعن كائنا اخر - هل يمكن ان يتصور ذلك او يتقباه ؟ هل يمكن ان يتصور فحشا او عدوانا او جنونا او نذالة او بلادة او دمامة مثل ذلك ؟ هل يمكن ان يتصور ؟ هل يتصور كان لم يشاهد من يتشائمون ان كائنا ما قد يشاتم كائنا آخر او يتوعدة او يتحداه او يفخر عليه او يدعو للمبارزة .

كيف يمكن ان يفهم الكائن الفلكي كائنات تتشائم وتتعادي وتتفاخر وتتعاقد وتتحاسد وتتباغض وتتقاتل بالارباب والانبياء والاطوان والمذاهب والنظم والتاريخ والافكار والاخلاق بكل هذا الفحش والبذاءة والوحشية والنذالة والعداوة التي سوف يجدها ويصدم بها حينما يسمع ويقرأ ما يقوله وما كتبه ويكتبه البشر - كيف يمكن ان يفهم هذه الكائنات ، كيف يمكن ان يفهم ويتصور نماذجها ومستوياتها - كيف ؟

كيف يمكن ان يتصور الكائن الفلكي كائنات مقسمة الى جماعات ، كل جماعة ، واحيانا كل فرد ، تعادي كل الجماعات الاخرى وتشائمها وتعيرها وتكرهها وتهدهدها وتتمنى لها الدمار والشقاء والهوان ، وتنتظر - بالكلمات وبالتفكير وبكل اساليب الدعاية - لها كل ذلك ، زاعمة انها لا بد ان تصنع لها هذا الذي تنتظر - لانها مقتنعة - وتعلن اقتناعها هذا - بان الالهة او دينها او مذهبها او نظامها او نبيها او زعيمها او معلمها او وطنها او تفكيرها او موقفها هو الاصدق والافضل والاذكى والاقوى والاخذ - او بانه هو وحده الصادق والفاضل والذكي والقوي والخالد ، وزاعمة ومصدقة بان الالهة او نبيها او زعيمها او مذهبها او نظامها او وطنها يريد منها ذلك ويأمرها به ؟

كيف يمكن ان يفهم الكائن الفلكي مثل هذه الكائنات - كيف يمكن ان يفهم او يتصور نماذجها ومستوياتها ؟

هل يفترض حينئذ كل هؤلاء الذين يسمع ويقرأ لهم عقلاء واذكياء
وصادقين ومخلصين ومحترمين ؟

واذن كيف يتعاملون هكذا ، وكيف يرى بعضهم بعضا ، ويحكم بعضهم
على بعض هكذا ؟ كيف ؟

كيف يكون الشيء ونقيضه شيئا واحدا ؟
اذن هل يفترضهم عقلاء ومجانين ، طيبين وانذالا ، صادقين وكاذبين ؟

ولكن ايهم هؤلاء وايهم هؤلاء ؟ ما الفارق : ما الدليل . ما هي اسباب
الاقتناع ؟

اذن هل يفترضهم جميعا مجانين واغبياء وكاذبين ومزورين وادعياء
واهل سوء ؟

واذن اين من ليسوا كذلك ؟ الا يوجد اسلوب اخر من الكائنات ؟

ولعل ذلك انكائن يذهب حينئذ يدير حوارا حادا وصادقا على ذهنه .
لعله حينئذ سيقول لذهنه ، او يقول له ذهنه ، او يقول امامه ذهنه ، او
يقول ذهنه امامه : اذا كان بعضهم هو وحده الصادق والعاقل والذكي
والمخلص والمدرک والقابض على الصواب فلماذا لا يعلم الآخرون ، ولماذا لا
يسلمون له ، ولماذا لا يسرون معه .

ولماذا لا يفهمون كما فهم ؟ هل هم اغبياء ؟ هل هم فاسدون ؟ هل هم
اغبياء وفاسدون ؟

ولماذا خص ذلك الفريق وحده بان يكون الصادق الذكي العاقل الفاهم
المالك للمنطق والصواب ؟ ومن خصه بذلك ؟ وما هي الاسباب الاخلاقية او
الفنية او الاضطرارية في تخصيصه بذلك ؟

وكيف علم ذلك الفريق انه كذلك ، اي كيف علم انه هو وحده
المخصوص بالصدق والذكاء والعقل والادراك وبلا متلاك للمنطق والصواب ؟
كيف علم ، كيف علم انه قد علم ؟

انه لموقف صعب ان يعلم من علم انه قد علم وان يقتنع من اقتنع
باعتقاده .

ليس كل الآخرين المجانين الاغبياء الكاذبين المخطئين المطرودين من
كل حدود المنطق والصواب يحسبون ، بل يعلمون ، بل يعلنون انهم هم
وحدهم العقلاء الاذكياء الصادقون المصيبون المالكون لكل احتمالات الحق
والخير والذكاء ؟ اذن كل يظن انه هو الله . اذن كيف يعلم الله انه هو
الله صدقا لا انخداعا ؟

اذن كيف يقتنع من هو الله حقيقة بانه هو الله ؟ كيف يطمئن الى
ذلك ؟ كيف يثق باعتقاده ؟ كيف يعرف ان اقتنعه يعني انه كذلك ؟ كيف
لا يقدر انه قد يخطئ في اقتنعه ، بل كيف لا يقتنع بانه مخطئ في
اقتنعه مثلما اخطأ الآخرون في اقتناعهم ؟ ان كل مقتنع مقتنع باعتقاده
حتى اشد المخطئين خطأ ، اذن كيف نقتنع باعتقاده ؟ وكيف يقتنع الاله
باعتقاده انه اله ؟

ان اولئك الآخرين مخطئون ومجانين واغبياء وكاذبون مزورون .
وهم مع ذلك مقتنعون بانهم ليسوا كذلك ، بل انهم مقتنعون بانهم عكس
ذلك .

كيف يقتنع المصيب بانه مصيب حيث لا دليل على انه مصيب سوى
اقتنعه ؟ ان غير المصيب مقتنع ايضا بانه مصيب مثل اقتناع المصيب
حقيقة اذ كان يوجد مصيب حقيقة . كيف يكون اقتناع هذا دليلا او
كافيا ، او اقتناع ذاك ليس دليلا ولا كافيا ؟ كيف يمكن فهم الحقيقة
المختبئة وراء الاقتناعين ؟ ما الفرق بين الاقتناعين ؟ واذا كان يوجد بينهما
فرق او فروق فكيف تعلم ؟ وكيف يثق الكائن بعلمه مع ان الكائن الآخر
الذي لا علم لديه يعلم ايضا لانهم كلهم يعلمون ، وقد يعلمون بدرجة متساوية ،
وقد يعلم الذين لا يعلمون اكثر واصدق واعمق مما يعلم الذين يعلمون ؟
انهم جميعا يعلمون . اذن من هم الذين لا يعلمون . انهم جميعا يملكون
الله .

اذن من هم الذين يملكون الشيطان ؟ انهم جميعا صادقون . اذن من
هو هذا الذي يتهمونه بالكذب ؟

وسوف يدبر أيضا ذلك الكائن الفلكي حوارا آخر صادقا وحادا مع ذهنه . سيقول كيف يكون من العدل أو من الرحمة أو من الاخلاق - على أي مستوى من مستويات الاخلاق - كيف يكون من العدل أو من الرحمة أو من الاخلاق ان يخص ذلك الفريق وحده بامتلاك الصواب والذكاء والعمل والتهذيب ؟ كيف يخص بان يكون وحده هو الله ؟ كيف يقبل هو هذا التخصيص ؟ وكيف يتعامل به وعليه ؟ وكيف يفترضه ، او يقبل افتراضه ؟ كيف تتقبل ذلك اخلاقه أو مشاعره أو منطقته أو دينه - كيف ، كيف ؟

انه قد يعجز ذلك الكائن الفلكي عن تقبل ذلك ، عن تقبل شيء منه . اننا نتقبل اشياء كثيرة لاننا قد مارسناها طويلا ، لاننا قد مارسناها بعمقنا وآذاننا ومشاعرنا ومعارفنا وروايتنا وبتعاليمنا طويلا ، طويلا ، وبقسوة وشمول . انه لولا ذلك لصرخنا ولصعقنا أمام اشياء كثيرة نراها ، بل ونمارسها بل ونحيهاها ، بل ونعبد بها ولها وامامها ثم نذهب نشكر المنعمين الواهبين الطيبين ، ثم نذهب نتحدث بتدين عن جمال الاشياء وعن نبيل الاشياء وعن رحمة الاشياء وعن عدل وحكمة واهب الاشياء .

ان ذلك الكائن الفلكي لم يمارس الاشياء التي نمارسها نحن ، وانه لم يمارسنا نحن ، لم يمارس لغاتنا وأفكارنا ومذاهبنا ومنطقنا وسلوكنا واحقادنا وتعادينا وادعاءاتنا وتفاخراتنا وأقتناعاتنا وانانياتنا . انه لم يمارسنا بأية وسيلة من وسائل الممارسات حتى ولا بعينيه ولا بأذنيه ، حتى ولا بخياله او تصوره .

اذن كيف يستطيع ان يتقبلنا او يتقبل الاشياء التي نتقبلها نحن بانبهار وافتخار وتعبد ؟ اننا نحن لم نتقبل الاشياء التي نتقبل ، ولم نتقبل انفسنا بكل نياتها وتعبيراتها ومستوياتها ونقائصها الرهيبة الا بالممارسات الطويلة التي تحول الفضائح والدمايات والآلام الى امجاد وديانات ومذاهب ، والى اخلاق وتعاليم انبياء ، والى عطايا ومواهب آلهة . ان الممارسة الطويلة قتل لطاقات الاحتجاج والرفض والاستقباح .

ولا بد ايضا ان يحاور ذلك الكائن الفلكي نفسه محاوره اخرى . انه لا بد ان يقول :

وذلك الفريق الذي خص بأن يكون هو وحده العاقل الدكي أصادق المخلص الفاهم المالك لكل الحق وأدكاء والعقل وأصدق - لو انه لم يخص بذلك ، لو انه عاش الجنون والغباء والكذب والباطل والضلال الذي يعيشه الآخرون ، الذي يعيشه مناقضوه ومخالفوه ، ليس من المحتوم حينئذ أن يقتنع بأن ما عنده هو ما فقده ، هو ما ليس عنده متبعا فعل الآخرون الذين يفقدون ثم يظنون أنهم يملكون ، ثم يعتقدون أنهم يملكون ما يفقدون ، بل ثم يعتقدون أنهم هم وحدهم الذين يملكون ؟ هل يوجد أو هل وجد من لا يعتقدون أنهم هم الذين يملكون الصواب أو أن الآخرين لا يملكون الصواب أكثر من امتلاكهم له أو دونهم أو مثل امتلاكهم له ؟

وإذا كان الامر كذلك ، أو وحيث ان الامر لا بد ان يكون كذلك . فهل يعلم هذا ذلك الفريق ؟ ان لم يكن يعلمه فكيف لا يعلمه ، وأن يكن يعلمه فكيف لا يتواضع ، كيف يتحول غروره الى كل هذه الدمامات والوقاحات والبلادات ؟ انه قد اخذ ما عنده بالاسلوب الذي قد يأخذ به نقيضه ، بالاسلوب الذي اخذ به الآخرون النقيض . وانه لم يستعد دائما ان يأخذ النقيض كما اخذ ما عنده ، كما اخذ الآخرون النقيض . انه لم يأخذ شيئا اخذ اعدائه أو خصومه غيره أو نقيضه لأن له مزية من أي نوع ، لأن له مزية أو تفوقا عليهم ، أي على خصومه واعدائه . انه لم يأخذ بالمزية كما لم يأخذوا هم بالمزية أو بفقد المزية .

انه لم يأخذ ما عنده ، لقد سقط عليه ما عنده ، أو وجده . أو سقط على ما عنده وان خصومه واعداءه لم يأخذوا ما عندهم ، لقد سقطوا على ما عندهم أو وجدوه ، أو وضع لهم ، أو وضع فيهم ، أو وضعوا له ، كما وضع هو فيما عنده أو وضع له أو وضع فيه .

انه لم يأخذ أو يختار كما لم يأخذوا هم أو يختاروا . أنه ليس في المسألة مزية من أي نوع، ولا فقد للمزية . ان الأذكاء والمالكين للاله الطيب القوي لم يصنعوا ذكاءهم أو يختاروه ، ولم يصنعوا صفات آلهتهم أو يختاروها ، لقد وضع فيهم ذلك ، أو وضعوا هم فيه . لقد اخذوا ولم يصنعوا .

ان من يعطي ويأخذ يجب ان يعتذر الى من لم يعط ولم يأخذ ، انه يجب ان يطلب منه الغفران ، وان يدفع له التعويض . وانه لشيء هو كل

الدُّوم والعدوان والوقاحة ان يتطاول من يعطي ويأخذ على من لم يعط ولم يأخذ . ان من يعطي الحقيقة والصواب والذكاء والعقل والنظام العادل والحياة الجيدة المتقدمة لفروض عليه ان يتحول الى اقوى واصدق اعتذار واستغفار وصلاة ومحبة وتواضع فيه كل معاني التعويض لمن لم يعط شيئاً من ذلك ، او لمن اعطي اردا نقيض لذلك .

هـ

ان من اعطي الصواب والحقيقة والعقل لواجب عليه الاعتذار الى من اعطي الخطأ والخرافة والكذب والغباء والجنون اكثر مما يجب على من اعطي المزايا الاجتماعية والمادية والتاريخية أن يعتذر الى من لم يعط ذلك ، وان يشعر بالذنب ازاءه لانه ظالم له وعدوان عليه ولو بالشعور . . ان من يعطى هو دائماً عدوان على من لم يعط . ان الاعطاء في جانب واحد ذنب، ذنب يستحق الكفارة .

ان الجميلة ليجب ان تعاني من الشعور بالذنب ازاء الدميمة وان تتوب اليها وتصلي تحت قدميها بضاعة فيها كل معاني الدموع والاسى اكثر مما يجب ان يعاني السارق أو القاتل أو الشاتم أو الظالم من الشعور بالذنب ازاء المقتول أو المسروق أو المشتوم أو المظلوم - واكثر مما يجب ان يتوب اليه وأن يذرف الدموع بين يديه .

ان الجميلة امام الدميمة قاتلة وشاتمة وسارقة ، فاذا فاخرتها او اعلنت عن جمالها أمامها اصبحت اكثر من ذلك .

ان من ملك الصواب والحق والصدق والذكاء والنظام العادل والحياة الجيدة المتطورة ثم ذهب يعير ويشتم ويحقر ويفاخر ويتحدى من حرم من كل ذلك لهو يشبه من ملك الجمال والصحة ثم ذهب يعير ويشاتم ويحقر ويفاخر المرضى والمصابين بالدماجات والعاكات . انه همجية وبلادة وعدوان ، انه أكثر من ذلك ، أنه اكثر .

ان من يفعل ذلك ليس اقل ظلماً وهمجية وبلادة من طفل يذهب - لانه مالك كلا ابويه - يعير ويحقر ويتحدى ويفاخر طفلاً اخر لانه فاقد لكلا ابويه . ان ذلك اسلوب من اساليب التعبير لليتيم ، يوجهه اليه غير اليتيم . ان ظلم الطبيعة وتمييزها الانسان على انسان ليصنع الالم والمرارة والغضب والاشمئزاز ويوجب الاعتذار والاستغفار مثلما يصنع ذلك ظلم

المجتمع او النظام او المذهب او الانسان .



ان ذلك الكائن الفلكي سيجد فيما سوف يسمع ويقرأ كيف يصف البشر اربابهم وانبياءهم وقديسيهم وابطالهم ونماذجهم الاخلاقية والعقلية، وكيف يتحدثون عنهم وكيف يروون اوصافهم ، وكيف يروون عنهم وصفهم هم لانفسهم فيما ينقلون ويحفظون من كلامهم ومن كتبهم المقدسة . آواه . هل يمكن ان يوجد من يستطيع ان يستمع الى ما يقوله الارباب والانبياء والقديسون والابطال في وصفهم لانفسهم ، فيما وضع على السنتهم ؟

انه سيجد انهم يضعون على السنة اربابهم وانبيائهم وقديسيهم ومعلميهم وابطالهم كلاما ليصفوا ويمدحوا به انفسهم هو الغباء والهجاء ، هو كل الغباء والهجاء ، كما انه سيجد البشر يمدحون هؤلاء الارباب والانبياء والقديسين والمعلمين والابطال بما هو اردأ الهجاء ، ويصفونهم بصفات هي اردأ صفات آدم . انهم يروون عنهم صفاتهم ويتصورون صفاتهم وكأنهم انما يريدون ان يبالغوا جدا في هجوهم لهم .

انه سيجد انهم يصنعون اوصافهم وينقلون عنهم من كلامهم المنسوب اوصافهم التي اختاروها ووضعوها لانفسهم واعلوا العقاب لمن ينكرونها عليهم او لا يستطيعون الايمان او الاقتناع بها . وانهم ليمجدونهم ويصلون لهم بهذه الاوصاف : بروايتها عنهم لهم وباختراعها وتصورها وبالصلاة والتعبد بها ، بتحويلها الى كتب مقدسة ، بجعلها من كلامهم في تمجيدهم لانفسهم .

انه سيجد انهم يصفون اربابهم وانبياءهم وابطالهم بصفات قد اخترعوها وتصوروها وتمنوها لهم ورووها عنهم في كلامهم المروي وفي كتبهم المقدسة - بصفات هي اضعف الصفات، هي اقوى الهجاء والسباب، هي ابلغ صفات الذم والتحقير لمن يبحث عن ابلغ صفات التحير والذم لكي يلقي بها على احقر عدو ذميم لئيم . انه سيجدهم يصفون هؤلاء الالهة والانبياء والقديسين والمعلمين والابطال الذين تصورهم كأعلى النماذج لامانيهم وطموحهم العقلي والأخلاقي والنفسي - انه سيجدهم يصفون هؤلاء - رواية عنهم وتصورا مختارا و متمنى لهم - يصفونهم بشر الصفات

انهم يصفونهم بالحقد والحسد والانانية والغيرة والمنافسة وبالفضب وبالرغبة في الانتقام وفي الانتصار على الاخرين والمائلين وفي الاذلال لهم .

انهم يصفونهم بالجبروت والظفيان وبالبحث عن التفرد بالقوة والوحدانية والكمال . أنهم يصفونهم بالجوع ، بكل معاني الجوع واساليبه ومستوياته وتوتراته وتشوهاتة وهمومه .

انهم يصفونهم بالبذاءات والمخاصمات والمشتات ، وبمشاعر الثار ومشاعر الاخذ به ، أنهم يصفونهم بالقسوة بلا حدود ، وبالبفض بلا حدود ، وبالوحشية بلا حدود ، وبالحماقة بلا حدود ، بل وبالفباء بلا حدود ، وبالسفه بلا حدود ، وبكل معاني وأساليب التلوث النفسي والسلوكي والفكري والعاطفي بلا حدود - بل ويصفونهم بالكيد والختل والخذاع والتآمر ، بل وبالفدر والكذب ، بل انه سيجد في وصفهم لهم أنهم يشبون الحروب ، ويحرضون عليها ، بل ويأمرون بها ، ويوجبونها ويباركونها ويصنعون اسبابها ويجزون عليها ، ويعاقبون على رفضها وعلى الدعوة ضدها . انه سيجدهم يقتلون ويعذبون ويشوهون ويستعبدون ، ويصنعون الاحزان والعاهات لمخالفهم ، بل ويأمرون بكل ذلك ويباركونه ويدعون اليه ويروونه تقوى ومزية ومحبة موهوبة سخية ، بل ويعاقبون عقابا متعديا ، عقابا يتعدى الفاعل لسبب العقوبة الى سواه ، الى كثيرين سواه ، واحيانا الى كل من سواه . انه سيجدهم في وصفهم لهم فرسانا متوحشين يتبارون في صناعة الموت والعذاب والاحزان والحروب والتشوهات .

انه سيجدهم يصفونهم - بأسلوب وارادة الامتداح والتمجيد لهم - بكل مستويات ومعاني الضعف والفباء والوحشية والهمجية والتخلف والعجز والضياع والحماقة والافتضاح والدمامة والتشوه . ان العقاب وارادته والقدرة عليه هي اسمى صفاتهم واخلاقهم فيما يروون عنهم وفيما يتصورون لهم من صفات الكمال .

انه سيجدهم يصفونهم - رواية عنهم في وصفهم لانفسهم وابتكارا مختارا لوصافهم المتمناة لهم - انه سيجدهم يصفونهم فيما وضعوا على الستهم وفيما تصوروا لهم بأوصاف لو أنهم أرادوا ان يبحثوا عن اقبح اوصاف الدم والتحقير والهزاء لما وجدوا اقوى منها ، أو مثلها ، أو سواها . كل رئائي وعطفي

عليكم ايها الارباب والانبياء والقديسون والابطال نقبح صفاتكم ولضعف اخلاقكم .

انه سيسمع البشر حينئذ يضاون ويتعبدون ويتمجدون ويتحدثون بكلام آلهتهم وانبيائهم وقديسيهم ومعلميهم وابطالهم الذي يصفون به انفسهم ، والذي يعلنون ويكشفون به عن مستوياتهم الاخلاقية والنفسية والمطقية ، وعما يريدون ويتمنون أن يعرفوا ويروا به ، وعما يريدون ويتمنون أن يكونوه ، وعما يتصورونه ويرونه كل المجد والذكاء والقوة والتفرد بالمزايا .

انهم بذلك يفضحون انفسهم ويعلنون عن ضعفهم الرهيب . ان تفسيرهم للمزايا يعلن عن مستوى مزاياهم .

انه سيسمع - على السنة البشر وبروايتهم - كيف يتحدث هؤلاء الالهة والانبياء والمعلمون والابطال والقادة والزعماء ، كيف يمارسون الكلام واللغات المختلفة ، وكيف يخاطبون اندادهم وخصومهم واعداهم ، وكيف يخاطبون انصارهم ورعاياهم وعبيدهم ، وكيف يخاطبون آلهتهم ، وكيف يخاطبون انفسهم والامهم ومشاكلهم وهمومهم وخيالاتهم واوهامهم ومجاعاتهم ، وكيف يخاطبون الكلام الذي به يتخاطبون . انه سيسمع كيف يخاطبون الكلام وكيف يتخاطبون بالكلام ، كيف يخاطبون انفسهم وكيف يخاطبون اشباحهم وتصوراتهم وامانيهم ومخاوفهم الرهيبة .

ويلتاه . . يا ويلتاه . ما اقبح مخاطبة هؤلاء للكلمة ومخاطبتهم بها . ما افظع تشويهم للكلمة وتشوهم بها .

انه لتعذيب لا رحمة فيه لاي كائن لا يعيش هنا ان يسمع كيف يتكلم آلهة البشر وانبيائهم ومعلموهم وقادتهم وزعمائهم وابطالهم . انه لتعذيب لا رحمة فيه لاي كائن لم يعيش معنا هنا أن يسمع كيف يتكلم هؤلاء كيف يعرضون ضعفهم ونقائصهم وعذآبهم من خلال الكلام . لقد كانت الكلمة في كل التاريخ من أشهر وسائل العرض لضعف الالهة والانبياء والزعماء .

وانه لتعذيب اكثر وحشية وابعد عن الرحمة أن يعلم او يسمع هذا الكائن أن هؤلاء الذين يسمعون يتكلمون - أي بالرواية عنهم - هم الالهة

والانبياء والقديسون والقادة والزعماء والابطال . وأنه لأشد مضاعفة لتعذيبه ان يعلم ان هذا الكلام الذي يسمعه كلام يفاخر به هؤلاء الالهة والانبياء والقديسون والزعماء والقادة والابطال ، ويفاخر به لهم عبيدهم ورعاياهم وتباعهم وانصارهم وكل المؤمنين والخاضعين لهم من مفكرين وعلماء وشعراء وفلاسفة وفنانيين ووعاظ واقطاب لاهوت - ان يفاخر به لهم كل ذكاء الانسان وكل عبقرياته وكل ما فيه من كبرياء ورفض .

انه لشيء لا يحتمل ترويعه الاستماع الى كلام ارباب البشر وأنبيائهم ومعلميهم وقديسيهم وقادتهم وابطالهم وزعمائهم - الاستماع الى كلامهم الذي تصلي به المحاريب وتخطب به المنابر ، وتهتف به الاسواق ، وتعلمه المعاهد ، ويعظ به الوعاظ ، وينصح به الرجل زوجته وابناءه ، ويفرض عليهم ان يحفظوه . انه لشيء فوق الطاقة ان يستمع الى ذلك . ان الاستماع اليه ، ان الاستماع اليه فقط ، مجرد الاستماع ، لشيء فاجع ، لشيء فوق التحمل . انه لشيء فوق ان يتحملة اي كائن لا يعيش معنا هنا ليمارس كل ما نمارس من غباوات واهانات ومن مستويات ، تعلم التواضع والأتضاع .

اما نحن البشر فاننا نتقبل ذلك ، بل ونتمجد ونباهي به ، بل ونهتف له . بل ونصلي ونتعبد به ، لاننا وجدنا فيه ، ولانه يساوي نموذجنا . لانه يساوي كل نماذجنا ، بل لانه هو نماذجنا . لقد صنعنا ذلك وتصورناه . لقد رأيناه هو النموذج الاسمي ، فاردنا ان نمدح به آلهتنا وانبياءنا وزعماءنا وقادتنا وابطالنا وكل قديسينا وكل من نتمناها ونختار تصوره وتصور نماذجهم . لقد وضعنا نماذج هؤلاء على مقاسات امانينا وتصوراتنا وذكائنا وطهوحنا الانساني . ان امانى الانسان وتصوراته تفسير لمستوياته ولاخلاقه . انها جزء منها وحكم لها او عايها .

ان تفاسير الانسان وتصوراته لاربابه ولابطاله لن تكون معزولة عن مستوياته .

وهل يمكن ان نفجع بالدمامة او بالرداءة التي نتصورها النموذج الاعلى ؟ هل يمكن ان تروعنا الرداءة او الدمامة التي نتمناها والتي نختارها والتي نضعها كأضخم امانينا واشواقنا التي لا حدود لطموحها ؟ هل يمكن ان ننكر القبح او السوء أو الظلم أو القباء أو التخلف أو حتى

الجنون الذي يجيء على مقاس ذكائنا وتصورنا وشهواتنا وطموحنا وامانياتنا واحتياجنا ورؤيتنا وتجاربنا ، وعلى مقاس كل مستوياتنا النفسية والعقلية والاخلاقية ؟ ان الغباء والاثم والخطأ والعدوان هو ما خرج على مقاسات احتياجنا وقدراتنا وتصورنا وذكائنا ، وليس هو ما خرج على مقاسات الشمس او على ذكائها او على اخلاقها او على احتياجاتها .

لقد قبلنا بنشوة روحية وهضمت اخلاقنا وعقولنا ان يكون هذا الكلام الذي نحفظه ونقرؤه ونصلي ونتعبد به هو كلام اربابنا وانبيائنا ومعلمينا وقديسينا وقادتنا واباطلنا وكل نماذجنا العقلية والاخلاقية لاننا قد وجدنا فيه ، ولاننا نحن الذين تصورناه وتمنيناه ووضعناه ورأيناه منتهى اشواطنا بالتصور والقدرة والامل .

ماذا لو ان انسانا ما استطاع ان يرتفع فوق نماذجيه وممارساته ، استمع الى هذا الكلام الذي نقرؤه ونصلي به ونهتف له ونتعلمه ونعلمه ونحفظه ونرفعه الى آلهتنا وانبيائنا ومعلمينا وقديسينا وقادتنا واباطلنا ؟ كيف يمكن ان تكون حينئذ فجیعة هذا الانسان ، واستقباحه وغضبه ورفضه ؟ كيف يمكن ان يكون حينئذ استقباله لذلك ؟

ان هذا يساوي ان تفاجأ برؤية الهك بعينين استعرتهما من كائن لم يذل عينيه ولم يجربهما ولم يستعملهما طويلا ، طويلا في التعود على رؤية ذنوب الآلهة وعلى رؤية فضائحها ودماماتها . وهل توجد عيون لم تتعود وتروض على رؤية ذنوب وفضائح ودمامات الآلهة - هل توجد عيون بريئة حرة ؟

وهل تستطيع النظر الى الآلهة لو انك وهبت عينين جديدتين لم تجربا رؤية الآلهة ، لم تجربا رؤية اخلاق الآلهة ومنطق الآلهة وعاهات الآلهة - لم تجربا رؤية اجساد الآلهة بكل تشوهاتهما واثامهما ، وبكل اظفارها وانيابها - هل تستطيع النظر الى ذلك بعينين جديدتين وهبتهما؟ هل تستطيع النظر ؟

هل تستطيع النظر الى الكون او الى الناس او الى نفسك او الى الاشياء - الى ما في ذلك من دمامات وآلام واهوال وعبث وضعف وبلادة ووحشية وجوع واحزان ، لو انك وهبت عينين جديدتين لم تتعلبا ، لم

تذلا طويلا ، طويلا برؤية كل التفاهات والنقائص والآلام والاختفاء والذنوب،
كأضخم واتقى وانبل النماذج لعبقرية الآلهة وحبها وجمالها وتقواها ؟ هل
توجد عينان نظيفتان شجاعتان حرتان لم تهانا وتذلا طويلا ، طويلا - لم
تفسدا وتلوثا طويلا ، طويلا بسقوط الذنوب والآلام والنقائص والتفاهات
والعاهات فيهما ؟

لقد مت ، لقد مات ذكاؤك ورفضك وغضبك واحتجاجك ورؤيتك
لأنك قد تغذيت طويلا طويلا ، بالخراب وبالفواجع وبالحشرات - لأنك قد
تغذيت طويلا ، طويلا بعاهاآت الآلهة وذنوبها وبعاهات الطبيعة وذنوبها
وبعاهات البشر وذنوبهم وبعاهات ذاتك وذنوبها .

لقد مت ، لقد مات غضبك ورفضك واحتجاجك ، وماتت رؤيتك .
لقد مت ، لقد مت .



وهنا لا بد أن يخوض ذلك الكائن الفلكي حواراً قاسياً مع افتراضاته
وتصوراته - أو لا بد أن نفترض أنه سوف يفعل ذلك . أنه سوف يحاور
افتراضاته وتصوراته مسائل ملحاً :

كيف يمكن أن تكون نماذج ومستويات وصور هذه الكائنات التي
تروي عن أربابها وأنبيائها وقديسيها وأبطالها وقادتها وزعمائها هذه
النماذج في وصفهم لأنفسهم وفي تصورهم وتمجيدهم لهم ؟ كيف يمكن أن
يكون وجود وشقاء هذه الكائنات التي تبتكر تصوراتها هذه النماذج
لنماذجها السماوية لتعبدتها وتصالي لها بها ؟

هذه الكائنات التي تتصور أربابها وأنبياءها وقديسيها وقادتها
وأبطالها بهذه المستويات - في روايتها عنهم ، وفي تمنياتها لهم - كيف
يمكن أن تكون مستوياتها هي ؟

أن روايتها عنهم أسلوب من أساليب التصور والتمني لهم ، وأن
تصورها وتمنيها لهم أسلوبان من أساليب الإعلان عن مستوياتها هي
- أسلوبان من أساليب الإعلان عن تمنياتها ومن أساليب إعلانها هي عما
تمناه كأعلى مستوياتها وكأعلى أمانها .

كائنات تتمنى لنماذجها العلوية هذه الصور النفسية والاخلاقية والعقلية والدينية واللفوية والفنية والذاتية كيف يمكن ان تكون صورها هي ؟

ان الذين يهبطون الى هذا الحضيض في تمنيههم وتصورهم لنماذجهم التي يسجد لمجد أقدامها مجد كل مجد لا يمكن ان يتعبوا الخيال او التصور لكي يتوقع ما في وجودهم هم ، ما في كل مستويات وتعبيرات كل وجودهم من حضيض حزين ، حزين ، حزين - من حضيض كان الهبوط الى تصوره او توقعه غير مستطاع وغير محتمل لولا المقاييس الحزينة التي وضعوها لمستويات نماذجهم التي كانت السماء بعض عروشها ، فجاءت هذه المقاييس تعبيرا وحشيا عن حضيض وجودهم هم ، الذي لم يكن الخيال او التصور المجرد يستطيع الهبوط اليه او يجرؤ على الهبوط اليه . ان الهبوط بالتصور او التوقع الى حضيض وجودهم يحتاج الى بطولة لا حدود لها في الجراة على مواجهة الدمامات والانحدارات والتفاهات ، وفي التصور والتوقع لها لولا هذه المقاييس التي وضعوها لاربابهم . ان تصور البشر لمستويات آلهتهم وانبيائهم وقديسيهم ، لمستوياتهم الفكرية والنفسية والاخلاقية، ونقلهم عنهم هذه المستويات، لهو اقوى هجاء للبشر وتحقير لمستوياتهم ، لهو اقوى تعبير وعلان عن ضالة هذه المستويات وعن هبوطها البعيد ، البعيد ..

ان تصورهم هذا لاقوى واقصى اعلان وتعبر عن ضعف خيالهم وضعف طموحهم وضعف تفكيرهم وضعف اخلاقهم وضعف موهبتهم الشعرية والدينية ، وعن ضعف كل وجودهم المادي والروحي . لقد كانوا ضعافا ، ضعافا الى المستوى الذي جعلهم يهبطون في تصورهم لنماذجهم العليا الى هذا الحضيض .

ان رؤيتهم العقلية والدينية والاخلاقية لانفسهم من خلال رؤيتهم لاربابهم وانبيائهم وقديسيهم وكل معلمهم - او هي رؤية لاربابهم وانبيائهم وقديسيهم ومعلمهم من خلال رؤيتهم لانفسهم - ان هذه الرؤية لاهي اقصى تفسير يفسرون به انفسهم ، وان تفسيرهم هذا لانفسهم لهو اقصى تفسير يمكن ان يفسرهم به اي مفسر ، ان يفسرهم به أي عدو لهم ، أي حاج لمستوياتهم .

هل يمكن ان تتصور الهك قاتلا وعابثا ولثيما وسخيفا وقاسيا وحقودا ، وان تروي عنه صفاته هذه مادحا هو بها نفسه ، ومادحا انت له بها ، مادحا انت لها كصفات أعظم وافضل وانبل وارحم اله تتمناه ؟ هل يمكن ان تتصور الهك كذلك ثم تكون انت شيئا طيبا او رحيفا او عظيما او ذكيا او صديقا او متسامحا او ذا نموذج نفسي نظيف كريم سوي ؟ هل يمكن ان تكون خيرا ثم تختار الهك شريرا ، او ان تكون سعيدا ثم تختاره شقيا ، او ذكيا ثم تختاره بليدا ، او محضرا متقدما ثم تختاره بدونيا متخلفا ؟

هل يمكن ان تتصور نبيك او معلمك الروحي او زعيمك او قائدك او أي نموذج من نماذجك المتمنة جاهلا او حسودا او عدوانيا او همجيا او كذابا او منافقا او مضللا او مخادعا ، او انانيا او مستبدا او متكبيرا او عدوا للمحبة وللتسامح والسلام والصدقة ، او مقاتلا لمخالفيه ، مبغضا لاعنا لهم ، او هادما لجميع المحاربين التي لا تصلي له وحده ، ولا تحتوي صورته وحده ، ولا تنشد ترانيله وأخزانه وبدائياته وغباواته وآياته وحده ، او معاقبا لاطفال من لا يؤمنون به وحده ، ومن لا يموتون في حبه وحده ، ومن لا يموتون ضلالا وعدآبا وظمأ في تيهه وحده .

— نعم ، هل يمكن ان تتصور نبيك او معلمك الروحي او زعيمك او قائدك او بطلك او أي نموذج من نماذجك العلوية كذلك ثم تكون انت شيئا رائعا ، او شيئا غير مهين وردىء جدا ، جدا ؟ هل يمكن ان يكون تصورك رديئا جدا وتكون انت جيدا جدا — وتكون افكارك واجلاقك وذاتك ووجودك ونماذجك جيدة جدا ؟ هل يمكن ان تكون تصوراتك معزولة عنك ؟

ان حديثك عن الهك وعن نبيك وعن قائدك وزعيمك وعن بطلك ومعلمك هو — بأسلوب ما وتفسير ما — حديث عنك ، عن مستواك وعن قدرتك وشهوتك وأرادتك وعمما تتمنى ان تكون وان تجد ان حديثك هذا هو حديث عنك في أعلى مستوياتك ، وفي ابعد واعلى امانيك . ان صلاتك لالهك هي حديث عنك في كل معانيك او في أحد معانيك . انك تصلي وتضرع الى الهك بمستواك لا بمستوى الهك . انك ترى الهك برؤيتك لوجودك لا برؤيتك لالهك .

ان اسلوب تشييدك للمعبد ، وان اسلوب صلاتك في المعبد ، وان

اسلوب دعائك لالهك الذي تذهب اليه في المعبد - ان ذلك كله ليس الا حديثا عنك ، وليس الا اسلوبا من اساليبك في التعبير عن وجودك وعن اخلاقك وعن تفكيرك وعن آمالك وعن جميع نماذجك ومستوياتك . ان المعبد وما تقول وتتلو فيه ، وما ترى وتحس فيه ، ومن تجد وتخطب فيه - ان ذلك كله ليس شيئا سواك في احد اساليبك ، في احدى صورك وقرءاتك .

ان صورة الهك في ذهنك ، وان صيغ النصوص التي ترويها عنه والتي تضعها على لسانه ليست الا انت ، كائنا ومتنينا ومفكرا وطامحا وناظرا ومنتظرا ومتكبرا ومبالغا في كبريائك وطموحك .

ان صورة الهك هي انت في اضخم واجمل صورة تتمناها لذاتك . انك حينما تذهب الى المعبد لتصلي انما تعني ان تصلي لنموذجك ، لصورتك ، وانك حينما تقرأ الكتاب الذي تنسبه لالهك ، والذي ترويهِ عنه ، والذي تؤلفه من وجودك وامانك والامك وضعفك ومن احزان بيتك ومن صخوره ، ثم تذهب ترويهِ عنه ببكاء ورهبة وخشوع ضارع ذليل - انك حينما تفعل ذلك انما تقرأ نماذجك ومستوياتك ، متحدثا بها الى مستوياتك ونماذجك .



ان البشر لم يفتنوا الى انهم لم يزالوا يهجون أنفسهم ، يهجون اخلاقهم وذكاءهم وكل وجودهم بما يروون عن اربابهم وانبيائهم وقديسيهم ، وبما يصفونهم به من صفات . انه لم يأتهم احد ، انه لم يستمع اليهم احد من خارجهم لينقذهم ، ليقول لهم انكم تبالغون جدا في هجائكم لانفسكم . ان من حظوظ البشر الرديئة انه لا يوجد اخرون غيرهم يرونهم ، لينقذوهم - اي لينقذوا البشر - وليتحدوهم ولتصبح نماذجهم هجاء لنماذجهم وتعلما لها . لقد تقبل ارباب البشر وانبيائهم وقديسوهم هذا الذي يروون عنهم وهذه الاوصاف التي يتصورونها لهم ليمدحوهم بها لانها - اي لان الارباب والانبياء والقديسين - لا يملكون موهبة النقد ، او لانهم يعلمون ان احدا لن يفضح او يكتشف ذلك ، او لانهم يجدون استمعا في هجاء البشر لانفسهم وفي تحقيرهم لها ، او لانهم يعرفون انهم لا يستطيعون ان يرتفعوا بهم فوق ذلك ، او لانهم مهذبون ومجاملون الى المدى الذي يجعلهم لا يجروون على افهام البشر خطاهم خشية ان يؤذوا مشاعرهم ، او لانهم يرون ان هجاء النفس وتحقيرها عبادة لهم ، انهما كل العبادة لهم ، وانه لا عبادة بدون هجاء العابد وتحقيره لنفسه ، او لان الالهة والانبياء والقديسين لا يرون ان هجاء

النفس وتحقيرها شيء رديء او مرفوض ، او لانهم انما يعملون من البشر وهم لا يعلمون البشر ، لانهم انما يتعلمون لغاتهم ومقاييسهم في الامتداد والهباء وفي تقويم الاخلاق والمنطق والجمال والقبح ، وفي تقويم كل شيء انما يتعلمون كل ذلك من البشر ، وهم لا يعلمون البشر شيئا . وكل ما لا يراه البشر ذنبا او دمامة او ظلما او عارا هم لن يروه كذلك ، وكل ما رآه البشر كذلك لا بد ان يروه كذلك . ان البشر هم عقول وعيون وآذان واحاسيس واخلاق ومنطق اربابهم وانبيائهم وقديسيهم ومعلميهم ، انهم هم خالقوهم ومصوروهم ومعلموهم .

ان البشر هم اساتذة آلهتهم وانبيائهم وقديسيهم وقادتهم وزعمائهم ، انهم هم انبياءهم ومعلموهم وصانعو عقولهم واخلاقهم وكل مستوياتهم . ان اتباع كل نبي هم انبياءه .

ان البشر هم انبياء انبيائهم وانبياء قديسيهم وانبياء آلهتهم ، انهم هم صانعو عقول واخلاق ومستويات انبيائهم وآلهتهم وقديسيهم وكل معلميهم .

ان البشر معلمو انبيائهم ، ومعلمو آلهتهم ، ومعلمو قديسيهم .

ان الالهة والانبياء والقديسين وجميع المعلمين يتلقون دائما غباءهم وحمقاتهم وتشوهاتهم ودماماتهم وكل نقصائهم وذنوبهم من اتباعهم وعبيدهم ، كما يتلقون من هؤلاء العبيد والاتباع كل صلواتهم ومعابدهم ووحيتهم وكتبهم المقدسة . ان ما تتعلمه من اربابك وانبيائك وابطالك وقديسيك ليس شيئا غير ما علمتهم وتعلمهم اياه . انهم لا يستطيعون ان يعلموك غير ما تعلموه منك . انك انت صانع تعاليمك النازلة عليك من السماء .

انك انت صورة الهك ونبيك وقديسك ، ولست متصورا لهم فقط . انك انت صفاتهم وتعاليمهم وكتبهم المروية ، ولست فقط راويها او مخترعها او مفسرها .

انك انت النبي وتابع النبي ولست تابع نبي . ان جميع انبيائك هم دائما اتباعك . انهم يسرون وراءك باسلوب من يسرون امامك .

انك لو رأيت نفسك وتعاملت معها من خارجها ثم سمعت نفسك

تروي عن آلهتها وانبيائها وقديسيها هذا الذي ترويه عنهم في وصفهم لانفسهم وفي امتداحهم لها ، وسمعت ايضا نفسك تصف آلهتها وانبياءها وقديسيها بهذه الصفات التي تصفهم بها ، لما وجدت ان احدا يهجو نفسه ابلغ مما تهجو أنت نفسك ، او ابلغ مما تهجوك أنت نفسك . ولكن هل تستطيع ان تتصور او ان تصدق ان الامر كذلك ؟ انك لا ترى نفسك لانك تعيش داخلها . انك ترى دماة الحشرة وهوانها لانك تعيش خارجا ولا ترى دماة نفسك وهوانها لانك تعيش داخلها .

ان ذلك الكائن الفلكي الذي سمع وقرأ — بالافتراض — ما يقوله وما كتبه ويكتبه البشر سوف يسمع ويقرأ حينئذ ما نسميه نحن البشر آدابا وشعرا وفنونا ومنطقا وعقائد ومذاهب وصلوات ودعايات وتعاليم وعظات وخطبا وبيانات وصحافة وابحاثا ومجادلات ندامع بها عن الحق والصدق ولذكاء والعدالة والكرامة الانسانية ، وعن جيروت الالهة واستبدادها وكبريائها ، وعن وجودها فينا وفي كل شيء وعن ارادتها وتدبيرها لكل شيء حتى لما نخجل نحن ان نريده او ندبره ، بل حتى لما نصعق اشمئزا وذعرا وتأثما لو افترضنا مريدين او مدبرين له، وحتى لما لا يستطيع او يجرؤ افسق فاسق منا ، واكبر طاغية مجرم منا ان يدبره او يريده ، وحتى لما تعاقب عليه كل قوانيننا واخلاقنا وعقولنا ومشاعرنا وتاريخنا كل الوان العقاب والزجر والتحقير والهزاء والنبد ، وحتى لما تعاقب كل قوانيننا على مجرد التفكير فيه . وهل يمكن حينئذ ان يسمع او يقرأ ما يمكن ان يعقل او يغفر او يحترم ؟

هل يمكن حينئذ ان يجد ذلك الكائن الفلكي اي مستوى او اي نموذج يفهمه لهذه الكائنات التي يقرأ ويسمع لها ومنها ؟

انه سيجد حينئذ ان شاعرا او قصاصا او فنانا او مفكرا كبيرا جدا يكتب كتابا ضخما ، يهبه وقتا طويلا وتضالا نفسيا وفكريا شاقا ليحدثنا فيه عن جوعه الى اعضاء امرأة ما ، وعن ارقه واختباله وهزاله وبكائه وافتضاحه في جوعه هذا الى اعضاء تلك المرأة ، وعما في تلك الاعضاء من جمال واسرار وفنون وقوى خارقة ، وعما في ممارسة تلك الاعضاء من مجد للالهة وللطبيعة ومن ثناء عليهما .

وليحدثنا عما لذلك الجوع الى تلك الاعضاء ، وعما للعلاقة الحادة

البذئثة بين ذلك الجوع وبين تلك الاعضاء من مزايا فنية ودينية واخلاقية وانسانية وجمالية ، بل من مزايا للحياة والكون والناس . انه يحسب قصة ذلك الجوع او الحب او الشهوة لجسد تلك المرأة ، وقصة الصراع او النفاق او المختلات والمراوغات او اللقاءات بين جوعه وبين ذلك الجسد انه يحسب ذلك عملا انسانيا واخلاقيا وفنيا ، بل وقدائيا عظيما . انه يرى ان عرضه لقصة جوعه الى اعضاء تلك المرأة عرضا اعلانيا عمل نبيل ، عمل ممن اعمال التقوى والفداء والاستشهاد في سبيل الانسان والحياة ، ومن اجل اعطائهما القيمة والمسرة والتفسير لوجودهما ولوجود البشر والالهة ولوجود كل شيء .

انه يرى في هذا العرض الاعلاني مجدا من امجاد الانسان وامجاد الحياة وتقويما لمعبرتيهما .

انه لهذا يناضل لكتابة قصة هذا الجوع ، ولاخراج هذه القصة باسلوب فيه كل معاني الافتضاح وحوافز الاعلان ، وفيه كل مشاعر المباهاة ومشاعر الباحث عن اسباب المجد . كما يناضل دون اي قيد من قيود الوقار لكي يقرأ قصة جوعه على كل الناس ، في كل بيت ، في كل مخدع ، في كل سوق ، في كل معبد ، بكل اسلوب من اساليب التبشير والشمول والدعاية .

انه سيجد ان ذلك الشاعر او القصاص او المفكر او الاديب الكبير قد رأى انه نضال عظيم او فن عظيم ، او انه سلوك يجرو على ممارسته بافتخار او دون شعور بالعار او الافتضاح او الذنب : ان يحدثنا عن حب اعضائه لاعضاء اخرى ، ان يحدثنا في كتاب ضخم عن اعضائه الجائعة الى اعضاء اخرى جائعة ايضا ، وان يحدثنا عن فضائح هذه الاعضاء وعن عذابها وبكائها ، وعما فيها من بداءات ومن موهبة في القدرة على التنازل عن جميع مستويات الكبرياء والاحتشام والانظافة .

بل ان يحدثنا بنفس الاسلوب والمستوى والرغبة والظروف عن جوع اعضاء انسان اخر الى اعضاء امرأة ما ، بنفس الحماسة والبلاغة والانفعالات ، وبكل عمليات الفضح التي يحدثنا بها عن جوع اعضائه هو الى الاعضاء الاخرى .

وانه سيجد ان الناس يتقبلون ذلك ، بل يستقبلونه بمشاعر فيها كل احساس التقوى ، بل يمارسونه كما يمارسون الصلوات حينما يكون حماسهم وشهواتهم مستهلكة في ممارسة ألآن التدين ، بل يرتلونه كما يرتل اقوى المؤمنين ايمانا لكتبهم المقدسة ولتعاليم انبيائهم وقديسيهم في اقوى المحاريب جبروتا واقدمها تاريخا واقدرها على ارهاب العقول العاصية الرافضة .

ان ذلك الكائن الفلكي ان يستطيع ان يتصور اي مستوى لكائنات يحول المتفوقون فيها والمزعومون عباقرة جوع الاعضاء للاعضاء الى شعر واداب وفنون رفيعة عالمية ، يقرؤونها على كل الناس ، في كل الاسواق ، في كل البيوت ، في كل المخادع ، في كل المعابد بصلف وكبرياء وادلال وتدين .

اي مستوى نفسي او عقلي او اخلاقي او فني او تصوري لكائنات تجد في كتابة جوع اعضائها الى اعضائها ، وقراءة ذلك ، وتحويله الى كتب ، ونشره — تجد فيه جمالا واستمتعا ومسرات وعبقرية ومداداة لعقلها وأخلاقتها وعواطفها من الملل والضيق والفراغ ومن التفاهات .

— تجد فيه موهبة يتفرد بها الاقلون منها .

— تجد فيه نشيدا كونيا ترتله وتعزفه لقلبها كل بنات السماء ؟

اي مستوى من اي نوع وعلى اي حساب لمثل هذه الكائنات؟اي مستوى لكائنات تتداوى من وجودها بالحديث عن جوع اعضائها الى اعضائها ؟ انه ليس في ذلك من الذكاء او الاحتشام او المجد او التفسير أكثر مما في ساوك كائن مفتضح حينما يعري أعضائه الداخلية المحرمة تعرية اعلانية ثم يذهب يتحدث بأسلوب دعائي اعلاني عن اخلاق هذه الاعضاء وعن نياتها وامانيها — ثم يذهب يتحدث عن ذلك ببلاغة وبراعة وفضح بلذية .



ان ذلك الكائن الفلكي سيجد ان روائيا او شاعرا او كاتباً كبيراً بؤلف كتاباً مؤلفاً من مئات الصفحات ليسير مسيرة طويلة هائلة مرهقة في بيدااء الكلمات المختلفة التفاسير والتعابير والضخامة والبلاغة والبذاءة والبداداة — ليسير هذه المسيرة هو وقراءه ، يعانون ويكابدون في مسيرتهم

هذه الطويلة الهائلة المرهقة في تيه الكلمات المهانة الكرامة والشرف والذكاء
ليقول لنا كلمة واحدة ، كلمة واحدة فقط — انها كلمة واحدة يقولها ..

ليقول لنا انه يحب زوجته او ابنائه ، او يحب الحياة او الطبيعة
او النظر الى القمر والنجوم والفراغ وهو يفكر في معاني الجنس ، او الى
عيني زوجته البلهاء — او انه يحب العدل او الصدق او الانصاف او
السلام او الامن ، او الحرية ، او صداقة الناس وحبيهم ، او يحب
الذكاء او الشجاعة ، او الشرف ، او الابداء والرفض ، او المحافظة على
الكرامة ، او التسامح ، او التواضع او الصحة او الجمال في كل شيء ،
او ان يكون هو العشيق المحظوظ الذي تطلع الشمس كل يوم متبرجة
متهتكة في تبرجها لكي تسرق منه نظرة ، او ان يكون هو العبقريّة الكونية
التي تصاب الطبيعة كل يوم من رهبتها بارتجافة اليمة من ارتجافاتها .

ليقول لنا انه يحب مذهبه او نظامه او زعيمه او الهه او نبيه او
معلمه او وطنه او تاريخه او آباءه او اعدائه او جيرانه او كل الناس —
ليقول لنا انه لا يعيش الا هذا الحب ولا يعيش الا له والا به ولا يشتهي
سواه — ليقول لنا انه لا يحب الا الحب .

ليقول لنا انه يكره الحروب او الخوف او الغباء او الظلم او المرض
او الطغيان او البؤس او التكبر او الغرور او الاعجاب بالنفس او الغدر
او الخيانة او النذالة او التآمر او الكيد او الحسد او البغضاء — ليقول
لنا انه لا يعيش الا هذا الكره والا به ، ليقول انه لم يقبل ان يكون حيا
الا ليعلم هذا الكره ويدعو اليه ، ليجعله دين الانسان الخالد .

— ليقول لنا ان الحرب او الخوف او العدوان او التخاصم او
الكذب او الغدر او الغباء او الحقد او الاستبداد او المرض او الفقر او
المعجز او الضعف او الكسل شيء رديء ، وشيء ضد الاخلاق والنبيل
والنظافة او ضد الدين والتقوى

— ليقول لنا ان شيئا من ذلك لم يصبح رديئا وضد الاخلاق والنبيل
والنظافة الا لانه رأى ذلك وكتبه ودعا اليه والى فيه كتابا كبيرا — ليقول
لنا ان الناس لم يتركوا هذه الشرور ولم تشف منها اخلاق الطبيعة
وقوانينها الا لانه كتب ضدها رواية او مسرحية او ديوان شعر وأدأرحولها

حوارا طويلا .

انه سيجد ان ذلك الشاعر او الروائي او الكاتب المسرحي يقطع رحلة طويلة شاقة عقيمة ومن ورائه قراؤه — يقطعها في صحاري الكلمات وتيهها ليقول لنفسه وليقول لقرائه ولكل من سوف يجيئون وايضا لكل من لا يجيئون .

— ليقول لنفسه ولكل شيء كلمة واحدة ، فقط كلمة واحدة يقولها .

— ليقول انه يحب هذا او يكرهه ، او ليقول ان هذا شيء طيب او شيء رديء ، او ليقول لنا انه يجب ابناؤه او عشيقته او افكاره او اخلاقه او ذكاه او مذهبه او نظامه الذي فرض عليه ، او ليقول لنا انه يكره مخالفه ومنافسيه واعداءه وكل من لا يجيئون او يكونون — كما يريد وكما يكون ويجيء، وانه يجب ان يكون مسرورا ومحظوظا وقويا جنسيا ، ان تحبه وان ترضى عنه كل النساء ، ان تكون كل الدنيا والطبيعة وكل الاشياء والناس كما يتمنى وحيث تكون شهواته وظروفه وتوافقه — ليقول لنا انه يتمنى بل ويناضل لكي تكون كل الارباب عبيدا لاربابه ، وكل الشهوات وقودا لشهواته ، وكل المواهب حديثا عن مواهبه ، وكل التاريخ تفسيرا لتاريخه ، وكل الافكار توابع لافكاره .

انه سيجد ان ذلك الشاعر او الروائي او الاديب يقطع هذه الرحلة بنفسه وبقرائه لكي يقول لهم كلمة واحدة ، كلمة واحدة لا تحتاج الى ان تقال ، ولا تحتاج الى من يقولها حتى ولو قالها كما هي كلمة واحدة ، حتى ولو قالها كما هي .

— لكي يثبت لهم : انه سخييف وبليد واناني وانه مسافر سفرا طويلا ومرهقا دون اية حاجة الى اي سفر ، دون اية حاجة الى اقصر سفر .

— ليثبت لهم انه لاعب وهازل ولكن بدون ان يكون مسليا او سارا او مريحا .

ان هذا يشبه ان تحاول اقتناص صيد صغير ، فتذهب تطلق عليه

اضخم الاسلحة ، تطلقها عليه اطول الاوقات . ان هذا يعني ان تصبح
بليدا وسفيها وفاقدا لصيدك . ان هذا يعني ان تصبح كالشاعر او الروائي
او الكاتب المسرحي الذي يذهب يقول كل الكلمات وكل الاشياء لكي يقول
كلمة واحدة وشيئا واحداً - لكي يفسر شيئا يعرفه كل الناس ليصبح شيئا
لا يعرفه الا اقل الناس .

انه يشبه ان تريد تقديم صورة لنفسك فتصنع صورة تضاعف من
حجمك ، تضاعف من حجم كل اعضاءك واجزائك الاف المرات .
انك حينئذ لا تقدم صورتك ، وانك حينئذ لتخسر شيئا كثيرا لكي تصنع
ما لا تريد ان تصنع ولكي يكون ما لا تريد ان يكون .

ان ذلك يشبه ان تريد رؤية شيء ومعرفته فترفض رؤيته ،
وتذهب تحاول رؤية صورته لكي تراه ولكي تعرفه . انه يشبه ان تحاول
الوصول الى الشيء بالهرب منه الى الحديث عنه ، الى الحديث عن
غيره بقصد الحديث عنه .

انه يشبه ان تحاول الاستدفاء والتزين ، فتذهب تضع على جسمك
كل ما تستطيع من الثياب والاغطية وادوات الزينة ووسائل الدفاء . انك
حينئذ تصبح اسلوبا لا مثيل له في البلادة والتشوه والقبح وفي مواجهة
الاستهزاء . ان هذا هو ما يفعله الروائي والشاعر والكاتب المسرحي
ان هذا السلوك الذي يمارسه الشاعر والروائي والكاتب المسرحي يشبه
ان يريد انسان التعريف باسمه ، فلا يكتفي بان يذكر اسمه ، بل يذهب
يذكر اسماء كل اقاربه واسماء كل اهل مدينته او قريته او مجتمعه ، ويذهب
يعدد كل من سموا باسمه من اهله ومن اهل قريته ومدينته ومجتمعه ،
ويذكر من سماه باسمه ، ولماذا سمي بهذا الاسم دون الاسماء الاخرى
الكثيرة ويذهب يتحدث عما في هذا الاسم الذي أصبح اسمه من
الاسرار والقوة والجمال والتدين ، وعما جلبه عليه من الخير والحظ ،
وعن الذين ادخل على قلوبهم وعلى مسامعهم السعادة والحب وروعة
الموسيقى ، وعما فيه من احتمالات الحظوظ الجيدة لمن ينطقون به ولمن
يسمعونه منطوقا به ، ولمن يتباركون ويتدينون بالاستماع اليه وبالنطق به ،
كما تصنع اسماء الالهة .

* *

ثم يذهب يتحدث طويلا ، طويلا عن فلسفة الاسماء ، وكيف نشأ التفكير فيها ، وكيف اصبحت ظاهرة انسانية عالمية ، وعن الفروق بينها في الفكرة والمعنى والموسيقى ، وعن فنون وجنون الناس والمجتمعات فيها ، وعما في ذلك من غرائب وسخریات ..

ثم يذهب يفسر لماذا لم تصبح للحيوانات ولكل الكائنات الاخرى اسماء كالاسماء التي اصبحت للانسان — لماذا اسم تسم الكائنات غير البشر بالاسلوب الذي سمي به البشر . وهل كان محتوما أن تكون للبشر اسماء . وهل كان لاسمائهم تأثير على سلوكهم وعواطفهم او على ذكائهم ، او على صيغ ابداعهم للحضارات .

ثم يمضي في التحدث عن الفرق بين اسماء الاله واسماء الانسان ، وايهما افضل واذكى واتقى واقرى في اسمائهما ، وايهما اكثر ابتهاجا باسمائه ، وهل الاله هو الذي وضع لنفسه اسماءه ، ام وضعها له من حوله كما وضع للانسان اهله اسماءه ، وايهما اكثر صدقا في اسمائه وتصديقا لها وتأثرا بها .

ثم يمضي يتحدث عن الفرق بين الاسم والكنية واللقب ، وايها يصنع الرضا والافتخار، وايها اكثر جاذبية واحاسيس موسيقية ودينية واخلاقية .

ثم لا يكفيه كل هذا تعريفا باسمه ، بل يذهب يجمع كل اهله واهل قريته ومدينته ومجتمعه لكي يشهدوا ويقسموا ان اسمه هو اسمه ، لكي يكرروا شهادتهم وقسمهم بان اسمه هو اسمه ، لكي يناشدتهم باسم جميع الاشياء المقدسة ان يعيدوا ويظلوا يعيدون شهاداتهم وقسمهم بان اسمه هو اسمه ، هو الاسم الذي نطق به ، هو الاسم الذي ارتجفت الارض وكل الاشياء طربا حينما شرف الحروف وكرم اللغة بنطقه به، بنطقها به .

— بانه هو الاسم الذي ارادته ونطقت وامرت به الالهة ، واعلنته في السموات ونشرت به في السموات كما فعات لاسماء الانبياء .

ثم لا يكفيه كل هذا للتعريف باسمه وللتدليل على انه يسمى كما

نطق ، بل يذهب يخطب بكل اللغات ، كل الوقت ، بكل الحماس والصراخ والتهيج ، مقسما بان اسمه كما ذكر ، وانه هكذا مكتوب ومعروف في السماء ، وانه هكذا محفور على جباه النجوم ، وانه كان اول اسم عرفته اللغات ، واول واشرف اسم دوى في الارض وفي السموات ، وبانه الاسم الذي يحمي قوانين الكون من ان تهرض أو تموت أو تفسد اخلاقها ، او يضعف ذكاؤها .

بل ثم يذهب يؤلف الكتب الضخمة بكل اللغات : الروايات والمسرحيات ودواوين الشعر ، ليدير الحديث بكل اساليب الحوار وشخصه الحادة المتزاحمة ، وبكل تليقات الشعائر والقصاص وتحويماتهما ، وبكل ما فيهما من الحاح وبكاء وضراعة ، وبكل ما فيهما من قدرة على دق الابواب والوقوف على العتبات المحروسة بالخشونة والرفض وبكل معاني وتعبيرات الطرد والصد .

بل ثم يذهب يؤلف الكتب الضخمة بكل اللغات ، يؤلف الروايات والمسرحيات ودواوين الاشعار ليثبت ان اسمه هو اسمه ، وانه كان مستحيلا بالقدر وبالطبيعة وبالاخلاق وبالنطق بل وبأدين بل وبالمذهب وبقوانين التطور والحضارة ان يكون اسمه غير اسمه ، بقدر ما هو مستحيل ان يكون هو غير ذاته ، ان يكون وجهه غير وجهه ان تكون احزانه غير احزانه ، ان تكون موهبته غير موهبته .

ان هذا الاسلوب الذي يحاول كائن ما — بالافتراض والتصور — ان يثبت به اسمه هو اسلوب الشاعر والروائي والكاتب المسرحي حينما يكتب كتابا ضخما ليقراه علينا ، ليقننا بفكرة او بمذهب او بنظام او بعقيدة او بدين او بموقف ما ، او ليخطيء فكرة او مذهب او نظاما او عقيدة او دينا او موقفا او الها ما من الالهة — او ليلقي علينا باحزانه ، او بفراغه ، او بسأله ، او بحيرته ، او بضياعه ، او بمشاكله ، او بطموحه ، او بفراغه من الصمت ومن نفسه ، او بأي ألم أو أية ورطة من آلامه وورطاته — او لاحتياجه الى التدخل في نفوس الناس وعقولهم وفي بيوتهم وفي كل

شؤونهم ، والى التحدث عن الالمهم وذنوبهم وعن تشوهماتهم وتفاهاتهم ،
والى اثاره اهتمامهم ، الى اثاره غضبهم ورضاهم ، اعجابهم وصراخهم ،
خوفهم واطمئنانهم ، ثقتهم وشكوكهم .

— او لاحتياجه ابدا الى ان يكون متسللا متسلقا فوق الناس وداخل
ذوات الناس . وهل يوجد فنان ليس محتاجا الى ان يكون متسلقا متسللا ؟
وهل الفن الا اسلوب من اساليب التسلق والتسلل ؟ وهل الفنان اكثر
تسللا وتسلقا واكثر احتياجا الى التسلق والتسلل ام هو اعنف تعبيراً
او اشهر تعبيراً او اوضح تعبيراً عن ذلك ؟



ان ذلك الكائن الفلكي سوف يجد حينئذ ان مفكراً او معلماً او نبياً او
شاعراً او قصاصاً او واعظاً — لانه كان راضياً عن زوجته او عن ابنائه او عن
مكانته في المجتمع او عن الحاكم او المذهب الذي يعيش في خدمته ، او لانه
كان راضياً عن صحته او عن طعامه او عن بطولة جهازه الهضمي ، او عن
المرأة التي وضعها في بيته لتنافق وجهه وتنافق عينيه ، او لانه كان معجباً
بموهبته الجنسية او بممارساته الجنسية ، او بأحاسيسه الجنسية قد
ذهب يضع الكتب والتعاليم والتفاسير على كل الاتجاهات والمستويات .

— قد ذهب يفكر ويجادل ويصنع البراهين ويزور كل شيء .

— ليؤلف من وقاحات هذا الكون ، ومن جسده الهائل الدمامنة
والضخامة والتشوّهات ، الهائل الاتساع ، الهائل الأثام ، الهائل الهجاء
والتحقير لمن يحاول ان يراه ، ولمن يحاول ان يفهمه او يفسره ، الهائل
السخرية ممن يعيشه او يعجب به او يتلاءم معه .

— ليؤلف من حشرات هذا الكون وحيواناته ومن انسانه ومن كل ما
في ذلك من ذنوب واخطاء وعجز وجوع وعفن وضياع وموت وغباء وعيش
وحقارات ونقائص وانفعالات خسيصة واليمة وتافهة وعدوانية وحضيضية .

— ليؤلف من كل ذلك اذكى منطق وافضل سلوك ، اي ليرى في ذلك اذكى منطق وافضل سلوك — ليجعلهما منطق وسلوك اذكى وانبل اله ، او منطق وسلوك اذكى وانبل كون — ليرى في ذلك كل نماذج الاخلاقية وكل نماذج المنطق في كل مستوياته واحتمالاته الجدلية .

انه — اي ذلك الكائن الفلكي — سيجد حينئذ فيما سوف يسمع ويقرأ ان المفكرين والانبياء والشعراء وجميع الفنانين والمعلمين ووعاظ المعابد والاسواق يدرسون هذا الكون المتوحش العايب المتناقض العقيم ، هذا الكون المخجل الرهيب في بلادته ودمامته — يدرسونه على انه اقصى احتمالات الذكاء والجمال والحب والرحمة والفضيلة — على انه كل ذكاء الالهة ونبلها ، او كل ذكاء الطبيعة العبقريّة وكل قدرتها على العطاء وعلى الصداقة .

انه سيجد فيما سوف يسمع ويقرأ انهم يفسرون كل شيء على انه نموذج للمنطق والتدبير والحكمة والعطاء ، حتى الامراض والالام والعايات والمجاعات والاحزان التي يعانون ، وحتى الموت، وحتى العجز الذاتي، وحتى القحط ، وحتى الصحاري والمستنقعات ، حتى كل ما في الطبيعة والكون من فوضى وعقم ومن ذنوب وعايات وهمجية وتناقض وبلادة رهيبة واتساع سخيف عايب ، عايب ، صارخ ، صارخ في عبثه وفي سخفه ، حتى الصحاري، قمة التعبير عن تخلف موهبة الالهة الفنية والاخلاقية والاقتصادية والشعرية .

— حتى كل ما في الكون والطبيعة من حشرات وزلازل وبراكين وحماقات اخرى لا اعداد ولا منطق ولا اخلاق ولا تفسير ولا نفع لها ، حتى كل ما فيهما من اسراف وشح ، من عطاء بلا حاجة ، بل ضد الحاجة ، ومن منع مع الحاجة ، بل مع استهزاء بالحاجة — من قدرة وضخامة بلا منطق او تفسير ، بل ضد المنطق وضد التفسير ، ومن عجز وضالة حيث يحتمل ان يكون للقدرة والضخامة منطق وتفسير ، بل حيث يطالب المنطق والتفسير بالقدرة والضخامة .

— من قدرة وضخامة حيث يفرض المنطق والتفسير العجز والضالة ، ومن عجز وضالة حيث يفرض المنطق والتفسير القدرة والضخامة — من وجود الشيء حيث يكون المنطق والتفسير فقده ، ومن فقد للشيء حيث يكون

المنطق والتفسير وجوده .

— من وجود بلا موجود ، ومن فقد حيث يوجد الموجود .

انه سيجدهم حين يسمعهم او يقرأ لهم يفسرون كل هذا العيب الهائل وكل هذه الآلام المتوحشة على انها أعلى النماذج لأعلى مستويات المنطق والرحمة والحب والتدبير والعدل ، حتى النجوم الضالة العمياء المتطلعة بوقاحة ونذالة ، دون ان تدري او تسأل : لماذا ، حتى الشمس قمة الحماسة والسفه والحرائق الجنونية دون ان تدري او تسأل : لماذا ، لماذا هي ، حتى البحار المتوحشة باتساعها بلا اي فن او عظمة وبلا اي وقار دون ان تدري او تسأل : لماذا ، حتى الحشرات والحيوانات المهانة المظلومة المحقرة دون ان تدري او تسأل : لماذا ، دون ان تشكو ، ودون ان تعلم ان لها ان تشكو — دون ان تدري او تسأل : لماذا هي ، لماذا هي !

— حتى الانسان الذي يجيء دون ان يطالب بمجيئه او يستفيد من مجيئه او يسر بمجيئه او ينتظر مجيئه أحد — حتى الانسان الذي يجيء ليواجه ويمارس بكل حواسه وبكل آلامه واحتياجاته ومخاوفه وجوعه وفنائه وضعفه وعاره واحزانه — ليواجه كل هذا العيب الهائل الرهيب الدميم دون ان يحارب او يرفض او يتوقف عن التعامل أو السير أو التناسل او الاعجاب او الضحك ، بل ليتحول الى مفسر ، الى مؤمن وعابد لكل هذا العيب الهائل الرهيب الدميم .

حتى هذا الانسان الذي لا يجيء ليواجه ويمارس فقط هذا العيب الهائل الرهيب الدميم بكل حواسه وآلامه واحزانه ومخاوفه وجوعه وضعفه واحتياجاته وأفتضاحه ، بل ليحول كل ذلك الى مجد اله ، الى مجد أذكى وارحم طبيعة ، ليحول كل ذلك الى ايمان ، الى صلاة .

حتى هذا الانسان الذي يوجد ويجيء عويحيا فيجعل من وجوده ومجيئه وحياته أضخم مجد وأضخم عبقرية لأعظم وارحم اله ، لانبيل وأذكى كون ، ثم يذهب ويفقد ويموت ، فيذهب ايضا يفسر فقده وذهابه وموته بأنه أضخم مجد وأضخم عبقرية لأذكى وأتقى اله ، لأذكى وأتقى كون . أنها دائما اما عبقرية الاله او عبقرية الكون ...

حتى هذا الإنسان الذي يجعل الشيء ونقيضه ، يجعل موته وحياته ،
سروره وأحزانه ، منطقاً واحداً وتفسيراً واحداً .

حتى الإله الذي يجيء دون أن يريد أو يدبر أو يصنع أو يختار مجيئه
أو أسلوب مجيئه أو نموذج أو ذاته أو صفاته ، ودون أن يستطيع فراق
ذاته أو فراق وجوده ، أو تغييرهما ، أو الاستبدال بهما - ودون أن يريد أو
يدبر أو يصنع أو يختار مجيئه أو أسلوب مجيئه أو نموذج ذاته أو نموذج
صفاته أو بقاءه أو عمله - دون أن يريد أو يدبر أو يختار أو يصنع ذلك
أحد .

حتى الإله الذي لم يعط الخيار أو يجد الخيار في أن يكون وفي ألا
يكون ، في أن يكون كما كان وفي أن يكون نقيض ما كان .

حتى الإله الذي يشقى بما صنع ويشقى به ما صنع ، الذي لم يخلق
ما يرضي ولم يكف عن خلق ما لا يرضي ، الذي لم يرض عما خلق ، ولم يرض
عنه ما خلق ، الذي لم تجيء مخلوقاته كما يريد ، ولم يجعلها كما تريد ، ولم
يفعل لها ما تريد ، الذي لم يكف عن الخلق ، ولم يخلق حينما خلق كما يريد
أن يكون الخلق ، أو كما يريد الخلق لنفسه أن يكون ، أو كما يطلب ويشترط
أن يكون من يفرض عليه أن يكون .

حتى الإله الذي أصبح وورطة لنفسه وأصبح توريطاً لغيره ، توريطاً
لكل شيء .

حتى الإله الذي لا مثيل لشقائه ولا مثيل لسوء حظّه والذي لا
مثيل لأحزانه لأنه لا مثيل له معصياً ولا مثيل له محروماً مما يشتهي ومما
يزعم أنه الجمال والعدل والحق ، مما يزعم أنه الحق الدائم له وأنه المطلب
المشروع الأبدي له وأنه أقل حقوقه وأول حقوقه .

حتى الإله الذي لا يكف عنه غضبه ولا أحزانه لأن شيئاً ما لم يجيء كما
يريد أو كما يطالب ، بل لأن كل شيء قد جاء نقيض ما يريد ويطالب ويدبر .

حتى الإله الذي يطالب بالعدل والجمال ويعشقهما ولا يصنعهما ،
ويعاقب على الدامة والظلم ويكرههما ثم يصنعهما .

حتى الاله الذي تشوه يداه فيعاقب ما أصابت يداه بالتشويه ولا يعاقب يديه اللتين أصابتا بالتشويه . هل وجد موجود ساء حظه بوجوده وساء حظه كل شيء بوجوده مثل الاله ؟

ان ذلك الكائن الفلكي سوف يجد حينئذ فيما سيقرا أو يسمع :

ان جميع الانبياء والشعراء والفنانين والمعلمين وكل الواعظين في المعابد والاسواق يعلمون ويفسرون بأن كل هذا هو اعلی نموذج للذكاء والتدبير والحكمة والحب والعطاء . انه سيجد انهم يفسرون كل شيء وكل ما يحدث بانه اعلی ما في الطبيعة وما في الالهة وما في المنطق من احتمالات الشهامة والحب والجمال . انهم جميعا يمتدحون ويمجدون ما هو كائن .

وحينئذ كيف يمكن ان يفسر أو يتصور أو يفهم مستويات البشر ونماذجهم ؟ كيف يمكن ان يتصور ويفسر ذكاء من يرون هذا هو اعلی مستويات الذكاء ؟ كيف يتصور ويفسر اخلاق من يرون هذا هو اعلی مستويات الاخلاق ؟ كيف يفسر ويتصور كينونة من يرون هذه الكينونة هي اعلی نماذج الكينونة ؟ وحينئذ كيف يمكن ان يفسر أو يتصور من يرون في هذا اعلی مستويات عبقرية الالهة ؟

انك لو كنت كائنا يعيش خارج البشر لما استطعت ألا ان تشعر بالرتاء والعطف ، او بمشاعر الاشمزاز والاستهزاء ، او بالعجز عن فهم اي شيء هنا حينما تسمعهم او تقرأهم يتحدثون عن الذكاء وعن الاخلاق وعن المحبة وعن المنطق والجمال فيما حولهم ، وفيما يواجهون ، وفيما يعيشون ويمارسون ، حينما تسمعهم وتقرأهم يعلمون ذلك ويدرسونه ويقتنعون ويقتنعون به ، ويصلون له . انهم جميعا يفعلون ذلك مهما اختلفت اربابهم ومذاهبهم .

ان ذلك الكائن الفلكي سوف يقرأ حينئذ الصحافة - الصحافة العالمية ، صحافة كل بلد وكل مذهب ونظام وحاكم وطاغية - وسوف يسمعها مقروءة أو مترجمة أو منقولة ، وأن يسمع الاذاعات المختلفة المنطلقة من هنا او من هنا ، بأمر هذا ورأيه ، او بأمر هذا ورأيه ، بالخوف من هذا او من هذا .

وماذا يعني ان يقرأ او يسمع الصحافة ، كل الصحافة أو بعضها -
ماذا يعني ذلك ؟ وماذا يعني أن يسمع الاذاعة ، كل الاذاعة أو بعضها -
ماذا يعني هذا أو هذا - ماذا يعني ؟

ان ذلك لا بد ان يعني - في قراءته واستماعه - ان الاذاعة والصحافة
ليستا سوى اجهزة توصيل واطلاق وتفجير ، لتفجير وتطلق في اذان
واعصاب وعقول وضمائر وأخلاق وتدين البشر ، كل البشر ، كل الوقت ،
بكل الاساليب ، بكل اللغات والاصوات والتوترات ، كل ما في الزعماء
والقادة والطفلة والمعلمين ، وكل ما في المفسرين لهم والمبشرين بهم ، والمصلين
لجبروتهم ورهبوتهم ورغبوتهم .

- لتطلق وتفجر كل ما في اذهان ونفوس وتاريخ ولغات هؤلاء من
بذاعات واحقاد وصفائر وغباوات واحزان وآلام وعفونات وشورور كثيرة
وكثيرة .

- لتطلقها وتفجرها كل وقت ، بكل اسلوب ، بكل عنف عدواني في
ضمائر الناس واخلاقهم وعقولهم ، وعلى ضمائرهم واخلاقهم وعقولهم .

- لتطلقها وتفجرها في أسواقهم ومعابدهم ومصانعهم وحقولهم
ونواديهم وبيوتهم وعلى آلهتهم وكرامتهم وكبرياتهم وشرفهم ، كل وقت ،
بكل اسلوب ، بكل قسوة عدوانية ، بكل ألحاح بذيء ، بكل مستوى من
مستويات العفونة .

- لتطلقها وتفجرها على كل صباحهم ومساءهم ، وعلى كل اطفالهم
ونسائهم ، وعلى كل زوارهم وأصدقائهم .

ان ذلك يعني - في قراءته وسماعه - ان البشر ليسوا سوى مستنقع
اليم رهيب ، يستقبل - من فم ويد الصحافة والاذاعة - دون أن يرفض أو
يمتلىء كل الاكاذيب والحقايات والنفونات والبلادات والهموم والشتائم
والمخاوف والصغائر والعاهات والحقارات التي تزدحم بها وتطلقها كل وقت ،
بكل اسلوب ، بكل ألحاح متوقع بذيء ، نفوس ولغات كل القادة والطفلة
والمعلمين ، نفوس ولغات كل المفسرين للقادة والطفلة والمعلمين ، وكل
المبشرين بهم ، وكل اللاعقين لادرأنهم المستغفرين لكل ذنوبهم ، المصححين

لكل اخطائهم ، الهاتفين لجمال كل تشوّهاتهم ، المصلين لكل طغيانهم ، المفسرين بكل بذاءاتهم ، المادحين لاربابهم وانبيائهم بشتائمهم ، المفسرين لاقوال وتعاليم اربابهم وانبيائهم بشتائم قادتهم وطفاتهم ، المحددين مقاسات انبيائهم واربابهم ، وصفات واخلق اربابهم وانبيائهم بشتائم وعداوات وخصومات طفاتهم وقادتهم .

ان ذلك الكائن الفلكي لن يذهب حينئذ يعاني . ليتصور او ليفهم كائنات لها نموذج او مستوى ، ولكنه سوف يذهب ليعاني في تصور اقبح واعجب وعاء ينصب فيه - من مستنقعات الصحافة والاذاعة - كل هذا القبح وكل هذا الآثم اللذين يقذف بهما الطغاة والقادة وكل الحاكمين والاقوياء من حضيض فسادهم وجنونهم ومنافساتهم وعداواتهم وطموحهم المتوحش البليد الويل - واللذين يقذف بهما المعلقون والمذيعون اليوميون ، الصباحيون والمسائيون والدائمون - اللذين يقذف بهما هؤلاء المعلقون والمذيعون ، المنتشرون او الموزعون على محاريب كل الطغاة والقادة والحكام والمذاهب والنظم ، ليكذبوا ويجهلوا ويسفهاوا ويتكبروا ، ويلقوا بكل عفنههم واعيانهم وخوفهم ونفاقهم وملقهم وفاقتهم وهوانهم ومذلاتهم وجوعهم ، وبكل مستوياتهم المستقرة في الحضيض .

— ليلقوا بكل ذلك بال تكرار وانديمومة في ذلك الوعاء ، في اعجب واحقر وعاء يمكن تصوره من بعيد ، في اعجب واحقر وعاء يمكن ان يتصوره او يفكر فيه كائن يعيش بعيدا عن هذه الارض ، لو انه استطاع ان يقرأ الصحافة ويستمتع الى الاذاعات التي يصنعها ويعيشها ويعاني منها كل العالم . وهل يمكن ان يوجد وعاء او مستنقع يستطيع ان يستقبل من الاوحال والعفن مثلما تستطيع ان تستقبل عقول البشر واخلقتهم من ذلك ؟

ان ذلك الكائن الذي يستطيع ان يقرأ الصحافة ويستمتع الى الاذاعات العالمية لن يتصور ان وراءها كائنات من اي مستوى ، او انها تنطلق عن كائنات ، او انها تعبر عن كائنات ما ليذهب يتصور لها مستوى او نموذجا . . انه سيذهب يتصور وعاء رهيبا ينصب فيه شيء رهيب ، لانه لن يستطيع ان يتصور انه قد توجد كائنات هي في استقبالها للاوحال والعفن والهوان اسوأ او اقدر من اي وعاء ، اكبر واوسع من كل وعاء .

انه لن يتصور ان شيئاً ما قد يعاقب او يحقر مثلما يعاقب ويحقر ذلك الدواع الذي سوف يتصوره مكانا تنصب فيه الصحافة والاذاعة اللتان استطاع ان يقرأهما ويستمتع اليهما منطلقتين من افواه واخلاق وعقول كل العالم ، لتفسر كل الالهة والمذاهب والنظم والاخلاق .

كيف يمكن تصور مستويات من يفكرون ويشعرون وتكلمون هكذا ؟

كيف يمكن تصور مستويات من يستقبلون كل هذا ؟ كيف يمكن ان يكونوا لانهم قبلوه واستطاعوا ان يستقبلوه ؟ كيف يمكن ان يصبحوا لانهم صاروا او ظلوا يستقبلونه ؟ كيف يمكن ان يكون مستواهم الذي استطاع او الذي سمح لهم بان يستقبلوا كل هذا ؟

كيف يمكن ان يكون قد اصبح مستواهم بعد ان ظلوا يستقبلون كل هذا ، بعد ان ظلوا يعيشون كل هذا ؟ بعد ان ظلوا يفسرون به كل اربابهم وقياداتهم ومذاهبهم واديانهم ؟

كيف يمكن ان يكون مستوى من لا يرفضون هذا ومستوى من يعيشون كل هذا ؟

ان كائنا ما يعيش في جحيم اقصى الانبياء قسوة لو انه قرا وسمع الصحافة والاذاعات المتوزعة على كل الجبهات البشرية المختلفة والمتضادة والمتناقضة والمتخاصمة والمتحاربة والمتشائمة المذاهب والارباب والمعلمين والنظم والقادة والزعماء والحكام ، ثم تصور الكائنات التي تنطلق منها هذه الصحافة والاذاعات ، والتي تعيش فيها هذه الصحافة والاذاعات والتي تستقبل هذه الصحافة والاذاعات — لكان من المشكوك فيه جدا ان يتقبل ذلك الكائن الجحيمي الخروج من جحيمه — لو عرض عليه ان يخرج اذا كان خروجه يعني ان يعيش في حقارة هذه الكائنات، وفي هوانها وفي بلادتها ، وفي وحشيتها ، وفي تفاهاتها واحقادها وتلوثاتها المختلفة، وفي همومها والامها وتخوفاتها الكئيبة — اذا كان خروجه يعني ان يتكلم اللغة التي تتكلمها هذه الكائنات، وان يعيش المشاعر التي تعيشها هذه الكائنات، وان يتعامل بالاساليب التي تتعامل بها هذه الكائنات، بكل احوالها واكاذيبها وعداواتها ، وان يفكر الافكار التي تفكرها هذه الكائنات .

ان كل جحيم حتى جحيم الانبياء القساة قد يكون افضل او اخف عذابا من هذا العار ، قد يكون افضل او اخف من ان تعيش في عالم يتحول الى مستنقع تصب فيه هذه الصحافة والاذاعات .

لقد يكون قولنا صحيحا ان الحضارة قد عاقبت نفسها حينما اعطت البشر الصحافة والاذاعة ، وان الانسان قد حارب حياته أكثر مما سالها ، وهبط ببوهيته أكثر مما ارتفع بها حينما اصبحت له اذاعة وصحافة . قد يكون صحيحا انه افضل للانسان ان يظل صامتا من ان يتكلم هذه الصحافة والاذاعات ، وان يعيش في الظلام من ان يعيش تحت أضواء هذه الصحافة والاذاعات .

ان الانسان لو كان يستطيع ان يرى نفسه وان يقرأها ويفسرهما ، وان يحاسبها ويحكمها بعدل وذكاء ، ثم سمع وقرأ اذاعته وصحافته لما وجد هنا غير اطفال مرضى اغبياء مستشارين غير مهذبين ، يتصايحون ، ويتعابرون ويتفاخرون ويتجادلون ، ويناقشون كل شيء ويتحدثون عن كل شيء بلا اي مستوى من مستويات الذكاء او العدل او التهذيب او الصدق او الامانة او الاخلاص او التواضع او الاحترام للنفس او للحقيقة او للآخرين او للغة التي يتحدثون بها ، او للزعماء والقادة والحكام والمعلمين الذين يتحدثون باسمهم او بأجهزتهم وسلطانهم ، او للالهة او للمذاهب والنظم التي يتحدثون باسم الدفاع عنها او الانتصار لها .

— لما وجد هنا غير اطفال يحتلمون ويتمنون ويشتهون ويصغرون ويظلمون يصغرون ، ويفتضحون ويظلمون يفتضحون ، ويتشائمون باسمائهم واطفارهم وباطراف احذيتهم الكبيرة ، الكبيرة جدا ، التي هي اكبر جدا من ذكائهم ووقارهم ، ومن احترامهم لانفسهم .

ان احذية كثير من الناس هي اكبر واغلى من جدا من اللغة التي يتكلمون بها، وانها لاذكي وأصدق من الالهة والمذاهب التي يعادى باسمها كثير من الناس .

انه المطلوب ، ان لم يكن مفروضا او محتوما ان ترتجف مشاعرنا ووقارنا غضبا واشمئزازا لو أن اطفال العالم أو لو ان اطفالنا وحدنا تقسموا الى وحدات جماعية او الى افراد ، ليقفوا متواجهين في الياديين

او في المعابد والنوادي ، او في قراهم ومدنهم ومدارسهم ، او على شرفات وابواب منازلهم ، لتتحدث كل وحدة جماعية او ليتحدث كل فرد بأنه هو وحده ، او هو وابوه وجده واقربوه ، او هو ومدينته او وقريته او ومجتمعه ، او بأنه هو ومذهبه ونظامه ومعلمه ، او هو واليه ودينه .

— ليتحدث بأنه هو وحده « الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »
بانه هو وحده الذي علم الانسان ان يمشي على قدميه ،
وان يستعمل يديه ، وان يعلم بأن في وجهه عيني ، وان في رأسه اذنين ،
وان يعرف بأن لعينيه واذنيه وظيفة ما ، وانها اي الاذنين والعينين
للاستعمال ، وليست فقط للزينة — بانه هو وحده الذي علمه — اي علم
الانسان — بأن فيه وظيفة جنسية ، وبأنها وظيفة بذينة وعدوانية ومضاحة
بقدر ما هي وظيفة سعيدة وراقصة ، وبأنها وظيفة تعطي ، تعطي كثيرا
ولكنها تعاقب ، تعاقب حتما ، تعاقب بقسوة ، تعاقب ما تعطي ومن يأخذ .

— ليتحدث باعتزاز لا يطاول بأنه هو وحده الذي علم الاله كيف
يكون خادما طيبا مخلصا للانسان ، كيف يكون عاملا عنده ، كيف يكون
فقط عميلا للانسان ، يصنع له النجوم والسحاب يصنع له الشمس الكبيرة
ويجعلها اكثر واكثر مما يريد ما يحتاج اليها ، ليبالغ في ارضائه
وخدمته وفي الاخلاص له ، يصنع له القمر الكسلان الدميم الابله — يصنع
له القمر الذي جعله كسلان وابله ودميما ، خيفة ان يشر غيرته او يؤدي
مشاعر التنافس والكبرياء فيه ويصنع له الغباء لئلا يعذبه الذكاء
ويصنع له الجبن لئلا تقتله الشجاعة ويسلب عينيه القدرة على الرؤية
لئلا تشقيه رؤية الاشياء الدمية والظلمة ، لئلا يشقيه الاحتجاج
على ما يرى .

— ليتحدث باعتزاز بانه هو وحده الذي علم الاله ان يكون خادما
فقط للبشر ، يهبهم الانبياء والكتب المقدسة ويمنعهم من فهمها لئلا يغضبوا
او يكفروا ويهبهم القدرة على الايمان بها دون فهمها ويعلمهم كيف يصنعون
الاطفال ، وكيف يريدونهم ويناضون للمجيء بهم ، للاكثار منهم ، حتى
ولو كانوا مرضى ومعتوهين ومتالمين وعاجزين واغبياء واشراراً ، حتى
ولو كانوا عقابا لانفسهم ، وعقابا لبايئهم ، وعقابا للآخرين وللحياة ،
بل حتى ولو كانوا هجاء للخالق وذنبا كبيرا يحاسب عليه ، ويؤاخذ به ، حتى
ولو كانوا احتمالا ليصنعوا طاغية ، ليصنع جنونا عالميا ، ليكونوا

جوعا وازمات ومشاكل تصنع حروبا وتصنع هموما كونية .

— ليتحدث بأسلوب اعلاني بانه هو وحده ، او بانه هو وابوه
وجده ووالدته وأخوته هم — او هو وحده — اذكى الناس واصدقهم
وانبلهم وأشجعهم واعلمهم واجملهم او بانه هو وحده ، او بانه هم
وحدهم الاذكياء والصادقون والشرفاء والشجعان والعلماء والجمال
والمنتصرون والمالكون لكل المستقبل ، والصانعون لكل التاريخ ، لكل
مزايا التاريخ ، ولكل آجال .

— او بأن الله او دينه او زعيمه او مذهبه او تاريخه او وطنه
او موقفه هو وحده الحق والصدق والمستقبل والذكاء والعدل والتقدم
والقوة والشرف والنظافة — بانه هو وحده التفسير الصحيح والكمال
الدائم للحياة والكون والانسان ولكل شيء .

— ليتحدث بصوت لا يحاول ان يكتمه عن أحد بانه هو وحده ، او بانه
هو وابوه وجده ونبيه والله ودينه ومذهبه ونظامه هم وحدهم المنطق
العالمي الكوني ، هم وحدهم اللغة العالمية الكونية . بانه هو وحده وابوه
واهله والله ودينه ومذهبه ونظامه ، هم وحدهم المنطق واللغة
الاذان سوف يظللان ابدًا يتكلمهما كل العالم وكل الكون وكل التاريخ
وكل المستقبل — هم وحدهم ضمير كل شيء وعقل كل شيء ونموذج
كل شيء .

— ليتحدث بلغة فيها كل النزق والمباهاة بانه هو وحده الذي سوف
يظل — بتفرد — ثور هذا العالم كله ، وليظل كل من سواه في كل هذا
العالم هم البقر — او ليشاركه في كونه ثورا ، في كونه ثور كل هذا العالم ،
ابوه وجده والله ونبيه ومذهبه ودينه ونظامه فقط ، وليظل كل من
عداهم هم البقر ، هم البقر .

ان اهل كل مذهب او نظام او دين او معسكر يريدون ان يكونوا
هم الثيران والطيوس وان يكون كل من سواهم هم البقر والمعيز ، بل
انهم ليعتقدون ان الامر كذلك .



وهل الصحافة والاذاعة في ممارساتهما المختلفة في كل العالم ، و احيانا في اغلب العالم الا اسلوب رديء وعنيف لهؤلاء الاطفال الذين لو تصورناهم لاصيبت مشاعرنا ووقارنا بكل معاني الغضب والاشمزاز والاستقبح ؟ وهل تصورنا لمثل هؤلاء الاطفال لنجعل منهم نموذجا أو مستوى أو عارا أو افتضاحا للاذاعة والصحافة اللتين يخاطب بهما كل العالم و احيانا اغلب العالم — يخاطب ويمارس بهما كل العالم او اغلب العالم نفسه — يخاطب ويعامل بهما أخلاقه وذكاءه واربابه ومذاهبه ، وتتخاطب وتتعامل بهما أخلاقه واربابه ومذاهبه وكل اساليب حياته ، ويعتدي بهما على أخلاقه واربابه ومذاهبه وعلى ذكائه ويعتدي عليه بهما أخلاقه واربابه ومذاهبه وذكاءه — يعتدي بهما ويعتدي عليه بهما — هل تصورنا لمثل هؤلاء الاطفال لنجعل منهم نموذجا أو مستوى أو عارا أو افتضاحا للصحافة والاذاعة الا تصور عاجز ومتواضع ومحاب جدا للاذاعة والصحافة ، وظالم جدا لهؤلاء الاطفال ؟

هل تصور مثل هؤلاء الاطفال تعبير ذكي أو مقارب عن رؤية قوية أو ذكية لما في ممارسة العالم للاذاعة والصحافة وتخاطبه بهما من بشاعات وذنوب وعدوان وغباء وافتضاح قبيح قبيح — هل هذا التصور تعبير ذكي أو صادق عن رؤية قوية أو ذكية مهما اريد لهذا التصور ان يكون مخففا أو محابيا ؟

هل اي زعيم أو حاكم أو طاغية ممن جربنا وعرفنا حينما يذهب يتفجر على العالم من حضيض صحافته وأذاعته ، يقول ما يقول امثاله ، ويهدد كما يهدد امثاله ، وبتعري ويكذب وينافق ، ويفسر مذاهبه واربابه ونظرياته ومواقفه محقرا لاعنا بها كل العالم ، زاعما لها التفوق والانتصار على كل المخالفين والخصوم ، زاعما لها الخلود والشمول ، ناطقا بكل الغباء والفحش والبلهات كما يفعل امثاله ، كما يفعل هو دائما في مثل هذه المواقف التي طالما صنعت للعالم الموت والخراب والجنون — التي طالما عرضت البشر مثل كائنات لا يمكن أن تتحضر أو تتهذب أو تتعامل بالذكاء .

— هل مثل هذا الزعيم أو الحاكم أو الطاغية المتفجر على العالم بعفن الصحافة والاذاعة ، يقول ويفكر ويشاتم باللغة كل ذاته ، وكل ما فيها من اوحال وجنون وعار وبلادة ودمامة وتمر وعدوان — هل مثل هذا الزعيم أو الحاكم أو الطاغية يصلح لان يهب تصورا لطفل يملك

كل البذاءة والسوء وفقد التهذيب والخجل من أي شيء ، وكل الرغبة في التعري والابذاء والاثارة ، وكل الرغبة في التعبير عن القبح والفحش والعري والعار ، وكل القدرة على ذلك بكل الأساليب الفضاحة .

— لطفل يملك كل ذلك ، استطاع أن يعتلي منبرا في مكان تصورناه أضخم معبد كوني قد احتشد فيه كل البشر—بلافتراض والتصور—ليلتقوا للمرة الاولى بأربابهم وأنبيائهم وبكل رجالهم المقدسين ليتشاركون ويتباكوا ويتلاوموا ويتعاتبوا ، وليتحدث لأول مرة وبصدق لم يجرب — ليتحدث هكذا كل فريق أمام الفريق الآخر ، أمام الفريق الآخر الذي هو خصمه ومنافسه وخادعه ومستغله ومضله وظالمه — ليتحدث كل فريق أمام الآخر وكل فرد أمام الآخر — بصدق لم يجرب ولأول مرة .

— ليتحدث كل فريق وكل فرد أمام الآخر بصدق لم يجربوه قبل هذه المرة — ليتحدث كل فريق وفرد عن ذنوبه وهوميه ونقائصه وعن نياته وعن معاني الضعف والوبيلة فيه وعن كل تاريخه الذي لا يستطيع أن يستتره أو الذي لا يريد أن يستتره ، لكي يطلب الغفران ، لكي يعرف كل الآخر ، ويتعامل معه بلا خداع ولا استعلاء أو تأله أو تسلط — لكي يتحدث كل أحد عن ذنوبه وهوميه ونقائصه وعن كل معاني الضعف فيه ، حتى الإله ليتحدث هكذا وصادقا لأول مرة ، حتى الأنبياء .

لكي يتدارسوا بصدق وعدل وانصاف : من الأكثر ظلما ، من الأكثر ضعفا ، أو الأكثر عذابا وتورطا ، أو الأكثر توريطا — من الأكثر : الإلهة أم الأنبياء أم القادة والزعماء أم البشر ، أم الجماهير — من المسئول ، من المذنب الاول ، من المذنب الأكبر ، من الجاني ، من الذي يجب أن يكفر ، أن يستغفر ، أن يركع أمام الآخرين باكيا معترفا ؟

من الذي عليه أن يدفع الحساب الأكبر ويزرف الدمع الأغزر : الإلهة التي أخطأت دون أن تريد أو تعرف أو تستطيع أن تمتنع عن الخطأ ، أم الإنسان الذي أخطأت له الإلهة وأخطأت به ، وأخطأت إليه ، وأخطأت من أجله ، وأخطأت باغرائه وتحريضه وضعفه ، وأخطأت في رؤيتها وفي تفسيرها وتصورها له ؟

— أم الإنسان الذي ليس خطؤه أو ذنبه غناء بل بكاء ، وليس غنما بل

غرم ، بل عقاب ، وليس بحثنا عن الترف بل استجابة للضرورة ، وليس عصيانا للآلهة او للاخلاق بل طاعة للضعف والعجز والجوع ، وليس تخزينا للذة بل تفريغ للآلام ، وليس كبرياء او غرورا بل اتضاع ، وليس رغبة في الخطأ ولكن عجز عن الصواب ، عن معرفة الصواب وعن القدرة على ممارسة الصواب ، وليس التماسا لمخاصمة او لمحاربة الآلهة بل التماس لمصادقة ومسالمة النفس ، وليس خروجا على الآلهة بل استسلام لقوانينها ، لما ركبت فيه ولما سلطت عليه ، بل استسلام لقوتها ومنطقها ولشهواتها وليس هربا من جبروتها بل سقوط فيه ، وليس انتصارا على وحوشها المدربة المسلطة بل هزيمة امامها ، بل موت وتمزق بانبيائها ؟ ايهما المذنب : الخالق الذي يخطيء داخل ذات مخلوقه ، ام المخلوق الذي يخطيء داخل ذاته خالقه ؟ ايهما افضل حالا : الانسان الذي يتلذذ ويتعذب ، ام الاله الذي يتعذب ولا يتلذذ ؟ ايهما اكبر ذنبا : من يذنب بلا شهوة ولا ضعف ام الذي يذنب خاضعا للشهوة وللضعف ؟ ايهما اكبر وافظع ذنبا : الاله ام الانسان ؟

★ ★

نعم ، هل يصلح مثل ذلك الزعيم او الحاكم او الطاغية أن يهب تصورا لطفل يملك كل ذلك ، استطاع ان يعتلي منبرا في مكان قد تصورناه اضخم معبد في الكون ، وتصورنا ان كل الآلهة والانبياء والقديسين وكل البشر قد تجمعوا فيه لأول مرة ، وتجمعت فيهم اشواق وتطلعات وعيون وعقول وآذان حادة وراصدة ومحدقة - تجمعوا فيه ليتحاسبوا ويتحاكموا ويتكاشفوا - ثم القى اي ذلك الطفل الذي تصورناه وتصورنا اعتلاءه المنبر بكل ثيابه الداخلية والخارجية، كما القى بكل ما عرف من احتمالات الحياء والتهذيب، ثم انطلق يقول كل ما يستطيع ان يقول امثاله وكل ما لا يستطيع احد ان يقول مثله وكل ما لا يستطيع امثاله أن يقوله .

- مستعملا من الحركات والاشارات البديئة ما لن تستطيع كل همجية التاريخ وكل همجية الطفولة ، وكل طفولة الهمجية ان تستعمله او أن تتعلمه او ان تتقبله او ان تتصوره .

- صارخا مشيرا متوجها الى كل الاتجاهات ، مكررا نفسه ، مكررا صرخاته واشاراته وحركاته ، مترجما نفسه واشاراته وحركاته وبداءاته الى كل اللغات ، قارنا لها بكل الاصوات واللهجات - قافرا صائحا ، قافرا صائحا ، قافرا ، قافرا ، صائحا ، صائحا .

- نعم هل يصلح مثل ذلك الزعيم او الحاكم او الطاغية الذي جربنا

وعرفنا أمثاله طويلا ، طويلا ، ان يهب تصورا لمثل هذا الطفل الذي تصورناه وعذب مشاعرنا تصوره لا اليس الانتقال من تصور مثل هذا الزعيم أو الحاكم أو الطاغية ، أو من مواجهته ، أو من التفكير في معاناة جنونه أنتقالا خاطئا ، انتقلا مسرفا في الغباء والظلم ؟ اليس في هدا التصور أو التشبيه أو المقارنة أو الربط آذنهني ظلم لذلك الطفل ، ظلم كبير ؟ اليس في ذلك ظلم عظيم للتصور وتشكيك في قيمته وفي ذكاء انطلاقاته واستجاباته ؟

ولكن هل للتصور ذكاء أو هل له منطق أو هل له اخلاق أو هل يحترم نفسه أو هل يحترم تحركاته ؟ وما هو التصور ؟ اليس هو ضياع الانسان في آلامه واحزانه وضعفه وتيهه وعبه وفي تفاهاته؟ اليس هو فرار الانسان من ذاته وظروفه ؟

★ ★

ولكن كيف يمكن أن يكون تصور ذلك الكائن الفلكي للبشر حينما يسمعونهم ويقرؤهم يصلون ويتضرعون لآلهتهم ، حينما يسمعونهم ويقرؤهم يدعونها ويطلبون منها ، ويكون ويدلون بين يديها ، ويرتجفون هوانا وجبنا وملقا واحتياجا وانكسارا ، حينما يسمعونهم يصوغون لفئاتهم ومنطقهم واخلاقهم ومشاعرهم وايمانهم بها وفهمهم لها ؟ كيف يمكن ان يكون تصوره لهم - كيف يمكن ؟ كيف يستطيع ان يسمعونهم ، او يقرأهم ؟ كيف يكون ذعره حين يسمعونهم ويقرؤهم ؟ كيف يكون ذعره ؟

انه لن يعرف حينئذ هل هم يصلون ويضرعون ويطلبون ، أم هم يسخرون ويهجون ويحرقون ، هل هم يمارسون جدا ام هزلا ، هزلا . هل هم يخاطبون كائنا كبيرا جادا يريدون منه ام هم يعابثون كائنا صغيرا هازلا لا يوجد عنده ما يمكن ان يطلب منه أو ما يمكن ان يعطيه أو ان يصنعه أو ان يفري به ، أو ان يطلب او يراد منه مهما كان عنده . هل هم يخاطبون السماء بكل جبروت الجد ام هم يهزلون في تمثيلية هازلة . هل هم يخاطبون جد السماء أم هم يهزؤون .

انه سيجدهم يصلون للآلهة ويطلبون منها بانكسار ذليل فاجع . وهل بدا الانسان ذليلا وصغيرا وفاجعا مثلما بدا وهو يصلي لآلهته ويطلب ويريد منها ؟ اذن هم جبناة ومهينون ومتملقون . أنهم يصلون لانهم يريدون ، ولأنهم يخافون ، انهم يهونون ويركعون ويطلبون بثمن هوانهم وركوعهم أنهم يهونون ويركعون ويتملقون بتخضع ومذلة لا يفترضون لهما اي حدود . انهم

لا يشترطون لمذلتهم وتملقهم وخضوعهم اية شروط . انهم لا يهابون ان يعرضوا هوانهم ، انهم يجدون في ذلك مجدا ، انهم يصلون لهوانهم .

انهم اذن يفترضون آلهتهم كائنات صغيرة ورديفة وضعيفة جدا ، انهم يفترضونها تفرح جدا ، جدا ، تفرح اكثر من الاطفال ، من اي طفل ، بالهوان والمذلة والملق والانكسار بين يديها ، انها تفرح بذلك كالاطفال ، اكثر من الاطفال ، انها تجزي عليه ، تجزي عليه بلا حساب ، انها تجزي على الهوان والتملق والانكسار . انها اذن شيء رهيب ، مخيف .

انهم اذن يرون ان الآلهة لا تعطي او تفعل حينما يكون الفعل والعطاء عدلا او حقا او منطقا او واجبا او قانونا او كرما او رحمة او فضيلة . . انها تعطي وتفعل بالسؤال والملق والالاح وبالتأثير في مشاعرهما وتوازنهما . انها اذن اسوا اساليب الخروج على الاخلاق والنظام والقانون والعدل والاحترام للنفس في تصورهم وسلوكهم . انهم يهبطون بها متصورين لها ، وانها تهبط بهم متحولة الى تصور لهم . انهم يحقرونها متصورين لها ، وانها تحقرهم متصورة لهم !

انهم اذن لا يرون ان اي شيء يكون بالقانون او بالعدل او بالواجب او بالمنطق . ولو ان شيئا ما يكون بذلك لكان كل شيء كذلك . حينئذ لن يكون شيء ما بالصلاة او بالتضرع او بالمطالبة الملحة الذليلة . انه اما بالقانون والعدل والواجب فقط ، واما بالصلاة والتملق والسؤال فقط . ان احد الواقعيين او المنطقيين او الافتراضيين يسقط الاخر ، انه لا يتركه احتمالا ، انه يسقطه اسقاطا . ان العدل والقانون والواجب والمنطق هزيمة وابطال للصلاة والدعاء والتضرع ، وان الصلاة والتضرع والدعاء هزيمة وابطال للعدل والقانون والواجب والمنطق .

انه لو كان للصلوات والتضرعات والمطالبات السائلة الملحة اية قيمة فاعلة لاصبح كل شيء لغوا ، لاصبح كل شيء في الكون وفي نضال الانسان لغوا ، لان كل ذلك ، ولان كل شيء حينئذ يمكن تغييره والتحكم فيه وامتلاكه وفقده وصياغته واعدامه بالصلوات والتضرعات والمطالبات الملحة السائلة ، حتى الشمس ، حتى اسقاطها ، حتى قتلها ، حتى امتلاكها هبة ، حتى تحويلها الى رغيف ، الى كتلة من الخبز او العجين او الزبد ، حتى تجفيف البحار وحتى تحويلها الى مياه عذبة ، وحتى موت الآلهة وحتى فقدها

لا لوهيتها ، وحتى تنازلها عن الوهيتها ، حينما يطلب منها ذلك ، حينما يصلي لها ويتضرع اليها لكي تفعنه . انها اذا فعلت بالآخرين بالدعاء فلا بد ان تفعل بنفسها بالدعاء .

انه اذا كانت دعوة او صلاة او مطالبة انسان ما بأسلوب ما تحت ظروف ما تجعل الاله يتقبل ان يهب الشمعة او يطفئها او يغير صفاتها او يحولها الى طعام ، اذا كانت الدعوة او الصلاة او المطالبة موجهة الى ذلك ، فان دعوة او صلاة او مطالبة انسان اخر اكبر ، مثل نبي او قديس او ملاك ، بأسلوب ما آخر ، تحت ظروف ما أخرى تستطيع ان تجعل الاله يتقبل ان يهب الشيء الاعظم من الشمعة ، ان يهب الشمس او أن يسقطها او ان يطفئها او ان يصوغها من جديد ، أو أن يصنعها طعاما للنجوم الجائعة ، اذا كانت الدعوة او المطالبة او الصلاة مرادا بها ذلك . . وكيف اذا كانت حالة الاله النفسية مزاجية مستجيبة . انه لا حدود لاستجابة الحالة النفسية التي تخضع للصلاة والسؤال والتضرع والالاحاح . أنه لا حدود لسلوك كائن يتحرك بالدعاء والمطالبة والناشدة الدليلة الخاضعة اذا لم يكن ذلك الكائن يخاف شيئا او يعجز عن شيء . انه لا حدود ولا قانون لسلوك الاله ولا لذلكه اذا كان يتقبل الصلوات والمناذاة والضراعات ويستجيب لها ويجزي عليها .

ان اي كائن عاقل يعيش في عالم تحكمه قوة مطلقة تتقبل الصلاة والدعاء والتضرع والسؤال او تستجيب لذلك ، او يحتمل ان تستجيب له او لشيء منه ان اي عاقل يعيش في مثل هذا العالم الذي تحكمه مثل هذه القوة ليجب ان يصاب بالجنون ان لم يكن محتوما ان يصاب بالجنون . ان هذه القوة المطلقة التي تتقبل الصلاة والدعاء والسؤال والضراعات وتستجيب لها موجهة منا ، قد تتقبلها ، بل حتما لا بد ان تتقبلها ولو احيانا حينما تكون موجهة ضدنا . انها كما تتقبل ذلك منا لا بد ان تتقبله ضدنا . انها عقدة لا مثيل لها في السخف .

ان وجود الاله الذي يتقبل الصلوات والدعوات والمطالبات ويستجيب لها لعقدة لا مثيل لها في سخفها . ان ذلك هو الجنون .

وهل من الخير أو الذكاء أو الافضل أن يكون هناك اله يستجيب منك ضد خصمك أو ضد غيرك ليستجيب من خصمك أو من غيرك ضدك ؟ هل

من الذكاء أو من الأفضل أو من الخير أن يكون مثل هذا الإله موجودا ؟ هل وجود مثل هذا الإله أفضل لك أو للآخرين الذين قد يستعملونه ضدك كما قد تستعمله أنت ضدهم ؟ ليس الأفضل لك ولهم أن تتحالفوا ضد وجوده ؟ ليس ذلك هو الأذكى ؟

أما أن يوجد إله يتقبل منك فقط ، ويستجيب لك فقط فإن افتراض أو تمني مثل هذا الإله قد يكون فيه من الهجاء لك أكثر مما فيه من الهجاء لذلك الإله ، أو مثلما ما فيه من الهجاء لذلك الإله أو أقل مما فيه من الهجاء لذلك الإله . أنه هجاء لك وهجاء منك ، أن فيه من الهجاء منك مثما فيه من الهجاء لك . وهل تهجى الإلهة ؟ وهل يهجى شيء مثلما تهجى الإلهة ؟ هل يهجو الإنسان شيئا مثلما يهجو الهة ؟

أما تقبل أن يوجد إله من هذا الطراز ، بهذه الصفات فأنك بذلك تصبح طرازا لا مثيل لك في انسذاجة والبذاءة والغباء . أنك حينما تقبل أن يوجد إله يستجيب لك فقط فأنك حينئذ تجعل جميع صفات الهجاء وجميع أساليب الهجاء عاجزة عن أن تكون على مقاس ذاتك ، عاجزة عن أن تجرؤ على وصفك وعن أن تفكر فيك لتفوقك عليها .

كيف تقبل أن يكون في بيتك أو في معبدك أو في تصورك إله يستجيب لك ولا يستجيب لأعدائك بقدر ما يستجيب لك ؟

أما أن يكون هناك إله لك وللآخرين ، ولنافسيك وأعدائك وخصومك ، فأنك لن تقبل مثل هذا الإله ، أنك لن تسعده به ، ولن تستفيد منه . أنه حينئذ لا بد أن يكون عدوا وخصما و منافسا ونقيضا لك ، لأنه لأعدائك وخصومك و منافسيك ول المناقضين لك في مصالحهم وظروفهم ومطالبهم ومذاهبهم . مثلما هو لك . إذن هو جيش وقوة ضاربة ضدك . مع أعدائك ومخالفيك وخصومك أكثر مما هو معك لأن خصومك ومخالفيك وأعدائك والمناقضين في مواقفهم لك أكثر منك . إذن فهو عليك أكثر مما هو معك . أنك بقدر ما تفترض الإله عادلا وطيبا وعالما وكونيا تفترضه عدوا وخصما ونقيضا لك لأنه حينئذ لا بد أن يكون للآخرين المناقضين لك . هل تقبل أن تدخل حربا أو خصومة ما مع خصوم لك وأعداء ، ليكون فوقك وفوقهم إله لا حدود لقدرته ولحماسه ولرغبته في التدخل ، إله يتقبل من أولئك الخصوم والأعداء صلواتهم ودعواتهم وتضرعاتهم ضدك بالأسلوب الذي

يتقبل به منك ذلك ضدهم بلا محاباة او ظلم او خطأ ؟ هل تتقبل ذلك ؟ هل علمت ان مثل هذا الاله سوف يضطر الى ان يصنع لك الهزيمة والاذلال اكثر من ان يصنع لك النصر والكرامة ؟ هل علمت انه محكوم عليه حينئذ بذلك لكي يكون عادلا في تقبله للصلوات والتضرعات ؟

انك لم تتقبل وجود الاله ، ولم ترض عن وجوده الا على افتراض ان يكون لك فقط ضد الآخرين ، لا على افتراض ان يكون لك وللآخرين الذين قد يكونون اعداء لك ، او خصوما او مخالفين او مناقضين ، فيكون حينئذ الاله عدوا او خصما او مخالفا او نقيضا لك بالاضطرار والالتزام . وهل تنصور اضطرارا او التزاما فيه من الهول والقبح مثلما في اضطرار الاله والتزامه وهل تنصور اقبح او اسخف من اله يتقبل من اعدائك دعواتهم ضدك ويتقبل منك دعواتك ضدهم ؟

ان كل المؤمنين بالالهة انما قبلوا الهتهم وتعاملوا عليها واستراحوا اليها لانها في افتراضهم وفي حساباتهم العقلية والاخلاقية ليست الا لهم وحدهم ، وليست لهم ولاعدائهم ومخالفهم بقدر ما هي لهم . ان اي مؤمن لم يفترض ان الاله الذي يؤمن به قد يكون لعدوه او لخصمه قدر ما هو له او اكثر . ان المتعامل مع الحياة وعلى الحياة قد يرى ان الحياة قد تكون مع خصمه او عدوه اكثر من كونها معه . وليس كذلك المتعامل بالالهة .

انك لو كنت مؤمنا بالاله ، وبأنه أبدا واقف متحفز متوتر مرهف الاحاسيس والحواس ، ينتظر الدعوات والصلوات والتضرعات ليتدخل ويستجيب بكل حماسه وقدرته، وكنت في حرب او في مخاصمة مع عدو لك يؤمن بالاله مثل ايمانك ، ويراه مثل رؤيتك له ، ثم طلب منك ذلك العدو المحارب المخاصم بأن تتفقا على أن ترفعا الاله من حسابكما ، وان تمنعاه وتصداه عن التدخل فيما بينكما ، رحمة به من ان يتورط بينكما ، او خوفا منه حينما يكون ملزما بأن يتدخل لمصلحة كل منكما بالعدل والقانون او بالمساواة مهما كان منطق العدل والقانون .

— انك لو كنت كذلك لما قبلت مثل هذا الاتفاق ، ولما قبله عدوك المحارب لك ، لان كلا منكما يرتب حسابا على ان الاله له وحده . اذن فليبق الاله ، وليبق تدخله ونشاطه ، وليبق تقبله واستجابته للدعوات والمناذاة والمطالبات . لانك انت — في افتراضك وحسابك — لانك انت فقط — الذي سوف تدعوه

وتصلي له وتطلب منه، فيستمع ويرق ويضعف امام ملوك وتضرعاتك ومذلاتك، ويغلق بلا اية رحمة او مجاملة او تقوى كل عواطفه وحواسه عن دعوات ومناداة وصلوات عدوك ، ليكون لك وحدك ، لتكون كل عواطفه واهتماماته لك وحدك ، وليكون لك وحدك كل قلبه وعبقريته واهتماماته .

ان كل المؤمنين ، حتى الانبياء ، حتى كل القديسين انما كانوا جميعا يتعاملون بالاله ويؤمنون به على هذا الافتراض ، ان كل حسابات المؤمنين حتى حسابات كل الانبياء والقديسين انما كانت قائمة على هذا الافتراض اي على افتراض ان الاله انما يملكه دائما أحد الفريقين ، اي على افتراض انه دائما يقاتل تحت احدى الرايتين . ان كل فريق يتهمه بأنه انما يقاتل معه وحده ، انهم جميعا يتهمونه اذن بالانحياز ، بالمحاباة الرهيبة البذيئة . ان الايمان بالاله والتصور له لن يكونا الا عدوانا عليه في حسابات وتصورات جميع المؤمنين به والمتصورين له .

ان المؤمن لا يستطيع ان يؤمن بالاله دون ان يفترضه محابيا منحازا . ان المؤمن لا يستطيع ان يتصور أنه هجاء للاله ان يفترض منحازا محابيا او ان يكون كذلك في منطق وفي سلوكه ، اي في منطق الاله وسلوكه .

ان المؤمن لا يستطيع ان يفترض الاله منحازا محابيا مهما افترضه وفهمه منحازا محابيا ، ومهما انتظر منه أن يكون منحازا محابيا ومهما طالبه بأن يكون كذلك .

ان الايمان بالاله لا يمكن ان يكون منطقا أو تنزيها أو تمجيذا أو عدلا تحت اي ظرف ولا بأي اسلوب .

ان مجرد الايمان بالاله يعني حتما افتراضه منحازا محابيا . ان مجرد وجود الاله يفرض عليه ان يكون منحازا محابيا ، انه لا يمكن أن يوجد اله دون ان يكون منحازا محابيا . أن معنى وجود الاله لا بد أن يعني معنى وجود الانحياز والمحاباة . ان الالهوية لا تكون الا انحياز ومحاباة ان هذا الكون — على افتراضه عمل وتدبير اله ما — ليس الا ابرشع اساليب الانحياز والمحاباة . أنه لا يمكن تصور صيغة او اسلوب للمحاباة والانحياز اقبح من الصيغة والاسلوب اللذين جاء بهما هذا العالم وجاء بهما اناس والحشرات وكل الكائنات . اننا لن نستطيع ان نتهم احدا بوحشية الانحياز والمحاباة مثل ان تزعم ان هذا الكون قد صاغه صائغ .

ان ذلك الكائن الفلكي سوف يجد البشر يتضرعون الى الالهة، مطالبين لها بأن تغير الاشياء ، بأن تصوغها صياغات جديدة افضل او اكثر ملاءمة لهم ، بأن تهب الاشياء صفات أخرى لم تكن صفاتها ، بأن تكون دائما هادمة بانية ، معطية مانعة ، قاتلة محيية ، مريدة ناقضة لارادتها ، محابية لهم ضد خصومهم واعدائهم ومخالفهم ، منتظرة ابدا لطلباتهم لكي تصوغ كما تريد شهواتهم .

انه سيجدهم دائما يريدون من الالهة ان تكون غير ما كانت ، وأن تصنع غير ما صنعت ، وان تهب غير ما وهبت انهم ينادونها لتفعل كل ذلك ، أنهم دائما ينادونها لتفعل افضل مما فعلت ، ولتكون افضل مما كانت ولتعطي اكثر أو افضل مما اعطت . أنهم دائما ينادونها لتهبهم الصحة والقوة والثراء والسعادة والسرور وكل الظروف الاخرى المواتية . وانهم مع ذلك يصفونها بكل العدل والحكمة والرحمة والذكاء ، بكل الصفات الكاملة وبكل معاني واساليب الكمالات في أسلوبك . انهم ينادونها ويلحون في ندائها لتستجيب وتفعل تحت الاحاح والنداء كأنما يتصورونها طفولة تسمع وتطيع بالرجاء والثناء والنداء والملق وبالبكاء ايضا .

ولكن كيف ؟ اليس احد الموقفين ينافي الاخر ، اليس كل من الوصفين والموقفين ينافي الاخر ؟ اليس مطالبات الالهة هذه المطالبة تنافي وصفها بهذه الصفات ؟ اليس الايمان بهذا ينافي الايمان بذاك ؟ ان الايمان بكمال الاله وعدله ينافي مطالبته بأي شيء . انه ينافي مطالبته بأن يفعل ما يريد او يكون غير ما فعل واراد وكان . انك حينما تطالب الاله تنكر كماله وعدله . اذن حائر على ايمانك .

اليس مطالبات الالهة بان تفعل اي شيء ، او ان تغير اي شيء او ان تكون اية كينونة جديدة ينافي الايمان بكمالها ، وبأنها عادلة او ذكية او رحيمة او حكيمة ؟ اليس الايمان بانها كاملة ورحيمة وحكيمة وذكية وعادلة — اليس الايمان بانها كل العدل والذكاء والحكمة والرحمة يمنع مطالبتها بان تهب او تصنع شيئا اخر ، شيئا غير ما صنعت ووهبت ؟ اليس ذلك يمنع مطالبتها بان تكون غير ما كانت او افضل مما كانت او اكثر رحمة مما كانت ؟ اليس ذلك الايمان بانها كل مستويات الكمالات والرحمة والحكمة والعدل والذكاء يمنع مطالبتها بأي شيء او بفعل او تغيير أي شيء او بأن تعطي او تعالج اي شيء ؟ اليس مثل هذا الايمان يمنع المريض والضعيف

والفقير والحزين والمهزوم من أن يطلب منها الشفاء أو القوة أو الثراء أو السعادة أو الانتصار أو أي شيء هو ناقده لان مطالبة الالهة بذلك تعني أنها ليست حكيمة ولا رحيمة ولا ذكية ولا عادلة ، لانه أو كان مريض المريض أو ضعف الضعيف أو فقر الفقير أو حزن الحزين أو انهزام المهزوم هو العدل والذكاء والرحمة والحكمة والمصلحة لما جازت مطالبة الالهة بأن تزيل ذلك أو أن تزيل شيئا منه ولما جاز أن تفعله أو أن تفعل شيئا منه . انه لو كانت الالهة عادلة وذكية وحكيمة ورحيمة وكاملة كمالا مطاقا في كل مستوياتها ، وفي كل سلوكها وتدبيرها وتفكيرها لما جاز أن تطالب بشيء ، ولما جاز أن تراجع في أية خطوة من خطواتها ولا في أية فكرة من أفكارها ، بل لما جاز أن تدعى أو تنادى أو يجئ أو يبكى بين يديها لترحم أو لتفعل شيئا، أو لتهب شيئا أو لتزيل شيئا أو لتنقذ من شيء — لما جاز أن توجه إليها التضرعات واللهفات الجائعة المتطلعة المنتظرة . ان الذين يتوجهون الى الالهة يدعون ويرجون وينتظرون ليسوا الا وفود هباء . انهم كوفود الشعراء والغنين والمثقلين الذين يتوجهون الى ابواب الخلفاء والامراء الذين كانوا يعيشون في صحراء التاريخ .

ليست مطالبة الالهة بأي شيء ، حتى ولو بالشفاء من المرض أو الفقر أو الحزن أو العار أو الهزيمة أو الهوان أو من فقد الكرامة والشرف والنخوة والشجاعة والذكاء — ليست مطالبة الالهة بأي شيء من ذلك ، أو بأي شيء غير ذلك ، اسلوبا من اساليب التسفيه أو المقاومة أو النقد لها ، أو من اساليب الاتهام لاخلاقها أو لذكائها ، لرحمتها وعدلها وحكمتها ونزاهتها ومروعتها ؟

ليست هذه المطالبة اسلوبا عنيفا من اساليب مطالبتها بالخروج على نفسها وبالرفض لنفسها وبالتراجع عن نفسها ، بل بالهزاء لنفسها ، وبالإعلان عن تخطئتها لكل مستوياتها ونماذجها وبالحكم على هذه المستويات والنماذج ، بالحكم ضدها ؟

ليست هذه المطالبة اسلوبا من اساليب المقاومة لذكاء الالهة ولاخلاقها أو لاي مستوى من مستوياتها أو لكل مستوياتها ؟

واذا كان محتملا في حساب المؤمنين ان تعطى الالهة ما يطالب منها أو ان تفعل ما يطلب منها أن تفعله فلماذا تعطى أو تفعل ذلك في تقدير المؤمنين؟ هل

لانه طلب منها ، ام لانه هو العدل والرحمة والحكمة والمنطق ؟ ان كان للاول كان ذلك خروجاً على العدل والذكاء والحكمة والرحمة والمنطق ، بل وعلى انوار والاحتشام — بل كان ذلك اسلوباً رديئاً من اساليب الطفولة والنزق الحزين الصغير جداً ، جداً .

وان كان للثاني فلماذا لم تفعله الالهة دون ان يطلب منها ؟ وهل الالهة لا تفعل الحكمة والرحمة والعدل والذكاء والمنطق الا اذا طلب منها ؟ هل الالهة لا تفعل اخلاقها ومستوياتها وواجباتها وحبها ورحمتها وكل فضائلها الا بالطلب والتضرع والصلوات لها ؟

ليس ممارسة فضائل الذات وقدراتها احتياجاً وضرورة وليس حباً او نبلاً واختياراً او مجازاة ؟

بل ولماذا حينئذ فعلت نقيض ذلك — لماذا فعلت نقيض العدل والذكاء والحكمة والرحمة والمنطق ؟ لماذا فعلت ذلك قبل ان تدعى وقبل ان يطلب منها التراجع عما فعلت من الذنوب او من النقيض لاخلاقها او لما ينبغي او ينتظر او يرجى منها ؟ هل الالهة تتوب او يطلب منها التوبة او تفعل ما يتاب منه ؟

اذا اصاب الالهة كائن ما بالمرض او بالفقر او بالهزيمة او بالاخزان او بالتشويه او بآفة أخرى فالافتراض الذي يجب ان يكون والذي لا يمكن ان يكون هناك افتراض غيره : انها قد اصابته بذلك لانه العدل أو الرحمة او الحكمة او المنطق او الواجب او الجزاء العادل . وحينئذ كيف يجوز ان تطالب بالشفاء من ذلك ، او كيف يمكن ان تشفي منه ؟ ليس ذلك يعني مطالبتها بالخروج على العدل والرحمة والحكمة والمنطق ، ومطالبتها بترك الواجب وبالتخلي عن المجازاة العادلة ؟ ليس ذلك يعني ان ينتظر منها هذا الخروج وهذا الترك وهذا التخلي ؟

ولو انها استجابت لمناشدتها وشفيت مما اصابته فهل تستحق حينئذ ان تكون الهة وهل تستحق الثناء ؟

ولو جاز الافتراض الاخر ، اي الافتراض بأن الالهة قد اصاب ذلك الكائن او ذلك الانسان بما اصابته به بلا عدل ولا منطق ولا حكمة ولا رحمة

ولا التزام بالواجب او بالمجازاة العادلة ، او بأنها قد اصابته بذلك الذي اصابته به ضد العدل والمنطق والحكمة والرحمة وضد الالتزام بالمجازاة العادلة .

- اجل ، انه لو جاز هذا الافتراض البذيء لكن الافتراض الاخر : الا تغير الالهة موقفها ، والا تعالج مما اصابته به . ان الالهة حينئذ يجب ان تظل مصرة على ما فعلت ، انها يجب الا تتراجع عن سلوكها الخارج على المنطق والعدل والحكمة والرحمة والذكاء والواجب .

لقد اصابته الالهة - اي على حساب الافتراض البذيء - ذلك الكائن او ذلك الانسان بما اصابته به دون عدل او حكمة او رحمة او منطق او استحقاق عادل . واذن فلماذا تعالجه او تنقذه مما اصابته به ؟ لقد اصابته لان اصابته تصنع لنفسها ولضميرها السعادة واللذة والابتهاج . لان اصابته تتحول الى عزاء او مسلاة لها من اي نوع وبأسلوب ما . وهذا افتراض قد يكون محتوما ، والا فلماذا اصابته ؟ هل اصابته لتدخل على قلبها الحزن والعذاب ؟ قد يكون ذلك صحيحا جدا . قد يكون صحيحا جدا ان الالهة انما تفعل افعالها ومخلوقاتنا بحثا عن الحزن والعذاب والا فكيف تفعل وتخلق بهذا الاسلوب ؟ ان كانت قد اصابته بحثا عن المسرة والمسلاة والعزاء فلماذا تتخلى عن سرورها ومسلاتها وعزائها ؟ وان كانت قد اصابته لتتلاذذ بالعذاب والحزن لانها تجد فيهما لذتها ، فلماذا تتخلى عن لذتها التي تهبها اياها الاحزان وانواع العذاب ؟ هل يوجد من يسعد بالحزن والعذاب فسي قلبه وفي عينيه مثل الالهة ؟ هل يوجد من يفعل الحزن والعذاب ويعيشهما مثل الالهة ؟

هل نفترض انها تتخلى عن ذلك استجابة للدعوات والصلوات والتضرعات؟

هل نفترض أنها قد أصابت بما أصابت به لكي تدعى وتنادى ويطلب منها لكي تشفي من ذلك ؟

هل نفترض ان الالهة تصيب الانسان بالعمى او بالتشويه او بالحزن او بالفقر او بالمرض او بالافات والالام الاخرى الباهظة لكي يطلب منها ويتضرع اليها ويصلى لها لتشفيه فتشفيه ؟ هل نفترض ان الالهة تصيب وتؤذي وتقسو بلا استحقاق ولا منطق ولا عدل ولا حكمة ولا ارادة جزاء لكي يطلب

منها أن تعالج مما فعلت فتعالج ؟ هل يمكن أن نفترض الالهة بهذا المستوى من الوحشية والتفاهة والضلالة والنزق ؟ هل يمكن افتراض الالهة صغيرة الى هذا المدى ؟

وهل يمكن أن تصعد بأي وحش وحشيته لكي يجرؤ على أن ينشب اظفاره بحيوان ضعيف عاجز ، لا ليتفدى بلحمه ، ولا ليسكت هجوم جوعه عليه ، ولكن من أجل أن يجعل ذلك الحيوان الضعيف العاجز يبكي له متضرعا مناديا مصليا مستغيثا طالبا منه الرحمة والاحسان - او من أجل أن يجعل والدة ذلك الحيوان الضعيف العاجز الناشبة فيه الاظفار تفعل ذلك بين يديه ، اي بين يدي ذلك الوحش ، مصلية ضارعة له في أعتى واقدام محاربيه ، في اكثرها ظلاما ورهبة وكآبة ؟ هل يمكن أن تصعد بنا وحشية التصور لكي نستطيع أن نتصور مثل هذا الوحش ؟ هل يمكن أن يوجد مثل هذا الوحش ولو في التصور ؟

ان ذلك الكائن الفلكي سوف يعجز عن الفهم وعن الاقتناع : كيف يمكن ان يجمع البشر بين هذين الاعتقادين : بين الاعتقاد بأن الالهة هي التي تصنع الالم والعذاب والاعتقاد بأنها هي التي تعالج من الالم والعذاب وهي التي ترجى للعلاج منهما ، وبأنها هي التي تصوغ الشيء وتدبره وتوجده ، وهي ايضا التي تغير صياغته وتدبيره وهي التي تعدمه ، تقتله .

كيف جمعوا بين الايمان بأن الالهة هي كل الخطر وكل الأعداء ، والايمان بأنها هي كل النجاة من كل الخطر ومن كل الأعداء ؟

إذا كان الهك هو الذي يمرضك ويفقرك ويشوهك ويهزمك فكيف ترجوه ، أو كيف يكون هو المرجو لشفائك واخراجك من كل ذلك ؟ وإذا كان هو الذي أنقذك واخرجك من الآلام او الذي يخرجك وينقذك منها ، أو هو المرجو لك منها فكيف يصيبك بها ؟ كيف يكون هو الذي يصيبك بما تريد ان ينقذك منه ؟ كيف يكون هو نبيك ودجالك ، او كيف يكون نبيك هو دجالك ؟ او كيف يكون سيفاك هو جلادك ؟ او كيف يكون سيفاك وجلادك ؟ او كيف يكون طبيبك هو مريضك ؟

إذا كان يريد أن يصيبك فكيف يريد أن ينقذك ؟ وإذا كان يريد أن ينقذك فكيف يريد أن يصيبك ؟ كيف يشتهي أن يمرضك ويفقرك ويهزمك

ويشوهك اليوم ، ثم تصبح شهوته غدا أو بعده ان يهلك الصحة والشراء
والانتصار والعافية من كل سوء واذى ؟ كيف تكون أذن أخلاقه ؟ كيف تتصور
حينئذ أخلاقه وصفاته ومزاجه ومستوياته النفسية ؟ كيف يمكن حينئذ ان
تفسره أو ان تفهمه - كيف يمكن ؟

كيف تلجأ الى من قتل ابنك بالامس بداء القلب ليشفي ابنك الثاني
اليوم من داء الزكام ؟

كيف ترجو من امرك بمنطق او بلا منطق أن يشفيك بمنطق او بلا
منطق ؟

كيف تدعو الطبيب الذي قتل أبناءك التسعة وهو يعالجهم من مرض
الحصبة الى ابنك العاشر ليعالجه من مرض السرطان ؟

كيف تدعو الطبيب الذي من حكمته ورحمته ومنطقه ومجده وسعادته
ان يقتلك أو يشوهك أو ان يصيبك بالداء العضال - كيف تدعو مثل هذا
الطبيب الى منزلك أو تذكره بوجودك ؟

كيف يمكن ان يكون ذكاء دموعك وصلواتك وتضرعاتك - كيف يمكن ان
تكون نظافة وكرامة وأخلاق وضمير دموعك وصلواتك وتضرعاتك حينما طرح
نفسك باكيا متضرعا مصليا تحت أقدام من قتل كل آبائك وأهلك وأصدقائك
وكل الاولين ، بعد ان سامهم كل ألوان التحطيم والتعذيب والاذلال - تحت
أقدام من سوف يقتلك ويقتل كل من بقي من أبناءك وأهلك وأصدقائك
وجيرانك ، بعد ان يسومك كل ألوان التعذيب والتحطيم والاذلال ، وبعد ان
يسومهم كل ألوان التعذيب والتحطيم والاذلال ؟

كيف يمكن ان يكون شرف دموعك وإيمانك وصلواتك وتضرعاتك حينما
تلقي بنفسك باكيا مصليا متضرعا هاتفا تحت أقدام من قتل ومن سيقتل كل
العالم بعد ان سامه أو بعد ان يسومه كل ألوان التعذيب والاذلال والتحطيم ،
مناديا له ، مؤملا فيه ، منتظرا منه - اي من ذلك القاتل المحطم لكل العالم -
مناديا له ، مؤملا فيه - منتظرا منه ان يجنبك مصيرا وتحطيما وآلاما وهموما
قد أصاب بها كل آبائك وأهلك وأصدقائك وكل العالم ، وان يهلك آملا

ومسرات وحماية لم يهبها احدا من آبائك او من اهلك او من اصدقائك او من العالم ؟

كيف يمكن ان يكون شرف عينيك ، وكيف يمكن ان يكون ذكاؤهما وكبرياؤهما حينما ترنو بهما الى قاتل كل العالم ، الى محطمه ، الى واهبه كل الأمراض والمهانات والمذلات وكل اسباب الخوف والاسى والدموع ، لكي يهبك كل ما ليس في سلوكه او في تاريخه او في ضميره او في نياته ؟

كيف يمكن ان تكون لغات وجهك وتفاسيره ، كيف يمكن ان تتكلم أعصاب وجهك حينما يعنو الى من قتل كل آبائك وأهلك ، بعد ان سامهم كل التشويه والتعذيب والاذلال ، طالبا اليه ان يكون الحارس لك والحارس لابنائك من كل احتمالات الخوف والآلم والخطر ؟

كيف يمكن ان تكون لغات وجهك وتفاسيره ، كيف يمكن ان تتكلم أعصاب وجهك حينما تهب كل تضرعاتك وصلواتك ودعواتك للقاتل العالمي ، للقاتل الكوني لكي يهبك كل الخلود وكل الحياة ، وكل الحماية .

— حينما تطلب من كل الموت ان يكون كل الحياة ، ومن كل الخوف ان يكون كل الأمان ، ومن كل العدو ان يكون كل الصديق ، ومن كل الذنب ان يكون كل التوبة ، ومن كل الدمامة ان يكون كل الجمال ، ومن كل البغض والفضب ان يكون كل الحب والرضا ، ومن كل القسوة والبطش والتعصب والجبروت ان يكون كل الرفق والتسامح والتواضع والفقران ؟

كيف يمكن ان تكون لغات وجهك وتفاسيره ، كيف يمكن ان تتكلم اعصاب وجهك حينما تصلي وتتضرع وتدعو — حينما تطلب من الآلهة ان تشفيك او تغنيك او تهبك او تنصرك او تحميك او تحييكَ اذا كانت هي التي تمرضك وتفقرك وتجيّعك وتخيفك وتحرمك وتهزمك وتقتلك — اذا كنت تؤمن بأنها هي التي تفعل بك ولك ذلك ؟

انه لغباء وهوان رهيبان — انه لغباء وهوان ان تهب اي قدر من ثقتك او اطمئنانك الى من قد تكون حكمته او رحمته او شهوته او منطقته او واجبه او لذته او سعادته او ارادته في ان يهبك آداء او الفقر او الهزيمة او التشويه او الاذلال او الضياع او العجز او الغباء او الجنون او الموت —

انه لشيء رهيب ، انه لشيء رهيب ان تمنح ثقتك أو أيمانك لالهك الذي ترى انه لن يصبح حكيما أو رحيمًا أو عظيمًا أو طيبًا أو ذكيًا أو مجابصديقا الا اذا وزع الآلام والتشوهات على كل العالم ، على كل شيء .

اني انعاك أيها الانسان ، اني انعي كرامتك وذكاءك وكبرياءك .

اني انعاك ، اني انعاك أيها الانسان ..

اني اشفق عليك — اني اشفق عليك ان يراك أي كائن ، أو ان يعرفك أي كائن ، أو أن يسمعك أي كائن سواك .. أني اشفق عليك أيها الانسان .

اني اشفق، اني اشفق ان يراك أو يعرفك أو يسمعك ذلك الكائن الفلكي — اني اشفق أن يراك أو يعرفك أو يسمعك ذلك الكائن الفلكي وانت تصلي، وانت تتضرع وتدعو ..

اني اشفق ، أني اشفق أيها الانسان ان يراك ، ان يعرفك ، ان يسمعك أي كائن سواك وانت تصلي ، وانت تدعو وتتضرع وتناجي وتنادي .

اني انعاك أيها الانسان ، اني انعي كرامتك وذكاءك وكبرياءك .

اني اشفق عليك ، اني اشفق على من يراك أو يعرفك أو يسمعك .. اني اشفق عليك ، أني أشفق منك أيها الانسان .

اني اشفق عليك ، اني اشفق منك ، أني انعاك ، انعاك .

أيها الانسان .. أيها الانسان .

أتك أيها الانسان لذكي بلا حدود وشجاع بلا حدود ومبدع بلا حدود وشامخ بلا حدود ، وأنت لرافض بلا حدود ، حتى لتهابك الالهة ، وحتى لتنظر اليك الالهة بغيرة وحسد وبارتجاف ، وحتى لتخاف النجوم اقتحامك لها ، وتحليقك فوقها .

أتك لمعظم وكبير بلا حدود ، ولكنك ايضا صغير وتافه بلا حدود .

انك ايها الانسان لغيري بلا حدود ، وذليل بلا حدود ، وراكع بلا حدود ، وجبان وملوث بلا حدود . . حتى لتعافك وتشمئز منك كل الكائنات ، وحتى لتعافك وتشمئز من تلوثك وغبائك وهوانك وجبنك الحشرات ، وحتى لتشعر الديدان بالتفوق عليك ، وبالرضا عن مستواها حين تنظر إليك ، بشموخ قامتها حينما تقيس قامتك ، حينما تتعامل بقامتك مع الطغاة وفي المعابد وحينما تمارسها في الركوع والسجود ، وفي كل ممارساتك للحضيض .

هل انت ايها الانسان تعاقب نفسك ؟ هل انت تعاقب ذكاءك ببلادتك ، وتعاقب شموخك وابداعك بهوانك ، وعجزك وتلوثك ، وتعاقب حضاراتك وقفزاتك البعيدة ، البعيدة بمعابدك ومحاريبك ، وبصلواتك وتضرعاتك ، وبألهتك البدوية ؟

هل آلهة ايها الانسان تعاقبك وتقتص منك لانها تفار من تفوقك ؟

هل الآلهة تعاقب مزايك بنقائصك ، وتفوقك بهوانك ، وذكاءك بغبائك ، وضحكائك بدموعك ، ولذاتك بالأمك وتعاقب براعاتك ومدنياتك بصلواتك وبتضرعاتك وباعتقاداتك ؟

هل تفاهاتك تعاقب عبقرياتك ؟

هل انت ايها الانسان جيد الحظ ، هل أنت رديء الحظ - أي اذا وضعت في مباراة مع الكائنات الأخرى ، أي متبارية ارباحك مع خسائرك ؟ هل انت جيد الحظ ، هل أنت رديء الحظ ؟ هل مسراتك أكبر من احزانك ؟ او هل لذاتك أعظم من الامك ؟ هل عبقريتك وأبداعاتك اعظم من تفاهاتك ومن بلادتك ونقائصك الرهيبة ؟

انك اعظم الكائنات ضحكا وسرورا وممارسة للذات وشعورا بها وتخيلا لها وانتظارا لقدومها واكتسابا لها وعلمها بها وتعبيرا عنها . ولكنك أيضا اعظم الكائنات احزاناً ودموعاً وآلاماً ، واعظم الكائنات ممارسة للاحزان والدموع والآلام ، واحساسا بها وتوقعا لها وخوفا منها واحتشادا بأساليبها وتفسيرها ولغاتها ، وقدرة على اكتسابها وتضخيمها ، وعلى التعبير عنها والاستزادة منها .

وانك ايها الانسان لاعظم الكائنات ذكاء وابداعا وقوة ونظافة وشموخا

ورفضا . ولكنك ايضا اعظم الكائنات غباء وهوانا وعجزا وركوعا وصلاة
وانهزاما وتلوثا .

انك دائما حдан متباعدان جدا ، انك دائما كائنان لا يلتقيان ولا
يتعارفان ولا يتفاهمان - انك تبدو كذلك .

فهل أنت ايها الانسان جيد الحظ ؟ هل أنت رديء الحظ ؟ هل جاءت
حظوظك الرديئة عقابا لحظوظك الجيدة ؟ هل رذائلك ونقائصك وضعفك
اقتصاص من تفوقك ومن مزاياك ومن قوتك ؟ هل محاربيك وعقائدك وقاماتك
التي حطمتها انحناءاتك عقابا لمدنياتك ؟

انت ايها الانسان متفوق في عبقريتك وفي مسراتك وملذاتك ، وفي
شموخك ورفضك ، وفي قوتك وانتصاراتك ، ومتفوق ايضا في تفاهاتك ،
وفي هوانك وخضوعك ، وفي عجزك وتقبلك ، وفي تلوثك ، وفي همومك
والآلام ..

انت دائما طرفان تتسع المسافة التي بينهما لكل الكون متحولا الى
ذنوب وعاهات وآلام ونقائص ومسرات واحزان وغباوات - متحولا الى انسان
فهل هذا افضل لك ، ام الافضل لك ألا تكون متفوقا ، الا تكون متفوقا في
الشيء ولا في نقيضه ؟ هل الافضل ان تكون لك سماء بلا حدود وحضيض
بلا حدود ، ام الا يكون لك مثل هذه السماء ولا مثل هذا الحضيض ؟ هل
الافضل ان يكون لك ذكاء بلا حدود وغباء بلا حدود ، ام الا يكون لك لا هذا ولا
هذا ؟ هل الافضل لك أن تسر وتضحك بتراقص ونزق مبتذل وان تحزن
وتبكي بتمزق وانهار ، ام الا تسر وتضحك والا تحزن وتبكي ؟

هل الافضل لك أن تنظف بكل انهار الدنيا وبحارها ثيابك وبدنك ، ثم
تلوث بكل احوال الدنيا وقاذوراتها اخلاقك وكرامتك ، وعقلك وجبهتك ، ام
الا يكون لك هذا التنظيف ولا هذا التلوث - الا تكون لك هذه البحار والانهار ،
ولا هذه الاحوال والقاذورات .

هل الافضل لك ان تكون الها شريرا حزيننا سخيفا احيانا ، ام الا تكون
الها ولا شريرا ولا حزيننا ولا سخيفا ولو احيانا ؟

هل انت ايها الانسان جيد الحظ أم رديئه ؟ هل انت كائن مصنوع له
ام كائن مصنوع ضده ؟ هل انت كائن ترعاه كل الالهة الكون أم كائن تتجاهله
كل هذه الالهة؟ هل انت كائن لم توجد الالهة الكون ولم تقبل ان تكون موجودة الا
لكي تصنع وتبيء له ، ام كائن لم توجد هذه الالهة ولم تقبل وجودها الا لكي
تصنع وتبيء ضده ؟

هل انت كائن ابدعته الالهة لتزين به نفسها ولتحابي بمزاياه عبقريتها،
ام كائن شوهته الالهة لتعاقب نفسها ، لتهزأ من عملها ، من وجودها ، من
موهبتها ؟

هل انت ايها الانسان اجود الكائنات حظا ، هل انت اردأ الكائنات
حظا ؟

هل انت كائن لا يمكن ان يوزن او يفسر بشيء ، ولا ان يفسر او
يوزن به شيء ؟ هل انت افضل ما في هذا الكون ام اردأ واشقى ما فيه؟

هل من مصلحة ذكائك ان يخوض منافسة مع غبائك ؟ هل من مصلحة
شجاعتك ان تخوض منافسة مع جبنك ؟ هل من مصلحة نظافتك ان تخوض
منافسة مع تلوثك ؟ هل من مصلحة انتصاب قامتك أن ينافس انحناء قامتك؟
هل من مصلحة مسراتك ان تفاخر أحزانك ؟

هل من مصلحة حضاراتك ان تفاخر آلهتك ومعابدك ، ان تفاخر
صلواتك وتضرعاتك ، ان تفاخر معتقداتك وايمانك ؟

هل من مصلحة حضاراتك ان تفاخر صرخاتك ودعواتك في معابدك
ومحاريبك ، ان تفاخر انحناءاتك تحت أقدام اربابك ألهمجية ؟

هل من مصلحة ابداعاتك الفنية والعلمية والصناعية والفكرية ان تفاخر
مواكبك الدليلة المنطلقة وراء مجانينك لتقاتل نفسك في معارك هي اردأ
مستويات الجنون والهمجية والندالة ؟

هل من مصلحة سمواتك ان تدخل في مبارزة مع حضيضك ؟

أذن ايها الانسان ، هل انت جيد الحظ ، هل انت رديئه ؟

هل تختار كينونتك او كينونة اخرى من الكينونات الاخرى الموجودة
لو كان محتوما عليك ان تختار كينونة ما وكان جائزا لك ان تختار الكينونة
التي تراها أفضل ، اي من الكينونات الموجودة المحتومة ، المحتوم عليك ولك
أحداها ؟

هل تقاتل حينئذ لتكون ما كنت ؟ هل تقاتل حينئذ لئلا تكون ما كنت ؟
هل تجن حينئذ عشقا لامجاد كينونتك ؟

هل سبب تفوقك هو سبب تخلفك ؟ هل تفوقك هو سبب احزانك
والأمك وغبائك وهوانك وجبنك ، وسبب تلوثك واكاذيبك ونفاقك وصلواتك
وتضرعاتك ؟

هل تفوقك هو سبب محاريبك ومعابدك وعقائدك البذيئة وآلهتك
المتوحشة وطغائك الجهال ، الاشرار ؟

هل تكون حزينا وغيبا ومنافقا ومستسلما وكذاها ومصليا ومتضرعا
ومؤمنا بالالهة المتعصبة هكذا لو لم تكن متفوقا ؟

هل يمكن أن تكون متفوقا دون ان يعاقب تفوقك بأشياء رديئة واليعة،
دون ان يعاقبك تفوقك ؟

هل سبب ذكائك هو سبب غبائك ، وهل سبب مسراتك وضحكاتك هو
سبب آحزانك وبكائك ؟

وهل سبب انحنائك هو سبب شموخك ؟

وهل سبب جبنك هو سبب شجاعتك ؟

وهل سبب شرفك هو سبب نذآلتك ؟

وهل سبب مدنياتك هو سبب معابدك ومحاريبك واربابك وانبيائك

وطفائك ؟

هل هو سبب صلواتك وتضرعاتك ودعواتك ؟

هل ذكاؤك هو سبب غبائك ، وهل مسراتك هي سبب احزانك ، وهل شجاعتك هي سبب جبنك ، وهل كبرياؤك هي سبب اتضاعك وهوانك، وهل تفوقك هو سبب تخلفك ؟

هل كونك انسانا هو سبب هبوطك عن مستوى الانسان ، عن مستوى تعاليمه وامانيه ؟

هل يهبط عن مستوى الانسان لانك موجود ام لانك انسان ؟

هل يهبط عن مستوى الانسان سوى الانسان ؟

هل هذا هو سبب هذا ، هل سبب هذا هو سبب هذا ؟ هل محتوم ان تكون هذا لانك قد أصبحت هذا ؟ هل محتوم ان تمارس الهبوط لانك تمارس الصعود ، وان تمارس الاحزان والدموع لانك تمارس الضحكات والمسرات ، وان تمارس الاكاذيب والقباوات لانك تمارس العبقرية والذكاء والصدق ، وان تمارس الشجاعة لانك تمارس الجبن والخوف الدليل ؟ هل محتوم ان تملك اسباب هذا وان تعيش اسبابه لانك تملك اسباب النقيض وتعيش اسبابه ؟ هل محتوم ان تموت بعنف لانك تحيا بعنف ؟ هل محتوم ان تسقط بدوي وعذاب ويتمزق رهيب لانك تصعد بشموخ وبكبرياء وبتألق ؟ هل تهبط هذا الهبوط لو لم تصعد هذا الصعود ؟

هل ارباحك هي اسباب خسائرك ؟ هل اسباب ارباحك هي اسباب خسائرك ؟ هل مستواك الذي يعطي هذا هو الذي يعطي هذا - هل يعطيه حتما ام قدرا ؟ هل ظروفك هي التي تعطيك السماء والحضيض ؟ هل تعطيك السماء والحضيض حتما ام قدرا ؟

هل انت سماء وحضيض ، ام انت سماء فقط او حضيض فقط ، او حضيض له صيقتان وتعبران ، او له عديد من الصيغ وعديد من التعبيرات ؟ هل انت ذكاء وغباء ، هل انت صعود وهبوط ، هل انت

شجاعة وجبن ، هل أنت نظافة وتلوث ، هل أنت كرامة ونذالة ، هل أنت صدق وكذب ، هل أنت حب وبغض ، هل أنت رفض وقبول ؟ هل أنت هذا وهذا ؟ وهل هذا غير هذا ، هل هما شيئان ، هل هما نقيضان ؟

أليس شيئا واحدا جاء بتعبيرين او بصيغتين او بعدة صيغ وعدة تعبيرات ؟ أليست اللغة أضخم جهاز كذب وخداع ابتكره الانسان ؟ هل اللغات معتدية ام معتدى عليها ام معتدى بها ام هي كل ذلك ؟

هل الصدق غير الكذب ، وهل الذكاء غير الغباء ، وهل الشجاعة غير الجبن ، وهل الشرف غير النذالة ؟ وهل الحضارة غير البدأوة - هل الاختلاف بينهما غير اختلاف في التعبير او في الصيغة ؟ هل هما شيئان ، هل هما مستويان وخلقان ، هل هما نيتان مختلفتان ، هل هما نموذجان مختلفان ، أم هما تعبيران ؟ هل الانسان اخلاق مختلفة ، ومستويات مختلفة ، ومعان مختلفة ، وتفسيرات مختلفة، ونيات مختلفة - هل الانسان حقائق مختلفة ام لغات وصيغ واساليب مختلفة ؟

ما هو الذكاء ؟ أليس هو التعبير عن الذات بأسلوب ما ؟ أليس الغباء ايضا هو تعبير عن الذات بأسلوب ما ؟ أليست الحدود بينهما غير معروفة وغير معترف بها ؟ أليس ما يعد في وقت ما او في مكان ما او عند قوم ما او في منطق ما قمة الذكاء هو قمة الغباء ، أليس ما يعد قمة الغباء هو قمة الذكاء ؟ أليس ما يعد قمة هذا يعد قمة هذا ؟ أليس كل ما يعد ذكاء يعد غباء ، وكل ما يعد غباء يعد ذكاء ؟ أليس كل شيء هو ذكاء وغباء ، هو ذكاء بقدر ما هو غباء ؟

أليس ما يعد في عصر من العصور او في مجتمع من المجتمعات او في دين من الاديان هو أعظم مستويات الذكاء ، هو ذكاء الآلهة حولته الى نبوات وآلى كتب مقدسة والى انبياء ، يعلمونه الناس والارض ، يعلمونه الكون والحياة وقوانين الطبيعة - أليس مثل هذا الذكاء هو قمة الغباء ، قمة السخف والعار العقلي في ظروف اخرى وفي تفسير قوم آخرين ؟ أليس من يعدون اذكى الناس ، من يعدون اذكى العباقرة ، يمارسون ويحيون غباء اغبى الناس ؟ أليسوا جميعا يخضعون للسلوك الواحد وللجوع الواحد وللالم الواحد وللحزن الواحد وللخوف الواحد وللوهان الواحد وللطاغية الواحد وللخرافة الواحدة وللالة الهمجي القاتل الواحد ،

وللجنون الواحد وللعدوان الواحد وللموقف المتعصب الواحد وللموقف الساقط المنافق الدليل الجبان الواحد ؟ أليست حياتهم ، أليست اعضاءهم ، أليست اجسامهم ، أليست نياتهم وشهواتهم وحوافزهم ومشاعرهم تخضع لمستوى واحد من الذكاء ومن الفباء ، من الضعف ومن الانهيار ، ومن الارتجاف ، ومن الجوع ، ومن التعري ، ومن التلذذ بالعار ، ومن الاحتياج الى الاعار ، ومن الشره الذميم اللثيم ؟

اليس اذكي الناس ، اليس اذكي العباقرة ، اليس من يحسبون اذكي العباقرة - اليس هؤلاء قد يكونون اكثر خضوعا للفباء ، اي لما يحسب فباء ، اليسوا اكثر ابتداء وترويجا وحماسا ودعاية له ، اي للفباء ، وجراحة وقدرة عليه ، واحتياجا اليه ، ودفاعا عنه ؟ اليس هؤلاء هم اكثر فعلا للفباء ولاساليبه المختلفة وللتعبير عنه ولجعله اعظم شمولا وقوة وانتصارا وجنونا وتدميرا ؟ اليسوا هم اقدر على ذلك ؟ اليس الذكاء جهازا ضخما لصناعة الفباء ولجعل الفباء شيئا رهيبا مروعا ، لجعله سلوكا مدمرا ، لجعل الفباء افدح فباء ؟

هل الذكاء ممارسة ، ام رؤية ، ام ابداع ، ام احساس ، ام تفسير ، ام براهين ، ام اقتناع ، ام اقتناع ، ام فصاحة ، ام موقف ، ام نبيل ، ام سير في الطريق ، ام استمرار في السير ، في السير الذي لم يختر نفسه والذي لم يبده او يختره السائر ، في السير الذي لا يبحث عن نتيجة او هدف ، والذي لم يقنع بأن له نتيجة او هدفا ، والذي لم ينطلق عن حافز مفهوم او محتوم ، في السير الذي لم يخطط نفسه ، ولم يخطط له أي مخطط ؟

هل الذكاء سلوك ؟ هل الذكاء قراءة ؟ هل الذكاء حجارة تتلاءم ، ام عقول تتصادم ؟ هل الذكاء تفكير ام خطوات ؟

هل قلب الانسان ذكي ، وهل كبده او غدده او شرايينه او اعضاءه ذكية ؟ هل ميكانيكية جسمه ، هل كيميائية جسمه ذكية ؟ هل هو اذكي من عمليات قلبه وكبده وغدده وشرايينه واهضائه ومن كيميائية وميكانيكية بدنه ودمه ، وكل ممارسات ذاته لذاته ولما حولها ولاستقبالاتها الخارجية والداخلية ؟

هل الانسان يضبط سلوكه ويرى طريقه بذكائه اذكي مما تضبط

اعضاؤه سلوكها وترى طريقها بلا ذكاء ؟

أليس ما يعد ذكاء او عبقرية ليس الا ممارسات ذاتية والا ضرورات ذاتية ، والا آلية ذاتية مثل ممارسات الجسم لعملياته الميكانيكية والكيميائية ، مثل ممارسات الجسم والاعضاء لذاتها ، لآليتها ؟ هل الذكاء الاسلوب من أساليب الميكانيكية والكيميائية يمارسها العقل بالاسلوب الذي يمارس به الجسم عملياته الكيميائية والميكانيكية ؟ هل ممارسة العقل للذكاء ذكاء ؟

هل الجسم يدبر لكي يؤدي عملياته هذه ؟ هل هو ذكي لانه يؤدي هذه العمليات ؟ هل تأديته لها ذكاء أو استجابة للذكاء او بحث عن الذكاء او اسلوب من اساليب الذكاء ؟ هل تأدية هذه العمليات تهب نتيجة ذكية ؟ هل الجسم يدبر ام يخضع ؟ وهل المدبر يدبر لانه يفهم او لانه ذكي ام يدبر لانه يخضع ؟ هل التدبير ذكاء أم خضوع ؟ هل الذكاء ذكاء ام كينونة ؟ وهل الكينونة ذكاء ؟

هل ممارسة الذكاء ، اي ما يحسب ذكاء - هل ممارسة الذكاء ذكاء ؟ هل النتيجة التي تؤدي اليها هذه الممارسة أو التي يراد او ينتظر ان تؤدي اليها ذكية ؟ هل التوقف عن هذه الممارسة غباء ؟ هل النتيجة التي تؤدي اليها هذا التوقف غيبة ؟

ماذا يحدث لو توقف الجسم عن تأدية عملياته المختلفة ؟ هل يكون الموقف حينئذ اكثر غباء أو اكثر ألما أو اكثر حزنا أو اكثر خروجا على التقوى والفضيلة والتهديب ، أو اكثر عصيانا للاله أو للقانون أو تحقيرا للذات او اغضابا للشمس والكون ؟ هل توقف الجسم عن عملياته هجاء لذكائه او لذكاء الآلهة ؟ هل استمرار الجسم في عملياته ثناء على أحد أو على شيء ؟

ماذا يحدث لو توقف الانسان عن ممارسته لما يحسب ذكاء انسانيا ، او لو فقد هذا الذي يحسب ذكاء انسانيا - ماذا يحدث لو كان بدون هذا الذي يسمى ذكاء انسانيا ؟

هل يكون حينئذ اعظم غباء أو شقاء أو كآبة أو انحطاطا أو فسوقا

او غيظنا او حسدا او تلوثا او حروبا او تعاديا او خوفا او ارقا او نفاقا
او كذبا او بغضا او نذالة او اناية او هموما نفسية وعقلية ودينية
واخلاقية ؟

هل يكون حينئذ اكثر عصيانا للاله ، او اكثر تحقيرا لنفسه او
للاخرين ؟ هل يكون حينئذ اكثر او اعرق شعورا بضياعه او بتفاهته او
بتورطه ؟ هل يكون حينئذ اكثر ابتداعا للالهة الغبية ، وللعقائد والمذاهب
والافكار العدوانية ، او اكثر طاعة واستسلاما للطفة والزعماء القتل
الجهلة ؟ هل يكون حينئذ اكثر رؤية او اقوى رؤية لعبث كينونته ، لعاره ؟
هل يكون حينئذ اكثر او اقوى تحديقا في تشوهات وفي عاهاته ؟ هل
يكون اكثر احساسا بها او رفضا لها ؟

هل تبدو له المرأة حينئذ اقل صداقة او حنانا او ابتساما حينما
يقف امامها ؟ هل تصبح المرأة حينئذ اكثر واعنف رفضا لوقوفه امامها ،
او اقصى عبوسا في وجهه ، في نظراته الملهوفة المذعورة المستعطفة - في
نظراته المطالبة بالرحمة وبالصفح الكريم ، بل وبالإحسان السخي ؟ هل
تصبح المرأة حينئذ اكثر هجوما عليه حينما ينظر اليها باحثا عن الحب ؟
هل تصبح المرأة حينئذ اكثر وحشية وعداوة لنظراته المحدقة فيها ،
الخائفة منها ، المتضرعة اليها ، المطالبة لها بأن تكون مزورة وكاذبة ، رحمة
بها ومحابة لها ؟

نعم ، ان كل من يحدق في آية امرأة ليضرع اليها لتكون مزورة وكاذبة
ومحابة لوجهه ولنظراته الضارعة .



والشجاعة ما هي ؟ ليست هي صناعة الموت والتشويه والالام والعار
والاذلال والدمار والهزيمة والاحزان ؟ ليست الشجاعة هي توقيع كل
ذلك بالنفس او بالآخرين ؟ ليست الشجاعة هي أن تخاف جداً ، فتفعل
من الخوف لتتحول الى خوف جديد ؟ ليست هي الهرب الى الخطر
خوفا من الخطر ؟

ليست الشجاعة هي الاقدام على شيء والفرار من شيء ، أليست

هي الرفض والعصيان والكره لشيء ، ثم التقبل والطاعة والحب لشيء آخر ؟ اليست هي اختيار أحد موقفين ، او الاضطرار الى موقف من موقفين ، او الاكراه على التزام موقف ما من عدة مواقف ؟ اليست هي التنقل او التردد او الحيرة او التمزق او الموت بين موقفين او عديد من المواقف تحت ضغط الخوف او الخطأ او المشاعر المتناقضة في بحثها عن الربح أو الامان ؟

اليست الشجاعة هي أن تستجيب لشعور ما لتخرج على شعور ما - أن تستجيب لضغط ما لتخرج على ضغط ما آخر ؟ اليست هي أن تستسلم لتحريض ما متمردا على تحريض آخر ؟ اليست هي أن تطيع نفسك عاصيا لنفسك ، أن تطيع خوفك عاصيا لخوفك - أن تطيع ظروفك عاصيا لظروفك ، أن تطيع قدميك عاصيا لقدميك أن تطيع احد انبيائك عاصيا لاحد انبيائك ؟ اليست هي دائما الطاعة والمعصية ، هي الشيء ونقيضه ؟

اليست الشجاعة هي أن تخطو مع نفسك خارجا على آلهتك ومثلك ، او غير مستأذن لآلهتك ومثلك ، او غير مفسر بآلهتك ومثلك ، او غير مدافع عن آلهتك ومثلك ، او غير غاضب لآلهتك ومثلك مهما كانت احاديثك عن آلهتك ومثلك ؟ اليست هي أن تستسلم لاوامر نفسك اليك ، أن تستسلم لاملات نفسك عليك وعلى اخلاقك ، وعلى اربابك ومذاهبك وافكارك وتعاليمك ، وعلى وقارك وعلى احترامك لنفسك ؟ اليست هي أن تتحرك في جنون من الخوف والارتجاف ، من الكره والبغض ، من الضلال والضياع ، من الفباء والتوتر ؟

اليست الشجاعة ارتجافا مدعورا يتحول الى تعبيرات مرتجفة مدعورة ؟

اليست الشجاعة هي أن تتعامل مع نفسك ومع الاشياء حولك ومع الآخرين كأنك بلا انسان ، بلا منطق ، وبلا تقاليد ، وبلا اخلاق ، وبلا دين . كأنك شيء يسقط هنا او هناك ، كأنك كتلة من المادة تتحرك في هذا الاتجاه او في ذلك الاتجاه ، كأنك لا تعيش شيئا من الانسان ، ولا من المنطق ، ولا من التقاليد ، ولا من التعاليم ، ولا من الاخلاق او الاديان ، كأنك لا تعيش سوى قوانين الكتلة المادية المتحركة بلا حافز انساني او اخلاقي او منطقي ؟ اليست الشجاعة أن تتحرك كما يتحرك ذئب او كما يتحرك برغوث او كما

يتحرك ذباب ، كما يتحرك بهذا الأسلوب او بالأسلوب الآخر ؟

أليست الشجاعة هي ان تبحث - ولو بغباء وارتجاف - عن الموقف الذي يلائمك أكثر ، او يهبك الأمن والثمن الأكبر ، او الأمن والثمن الأقرب ، او الأمن والذين تشتهيهم أكثر ، او يفرانك أكثر ، او يجتذبانك وينتصران عليك أكثر ؟ أليست الشجاعة أسلوبا من أساليب المساومة او المتاجرة البذيئة الشريرة ؟ أليست أسلوبا من أساليب البيع للموقف او من أساليب الثمنين للموقف ، من أساليب البيع والشراء للذات ؟

أليست الشجاعة هي كل هذا ؟ أليست كل أساليب الشجاعة ومستوياتها وحوافزها وأهدافها ونتائجها هي هذا ؟

واذن ما هو الجبن ؟ أليس الجبن هو هذا ، هو كل هذا ؟ هل تستطيع ان تكون شجاعا دون أن تكون جبانا او ان تكون جبانا دون ان تكون شجاعا ؟ هل تستطيع ان تكون شجاعا فقط او جبانا فقط ؟

اذن من هو الشجاع ، ومن هو الجبان ؟ أو هل يوجد شجاع او يوجد جبان ؟

والصدق ما هو ؟ أليس هو ان نقول ما نريد قوله ، او ما نريج من قوله ، او ما نشتهي قوله ، او ما لا نستطيع الا قوله ، او ما يهينا السرور والرضا عن انفسنا قوله ، او ما نعرض انفسنا بقوله ، او ما نزين انفسنا بقوله ، او ما يمنحنا الامان قوله ، او ما نتحدى او نغير او نشاتم او نقاوم او نقاوي او نهدد او نفيظ او نساوم بقوله الاعداء او الخصوم او المخالفين او المنافسين او الاصدقاء ؟ ألسنا نصدق احيانا كمحاربين ومعادين ومهددين وشاتميين ، لا كصادقين ؟ أليس الصدق احيانا سلاحا وبداءة وحجارة نقذف بها ، وليس صدقا ؟

أليس الصدق هو ان نقول ما نتاجر بقوله ، او ما نقاتل بقوله ، او ما نهجو ونحقر بقوله ، او ما نخادع بقوله ، او ما نتوقع بقوله ، او ما نجد شهوة اعلانية او افتراضية او استعراضية بقوله ، او ما نبحت بقوله عن اعجاب الآخرين بنا وعن ثنائهم علينا ، او ما لا نخاف او نخسر من قوله ؟

ليس الصدق في حوافره وفي نياته وفي نتائجه أيضا هو دائما خروجاً على الصدق ورفضاً له ؟

انه اي الصدق ليس هو ان نقول ما هو صدق قوله ، او ما ينبغي او يجب قوله ، او ما نخسر ونتعذب بقوله ، او ما نفتضح ونحاكم بقوله ، او ما نكره قوله . اننا لا نستطيع ان نصدق بهذا الاسلوب او بهذه الحوافز ، اننا لا نستطيع ان نعامل الصدق بهذا الحب ، او ان نعامل انفسنا بهذه القسوة .

ان الصدق ليس هو ان نقول الشيء او عن الشيء او ان الشيء كما هو ، بل هو ان نقول عن الشيء كما نريده او كما نريد ان نقول عنه ، او كما نريد ان يعرف عنا قوله . ان حديثنا عن الشيء ليس حديثاً عن أي شيء انه حديث عن انفسنا . اننا لا نقول الصدق حينما نصدق ، وانما نقول انفسنا .

ان الصدق ليس هو ان نرى الشمس كما هي ، وان نقتنع بها كما نراها ، وان نتحدث عنها ونشير اليها ونجدها كما نقتنع بها . بل ان الصدق هو ان نرى الشمس كما نريد ان نقتنع بها ، وان نقتنع بها كما نريد ان نتحدث عنها وان نجدها وان نشير اليها ، وان نتحدث عنها ونجدها ونشير اليها كما نريد ان تكون ، وكما يلائمنا ويفيدنا ان تكون ، وكما يلائمنا ويفيدنا ان نتحدث عنها ونجدها ونشير اليها . اننا لا نستطيع ان نرى الشمس ، وان نقتنع بها ، وان نتحدث عنها ونجدها ونشير اليها كما هي او كما ينبغي ان نفعل او كما تتعامل معها أعضاؤنا وأعضاء البرأغيث .

اننا لا نصدق في تحدثنا عن ضخامة الشمس بقدر ضخامتها ، بل بقدر ارادتنا لضخامتها وبقدر تلاؤمنا وتعاملنا مع هذه الضخامة . ان الشمس لا تبدو لنا دائماً في حجم واحد من الضخامة والاشراق .

ان الصدق ليس هو ان نقول ما يريده او ينتظره منا الآخرون ، وما يريده او ينتظره منا الباحثون عن الصدق — أنه ليس هو ان نقول ما يريده او ينتظره منا من شرفهم او حياتهم او نجاتهم أو مسراتهم او انتصارهم او براءتهم في الصدق ..

ان الصدق ليس هو ان نقول ما تطالبنا به اربابنا او انبيائنا او
مذاهبنا او صلواتنا ، او ما يطالبنا به شرفنا او ذكائنا او كبريائنا او حبنا
للمجد والتفوق والمدح . ان الصدق ليس هو ان نقول ما بايعنا عليه اربابنا
وانبياءنا ومذاهبنا وصلواتنا او ما عاهدنا عليه شرفنا وذكائنا وكبريائنا
وتطلعنا الى المجد والتفوق والمدح . ان الصدق ليس ان نقول ما تحيا
به وله اربابنا وانبيائنا ومذاهبنا وصلواتنا ، او ما ينشده شرفنا وذكائنا
وكبريائنا وطموحنا الى المجد والتفوق والامتداد . ان الصدق ليس هو ان
نعشق جمال النجوم او ارتفاعها او وقارها او استرخاءها او خمود
احاسيسها او بلادة نظراتها او وقاحة فضولها وتحدياتها في الامم الناس
وتشوهاتهم بلا أشفاق او حياء أو تهذيب .

ان الصدق ليس هو ان نقول شيئاً من هذا . ان الصدق هو ان نقول
ما نريد قوله ، او ما نريد ان يعرف عنا قوله ، او ما نجامل انفسنا بقوله ،
او ما يفيدنا قوله ، او ما نريده ان يكون ، او ما يرضي أحقادنا او بغضاءنا
او عداواننا او وقاحاتنا قوله . ان الصدق هو ما في كهوف انفسنا من
احتياج وجوع وتمنيات ومخاوف ، وليس هو ما في سطوع الشمس من
ضخامة وجهارة واشراق ومن عيون تسخر وتتحدى .

اننا حينما نصدق في وصفنا لنجم بالصعود لا نقصد ان نتحدث بصدق
عن النجم وعن صعوده ، وانما نقصد ان نقول عن انفسنا شيئاً او لانفسنا
شيئاً . اننا حينما نصف اعلى نجم بارتفاع المكان لا نكون صادقين ، ولا
ننوي ان نصدق ، ولا ان نبحت عن الصدق ، ولا ان نحترم الصدق اكثر من
الكذب وواقع شاعر او خطيب، حينما يقف بين يدي اغبي وافسد وافجر واطلم
طاغية مجنون ، ليصفه بكل الذكاء والعدل والنظافة والاستقامة . ان مثل
هذا الشاعر او الخطيب لا ينوي ان يكذب او ان يحترم الكذب اكثر مما
ينوي ان يصدق او ان يحترم الصدق اي قديس حينما يتحدث عن
رؤيته لله .

انك لا تكون في حوافرك واهدافك صادقاً حينما تقول عن اجمل
واعدل انسان : انه اجمل واعدل انسان الا بقدر ما تكون صادق الحوافز
والاهداف حينما تقول عن اظلم واقبح انسان : انه اجمل واعدل انسان .
انك لا تكون صادقاً في حوافرك واهدافك حينما تتحدث الى الهك الذي
تؤمن به اقوى ايمان اكثير مما تكون صادقاً في حوافرك واهدافك حينما

تحدث الى افجر طاغية تعرفه ممجدا عدله وتقواه وتواضعه .

ان هذا هو الصدق في سلوك واهداف وحوافز الانسان ، في سلوك وحوافز واهداف كل انسان . ان الصدق لا يمكن أن يكون غير هذا . وان هذا لا يعني الهجاء للانسان ، ولا يعني تأييم الانسان ، كما لا يعني الاحتياج الى نصيح الانسان أو الى تهذيبه لكي يصبح الصدق في سلوكه أو في حوافزه وأهدافه شيئا افضل . انه يعني فقط أن هذا هو الانسان ، هو كل الانسان في كل مستوياته ونماذجه ، في كل انماطه واطواره الحضارية والأخلاقية . وكل هذا ليس يعني أن كل ما وجه الانسان الى نفسه من كتب مقدسة ومن أنبياء ليتعلم الصدق ليس الا قتالا لعدو لا تصيبه الاسلحة ؟

والكذب اذن ما هو ؟ اليس هو هذا في حوافز واهداف وسلوك كل انسان ؟

اليس الصادق كاذبا ؟ اليس الكاذب صادقا ؟ اليس قضية واحدة في الحوافز والاهداف ؟ اليس كلاهما صادقا ، أو كلاهما كاذبا ؟ اليس كلاهما ثناء على الاله أو كلاهما هجاء للاله ؟

هل الكذب الا استجابة للذات ؟ وهل الصدق الا استجابة للذات ؟ هل تكذب حينما يكون الكذب خصما لنا ؟ وهل نصدق حينما يكون الصدق خصما لنا ؟ هل نصدق حينما تكون مخاصمة الصدق لنا كاملة ؟ وهل تكذب حينما تكون مخاصمة الكذب لنا كاملة ؟ هل تكذب لنموت ؟ هل نصدق لنموت ؟

هل نصدق حينما نكون في موقف الكذب وتحت ظروف الكذب ؟ وهل تكذب حينما نكون في موقف الصدق وتحت ظروفه ؟ هل نستطيع ان نصدق حينما تكذب ؟ وهل نستطيع ان تكذب حينما نصدق ؟ اذن لماذا نصدق حينما ونكذب حينما آخر ؟ اليس توزيعنا لانفسنا على الصدق والكذب توزيع اضطرار وخضوع ؟

هل نرفض اغراءات الكذب ما لم تكن لنا في الصدق اغراءات مضادة ؟ هل نرفض اغراءات الصدق ما لم نجد في الكذب اغراءات مضادة ؟

هل نصدق او نكذب لوجه الله او لوجه الشيطان ؟ هل نحن مهذبون
او رحماء الى المدى الذي يجعلنا نكذب احتراماً او رحمة بالشيطان ؟

هل الصدق الا بحث عن افضل شروط التعامل ولو في الحساب
الخطيء ، ولو في التعامل النفسي ، ولو في الحسابات النفسية ؟ وهل
الكذب الا كذلك ؟ هل الصدق والكذب الا بحث عن التعامل مع اكثر
الشروط ملاءمة لنا ولو في الحسابات الخاطئة ؟ هل الانتقال بين هذا
وهذا الا انتقال بين الشروط ؟

وهل الذي يصدق بحثاً عن افضل شروط التعامل خير او اصدق
من الذي يكذب بحثاً عن مثل هذه الشروط ؟ هل الذين يبحثون عن
الشروط الملائمة اخيار وارشار ، اتقياء وفسقة ؟ هل هم صادقون
وكاذبون ، ام هم متعاملون فقط ، ام هم عبيد شروط ، طلاب شروط فقط ؟

هل الذي يصدق لان الكذب لا يلائمه ولو نفسياً افضل من الذي
يكذب لان الصدق لا يلائمه ولو نفسياً ؟ هل الذي يبحث عن التلاؤم لنفسه
فقط فاضل ، هل هو غير فاضل ؟ هل الذي يطيع هوى نفسه او احتياجاتها
اتقى او افضل من الذي يطيع هوى اعضائه او احتياجاتها ؟

هل انت حينما تعترف بخطاياك صادقاً امام الكاهن اصدق او
افضل في اهدافك وحوافرك من اللص الذي يسرق زي الكاهن ثم يقسم
ويده على كل الكتب المقدسة في محراب مقدس انه لم يسرق قط في حياته ،
وان الكاهن هو الذي سرق منه كل شيء ، حتى اللحية الغزيرة المربوطة الى
وجهه ؟ أليس الفرق بينكما فرقاً في التعبير والاسلوب فقط عن
الحوافز والاهداف الواحدة التي لا فروق بينها والتي لا تنقسم الى صداقة
وكاذبة ولا الى مؤمنة وزندقة ، ولا الى طاعة ومعصية ؟ اليس الفرق بينكما
فرقاً في التوزيع والاخراج للحوافز والاهداف ، للمخاوف والحسابات
والتقديرات ؟ أليس كل الفرق بينكما انه لا فرق بينكما ؟ أليست كل
الفروق بينكما فروقاً ليست فيكما ، أليست فروقاً فيمن يتعاملون فيكما ،
فيمن يرونكما ، فيمن تتعاملان فيهم وعليهم ، لا فروقاً فيكما ؟

ان الناس لا يقولون ما يريدون او ما ينوون ان يفعلوا ، ولا ما يستطيعون

ان يفعلوا ، ولا ما سوف يفعلون ، ولا ما يشتهون أن يفعلوا . ان العلاقة بين الانسان والكلمة ليست علاقة حب او صداقة او شرف او احترام او التزام ، بل ليست علاقة شهوة .

ان الناس يقولون ما يريدون قوله ، او ما يشتهون قوله ، او ما يحبون ان يعرف عنهم قوله ، او ما يضطرون الى قوله ، او ما يعلنون عن انفسهم بقوله . ان انسانا ما ، أن قائدا او زعيما ما اذا تحدث عما سوف يفعل او عما سوف يحدث لم يجب ان نبحت او نتساءل : لماذا يفعل ، او لماذا يفعل هذا ، او لماذا يريد ان يفعل . وإنما يجب ان نتساءل ونبحث : لماذا قال هذا ، لماذا قال ما قال . لقد قال . وهذه هي الحقيقة فقط . فلماذا قال ؟ لقد قال انه سوف يفعل . ان هذه ليست هي القضية ، أن القضية هي انه قد قال فقط . فلماذا قال ؟

وحتى اذا فعل ذلك الانسان او ذلك القائد او الزعيم ما قال فانه لم يفعل لانه قد قال ، كما أنه لم يقل لانه سوف يفعل .

ان العلاقة بيننا وبين ما لا نقول او بيننا وبين ما ننكر او بيننا وبين ما ننكر قوله ، لا قوى من العلاقة بيننا وبين ما نقول ، او بيننا وبين ما نعلن عن قوله . ان العلاقة هي دائما بينك انت وبين ما تفعل ، وليست بين ما تفعل وما تقول . ان العلاقة بينك وبين قولك ، وليست بين قولك وفعلك . ان بينك وبين قولك علاقة مهما كانت في التعبير مناقضة .

انك دائما متهم بأنك قد تفعل ما لا تقول أو بأنك قد تفعل ما تنكر أو بأنك قد تفعل ما تنكر قوله أكثر من اتهامك بأنك قد تفعل ما تقول ، أو بأنك قد تفعل ما تمتدح . ولكن لماذا تفعل ما تنكر ؟ هل تفعله لانك أنكرته ؟ هل أنكرته لانك تفعله ؟ أم ماذا ؟ أم انت لا بد ان تكون هكذا بلا تفسير ؟

انه لاسلوب حافل بالخطأ والفلة ذلك الاسلوب الذي يسلكه اولئك الذين يحاولون بحماسة وتقوى ان يفهموا سلوك انسان قد كان ، او انسان قد يكون ، ان يفهموا اخلاقه او نياته ومقاصده مما كان يقول ، او مما سوف يقول . ان محاولة فهم المعلمين الخالدين العالميين ، او محاولة فهم اخلاقهم أو نياتهم مما كانوا يقولون ويعلمون ليست أذكى من ان نحاول فهم اخلاق وسلوك ونيات اولئك المعلمين بفهمنا لما كان يقول اعداؤهم

والخارجون عليهم عنهم ، او بفهمنا لاخلاق ونيات وسلوك اولئك الخارجين
الاعداء لأولئك المعلمين . ان محاولة فهمنا لاخلاق ونيات وسلوك اولئك
المعلمين مما كانوا يقولون لابائنا المخدوعين ليست اذكى من محاولة فهمنا
لاخلاق ونيات الالهة من كتبها المنزلة لا مما توقع بنا من الآلام وتشويهه .

ان المسافة الفاصلة بينك وبين اقوالك ليست اقل من المسافة
الفاصلة بين اي انسان وبين اقوالك، كما ان المسافة الفاصلة بين اي انسان
وبين اقواله ليست اقصر من المسافة الفاصلة بينك وبين اقوال ذلك
الانسان . ان اخلاقك ونياتك بعيدة عن اقوالك بقدر البعد الذي بين اقوالك
وبين اخلاق ونيات اعدائك .

ان البعد الذي بينك وبين اقوالك ليس اقل من البعد الذي بين اقوالك
وبين خصومك واعدائك ومخائفيك في المذهب او في الدين او في التفكير
او في الرب .

ان البعد الذي بين اخلاقك وسلوكك ونياتك وبين الكتاب المقدس الذي
نزل عليك لتعلمه الناس ، لتقاتل الناس لكي يتخلقوا به ليس اقل من البعد
الذي بين اخلاق وسلوك ونيات الكافرين بك وبين كتابك المقدس . ان البعد
الذي بينك وبين كتابك المنزل ليس اقل من البعد الذي بين كتابك المنزل
وبين آية حشرة مندسة بين صفحاته . واذا جاءت اخلاقك او نياتك او
سلوكك قريباً من اقوالك فليس لانها اقوالك .

انك اذا توافقت مع ما تقول او مع ما قلت فليس لانك قلت ذلك او
تقوله ، ولكن كما قد يتوافق خصومك ومخالفوك مع اقوالك ، وكما تتوافق
انت احياناً مع اقوال مخالفيك وخصومك ، او كما قد يتفق أن تموت
حشرة في حجر نبي ، او ان تدفن مع جسده الطاهر في ضريحه المحروس
بقلوب الملائكة وحنانهم ، ملفوفة في أكفانه المعقمة بكل ما في السماء من
طهارات ضد كل ما في اخلاق او جسد او حياة اية حشرة من تلوث
واتضاع وهوان .

اذن كيف تعامل الناس بالكلمة ؟ وهل تعاملوا بها قط ؟ لقد تظاهروا
او اعلنوا بالكلمة انهم يتعاملون بالكلمة دون ان يتعاملوا ، او ينووا التعامل
بها . لقد اتفقوا على الا يتعاملوا بها وعلى ان يتظاهروا بالتعامل بها .

✱ ✱

والعقل ما هو ؟ اليس هو حارس الجنون ؟ اليس هو مفسره ومروجه
ومنطقه ودأعيته ؟ اليس هو نبي الجنون ، اليس شاعره وخطيبه وقائده
وزعيمه ؟

اليس العقل هو الذي يهب الجنون قوته وخلوده ومكانته واغراءاته ،
وكل صولاته وتفسيراته ومواقفه المتألفة المتكبرة ؟ اليس العقل هو الذي
يحول الجنون الى مجتمعات ودول وأخلاق وشرائع وقوانين ، والى آلهة
وأديان ومنطق وتقاليد ومزايا مختلفة ؟ اليس العقل هو الذي يحول الجنون
الى تعاليم وعلاقات ومعاملات دولية وانسانية ؟

هل للعقل في جميع مستوياته واساليبه من عمل غير ان يبارك الجنون
ويعلن عنه ويحميه ، وغير ان يتحول الى تشريع وتفسير ودعاية وقوة
للجنون ؟ هل للعقل من موهبة ونضال غير ان يتعلم الجنون ويعلمه ، وغير
ان يمارس الجنون ويعيشه وينافقه ويتكلمه ؟

هل يوجد شيء غير الجنون ليكون العقل خادما له ، تابعا له ، حارسا
له ؟ هل يوجد شيء غير الجنون ليهبه العقل صداقته وولاءه واخلاصه
الميت المهيمن ؟ هل يوجد شيء غير الجنون يستطيع العقل ان يهبه نفسه
وان ينفق عليه موهبته ويصرف اليه حماسه واهتماماته ؟

ان كل شيء ليس الا جنونا ، وان العقل لا يجد غير هذا الجنون الذي
هو كل شيء ليتعامل معه . ان العقل لو اراد ان يحترم نفسه وان يكون
عميلا لغير الجنون لما وجد ذلك الغير . ان العقل لا يجد شيئا يهب له
نفسه غير الجنون . ان هذه هي مشكلة العقل ، ان مشكلته انه لا يستطيع
ان يكون شيئا محترما او فاضلا او عاقلا مهما اراد وحاول .

ان الوجود ، ان كل وجود ، ان تحويل الشيء الى موجود ، ان الحكم
بالوجود على الموجود - ان ذلك ، بكل مستوياته واحتمالاته ونماذجيه
واساليبه ومهما كانت اسبابه ونتائجها - ان ذلك كله جنون ، انه ابشع صيغ
الجنون .

ان الوجود بكل اطواره جنون ، ان كل الجنون هو كل الوجود ، انه لا
يوجد جنون غير الوجود ، وانه لا يوجد وجود غير جنون . ان كل صيغة
وجود هي صيغة جنون ، ان كل صيغة جنون هي صيغة وجود . ان أي

وجود لا يستطيع ان يكون غير جنون ، وان أي جنون لا يستطيع ان يكون غير وجود . ان كل صيغ الوجود هي جنون ، وأن كل مستويات وصيغ الجنون هي وجود . انه قدر لا يمكن الخروج عليه بأية وسيلة او حضارة او تقدم او عقل .

انت موجود ، وانت وجود ، اذن انت جنون ، انت جنون ، او أنت صيغة جنون ، اذن انت وجود ، أو اذن أنت موجود . انت لا تستطيع ان تكون غير جنون الا اذا استطعت ان تكون غير وجود .

انت أن كنت ترفض ان تكون جنونا فانه محتوم عليك حينئذ ان ترفض كونك وجودا . وانت أن كنت تقبل ان تكون وجودا او ان تكون موجودا فالمعنى انك تقبل ان تكون جنونا اي ان تكون احدي صيغ الجنون ، احدهم مستويات الجنون ونماذجه . أنك تقبل دائما ان تكون جنونا دون ان تدري او تدبر لانك تقبل دائما ان تكون وجودا . انك لتقاتل لتظل جنونا لانك تقاتل لتظل وجودا .

ان وجودك بصيغتك او بأية صيغة او بكل صيغة اخرى لا يمكن ان يكون غير جنون . ان الجنون لا يمكن ان يكون غير هذا او اقبح من هذا . ما هو الجنون لكي يكون محتملا ان وجودك بصيغتك الحاضرة وتحت ظروفها او بأية صيغة اخرى وتحت اية ظروف اخرى — ما هو الجنون لكي يكون محتملا ان وجودك ليس جنونا بل ليس ابشع نماذج الجنون ؟ مهما كان لك من عقل او مهما كنت عقلا ؟ هل للجنون صيغة اردا من وجودك كما انت ومهما كنت ، بشعراتك واطفارك ، وبأنيابك واسنانك ، وبتضاريسك وكهوفك ، وبمرتفعاتك ومنخفضاتك ، وبجوعك وهمومك ، وبصفائك وكبريائك ، وبذنوبك وصلواتك ، وباعتقاداتك وزندقاتك ؟

هل يمكن ان يكون الجنون شيئا سوي هذا ، او اكثر دماة او خروجا او جنونا من هذا ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه الحشرة ، بهذا المستوى والنموذج ، وبهذه البداية والنهاية ، وبهذه الوظيفة ، وبهذه النتيجة ، وبهذه الحوافز والاهداف والتفاسير ، وبهذا المنطق والتدبير ، او دون منطق وتدبير .

— هل يمكن ان يكون وجود هذه الحشرة بصيغتها هذه او بأية صيغة اخرى ، في هذا التاريخ او في اي تاريخ ، في هذا المكان او في اي مكان آخر ، بمنطق وتدبير هذا الاله أو بمنطق وتدبير أي اله آخر — هل يمكن ان يكون وجود هذه الحشرة ليس جنونا ، او ليس كل معاني الجنون ؟

هل يمكن ان يكون اي جنون أقل جنونا من هذا ؟

هل يمكن الا يففر اي جنون امام هذا الجنون ؟

هل يمكن ان يفسر هذا بغير ما يفسر به اي جنون ؟

هل تستطيع ان تتصور مجنونا يستطيع جنونه ان يبدع جنونا ، ان يبدع اسلوبا من أساليب الجنون اردا من أبداع اية حشرة لتكون كماتكون اية حشرة ؟

هل تقبل ان تملك من الجنون مثل الجنون الذي اوجد الحشرة بكل كبريائها وتواضعها ؟

هل تقبل ان تملك من الجنون مثل الجنون الذي اوجد الانسان كما تعلمه ، كما تحياه ، كما تراه ، كما تتوقعه ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذا الكون بكل مجموعاته الكونية وبكل وحداته ، وبكل ما فيه وما فوقه من آلهة تفسره ويفسرها ، وتعشقه ويعشقها ، وتصنعه ليعبدها ، وتشوّهه ليجملها ، وتعذبه لانها ترجمه ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه المجموعة الشمسية التي نحن افضل وأذكى وأتقى حشراتنا ، او هكذا نظن ونتحدث — التي نحن اكثر حشراتنا غرورا وتدينا .

هل يمكن ان يكون وجود هذه المجموعة بكل اعدادها واحجامها وابعادها ، وبكل تشوّهاتها وذنوبها وأحزانها ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه المزحة الكونية ، هذه المزحة التي

نسميها ارضا .

هل يمكن ان يكون وجود هذه الفلطة الكونية ، هذه العاهة الكونية المملوءة بالذباب وبكل سلالات الحشرات ، المملوءة بالجراثيم والبشر ، وبالتراب والصخور والرمال وبالصحراوات والجبال ، المملوءة بالغبار وبالمياه التي كأنما ندمت آلهة الكون على كرمها أذ خلقتها ، التي كأنما غارت آلهة الكون وحسدت الإنسان عليها ، فذهبت تعاقب نفسها على كرمها ، وذهبت تفسدها - اي تفسد تلك المياه - ذهبت تفسدها وتفسدها ، ذهبت تلقي فيها الملح ، تلقي وتعاني في القائئا الملح فيها الى أن اصبحت مياهها غير صالحة ، الى ان اصبحت بحارا مالحة ، بحارا فاسدة .

لقد كان تمليح مياه البحار هو أقوى اساليب الالهة في تعبيرها عن ندمها على كرمها وفي معاقبتها لنفسها على كرمها .

هل يمكن أن يكون وجود هذه الارض بكل صفاتها الجسدية والاخلاقية والنفسية والمنطقية ، وبكل تاريخها ومستقبلها واحتمالاتها ، بكل ما في تاريخها من ذنوب وبدادة ، وبكل ما في مستقبلها من جنون وحماقات وآلام وهزائم ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذا الجبل بمكانه هذا ، وبحدوده هذه ، وبحجمه هذا ، وبعدد صخوره ، وبعدد الحشرات والكائنات والنباتات الموجودة فيه ، وبكآيته ، وبدمامته ، وبوقاحته وهمجيته ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه النبتة أو هذه الدابة أو هذه الصخرة بهذه الصورة ، بهذا اللون ، بهذا الوزن ، بهذا المكان ، بهذه الصفات ، بهذه التفاسير التي يمكن ان تفسر بها أو التي لا يمكن ان تفسر بها ؟

هل يمكن أن يكون وجود هذه الثمرة ، في هذه الشجرة ، بهذا الحجم ، بهذا المذاق ، في هذا المكان ، في هذا الفصل ، بهذا الاسلوب ، لهذا الغرض ؟

هل يمكن ان يكون وجود هذه العاهة ، في هذا العضو ، في هذا المكان ، في هذا الإنسان ، بهذه القسوة ، بهذه البشاعة ؟

هل يمكن أن يكون وجود هذه الدمامة ، أو هذا الضعف ، أو هذا المرض ، أو هذه البلادة في هذا الإنسان لهذين الابوين ، في هذا المجتمع؟

هل يمكن أن يكون وجود هذا الجمال ، أو هذه القوة ، أو هذه الصحة أو هذا الذكاء في هذا الإنسان ، لهذين الوالدين ، في هذا المجتمع ؟

هل يمكن أن يكون وجود هذا النهر ، بهذه الضخامة ، في هذا المجرى ، في هذه البلاد ، بين هذه الشعوب ، بهذا النظام ؟

هل يمكن أن يكون وجود هذه الصحراء ، بهذا الاتساع ، بهذه القسوة والوقاحة ، بهذا القحط والموت ، بهذا الاسراف في البداوة والشح ، بهذا الاسراف في الفقر والجهل ؟

اجل ، هل يمكن أن يكون وجود أي شيء من هذا الوجود ، أو وجود أي وجود ، بصيغته هذه أو بأية صيغة أخرى .

— نعم ، هل يمكن أن يكون وجود أي شيء من هذه الموجودات ليس جنونا ، ليس أبشع مستويات ونماذج الجنون ؟ هل يمكن أن يكون أي جنون ليس هذا أو أكثر جنونا من هذا ؟

هل يمكن ، هل يمكن أن يكون أي وجود بأية صيغة ، أو أية احتمالات وجود بأية صيغة محتملة أو ممكنة أو متصورة أو متمنة ، ليست جنونا ؟

إن وجود أي موجود مثل وجود كل موجود في كونه جنونا . انه اذا كان وجود ما جنونا فان كل وجود لا بد ان يكون جنونا . انه لا يمكن ان يكون وجود ما جنونا ثم يكون أي وجود ليس جنونا ، او ثم يكون عقلا .

انه لا يمكن ان يكون كل وجود عقلا ، إذن لا يمكن ان يكون أي اسلوب أو أي مستوى من الوجود عقلا . ولكن ايهما أكثر جنونا : وجود الإنسان أم وجود أصفر وابلد حشرة ، وجود الشمس أم وجود أصفر واحقر حصاة في أصفر واحقر جبل ؟

أن الوجود ليس جنونا لانه بهذه الصيغة دون الصيغة الاخرى بل لانه

جنون بكل الصيغ . وان الجنون ليس جنونا لانه بهذه الصيغة بل لان فيه معنى الجنون .

ما هو الجنون في تقديرك وفي تقديري وفي تقدير كل انسان يحاول ان يحاسب الاشياء على جنونها ؟ اليس الجنون في كل تقدير هو فعل ما لا يريد احد وما لا يطلبه احد وما لا يحتاج اليه احد وما لا ينتفع به احد وما لم يدبره او يوافق عليه منطق ما ، ما لم يدبره او يوافق عليه أي منطق ، منطق أي صاحب منطق ؟

هل يمكن ان يوجد اي خلاف على هذا التفسير للجنون ؟ هل يمكن ان يكون هناك جنون ان لم يكن هذا جنونا ؟

اليس الجنون هو ما لا يستطيع منطقك او أي منطق آخر ان يعرف افعله او لحدوثه تفسيرا ما او منطقا ما او وظيفة ما ؟ اليس هذا هو الجنون ، او اليس هذا حتما جنونا ؟ اليس الجنون هو فقدان الحافز والهدف ، فقدان التدبير والنتيجة ، او اختلالهما ، او جنونهما ؟ اليس تفسير الجنون مرتبطا دائما بتفسير الحافز والهدف ، وبتقويم التدبير والنتيجة ؟

واذن فهل وجود هذا الكون ، او وجود المجموعة الشمسية ، او وجود هذه الفعلة الاستفراغية الكونية - اعني الارض ، او وجود هذا الانسان ، او وجود هذا النوع من الحشرات ، او وجود اي موجود .

- واذن فهل وجود اي موجود من هذه الموجودات ليس مالكا كل صفات الجنون وشروطه وتعريفاته وتفسيراته ؟

ان كل وجود لم يكن يريده احد ، او يطلب به احد ، او يحتاج اليه احد ، او ينتفع به احد ، انه لم يدبره او يوافق عليه اي منطق ، منطق صاحب أي منطق . لقد وجد كل الوجود قبل ان يكون هناك احد يحتاج او يطلب او يدبر او يوافق او ينتفع . اذن لقد وجد كل الوجود بضربة جنونية ، مهما تعامل بعضه مع بعض ، او احتاج بعضه الى بعض ، او اراد

بعضه بعضا بعد وجوده بهذه الضربة الجنونية .

انه اذا كان احد او شيء ينتفع بشيء قد وجد ، او يحتاج اليه او يطلب به او يدبره او يوافق عليه او يستطيع ان يفسره فهذا بعد ان حكم على ذلك الاحد او على ذلك الشيء بأن يكون موجودا وبأن يكون محتاجا . لقد وجد ذلك الاحد او ذلك الشيء دون ان يحتاج اليه احد او شيء ، ودون ان يدبر وجوده او يوافق عليه او ينتفع بوجوده احد او شيء ، كما قد وجد في ذلك الاحد او الشيء الاحتياج وصفات التدبير والموافقة والانتفاع دون ان يوجد من يطلب بهذا الاحتياج او ينتفع به او يدبره او يوافق عليه احد او شيء .

اذن لقد وجد كل شيء دون ان يريده او يدبره او ينتفع به او يحتاج اليه او يوافق عليه احد او شيء مهما أصبح مدبرا او مرادا او منتفعا به او محتاجا اليه او موافقا عليه بعد وجوده .

لقد وجدت الشمس دون ان تكون احتياجا او انتفاعا او تدبرا او ارادة او قبولاً او رغبة . ولئن اصبحت بعد ذلك احتياجا او انتفاعا او قبولاً او رغبة او ارادة للانسان او لغيره فلقد وجد الانسان او هذا الغير دون ان يكون احتياجا او انتفاعا او رغبة او قبولاً او ارادة او تدبرا . ولكن حذار من الاعتقاد بأن الانسان والحشرة المنتفعين بالشمس قد وجدا تعزية ومجاملة ومحابة للشمس لئلا يظل وجودها بلا معنى او تفسير .

اذن لقد وجدت الشمس والانسان ، او وجدت الشمس والمنتفع بها دون ان يكون وجودهما احتياجا او انتفاعا او قبولاً او رفضاً او رغبة او ارادة او تدبرا او منطقاً يحتمل ان يكون مفهوماً او يحتمل ان يكون احتمالاً .

وهل يحتمل ان الشمس قد وجدت بلا معنى او تفسير ، فوجد الانسان او اي كائن آخر يستطيع ان يتعامل بها وعليها لكي يكون لها معنى وتفسير ؟

وحينئذ ما التفسير او المعنى في ان تكون الشمس والانسان الشمس واي كائن آخر غير الانسان موجودين ؟ ان وجود الارض يجعل

لوجود الطبيب تفسيرا . ولكن هل يمكن أن يكون لوجود المرض او لوجود
المرضى لكي يوجد الطبيب اي تفسير ؟

اليس بقاء الشمس بلا تفسير أو معنى أفضل أو اقل جنونا من ايجاد
ما لا معنى له ولا تفسير لوجوده لكي يجعل ما لا معنى ولا تفسير له ذامعنى
وذا؟ تفسير ، أي لكي يجعل للشمس معنى وتفسيرا ؟ اليس كون الشمس
وحدها بلا معنى وبلا تفسير اقل جنونا من كون الشمس ومن يحيا بها
وعليها بلا معنى وبلا تفسير ؟

ان الشمس وحدها اقل تدليلا على جنون الكون وعلى جنون الاشياء
من الشمس ومعها من يحيون بها .

اذن فوجود كل موجود تتجمع فيه كل اوصاف الجنون وشروطه
وتفسيراته وتعريفاته . اذن فكل وجود جنون ، بقدر ما كل جنون وجود .

لقد جرؤ الانسان ان يدعو بعض اخلاق الجنون جنونا ولكنه لم يجرؤ
ان يدعو نفس الجنون جنونا .



هل يمكن ان تكون حروبا ومخاصماتنا وعداواتنا ومنافساتنا واحقادنا
وكل علاقاتنا وانفعالاتنا الا جنونا بل الا اعلى مراحل الجنون ؟

هل يمكن ان تكون آلهتنا ومذاهبنا واعتقاداتنا وصلواتنا وكل اساليب
وطقوس عبادتنا ، وان يكون تعصبنا واقتناعنا بآلهتنا ومذاهبنا وعقائدنا
وبصلواتنا وبكل عبادتنا وطقوسنا وان تكون خلافاتنا على هذه الآلهة
والمذاهب والاعتقادات والعبادات والطقوس ، وباسمها وباسم الدفاع عنها
والغضب من اجلها ، وأن يكون تقاتلنا وتشاتمنا وتباغضنا باسمها وباسم
الدفاع عنها وباسم احترامها وحبها وباسم الفيرة عليها وبجحة البحث عن
رضاها وجلب السرور والنشوة الى نفسها ، الى أخلاقها وباسم الارتفاع
الى أخلاقها ، وباسم الاعلان عن مستوياتها وعن ذكائها .

هل يمكن ان يكون كل ذلك او اي شيء من ذلك الا جنونا ، بل الاكل

معاني ومستويات الجنون ، بكل صيفه واساليبه وتعبيراته — هل يمكن ، هل يمكن ؟

هل يمكن ان نكون اي مستوى من مستويات العقل ؟ هل يمكن ان يكون اي اسلوب من سلوكنا اي اسلوب من اساليب العقل ؟

هل يمكن ان تكون ممارساتنا للحياة او لانفسنا او للآخرين او لجوعنا واثامنا او لاحتياجاتنا وضروراتنا او لمواجهةنا لمخاوفنا ومشاكلنا ولاثامنا ونقائصنا ؟

هل يمكن ان يكون استمساكنا بالحياة ، وبالوجود ، بهذا الاسلوب وبهذا الهوان ، وبهذا الضعف ، وبهذا الانقياد والانزعام ، وبهذه التضرعات واللهفات ، تحت كل هذه الظروف ، تحت كل هذه الاحتمالات والشروط المفروضة والشروط المفقودة ، وتحت كل هذه الآلام والبكاء والافتتان والانطراح والتقبل والطاعة والانتظار والغفران ؟

هل يمكن ان يكون تناسلنا ، ان يكون اسلوبنا في هذا التناسل ، واعجابنا به ، وشهوتنا له ، وخضوعنا لهماجيتته وطغيانه ، وتتابعا فيه ، وتحملنا لنتائجه ، لما في نتائجه من آلام وهموم وقسوة وعدوان على الاتيين الذين نصنع مجيئهم بهذا التناسل ، لما في نتائجه من احتمالات رهيبه شريرة ، من احتمالات حزينة بذئنة تصيب الذين نصنع مجيئهم بهذا التناسل ، وتصيب بهم ؟

هل يمكن ان يكون تحملنا لتبعات هذا التناسل ، ولما فيه من بداية نراها ونعلمها ، ومن نهاية نراها ونعلمها ونمارسها وتمارسنا ، ولما بين هذه البداية وهذه النهاية من آلام وحقارات وعاهات وشورور ودموع نصنعها نحن بالآخرين وللآخرين ، لاننا نصنع اسبابها ، لاننا نصنع كل اسبابها ، لاننا نحن كل اسبابها ؟

هل يمكن ان تكون ممارستنا لعملية التناسل التي نصنع بها كائنات لم نردها احيانا ، وأحيانا لم نفكر فيها ، وحتما ودائما لا نعرف لمجيئها ، اي لمجيء هذه الكائنات معنى او رسالة او غرضا او تفسيراً ، او انتصارا لاي اله او لاي مذهب او لاية حقيقة او لاي كائن آخر ، او نعرف لمجيئها فرحوا ابتهاجا

لاية شمس او لاي قمر او لاي كوكب آخر - بل ونحن نعلم اننا نصنع لهذه الكائنات التي نصنع مجيئها بممارساتنا لهذه العمالية - نصنع لها الموت المحتوم بصنعنا لمجيئها ، ونصنع لها كل طريقها الى الموت ، وكل أسباب الموت وشروطه وظروفه واسلحته واطفاره وانيايه وهمومه وآلامه ومخاوفه؟

هل يمكن ان يكون اي شيء من ذلك ليس جنونا بل ليس اعلى مستويات الجنون ؟ هل يمكن ان يكون أي شيء من ذلك ليس كل اساليب الجنون وتفسيره وتعبيراته ومعانيه ولفاته وشروطه ؟

هل يمكن ان يكون اي شيء من سلوك الانسان او أي أسلوب من اساليب وجوده ليس جنونا بل ليس كل الجنون ؟

هل يمكن ان تكون رثنا الانسان او غدده او كبده او أي عضو من اعضائه اقل جنونا من عقله المصاب بكل الجنون ؟ أليست هذه الاعضاء انما تستمر تعمل لتصنع جنونا ولتحافظ على جنون ؟ أليست كل وظائفها جنونا ؟

هل مجيئنا ، هل ذهابنا ، هل موتنا ، هل حياتنا ، هل مرضنا ، هل صحتنا ، هل شبابنا ، هل شيخوختنا ، هل قوتنا ، هل ضعفنا ، هل ذكاؤنا ، هل غباؤنا ، هل جمالنا ، هل دمامتنا ، هل حبنا ، هل بغضنا ، هل صداقاتنا ، أو عداواتنا ، هل تشاؤمنا ، هل تفاؤلنا ، هل أعجابنا ، هل رفضنا ، هل نفاقنا ، هل وقاحتنا أو صراحتنا ، هل آيماننا ، هل انكارنا ، هل اقتناعنا ، هل عجزنا عن الاقتناع ، هل صلواتنا ، هل دعواتنا ، هل هتافاتنا ، هل احتفالاتنا ، هل أعيادنا ، هل مهرجاناتنا ، هل صراخنا ، هل مواكبنا ، هل مبايعاتنا ، هل مدائحنا ، هل تهاجينا ، هل أغانينا ، هل فنوننا هل ادابنا ، هل خضوع بعضنا لبعض ، وطاعة بعضنا لبعض ، وخوف بعضنا من بعض ، واتباع بعضنا لبعض ، وايمان بعضنا ببعض ، وتسلط بعضنا على بعض ، وتفضيل بعضنا على بعض ، وكبرياء بعضنا على بعض ؟

هل حبنا لانفسنا ، وفرحنا بانفسنا ولانفسنا ، واهتماماتنا بانفسنا ، اكثر من حبنا للآخرين ، ومن فرحنا بهم ولهم ، ومن اهتمامنا بهم ؟

هل أصرارنا الدائم البذيء على ان نكون نموذجا لكل الآخرين، ومنطقا

لكل الآخرين ؟ ودنيا لكل الآخرين ؟

هل اعجابنا بأبنائنا ، وغضبنا لابنائنا،وتحديقنا في عيون أبنائنا وفي مشاعرهم وآلامهم ، دون أبناء الآخرين ، وامام أبناء الآخرين ، وتحديا لابناء الآخرين ، ونسيانا او تجريحا لنظرات أبناء الآخرين ولتطلعاتهم وأوجودهم ولحضورهم ولدموعهم وآلامهم ، ولاحزانهم ولاهاتهم وللهفاتهم ولتضرعاتهم ولاحتجاجاتهم ؟

هل اي شيء من هذا ليس جنونا ؟ هل اي جنون ليس أفضل جنونا من هذا الجنون ؟ هل أي جنون لا يعاني من مشاعر الهزيمة والتضائل امام هذا الجنون ؟

انه أذن لا يوجد الا الجنون ، وان العقل أذن لا يجد ما يعمله الا ان يكون حارس الجنون ومفسره ومسوغه ومروجه وداعيته والمدافع عنه ، والمحول له الى آلهة وانبياء واديان ومذاهب ومنطق ،والى زعماء وقيادات لا تعرف ولا تشتبه ولا تصنع آلا الجنون والموت والخراب . وهل شيء غير العقل يحول الجنون الى آلهة وانبياء وزعامات وقيادات ومذاهب واديان، بل يحوله الى أكثر الالهة والانبياء والزعامات والقيادات والاديان والمذاهب جنونا ؟

واذن لا يوجد جنون وعقل ، وأذن فلانسان والكون ليسا جنونا وعقلا . انهما جنون او عقل قد صنعه الجنون ، ولا يصنع هو الا الجنون، ولا يتعامل الا مع الجنون ، ولا يجد الا الجنون ، ولم ير أو يعشق الا الجنون . وهل يدري العقل انه كذلك ؟

وهل يرفض نفسه او ممارساته لو علم انه كذلك ؟ وأي عقل هذا العقل الذي كل عمله ان يصنع الجنون وان يمارسه دون أن يدري أنه كذلك ؟

وايهما أكثر جنونا : الجنون ام العقل الذي لا يصنع الا الجنون ، ولا يتعامل الا مع الجنون ، ولا يعشق الا الجنون ، بل الذي يفسر الجنون ويسوغه ويروج له ويمجده ، بل الذي لا يفسر الجنون ، ولا يروج له ولا يمجده سواء ، بل الذي لا يفسر ولا يروج ولا يمجد الا الجنون ؟

ايهما اكثر جنونا : عقلك المصاب بكل مستويات الجنون ، ام قلبك وجهازك الهضمي ورتناك وغددك التي تداب لتؤدي نشاطاتها الوظيفية لتصنع كل جنونك ، ولتبقى على كل جنونك - على كل جنون وجودك وجنون عقلك ، وجنون ممارساتك ومشاهداتك ، وجنون استمرارك واستمرار جنونك في ممارساتك لجنونك ؟ وهل يوجد فيك ما يحمي ويدم جنونك العقلي والاخلاقي والمذهبي والنفسي والشعوري والوجودي والسلوكي غير أعضائك وغير ممارستها لوظائفها ؟

انه لو وجد قانون يعاقب على كل الجنون لما وجد ما يستحق العقاب مثل الاعضاء وأجهزة الجسم التي تؤدي وظائفها لتخلق الحياة ، لتستمر وتخلد وتتسلسل ، لتمارس كل حماقاتها وعارها ومجاعاتها وآلامها وعيها وهمومها وسخفها وحقاراتها وضروراتها ، اي لتمارس كل وجودها ، اي كل جنونها ، أي لتصنع وتمارس اشياء لا يحتاج اليها ولا ينتفع بها ولا يريدتها ولا يدبرها ولا يوافق عليها ولا يفهمها احد او شيء .

اي لتصنع وتمارس كل اوصاف الجنون واخلاقه وشروطه وتعريفاته وتعبيراته وتفسيره، اي لتمارس وتصنع ما لا يملك اي شرط او اي تفسير او أي تعريف او اي وصف ، من اوصاف العقل او شروطه او تفسيره او تعريفاته او وقاره .

ان جنون اي جسم يؤدي وظائفه ليس اقل من جنون اي عقل مجنون يؤدي جنونه . ان جنون العقل وقدرته على ممارسة جنونه واستمراره فيه ليسا الا بعض عطايا الجسم اي الا بعض جنون الجسم ، اي الا بعض عمل وظائفه واستمرارها في عملها ، وقدرتها على هذا العمل والاستمرار .

ان جسمك حتما مجنون ، وان وظائفه حتما مجنونة ، مهما كان عقلك عاقلا وان الشمس مجنونة ، وان كل وظائفها وعطاياها مجنونة مهما عاش بها الانسان والحشرات ، مهما عاشت تحتها وسخرتها ، وتولدت عنها ، وتعلمت منها ، وتفلت بها ، وقدستها اضعف العقول . ان الشمس بكل هباتها وعبقرياتها ليست الا اضعف موكب من موكب الجنون ، انها تعيش كل ظروف الجنون ، وكل تفسيره وتعبيراته ولغاته ومنطقه وشروطه ، انها اضعف عرض للجنون .

أن الجنون هو ما ليس له غاية مقصودة أو مرادة أو مدبرة أو مفهومة .
والوجود كله ليس له هذه الغاية ، لهذا هو جنون .



والنظافة ما هي ؟ أن النظافة ليست هي الترفع عن ممارسة الاوحال
والتراب وأخلاق الحشرات . انها ليست الارتفاع عن الجوع الى الاوحال
والتراب وأخلاق الحشرات . انها ليست فقد الشهوة لذلك او الاحساس
به وبقيمته وبانتصاره . انها ليست فقد الاحتياج الى التحديق في الاوحال
والتراب وأخلاق الحشرات . انها ليست رفضا للسقوط في التراب
والاوحال او للتغذي بالعفونات وبأخلاق الحشرات ، انها تلاؤم مع ذلك ،
انها اسلوب مختار من اساليب السقوط والتغذي ، انها اسلوب معين من
اساليب التلوث .

انه لمفروض عليك ان تمارس التراب والاوحال وان تمارس الحشرات
واخلاقها واعضاءها وجوعها وضرورتها ، وان تحكم بالضعف امامها
وبالهيمنة لها وبعنف اشتهاك اياها وبالحاجة الى التحديق المتوهج اليها
فيها ، مهما كنت نظيفا او قديسا ، ومهما حصنت وعقمت اعضاءك
واخلاقك وفكرك ومولدك وتاريخك وحبك لنفسك بكل خوفك من الالهة
وبكل رغبتك وطمعك فيها ، وبكل آيمانك بمذهبك واعتقادك وبنفسك
وبنظافتك وباحترامك لنفسك وبثقتك بها . أن وجودك محكوم بأخلاق
الحشرات وبجوعها وممارساتها ونياتها مهما كانت صرامة اربابك ومذاهبك
ومواقفك ومحاسبتك لنفسك ، مهما كانت صرامة رقابتك على اخلاقك .

ان النظافة هي ان تمارس التراب والاوحال واعضاء الحشرات
وجوعها واخلاقها بأسلوب ما ، وفي مكان ما ، وتحت شعرات وظروف ما .
ان تمارسها باسم اله أو مذهب أو نظام أو قانون أو قوة ما ، بصيغة ما .
ان هذه هي كل النظافة في تفكيرك وسلوكك وطموحك وفي تعاليمك وفي
مذاهبك وأديانك وفي شروط أربابك وأنبيائك وزعمائك عليك وفي
مطالباتهم لك .

ان الفرق بينك ، يا انظف أنسان وبين الذباب ان الذباب يمارس
نفسه في التراب والاوحال والاشياء الاخرى بأسلوبه هو ، وبلا مذهب ولا

آله ولا تشريع ولا دين ولا منطق ولا شعارات ولا اية شروط - وانك انت تمارس نفسك فيما يمارس الذباب فيه نفسه، بل وفي أكثر واردا جدامما يمارس فيه الذباب نفسه ، ولكن بأسلوب وصيغة ما ، وباسم اله او مذهب او نظام عدواني متعصب بذية ، او تحت شعار ضاج مرجف مرهب . أنك تمارس كل ذلك بأسلوبك انت لا بأسلوب الذباب . ان الفرق بينكما هو الأسلوب والشعار ، هو التسبيح والتسويغ والتشريع والالف الطويل والتعود الجاهر الذي لا يوجد تشريع ضده .

انك تنهب وتقتل وتسطو وتحقد وتكره وتعادي وتشتتم وتفعل جميع التلوثات والصفائر ، فلا ترى انك تجرح نظافتك او تسيء اليها لانك انما تفعل كل ذلك بأسلوب وشعار ما ، ولأنك انما تفعل ذلك باسم اله او دين او مذهب او عقيدة أو فكرة او قانون . أنك تمارس كل الذنوب والعفونات بهذا الأسلوب .

ولكنك ترى ان آتيان أي شيء من ذلك اثم وتلوث وعار اذا لم يكن باسم ذلك آله او الدين او المذهب او القانون ، او باسم تلك الفكرة او العقيدة، او اذا لم يكن بذلك الأسلوب او تحت ذلك الشعار . ان الآثام والاحوال التي تمارسها مشرعة ومسوغة ليست أنظف او أصغر من الآثام والاحوال التي تمارسها محرمة ومحقرة .

انك تقتل الحيوان وتأكله وتعتدي عليه بكل اساليب الاعتداء ، فلا تجد في ذلك وحشية او ذنبا ، ولكنك ترى ان الحيوان الذي يفعل ذلك يصبح وحشا وتهجوه بالوحشية . وانك لتصف الحشرة التي تأكل الديدان والفضلات والجثث وتعيش في الشقوق بالخسة والقذارة ، ولكنك انت اكثر من الحشرات أكلا للديدان والفضلات والعفونات والجثث وأكثر سكنا في الشقوق ، دون ان تصف نفسك بذلك . لانك انت تفعل تحت شعارات ، وباسم آلهة واديان ومذاهب وشرائع وافكار ، وبأساليبك انت . اما الحشرات فتفعل بلا مذاهب او آلهة او اديان او شرائع ، وبأساليبها هي ان ما تفعله أنت كمزية يفعله الحيوان كوحشية . لماذا انه افترض افترضته لنفسك ، وتشريع حايت به سلوكك ، حايت به حاجتك الى الائم .

ان الفرق بين النظافة والقذارة في تفكير الانسان وتقديره هو فرق

اسلوب وصيغة ، هو فرق مذهب وآله ودين وعقيدة وشعار ، هو فرق تفسير وتبرير ، هو فرق في حسابك ونظراتك ، وليس فرقا في الاشياء ، ليس فرقا في النظافة والقذارة ولا فرقا بينهما .

ان الفرق بين التنظيف والملوث ليس اكثر من الفرق بين الاناء والاناة، وبين اليد وألبد، وبين الاداة والاداة اللتين يتناولان بهما غذاءهما المستنبت المعتصر دائما من التراب والأوحال ومن اخلاق الحشرات وجوعها - المستخرج المصنوع دائما من عرق الارض وهمومها ومن افرازاتها التي لم تفتسل بأية مياه معقمة ، ولم تسق من مياه اي نهر مقدس ، او متقاطرة متجمعة مياهه من دموع اتقى الآلهة او من دموع واحزان اتقى الانبياء والقديسين .

ان كل الناس عائشو عفونات وحاملو عفونات ، ولكنهم يختلفون في نوع عفوناتهم ، كما يختلفون في الاساليب والاسباب التي يمارسون ويحملون بها وباسمها هذه العفونات . ان البشر ليسوا حاملو وأكلي عفونات فقط ، أنهم اذن لظهرون ومبرأون جدا . ان البشر ليسوا ذلك فقط ، بل أنهم ايضا مؤلهو عفونات ، اي أنهم متلقون لها من أفواه الآلهة ، وناسبوها الى الآلهة .

انك موجود، اذن لا بد أن تجوع وان تحب وتكره ، وان تخاف وتشتهي والجائع المحب الكاره الخائف المشتهي كيف يمكن ان يكون نظيفا ؟

أنك أعضاء تتغذى ، والاعضاء التي تتغذى كيف تستطيع أن تكون نظيفة ؟ انك أعضاء تضعف وتمرض وتموت ، والاعضاء التي تموت وتمرض وتضعف كيف تستطيع ان تظل غير ملوثة ؟

انك موجود ، اذن لا بد ان يفرض عليك الوجود اخلاقه . وهل تجهل ما هي اخلاق الوجود ؟ ألم تمارسها طويلا طويلا ؟ ولأنك موجود فلا بد ان يفرض عليك الوجود ضروراته . وهل تجهل ماذا تعني ضروراته ؟

✱ ✱

والحضارة ما هي ؟ أنها هي البداوة باسلوب او بتعبير آخر ، انها هي ازياء البداوة .

ان الحضارة هي فنون البداوة ، أنها طاقاتها المتفجرة، انها وحشيتها
المبدعة وولادتها الباهظة .

ان جميع اساليب الحضارة ووسائلها وانجازاتها ومستوياتها ليست
سوى البداوة جاءت في صيغ اخرى اي في صيغ اقوى .

انك حينما تبدو في آزهي ازياء الحضارة لست الا بدويا يحركه
ويصوغه اقصى ما في اقصى البداوة من حوافز واخلاق ونيات ، ومن
منطق وضمير وانياب واقتراس وجوع وخوف وضياح وعبث . انك حينئذ
لست الا بدويا نبتت فيه اظفار وانياب حضارية . وكم هي الفروق بين
انياب واطفار الحضارة وبين انياب واطفار البداوة .

ان الحضارة لا تعني الا ان البداوة قد صاغت نفسها صياغة جديدة
وقوية ومثيرة . ان الحضارة ليست نقيضا للبداوة ، وليست هزيمة او
نفيا او اضعافا او تهديبا لها انها ليست الا مستوى من مستويات البداوة،
بل انها اعلى مستوياتها . ان الحضارة انتصار للبداوة ، أنها قوة وتمكين
لها ، أنها تسليح وتجميل لها . انها حتما اغراء لها واغراء بها . ان الحضارة
لا تقتل او تهزم فيك البداوة ولكنها تتحول فيها وفيك الى مزيد من الاغراء .

انك لا تكون حضاري النفس او الانسان بقدر ما تكون حضاري
الحياة . اننا لا نصنع الحضارة بانسان حضاري ، اننا نصنع الحضارة
بانسان بدوي : بدوي النفس والرغبات والشهوات والانانية والجوع
والحوافز والاهداف ، بدوي الضياح والعبث .

انك بدوي المنطق مهما كنت حضاري اللغة ، وأنك بدوي الاعتقاد مهما
كنت حضاري المنطق ، وأنك بدوي النفس مهما كنت حضاري الاعتقاد ،
وأنك بدوي الاعضاء مهما كنت حضاري النفس ، وأنك بدوي الحب
والبغض والانانية والعواطف مهما كنت حضاري الاعضاء ، وأنك بدوي
الانسان مهما كنت حضاري الحياة . انك بدوي بقدر ما انت حضاري ،
انك بدوي التفسير مهما اصبحت حضاري الصيغة ، وبدوي الانسان مهما
اصبحت حضاري الحياة . انك بدوي مهما أسكنت النجوم . انك بدوي
لانك ابدا بدوي .

ان الحضارة هي خلق البداوة بقدر ما هي ادواتها . اننا بالبداوة نصنع الحضارة ، واننا بالحضارة نمارس البداوة ، ونعيشها ونطيعها ونستجيب لها ونرضيها . اننا بالحضارة نستطيع أن نكون بدوا اكثر ، نستطيع ان نمارس البداوة اقوى واكثر واقسى .

ان المتحضر جدا ليس الا بدويا جدا قد صنعته بداوته القوية صناعة قوية ، ووهبته القدرة على ان يمارسها ويعيشها ويخضع لها ويعبر عنها بأساليب اقوى ، أو بأساليب أكثر اغراء واغواء وشمولا واقناعا وتكبيرا وقسوة .

ان الناس ليسوا بدوا ومتحضرين ، ولكنهم بدو في صيغة بدو، وبدو في صيغة متحضرين . انهم بدو ضعفاء ، وبدو اقوياء ، او بدو فقراء، وبدو أغنياء ، أنهم بدو يعيشون في الصحراء او الغابة ، وبدو تعيش فيهم الصحراء والغابة بكل ما في الغابة والصحراء من حقد ولؤم وخوف ووحشية واقتراس وبغضاء - وبدو يعيشون في المدينة وتعيش فيهم الصحراء والغابة . ان كل غابة ، ان كل صحراء تعيش في كل انسان مهما عاش في اجمل وأضخم مدينة . ان المدينة لا تستطيع أن تقتل الصحراء او الغابة في الانسان . ان المدينة صديقة الغابة ، ابنتها .

ان البداوة هي ان تبحث عن التفوق والانتصار ، وان تريدهما وتتمنهما ، ولو بهزيمة الاخرين ، ولو بهوان وحقارة الاخرين ، وتحقيرهم .

أنها هي ان تدافع عن حياتك وان تحافظ عليها ولو بموت الاخرين .

انها هي أن تضحك وتبتهج وتسعد وتغني ولو تحولت ضحكاتك وابتهاجك وأغانيك وسعادتك الى دموع واحزان وشقاء للاخرين - ولو تحولت ضحكاتك وأغانيك وابتهاجك وسعادتك الى تحد لدموع وشقاء واحزان الاخرين .

انها هي ان تحب أطفالك اكثر مما تحب أطفال الاخرين ، وان تقبل أطفالك امام أطفال الاخرين ، امام يتم الاطفال الاخرين ، وان تحقد في المرأة اكثر او اصدق مما تحقد في وجوه الاخرين ، وان تحس بالامك واحزانك وامراضك وجوعك ومخاوفك اكثر مما تحس بالام واحزان

وأمرأض وجوع ومخاوف الآخرين .

انها هي ان يرقص قلبك أو تعبيراتك ابتهاجا لانك افضل واقوى حظا وظروفا ممن حولك ، من اصدقائك وأعدائك .

ان البداوة هي ان توجد أو تبقى في نفسك ذكرى أو صورة رمح أو نبل أو خنجر مهما امتلأت يدك بالكتب وبالأجهزة العلمية وبالمصافحات ، وامتلات كلماتك بالحديث عن السلام والحب وبشعارات الحضارة .

انها هي ان يخفق قلبك بالسرور لان عدوا لك قد مات أو أصيب أو هان أو أهين .

انها هي ان تحقد أو تحسد أو تبغض أو ترضى عن نفسك أو تباهي بها أو تطلب لها الثناء أو يرضيها الثناء، أو تعجب بها أو بأبنائك وبناتك أو بزوجتك أو بآبائك أو بتاريخك أو بأي شيء تملكه ، بلا ذكاء أو وقار .

انها هي أن تقاتل وتموت لان زعيمك اراد لك ذلك كما كان البدوي يقاتل ويموت لان شيخ قبيلته اراد له ذلك - ان تقاتل وتموت مع المجتمع الذي وجدت فيه كما يقاتل البدوي ويموت مع القبيلة التي يوجد فيها - ان تقاتل دفاعا عن مذهب مجتمعتك وعن شعاراته ، وتعصبا لها ، كما يقاتل البدوي دفاعا عن انساب قبيلته وعن مفاخرها وعن أمجادها وعن مضارب خيامها - أن تؤمن بالمذهب أو بالنظام أو بالدين أو بالأفكار التي يلقنك اياها مجتمعتك كما يؤمن البدوي بالاصنام والعادات والمفاخرات والملاعنات والخرافات والأساطير التي تلقنه اياها قبيلته ، كما يؤمن بصدق نسبه وبطهارته وبثفوقه على كل الانساب .

ان البداوة هي ان تجوع اعضاؤك كما تجوع اعضاء البدوي ، وان تحس بجوعها كما يحس البدوي بجوع اعضاءه ، وان تطيع اعضاءك كما يطيع البدوي اعضاءه ، وان تظل وظائف اعضاءك كما تظل وظائف اعضاء البدوي ، وان تحترم جوع اعضاءك اكثر مما تحترم جوع اعضاء الآخرين .

ان البداوة هي ان تعاني من جوع اعضاءك اكثر مما تعاني من جوع افكارك او من جوع اخلاقك أو من جوع كرامتك أو من جوع صداقاتك اي من جوع الانسان فيك .

ان البداوة هي ان تريد الحياة وان تستمسك بها ، بلا فكرة وبلا تفسير وبلا اقتناع ، وبلا شروط . أنها هي ان تهب الحياة كائنات اخرى دون ان تعرف لماذا ، ودون ان تفكر لماذا ، ودون ان تسأل لماذا ، كما يفعل من يعيشون في الصحراء ، في الغابة ، كما تفعل الحشرات والديدان .

انها هي ان تعطي الوجود كائنات جديدة دون ان يتضرع اليك احد بأن تفعل ذلك ، دون ان تريد بذلك شفاء الارباب من همومها .

ان البداوة هي ان تقبل نفسك بلا منطق الا لانك موجود ، كما يقبل الحجر نفسه بلا منطق الا لانه موجود ، وكما يقبل الذباب نفسه بلا منطق الا لانه موجود . وهل يمكن أن تقبل نفسك لغرض او لتفسير او بمنطق أفضل من ذلك او غير ذلك ؟

ان البداوة هي ان تقول وان تفعل كأنك تؤمن ، وان تؤمن كأنك تعرف ، وان تعرف كأنك تعلم ، وان تعلم كأنك تمسك ، كأنك تبصر ، وان تبصر بلا رؤية .

انها هي ان تقول وان تفعل وانت لا تؤمن ، وان تؤمن وانت لا تفهم وانت لا تعرف ، وان تفهم وأن تعرف وانت ام تعلم ، ولا تعلم ولن تعلم ، وان تجهل كأنك تعلم .

ان البداوة هي ان تفسر نفسك افضل مما تفسر أية حشرة ، وان تجد في وجودك من تكريم الاله او من حماسه او من ذكائه او من صداقته اكثر او افضل مما تجد في وجود اي حجر .

ان البداوة هي كل هذا ، وان كل هذا بداوة . فهل تستطيع ان تكون غير هذا ؟ هل تستطيع ان تشفى من كل هذا لتكون غير بدوي ، أي لتكون متحضرا ؟

اذن هل الحضارة الا اقسى واقوى صيغ ومستويات البداوة ؟

ان الانسان اذن ليس الشيء ونقيضه ، ليس حضارة وبداوة ، او

ذكاء وغباء ، أو صدقا وكذبا ، أو نظافة وتلوثا ، أو عقلا وجنونا ، أو حبا وبغضا . انه ليس سماء وارضا ، شرفا وسقوطا ، نبيا وشيطانا ، تقوى وفسوقا ليس زندقة وايمانا ، عطرا وعفونة ، اعضاء وروحا ، شهوة وزهدا انه ليس شهوة وقداسة . ان الانسان ليس الشيء ونقيضه ، انه شيء واحد ، تفسير واحد ، ومنطق واحد . انه طبيعة واحدة مهما كان أو جاء صيغا مختلفة .

ان الفرق بين الانسان والانسان كالفرق بين الحجر والحجر ، وبين الشجرة والشجرة الاخرى من نفس النوع . انه فرق في الحجم لا في النوع ولا في التفسير . ان الفرق بين الانسان والانسان كالفرق بين اللفظة واللفظة ، وليس كالفرق بين الموضوع والموضوع الآخر . ان الفرق بينهما كالفرق بين الموضوع ونفس الموضوع في الحجم والتعبير لا في النوع ولا في المنطق ولا في القيمة .

انه لا يوجد فرق بين اعضاء النبي واعضاء الزنديق ، لهذا لا يوجد فرق بين احتياجات ووظائف وجوع اعضاء النبي وبين احتياجات ووظائف وجوع اعضاء الزنديق . انه اذن لن يوجد فرق بين احساس النبي بضغط اعضائه عليه وبين احساس الزنديق بمثل هذا الضغط الواقع عليه من اعضائه . ان طاعة هذه الاعضاء او عصيانها - في سلوك النبي والزنديق - ليس تمردا او انتصارا على اخلاق الاعضاء او على اوامرها ، ولكنه تعامل بها ، رفض لها بها ، أو طاعة لها بها من اجلها .

ان الذين يتساوون في اعضائهم وفي وظائف اعضائهم لن يختلفوا الا في اسلوب تعاملهم مع هذه الاعضاء ، لن يتفاوتوا الا في اسلوب طاعتهم لها من اجلها ، بأمرها ، أو في اسلوب عصيانهم لها من اجلها ، بأمرها . أنهم لن يتفاوتوا الا في تعبيرهم عنها ، الا في اسلوبهم الذي يعبرون به عنها - الذي يختارونه أو يستطيعونه للتعبير به عنها . ان التفاوت بين البشر ليس الا تفاوتاً في أساليب تعاملهم مع أعضائهم ، في أساليب طاعتهم لجوع وضغوط أعضائهم عليهم .

ان الذين يتساوون في أعضائهم وفي وظائفها وجوعها لن ينقسموا الى كائنات تعيش بالعطور والانايشيد الروحية ، والى كائنات تقتات بالعفونات وبغواء ألوحوش والحشرات ، أنهم لن ينقسموا الى كائنات

تفسر بقوانين التراب وبقوانين الجوع ، والى كائنات تفسر بتساويح
النجوم . أن البشر ليسوا ملائكة وابلسة ولكنهم ملائكة فقط او ابلسة
فقط او لا ابلسة ولا ملائكة . انهم تفسر واحد يعبر عنه بشتى اللغات ،
او لغة واحدة تنطق بعدد اللهجات ، او لهجة واحدة تسمع بمختلف
الاصوات والقراءات .



ولكن لو ان ذلك الكائن الفلكي او الانسان الفلكي الذي قرا وسمع
- بالافتراض - ما يقول ، وما كتب ويكتب الانسان ، اي او انه هبط
او سقط الى الارض ، ليعيش الانسان بكل احاسيسه ومواجهاته
وممارساته وتجاربه فماذا يمكن ان يجد الانسان ؟ كيف يمكن ان يراه
ويفهمه ويفسره ويقومه ؟

ماذا يمكن أن تجد الانسان لو كنت غير انسان ثم واجهته، ثم عايشته
فجأة ؟ هل تقتلك حينئذ قسوة البشاعة ؟

هل قراءة الانسان والاستماع اليه من بعيد ، دون ممارسته بالرؤية
والتجربة يعطيان عنه نموذجا او تصورا او تفسيراً افضل ؟ هل ممارسته
بالتجربة والرؤية تضع له حدودا ونماذج اقل من قراءته والاستماع اليه
من بعيد ؟

هل قراءة الانسان والاستماع اليه تخدعان عنه ، تخدعان عن
حقيقته ؟ هل تجعلانه اكبر حجما في مزاياه واصغر حجما في رذائله ؟

- هل من المحابة للانسان ، أو من الدعاية له ان يقرأ ويستمع اليه
دون ان يواجه ويمارس ويعايش ويجرب من قريب ؟ هل من الاساءة اليه
ان يرى ويعامل ويجرب ؟ هل الالهة التي تسكن السماء قد خدعت
بالانسان ؟ هل تصورته اعظم واكبر وانظف من حجمه ؟ هل رأت فيه
مجداً من امجاده ونموذجا من نماذجها ؟ هل رآته كل امجاده لهذا
وهبته كل اهتمامها ، ووضعت فيه كل تعبيراتها ؟ هل تصورته في حجمها
او في صعودها او في نظافتها او في طموحها ؟ هل عشقته الالهة كنموذج
أعلى لمعشق الالهة ؟ هل زاغ خيال الالهة في صورتها له ؟

هل خدعت الآلهة بالإنسان لأنها سمعته من بعيد ولم تعايشه ، ولم تواجهه ، ولهذا فتنت به ، لهذا وجدت أنه هو وحده طريقها الى نفسها وإلى نموذجها ، الى نموذجها العقلي والنفسي والاخلاقي والذاتي - لهذا وجدت انه هو وحده النموذج الذي يستطيع ان يتكافأ معها وان يفهمها ، وان يصادقها ، وان ينوب عنها ، وان يفسرها ، وان يعجبها وان يرضيها ، وان يصنع لها كل السرور الذي تبحث عنه ، كل السرور الذي تفقده ؟

هل وجدت فيه النموذج الذي يستطيع أن يصنع لها كل المجد الذي تبحث عنه ، ان يصنع لها كل المجد الذي تستحقه ؟ هل وجدت فيه الآلهة كل عزائها وجبها وشفاء جوعها لأنها سمعت ولم تر ، ولم تواجه او تعامل ؟ وهل تخدع الآلهة بسماعها ، هل يمكن أن تخدع ؟

هل تصدم الآلهة لو أنها نزلت الى الأرض ؟ هل تصدم بالإنسان هل تفجع برؤيته وبمعرفته وبجسمه الذاتي والنفسي والاخلاقي والعقلي؟ هل تتراجع عنه ؟ هل تتخلى عن أملها فيه او عن اصطفاؤها له ، أو عن ابتهاجها به ، أو عن تبني عبقريتها لعبقريته ، أو عن تبني أشواقها لنظامته او لأخلاقه او لجمالها ؟ هل تعلن الآلهة توبتها من إيمانها بالإنسان ومن أعجابها به ، ومن احتفالها بمستقبله وبمقدمته ؟ هل تعلن الآلهة توبتها ؟

هل تصفي الآلهة نفسها لو أنها نزلت الى الأرض لترى الإنسان ولتعامله، ولتشقى بمعاملته وبرؤيته، لتفجع بمعرفتها لمستوياته ولحدوده؟ هل تصفي حينئذ نفسها ياسا وخجلا ورفضاً واشمئزاً ؟ هل تتخلى حينئذ عن جميع خططها ، أو هل تفلق كل الكون الذي صنعه تحية وهدية للإنسان ، وئمناً لحبه ولتقبله ولشكره ؟ هل تدمر كل الكون ياسا واشمئزاً وخجلا ورفضاً وهرباً لو أنها واجهت الإنسان وعرفت كل كينوناته ؟

هل تفلق الآلهة حينئذ كل أسواقها وكل معاملاتها وحمل رحلاتها الفكرية ؟ هل تتوب حينئذ من جميع أشواقها ؟

هل تزيل جنتها وجحيمها ؟ هل تفلق جنتها ونارها اللتين انما أعدتهما للإنسان ، واللتين انما بنتهما لتكونا سكناً للإنسان ؟

هل تحذف الجنة والنار من أعمال الآلهة الانشائية ؟ هل يصبح مستقبل الانسان بلا جنة ولا جحيم ؟

هل تعترف الآلهة حينئذ بخطئها وتعبر عن هذا الاعتراف بالخطأ بأسلوب يتلاءم مع مكانتها وقدرتها وموهبتها ومع مستوى الخطأ الذي وقعت فيه والذي تريد التكفير والتراجع عنه بعد الاعتراف به ؟ هل تعترف بخطئها هذا وتعبر عن اعترافها هذا بان تصفي ، بأن تزيل كل شيء ، لتعود الى معاناة وحدتها القاتلة ، لتعود بلا انسان قد خدعت به ، وبلا كون كبير جدا قد خلقته لتهديه الى هذا الانسان الذي قد خدعت به ، ليكون - اي الكون - لعبته الجيدة الكبيرة ، لكي يرضى ويهتف ويصفق ويصلي لها ، لكي تتقبل وتسعد وتتعزى عن عذاب وحدتها الرهيبة الكثيبة التافهة العابثة المجذبة - عن عذاب كينونتها الاليمة الحزينة المشوهة ؟ هل تعترف الآلهة بخطئها وتعبر عن اعترافها بأسلوب يتلاءم مع مكانة الآلهة ؟

هل تنزل الآلهة الى الارض لكي تعرف الانسان ، لكي تعرف كيف خدعت ، ولكي تعترف بأنها قد خدعت ، ولكي تتراجع وتكفر عن خديعتها ، عن وقوعها في الخديعة ، ولكي تعبر عن تراجعها وعن تكفيرها تعبيرا يتلاءم مع مكانتها وموهبتها وقدرتها وعن مستوى الخديعة التي وقعت فيها وعن قيمة الثمن الذي دفعته لحسابات هذه الخديعة ؟

هل تصفي حينئذ كل شيء ، هل تزيل حينئذ كل شيء ؟ هل تعود الآلهة حينئذ الى معاناة وحدتها التي لا مثيل لقسوتها وبلادتها ، بلا انسان وبلا كون وبلا شيء ؟ هل تعود الآلهة لتكون وحدها ؟



ان المفترض الدائم ، او المقرر المعترف به دائما ان قول الانسان - مسموعا ومقزوا - اكبر دائما من حجمه ، اجمل وأنظف دائما من ذاته ، اصدق واذكى دائما من حياته .

ان المعتقد الدائم ان الانسان في تعاليمه وفي كتبه المقدسة وفي اشعاره وخطبه وفي كل ما يقول ويكتب يبدو اكبر جدا ، واصدق ،

وانظف ، واذكى جدا ، واجمل جدا - يبدو اكبر واجمل وانظف وأصدق واذكى واشرف واشجع وأقوى من حجمه ، ومن ذاته ، ومن أخلاقه ومن جميع احتمالاته .

ان المعتقد الدائم ان الانسان يخدع بأقواله عن حقيقته ، يخدع كثيرا وبعيدا ، واننا لو سمعنا وقرأنا له من بعيد دون ان نواجهه او نعامله او نعائشه لوجدناه شيئا كبيرا جدا ، او لوجدناه حتما اكبر وأفضل من مواجهته ومعاملته ومعايشته . ان المعتقد الدائم ان كل الناس يستطيعون ان يعرضوا انفسهم بأقوالهم افضل واعظم جدا مما يستطيعون عرضها بحياتهم .

ولكن قد يكون هذا الاعتقاد من الاخطاء الشائعة العالمية التي لها اشباه كثيرة . قد يكون الصواب ان اقوال الانسان لا يمكن ان تكون جهاز خداع به ، بل انها قد تكشفه أكثر مما تخدع به ، بل دون ان تخدع به . ان اقوال الانسان قد تكون - بكل اساليبها وتوتراتها وتناقضاتها وضجيجها وبكل ما فيها من غضب وبذاءات وعدوان وحقد وتفاهة وغرور وكبرياء وبلادة وانانية ومن رواح أخرى كثيرة ، غير كريمة - نعم قد تكون أقوال الانسان عاجزة عن ان تخدع به ، بل قد تكون أقواله هذه عاجزة عن ان تكون محايدة ، اي عاجزة عن ان تكون لا له ولا ضده . اي ان اقوال الانسان هذه قد تكون هجاء له ، قد تكون تدليلا قويا على مستويات هي أقل جدا من مستوياته . قد تكون حقيقته افضل واكبر مما تعرضه أقواله هذه التي حسبت واهبة له أكثر وافضل مما يملك ويستطيع ويستحق . قد تكون حياته افضل جدا مما يمكن ان تفسره أقواله .

قد يكون الانسان مظلوما بأقواله ، لا خادعا بها . قد تكون أقواله خادعة عنه لا خادعة به ، قد يرى الذين يسمعون للانسان ويقرؤون له دون رؤية وتجربة ومعايشة - لو حدث هذا - قد يرون انه أصغر وأضال مما يراه الذين يعايشونه ويعاملونه ويواجهونه - او قد يكون هذا هو المنتظر والمتوقع .

قد يكون تشويها باهظا للانسان ان يسمع ويقرأ دون ان يرى ويجرب . قد تكون رؤيته وتجربته انقاذا وانصافا له من سماعه وقراءته .

أهل الذين يخدعون بالإنسان لا يخدعون به لأنهم استمعوا إليه أو قراؤا له ، بل لعلمهم خدعوا به لأنهم محتاجون إلى الانخداع ، لأنهم يريدون أن يخدعوا ، لأنهم لا يجعلون غير أن يخدعوا ، لأن الانخداع عمل من أعمالهم ، لأنه حاجة من حاجاتهم ، لأنه فن وأسلوب من فنون وأساليب حياتهم .

ولعلمهم لم يخدعوا ، وإنما تحدثوا عن أنهم قد أخذوا .

نعم ، قد يكون الانخداع حاجة أو فنا أو ضرورة أو وظيفة أو أسلوبا أو اعلانا عن الذات أو عن شيء ما . ولعل الذين أخذوا لم يخدعوا وإنما تظاهروا بأنهم قد أخذوا . هل يوجد من لا يتظاهر بالانخداع ؟

أن أحدا لم يحاول أو يرد أن يفهم أو يفسر الإنسان بأقواله . أنه لتفسير لا بد أن يكون فاجعا ومهينا لو أن أحدا فسر الإنسان تفسيراً ذكياً وصادقاً بأقواله . لقد كان الذين يفسرون الإنسان ويفهمونه - أي يحاولون فهمه - يفسرونه ويفهمونه كما يريدون ، أو كما يستطيعون ، أو كما يقال لهم . أن أحدا منهم لم يفسر الإنسان أو يفهمه أو يحاول فهمه كما قرأه وكما استمع إليه ، ولا مما قرأ له أو استمع عنه .

أن الناس لا يفسرون الأشياء أو أنفسهم بالاقتناع بل بالشهوة أو الحاجة أو التقليد أو الهوى أو الظروف أو بالعجز والانهائية والمصلحة .

هل حاول أحد أن يفهم أو أن يفسر الإنسان - كمستوى فكري ونفسي وأخلاقي - من خلال فهمه وتفسيره وقراءته لخطب وتعاليم أي زعيم من الزعماء أو نبي من الأنبياء أو معلم من المعلمين ، أو واعظ من الوعاظ ، أو كاتب أو شاعر أو فنان من الكتاب والشعراء والفنانين - من خلال ما سيؤدي فهمه وسمعه وأخلاقه ووقاره وحياءه وتهذيبه وتواضعه من صفار وغباء وفحش وعدوانية وتلوث وكبرياء وافتضاح وأعياء وحقد وبغضاء وتساقط وجوع نفسي وعقلي وأخلاقي ولغوي .

- من كل هذا الذي سيجده ، هذا الذي سيصدمه ويروعه في خطب وتعاليم جميع الزعماء والأنبياء والمعلمين والوعاظ والكتاب

والشعراء ، وجميع من يتحدثون ويعلمون ؟

هل حاول احد ان يفهم الانسان او ان يفسره كأخلاق وسلوك ومنطق
ولفة وعواطف من خلال ذلك ؟

ان احداً ما لو حاول ان يفهم الانسان من كلام وخطب وتعاليم اي
نبي ، مما يمكن فهمه بلا تأقن أو تفاسير سابقة من نصوص هذه الخطب
والتعاليم والكلام لكان ذلك أسلوباً متوحشاً من أساليب التشويه
للانسان والعدوان عليه ، ومن أساليب التصغير والتحقير له بل من
أساليب الاهانة والكذب على مستوياته التي يحياها مهما كان تواضع
هذه المستويات ولكن احداً لم يكن قاسياً كل هذه القسوة التي تجعله
يفسر الانسان بكلام وخطب وتعاليم أنبيائه ومعلميه .

انه لا حد لما يمكن فهمه من ضعف الانسان وضالة مستوياته لو انه
فسر بما يمكن ان يفهم عنه فهماً مباشراً وحراً من كلام وخطب وتعاليم
اي نبي او معلم او واعظ او فنان او شاعر أو اي متحدث . ان إحياءات
هذه الخطب والتعاليم تعطي عن الانسان مستويات لا حد لضعفها
وضالته وبذاءتها وعفونتها لانها تعطي مثل هذه المستويات عن قائلها
وكاتبها ومعلميها الذين يتحولون الى مستويات للانسان لانهم هم
مستويات انسانية بل أعلى هذه المستويات .

انك - لو وعيت - لن تقبل ان تفسر مقاساتك او ان تجيء مقاساتك
النفسية او العقلية او الاخلاقية او السلوكية على مستوى المقاسات
الاخلاقية او السلوكية او العقلية او النفسية التي يمكن ان تفسر بها
مقاسات اي نبي او أي معلم ، او اي شاعر أو فنان او واعظ لا بد ان
توحي بها وتدل عليها بسهولة جداً خطبه وتعاليمه وكل كلامه عنه .
ان هذه الخطب والتعاليم ستعطي عنه مستوى نفسياً وفكرياً وأخلاقياً
وسلوكياً . وان هذا المستوى سيتحول الى مستوى للانسان ، الى
مستوى ظالم للانسان ، مشوه محقر له جداً . وانك أنت كن تقبل ان
تفسر بهذا المستوى الذي يمكن ان يفسر به مستوى أي نبي أو زعيم او
معلم مما توحي به تعاليمه وخطبه عنه .

واكنك انت لم تظن - لاسباب خارجية - الى المستويات الضعيفة

التي لا بد أن تفهم عن الانبياء والزعماء والمعلمين والشعراء والمفكرين مما يقولون ويكتبون ويعلمون أي التي لا بد أن يفسرها ويدل عليها ويوحى بها ما يقولون ويعلمون ويكتبون . ان تعاليم الانسان وخطبه وكلماته لا بد أن تصبح تفاسير ومستويات له بأسلوب ما مهما كانت كاذبة ومنافقة وغير مراد بها أن تكون مستوى أو تفسيراً له .

ان الانسان لن يهجي بأقصى من ان يفسر بما توحى به اقواله وتعاليمه ، بل بما توحى به كتب وتعاليم وخطب ومواظ وشرائع انبيائه ومعلميه وقديسيه وشعرائه وفنانيه ، أي بما يختفي بإعلان وجهر ، بل بما يختفي بافتضاح وصراخ وراء هذه الكتب والتعاليم والخطب والمواظ والشرائع ، او بما تعلن عنه هذه الشرائع والمواظ والخطب والتعاليم والكتب من مستويات لا يمكن أن تهبط اليها أية حياة مهما كان هبوطها . أن كل ما في الطبيعة من ضعف ونذالة لعاجز عن الهبوط الى مستويات الضعف والنذالة التي يمكن قراءتها وفهمها بل ورؤيتها في تعاليم واقوال وخطب وشرائع البشر .

ان حياة الانسان ، أي انسان لافضل وانظف واقل فحشا وبذاءة وأثماً ودمامة من أقواله وتعاليمه ولغاته مهما كانت تلك الاقوال والتعاليم واللفات مبالغة في الثناء على نفسها ، ومهما كانت تلك الحياة مبالغة في التحقير لنفسها .

هل عرف أي انسان أن اضعف ما في البشر هي اقوالهم ؟ هل عرف أي انسان أن اقوال البشر تهبط من الضعف والنقائص أكثر واكبر من ضعفهم ونقائصهم ؟ هل عرف أي انسان أن اقوال البشر تتهمهم بالضعف والنقائص أكثر مما يتهمهم ضعفهم ونقائصهم ؟

هل عرف أي انسان أن اقوال البشر تسيء اليهم أكثر واقسى مما تسيء اليهم حياتهم ، وتعتدي عليهم وتشوههم أكثر مما تعتدي عليهم واكثر مما تشوههم ذنوبهم وعاهاتهم التي تمارسها حياتهم ؟

هل عرف أي انسان ان الانسان سلوكا واخلاقا ونيات افضل وانظف وأشرف منه اقوالا وتعاليم وشرائع وخطبا مهما كان المظنون

دائما عكس ذلك ، بل مهما كان الاقتناع الدائم العالمي نقيض ذلك ؟
مهما كان ذلك غير وارد في أي ذهن او حساب ؟

اننا لو قرأنا بموهبة قارئ محقق ناقد مفسر اقوال وتعاليم وخطب ومواعظ وتشريعات أي معلم من المعلمين أروحانيين الخالدين لوجدنا في اقواله وتعاليمه وخطبه ومواعظه وتشريعاته من الحق والقسوة والجوع والعفونة وكل معاني الضعف والضلالة ما لا تستطيع اية حياة ان تعيشه ، بل ما لا تستطيع حياة كل البشر ان تحياه ، او أن تستطيعه او ان تعرف كيف تستطيعه او كيف تشتتته او كيف تواجهه ، او كيف تراه او كيف تستطيع رؤيته - لوجدنا في تفاسير اقواله وتعاليمه وخطبه ومواعظه وشرائعه - لوجدنا في ذلك من النيات والحوافز ما لا يستطيع اية حياة ان تتكافأ مع ما فيه من وحشية واثم وخراب وتفاهة .

ان انسانا واحدا لو استطاع ان يتحول الى اقواله - ان انسانا واحدا من المعلمين والقادة العظام لو استطاع ان يتحول الى اقواله وتعاليمه وشرائعه ، واستطاع ان يحول ذلك الى فعل ، لاعطى الحياة من التعذيب والتخريب ما لا تستطيع كل الطبيعة ان تعطي الحياة من التعذيب والتخريب .

ان كل تخريب وتعذيب في العالم لا يساوي ما في تفاسير اقوال وتعاليم أي معلم من التخريب والتعذيب .

ان أي انسان ، أي معلم عظيم لا يستطيع ان يكون اقواله - لا يستطيع ان يكونها ، ولا يستطيع ان يستطيعها ، ولا يستطيع ان يريدنا . ان هذه لمن اعظم مزاياه . ان أي انسان ، أي معلم عظيم خالد لو تحول الى اقواله لذعر من نفسه ، لهرب من نفسه ، لقاتل نفسه . ان تفاسير اقوال أي معلم لا تستطيع اية حياة ان تكونها ، ان تستطيع مواجهتها . ان تفاسير اقوال المعلمين ، تفاسيرها النفسية والاخلاقية لشيء رهيب ، رهيب .

ان البشر لم يقرأوا اقوالهم واقوال معلمهم ولم يفسروها ولم يحاسبوها ، ولم يفهموا كل دلالاتها وقراءاتها وتفسيرها ، لم يفهموا ما وراءها من شرو وحقارات وتفاهات وعدوان وبغضاء وضلالة وحوافز

ونيات مصابة بكل العاهات . انهم لم يفهموا معانيها التي تكاد تكون منطوقة ، مجهوراً بها - لم يفهموا أو يحاولوا أن يفهموا تفاسيرها التي هي اقوى من كونها منطوقة ، من كونها مجهوراً بها . أن محتويات هذه الاقوال ، محتوياتها النفسية والاخلاقية لشيء رهيب فهمه وتفسيره ، لشيء رهيب التحديق فيه .

ان البشر لم يقرأوا اقوالهم واقوال معلمهم العظام ، ولم يفتنوا الى ما تعني ، والى ما فى ضمائرهم ، بل الى ما فى حروفها واصواتها واينها من تفاسير رهبة . لهذا يظنون ينكرون بكل اساليب التقوى والاصرار على الدن لا يفعلون ما يقولون وعلى الذين لا يساؤون اقوالهم وتعاليمهم ، كان اقوالهم وتعاليمهم هي كل التقوى والمجد والبطولة والذكاء .

انهم يرون ان الذين يفعلون اقوالهم ، او الذين يساؤون تعاليمهم ومواعظهم هم النماذج والمثل للاخلاق والقوة والابداع والتدين .

لهذا يذهبون - بحثاً عن الكمال - ينصحون كل الناس ويطالبونهم - بأسلوب وعظي دولي - بأن يكونوا اقوالهم ، اي بأن يكونوا كل ما تعني وتحمل اقوالهم من تفاسير وايحاءات ودلالات ، ومن حوافز واهداف ونيات .

انه الهول كل الهول ان يحدث هذا ، لو كان ممكناً ان يحدث . ما اشجع ما يتمنى الانسان احياناً لنفسه ، ما اشجع ما يختار الانسان احياناً لنفسه ، ما أجمل أن يعجز الانسان احياناً عن الاختيار لنفسه .

ان البشر ليسوا فقط افضل من اقوالهم - أنهم أيضاً افضل من حوافزهم ونياتهم واهدافهم .

ان حياة الانسان لافضل دائماً من أقواله ومن نياته ومن حوافزه واهدافه .

أن حياة الحجر ، بل حياة الوحش لافضل من تعاليم ومواعظ وخطب اتقى واصدق المعلمين . ان حياة الحجر ، بل حياة اي وحش

لاقل اثما وأكثر تقوى وأنبل أخلاقا من نيات وحوافز واهداف اتقى المعلمين حوافز ونيات واهدافا . أن اقوى اعداء الانسان وحشية ، أن اقوى وحوشه هي نياته وحوافزه واهدافه ، هي تعاليمه واقواله - أنها اقوى وحوش الحياة .

ان التفاسير المحتملة والمقروءة في انياب وأظفار اي وحش ، وفي قسوة وكآبة اي حجر لاكثر واصدق تقوى وفضيلة وأقل وحشية وافتراسا من التفاسير المحتملة والمقروءة والمحتواة في أقوال وتعاليم ونيات وحوافز واهداف اي قديس ، بل اي قديس عظيم .

أن اقوال الالهة ، اقوال آلالهه المحسوبة الموضوعه عليها لا يستطيع كل ما في الكون من قسوة وبغضاء وكآبة وافتراس وجنون أن يتحول الى تفاسير لها . أن كل دمامة وقسوة لتتحول في مقارنتك الى جمال ورحمة لو أنك حدثت في تفاسير أقوال الالهة لترى ما فيها من وحشية وقبح وكآبة .

أن أي اله لا يستطيع أن يتحول الى اقواله الموضوعه المحسوبة عليه، انه لافضل من اقواله مهما كانت وحشيته . انه لا يستطيع أن يقوى على أن يعيش اقواله مهما كانت قوته . أن ألبعد بين الاله واقواله ليس اقل من البعد بين الاله في ذاته وبين آلالهه في تصور المؤمن به - أن البعد بينه وبين اقواله ليس اقل من ألبعد بين ما يمكن أن يفعل وبين ما ينتظر منه المؤمن فعله . أن المؤمنين بالآلالهه ليصلون لآلهتهم ، ليهتفون لها ويؤمنون بها ، انبهارا بأقوالها ، وانتظارا لصدق وتحقق اقوالها . انهم ليتضرعون اليها طالبين أن تصدق اقوالها . أن اعجابهم بأقوالها وانتظارهم لصدق اقوالها سببان من اسباب آيمانهم بآلهتهم ورضاهم عنها وتفاؤلهم بما ينتظرون ، بما ينتظرون أن تفعل من اجلهم .

أن هؤلاء المؤمنين لا يعلمون ، وانهم لم يحاولوا ولم يريدوا أن يعلموا أن اقوال الالهة لا يمكن أن تكون صادقة لان صدقها شيء فوق قدرة كل شيء ، فوق قدرة نفس هذه الآلالهه ، لان صدقها شيء لا تحمله الاشياء ، ولا تستطيعه قوانين الاشياء ، لا تستطيعه ولا تجرؤ عليه وحشية الاشياء ، لا يستطيعه او يجرؤ عليه وحشية شيء حتى ولا وحشية الآلالهه نفسها . أن صدق الآلالهه في اقوالها لشيء ضد الآلالهه

نفسها ، وضد الانسان ، وضد المؤمنين بها ، وضد كل شيء . ان صدقها
يعني عقاب كل شيء .

أن المؤمن ليبالغ كثيرا في هجاء آلهه حينما يعتقد أنه - أي ان
الهه - يفعل ما يقول ، او انه سوف يفعل ما يقول . أنه ، اي المؤمن،
ليتمنى لنفسه اشد أساليب الوحشية في المحاسبة والعقاب حينما
يتمنى ان يكون آلهه صادقا فيما يقول ، حينما يتمنى ان يكون سلوك
الاله تفسيراً وتطبيقاً صادقا لأقواله . أن الاله الصادق هو اخطر وأبشع
شيء في هذا الكون . ان اغبى امانيك هي تمنيك ان يكون آلهك صادقا .

ان كل اله طيب ومحتمل - بقدر ما - لانه لا يفعل أقواله . ان
مزية كل اله في انه خارج على أقواله . أن أكون باق ، وان الأشياء
باقية ، وان الانسان باق بقدر ما تخالف الآلهة اقوالها ، او لان الآلهة
مخالفة دائما لأقوالها .

ان شيئاً من الوفاق والرحمة والحب موجود في الكون وفي
الحياة لان الآلهة لا تعيش اقوالها .

لقد ظلت محتفظا بالهك لان الهك ظل محتفظا بالخروج في سلوكه
على اقواله .



ايها الانسان ، ايها الاله . انا نطالبك ان تكون مهذبا ورحيما وتقيا .
ايها الاله ، ايها الانسان . لتقل ما تشاء ، ولتكن نياتك وخوافك
واهدافك ما شئت . ولكننا نطالبك بان تكون مهذبا ورحيما وتقيا ،
لهذا نطالبك بان تكون دائما خارجا على أقوالك وتعاليمك واشعارك
وخطبك ، وخارجا على خوافك ونياتك واهدافك .

انا نطالبك ان تكون في سلوكك خاضعا للقانون الذي تخضع له النبتة
في نموها ، والنهر في جريانه ، وقطرات المطر في نظافتها ، وأنياب
الوحش في برأتها ورحمتها . . ونرفض لك ان تكون خاضعا لأقوالك
وتعاليمك ، أو لخوافك واهدافك ونياتك .

انا نريدك ان تكون مهذبا ورحيما وتقيا ، لهذا لا نريدك ان تكون صادقا ، وانت دائما غير صادق ، ان هذه هي مزيتك العظمى . انا لا نريدك كذلك ان تعيش حوافرك او نياتك او اهدافك ، وانت حتما لا تستطيع ان تعيشها ، لهذا كانت معاشيتك ممكنة ، لهذا لم تقتل كل الناس ، ولم تذلل كل الناس ، ولم تمتلك كل الناس ، لهذا بقي سواك ، بقي فيك ما يحتمل .

انك ايها الاله ، ايها الانسان ، لانظف واتقى واذكى دائما من اقوالك وتعاليمك ومن حوافرك ونياتك واهدافك . ان اعضائك، ان سلوك اعضائك ايها الانسان ، ايها الاله ، لانظف واشرف واذكى واتقى دائما - من اقوالك وتعاليمك ، ومن اهدافك وحوافرك ونياتك . ان حوافرك واهدافك ونياتك هي اردا وخطر ما فيك ، انها اردا وخطر ما في الحياة وما في الطبيعة .

انك لا تستطيع ان تكون صادقا ، انك لا تستطيع ان تكون نياتك او اهدافك او حوافرك . ان هذه احدى مزاياك العظمى . انك تكون حياتك فقط . انا لا نريدك ان تكون صادقا ، لانا نريدك ان تكون مهذبا ورحيما وتقيا . انا لا نريدك ان تعيش حوافرك ونياتك واهدافك ، لانا نريد ان تبقى سواك ، وان يبقى فيك ما يحتمل او يقبل او يعيش ، ولانا لا نريد ان تكون اخطر واردا ما في الحياة والطبيعة ، ولانا لا نريد ان تذلل كل الناس ، او تخطو فوق كل الناس ، او تستعبد كل الناس ، او تقتل كل الناس ، او ان تلقي بكل الناس تحت طموحك العدوانى . انه لا خلاص لك ولا لنا من ذلك الا بان تكون غير اقوالك وغير حوافرك ونياتك وخارجا عليها .

ايها الانسان ، ايها الاله ، انا نريدك مهذبا ورحيما وتقيا ، لهذا نريدك خارجا على اقوالك وتعاليمك ، نريدك عاصيا لحوافرك ونياتك واهدافك .

لانا لا نريدك ان تكون اخطر واردا ما في الحياة ، اخطر واردا ما في الطبيعة .

ايها الانسان ، ايها الاله - انا نريدك رحيما مهذبا تقيا .

لهذا نريدك ابدا عاصيا ، عاصيا لنفسك . انه لا جمال ولا رحمة
للالة الا بان يكون عاصيا . أن عصيان الاله لاخلقه ولرغباته ولوعوده
ولطموحه هو اتقى وانبل ما فيه وما ينتظر منه .



أننا لا بد ان نفترض ان ذلك الكائن الفلكي الذي هبط او سقط
— بالافتراض — الى الارض ليواجه الانسان — اننا لا بد ان نفترض أن
ذلك الكائن الفلكي او الانسان الفلكي الذي قد سقط او هبط
— بالافتراض — الى الارض قد أصبح اعجب غريب في هذا الكون ،
واصبح اقصى مواجهه في هذا الكون مواجهة ، اقصى من كل المواجهين
رفضاً وذعراً واشمئزازاً لما يواجهه ومما يواجهه . أننا لا بد ان نفترضه
أغرب محكوم عليه . لا بد ان نفترضه اقصى محكوم عليه تعذيباً وترويعاً
وتفجيراً للدمامات والبذاعات والتفاهات والحقارات والأهوال في
تحدياته وفي مشاعره وفي أعصابه المقتولة ، المقتولة .

اننا لن نتصور ان اية عيون في كل تاريخ الكون وفي كل تاريخ
العيون قد تفجر فيها من الذنوب والقبائح وأهوال الجحيم مثلما ما سوف
يتفجر في عيني ذلك الكائن الفلكي الذي هبط او سقط — بالافتراض —
الى هذه الارض ليكون محكوماً عليه بمواجهة الانسان . أن مواجهة
الانسان لا تطاق أهوالها لولا التعود عليها .

أننا لن نتصور سائحا اشقى أو اكثر غربة من ذلك الكائن الفلكي ..
اننا لن نتصور رحلة مثل هذه الرحلة في مشاهدتها الفاجعة الحزينة
المبذئة .

ما اقصى وأغرب وافظع هذا الذي يرى ، هذا الذي يحدث امامه
بكل التهاويل والأهوال . أنه الآن ، وبلا ترويض للرؤية طويل يرى كيف
يجيء الانسان وكيف يذهب . كيف يبدأ مجيئه وكيف يكون هذا المجيء ،
ومن اين يجيء هذا المجيء . ما هذا الاسلوب الذي يكون به . وكيف
ينتهي ، وكيف يكون هذا الانتهاء — كيف اسلوبه ، الى أين ، لماذا .

ما التدبير ، ما التفسير ، ما العظمة ، ما التفاهة ، ما الحقارة ، ما

السخف ، ما العبث ، ما الجنون ، ما الهوان .. ما النظافة ، ما القذارة
من الفاعل ، من المستفيد ، من المفعول من اجله .

ما القصة . من يريد هذا ، ومن يقبل هذا ، ومن يستطيع التحديق
في هذا . من يقبل ان يكون ذاتا لهذا ، ومن يقبل ان يكون شريكا
في هذا ، ومن يقبل ان يساعد على تكرار هذا . من يقبل ومن يستطيع
ومن يريد ..

من الفاعل ، ومن المفعول من اجله . وهل يوجد فاعل او مفعول من
اجله . ما التفسير . وهل يوجد تفسير . هل يطلق المشهد . هل
يطلق لولا التكرار . ان التكرار ليففر كل الذنوب والدمامات .

انه الآن ، وبلا تدليل للرؤية طويل ، يرى الانسان كيف يعاني
وجوده وكيف يعيش وجوده ، وكيف يجوع وكيف يمارس ، يعالج جوعه .
كيف يحب ، وكيف يغازل حبه ، وكيف يمارسه ، وكيف يصنع اساليبه ،
وكيف يصنع ويشعر اساليب ممارساته له . كيف يتحدث عنه ، وكيف
يحوله الى فنون واديان وآداب ولفات وفصائح .. كيف يتعب ، وكيف
ينام ، وكيف يمارس نومه ، وكيف يفتضح في نومه ؟ ما اقبح المراءى
وما اصفر المرئي ، ما اصفره . ما ابشع ما يتشوه ويصفر ويحقر .
ما ابشع الدمامة ، ما ابشع ما يرى .

انه الآن ، وبلا تدليل طويل للرؤية يرى الانسان في المعبد ، يراه
امام آلهته ، يراه يصلي ، ويبكي ويركع . يراه يخاف فينافق ويكذب
ويهون ، يراه يتضرع ويدعو ، - يراه يقصر ، ويقصر ، ويقصر . يراه
يسقط ويسقط ويسقط - يراه يجهل ، ويجهل ، ويجهل . يراه يشتم
الآخرين ويراه يطالب الهته ان تكون معه ضد الآخرين ويراه يصلي لآلهته
لتعادي من اجله الآخرين . يراه يبكي ، يراه يحرق بلا رؤية وبلا شجاعة
وبلا كرامة وبلا اباء وبلا ذكاء . يراه يحرق ويبكي ويركع ويتضرع ويصلي
ويتلو ويكذب ويخاف ويهون وينافق ويجهل - يراه يقصر ، ويقصر ، ويقصر
- يراه يسقط ويسقط ويسقط ، بلا ظهر وبلا ذكاء ، وبلا شجاعة
وبلا كرامة ، وبلا رفض ، وبلا وقار وبلا اي حدود لذاته او لارادته
الركوع .

يراه في المعبد ، يراه امام آلهته ، يراه يشتم آلهته ويحقرها ويفضحها ، لانه يصلي لها ولانه يملقها ولانه يدعوها ولانه يرشوها ولانه يفسرها ولانه يصفرها .. انه يصفرها حين يفسرها ، انه يفسرها حين يصلي لها وحين يدعوها وحين يرشوها .

ما اصفر الانسان في المعبد ، ما اصفره ، ما اقصره ، ما اجهله ، ما اغباه . ما اعظم ما يهجو الانسان نفسه ، وما اعظم ما يهجو آلهته - ما اعظم ما يهجو نفسه وآلهته في المعبد . ما اعظم ما يهجو نفسه وآلهته امام الهته .

ما اصفر الانسان في المعبد ، ما اقصره وما اجهله وما اتفهه وما أهونه امام آلهته ، يبكي ويدعو ويركع .

انه يرى الانسان في المعبد ، انه لا يستطيع ان يراه في المعبد . انه يتحول الى دمامات لا تطيقها عيناه . ان الانسان يتحول في المعبد وامام الهته الى تشوهات لا تطيقها عيناه ، لا تطيقها عينا ذلك الكائن الفلكي . انه يتحول في المعبد وامام آلهته الى ذنوب وعاهات لا تطيقها عينان ، لا تطيقها آية عين سوى عين الانسان ، سوى عين الانسان التي قتلتها الرؤية - التي قتلتها ، فقأتها رؤيتها لنفسها وتعاملها مع نفسها .

انه الآن ، وبلا تذليل طويل لعينيهِ يرى الانسان يمارس حكامه وزعماءه وقادته . انه يراه يمارس طاعته لهم وايمانه بهم وخوفه منهم وهتافه لهم ، ومسيرته تحت اقدامهم . انه يراه يمارس محاكماتهم وسجونهم ومعتقلاتهم وحماقاتهم ومغامراتهم وكل اساليب جنونهم . انه يراه يمارس كل تفاسير ومعاني ولفات البكاء خوفا منهم ، وأبتهاالا اليهم ، وموتا من أجلهم . انه يرى حكامه وقادته وزعماءه يمارسونه - يمارسون انفسهم به . انه يراهم يمارسون احقادهم وطموحهم ومخاوفهم وصغائرهم وكبرياءهم وجوعهم وبكاءهم وهمومهم وهزائمهم وجراحهم وآلامهم وبغضهم وحبهم وصدقاتهم وعداوتهم ومنافساتهم وكل ذنوبهم وشروهم به وفوقه ومعه وضده وبواسطته وتحتة وبين ابنائه وفي بيته وفي حقوله ومصانعه ، وفي قرآه ومدنه ، وضد اربابه واديانه وأخلاقه ، وضد كرامته وشره وشجاعته وذكائه ، وضد تعاليمه واديانه وأخلاقه وحياته .

انه يراه ، يرى الانسان يصنع المعابد والسجون والمعتقلات والقيود
والسلاح والحروب والخصومات والعداوات لكي يعيشها ، ولكي يعاقب
بها نفسه ، ولكي يمارسها ضده وفيه وبه وفوقه وبواسطته وفي بيته ،
وضد ابنائه واهله ، وضد قراه ومدنه ومصانعه وحقوقه ، وضد أربابه
وادبيانه واخلاقه ، وضد شرفه وكبريائه وذكائه وشجاعته ، وضد كل
انسانيته وحياته .

— لكي يمارسها ضده وفيه وبه وبواسطته وفوقه زعماؤه وقادته
وحكامه وكل مجانينه وطفاته . انه يحفر القبر لكي يضعه فيه اعداؤه .
انه يحفر القبر ثم يضع نفسه فيه ارضاء لاعدائه ، التماسا لشهوات
اعدائه . انه يضرب القيود والسلاسل على نفسه لئلا يهرب من اعدائه
او يقاومهم .

انه الآن ، وبلا تذليل طويل لعينيه يرى الانسان يمارس مذاهبه
وعقائده وأربابه ونظمه ونظرياته ، ويمارس قوميته ووطنياته وخضوعه
لتاريخه بكل هذا القبح والعدوانية والوحشية التي يمارسها بها .

انه يراه يمارس احقاده وعداواته ومنافساته ومخاوفه واكاذيبه
وبذاءاته ومطامعه وكبريائه وانتصاراته وهزائمه ، ويمارس زعاماته
وقيادته وحكوماته وتعاليمه بكل هذا ألفباء والعدوانية والوحشية التي
يمارس بها كل ذلك .

انه يراه ، يرى الانسان يمارس همومه وآلامه ومشاكله واحتياجاته
وعجزه بكل هذا الضعف والبكاء والانهيار والتعب — ويمارس مسراته
ولداته وضحكاته وقدراته بكل هذا ألنزق والنفاهة والافتضح — ويمارس
صداقاته والتزاماته وعلاقاته بكل هذه الاكاذيب والسماجات والخداع
والابتذال ، ويمارس عداواته وبغضائه وخلافاته بكل هذه البذاءات
والصليل والصهيل والحقد المتوحش الفبي .

انه الآن ، وبلا ترويض طويل لعينيه يرى الانسان بكل مسافاته
وحدوده وبكل تفاسيره وأزيائه . انه يراه في ذاته وفي نياته ، في حوافزه
وأهدافه ، في تعاليمه التي يتحدث دائما عن انتصارها على شهواته ،

في انانياته التي يتحدث دائما عن مقاتلته لها وعن انتصاره الدائم عليها
- يراه في كل حياته ، آخذاً منها ، أخذة منه - يراه في كل الاثمان
التي يدفعها ، وفي كل الاثمان التي يقبضها .

انه يرى الحوافز التي تدفعه ، والاهداف التي يندفع اليها - انه
يراه حافزا وهدفا . انه يرى نياته ، يرى ما يريد ، وما يعني وما
يساوي ، يراه فاديا وانانيا ، يراه ثمنا وسلعة ، اجرا وعملا .

انه يرى كل لغاته وتعاليمه وشعاراته ومذاهبه ونظرياته وحروب
وخلافاته وخصوماته وعداواته وصداقاته وآلهته وعقائده وزعاماته ونياته
وحوافزه واهدافه وتطلعاته وقفزاته وعبقرياته - متحولة الى ثمن ، الى
ثمن ذليل ، صغير ، حقير ، مهين - متحولة الى ثمن يعيشه ويقبضه ،
دون ان يتحدث عنه ودون ان يستطيع التحدث عنه - يقبضه ويعيشه
ويلعن التحدث عنه ، ويخجل من التحدث عنه .

انه ثمن يعيشه ويقبضه ولكنه قد يصلب من يتحدثون عنه ومن
يحدثونه عن اسمه . انه يعيش ما يرفض ان يسمى .

انه ثمن لا يختلف نوعه مهما اختلفت مقاديره ، انه ثمن لا يختلف
مهما اختلفت اللغات والشعارات والمذاهب والنظريات والالهة والمعلمون
والخلافات والخصومات والحروب والعداوات والصداقات والحوافز
والنيات والتطلعات والقفزات والعبقریات والاهداف التي هي دائما سعي
اليه وبحث عنه .

انه يرى الانسان : الصيغة والتفسير ، الاسلوب والفكرة - التفسير
الذي هو الصيغة ، والفكرة التي هي الاسلوب . انه يرى الانسان : العمل
والاجر ، الاجر الذي هو العمل ، الاجر الذي هو الاجير ، الاجر الذي هو
ان يظل اجيرا . انه يرى الانسان الذي يظل يعمل بلا اجر ، والذي يظل
يعمل ليكون اجره ان يظل يعمل . انه يرى الانسان الاجير بلا اجر غير ان
يظل اجيرا . ان يرى الانسان الذي يجعل لنفسه فكرة
وتفسيرا ، ثم لا يكون التفسير والفكرة سوى الصيغة والاسلوب - سوى
ذات الانسان بكل احتياجاتها وتعاملها مع هذه الاحتياجات ، وبكل صيغ

واساليب هذا التعامل مع هذه الاحتياجات .

ما أبشع وأوقع هذه الصيغ والاساليب، هذه الاحتياجات والتعامل .
ما أقسى التحديق في ذلك ، ما أقسى تفسيره ، ما أقسى البحث عن
حوافزه واهدأفه ونياته وغاياته . ما أقسى فهم ذلك ، ما أقسى رؤيته .
ما أقسى ان ترى الانسان ، أن تراه صيغة واسلوبا . ما أقسى ان تفسره،
أن تفسره فكرة ومنطقا ، أن تفسره حوافز واهدافا ، نيات وغايات واخلاقا،
ان تفسره اجرا واجبرا . ما أقسى ان تفسر الانسان صيغة واسلوبا ، سلعة
وثنما ، أخذا وماخوذاً منه ، مبتدئا ومنتهيا — ما أقسى ان تفسر الانسان

ما أقسى ان ترى الانسان وان تفسره وان تستطيع رؤيته وتفسيره
وان تجرؤ على ذلك .

أن هذا الكائن الفلكي هو أول من يرى الانسان . ان احدا قبله لم
يره ، ان الانسان لم ير نفسه ، انه لم ير شيئا ان العيون لا ترى ما توجد
فيه ، ما يوجد قبلها . انها لم تر الشمس ولا النجوم لانها قد وجدت قبلها،
لانها وجدت فيها .

لقد كانت نفس الانسان تتحول دائما الى جدار ضخيم لتقف بينه وبين
نفسه ، لتقف بين عينيه وبين نفسه . لقد كانت ذاته تحول دائما بينه وبين
ذاته . لقد كانت رؤيته لذاته تمنعه من رؤية ذاته . لقد كان دائما يرى
ارادته لذاته لا ذاته . لقد كان يرى آمانيه ومخاوفه واحتياجاته وتصوراته
حينما كان يريد أن يرى ذاته ، ان يرى نفسه . ان العيون لا ترى بأمرها،
أنها لا ترى الا مأمورة .

لقد كان الانسان يرى صورته التي في نفسه وفي تمنياته، لا صورته
التي في ذاته او التي يعيشها وتعيشه . أن في نفسه، في نفس كل انسان
مرآة هي خصم ونقيض للمرآة التي امامه . ان في داخل كل انسان مرآة
قد تحاسب على انها محايية كذابة منافقة مزيفة ، وقد تحسب رحيمة
مهذبة جيدة الاخلاق . أن في داخل كل انسان مرآة يرى بها ما يريد لا ما
هو موجود . ان في داخل كل انسان جهاز تزييف لعينييه ، جهاز تضليل
لرؤيته ، لرؤيته ما امامه . أن الانسان يريد فيرى اكثر من ان يرى فيريد .

ان ذلك الكائن الفلكي يحدق الان . ان ما يحدق فيه يكبر على كل وصف ، انها صور تهزأ من كل ما عرف من لغات ألهجاء والبلاغة والرفض .

ان امامه قوما مبتهجين جداً ، قوما قد اخرجهم ابتهاجهم عن كل وقار . انهم قادة وزعماء يحتفلون بما يسمونه نصرا . انهم زعماء وقادة قد قتلوا اعدادا هائلة من شباب المجتمع الذي يحكمون ويقودون ، وخربوا مدن وحقول ومصانع البلد الذي يحتلون ، كما قتلوا اعدادا هائلة من شباب قوم آخرين يسمونهم اعداءهم ، كما دمروا مصانع وحقول ومدن اولئك الاخرين الذين يدعونهم اعداء ولكنهم انتصروا ، لهذا هم مبتهجون جداً ، لهذا يحتفلون بانتصارهم .

وكيف انتصروا ، وعلى من انتصروا ؟ انهم قاتلون ومخربون - قاتلون لشباب شعبهم ولشباب شعوب اخرى ، مخربون لحقول ومصانع ومدن شعبهم ، ولحقول ومدن ومصانع شعوب اخرى . انهم قاتلون ومخربون . لهذا يحتفلون لانهم منتصرون ، لانهم قاتلون ومخربون .

اذن كيف انتصروا وعلى من انتصروا ؟ واي نصر هذا الذي به يحتفلون ؟ انهم لم يصنعوا الا الهزيمة والخراب - الا الهزيمة للانسان والا الخراب لحياته . ولكنهم ايضا مبتهجون ومنتصرون لان ابتهاجهم او انتصارهم لا يكون الا بالخراب والهزائم . الخراب والهزائم للحياة وللانسان .

لقد انتصروا هم - لقد انتصر القادة والزعماء - لقد انتصروا على الانسان ، لقد انتصروا على ذكائه وعلى شجاعته وعلى حياته وعلى انسانيته . انهم يحتفلون ويبتهجون بانتصارهم الشامل العالمي على الانسان في كل معانيه ومستوياته ، تحت كل قياداته ومذاهبه وتعاليمه وحضاراته وشعاراته .

ان القادة والزعماء دائما منتصرون على الانسان مهما كانت مذاهبه ومستوياته وحضاراته . انهم منتصرون عليه انتصاراً عالمياً . انهم يحتفلون بكل ما في الابتهاج من جنون وبداءات - يحتفلون بانتصارهم العالمي الدائم على الانسان .

ان انتصار القائد او الزعيم على القائد الاخر او على الزعيم الاخر هو كل الانتصار في حساب الزعماء والقادة ، في حساب كل الزعماء وكل القادة مهما هزم الانسان نفسه ومهما خربت حياته .

ان الانتصارات والهزائم لا تعني في لغة الانسان وحساباته سوى انتصارات وهزائم الزعماء والقادة . انهم هم المالكون للحروب ولحساباتها ، لهذا فهم الذين ينتصرون او ينهزمون في حسابات وحياة الانسان ولغاته . اما البشر فهم أدوات لهذه الانتصارات والهزائم ، انهم دائما منهزمون مهما انتصر او انهزم القادة والزعماء . ان انتصار الانسان في أية معركة منتصرة لا يساوي اكثر من انتصار الفرس او الدابة التي يقاتل بها أو عليها الفارس أو اللص المنتصر . انه انتصار لا يصيبه منه الا ان يفقد حياته او يتعذب .

ان الانتصار لا يعني الا أن جنون او طموح قائد او زعيم قد انتصر على جنون او طموح قائد او زعيم آخر او على جنون او طموح قادة او زعماء آخرين - وان الانهزام لا يعني الا ذلك ايضا . ان انتصار أي زعيم او قائد لا يمكن أن يكون فيه أي انتصار للانسان الا بقدر ما يكون فيه من انتصار للفئران والبراغيث . ولكن اليس فيه انتصار ضخيم لهذه الحشرات؟ اليس يقدم لها الغذاء أوفير ؟

ان الانسان خاسر ومهزوم دائما في جميع انتصارات القادة والزعماء وفي جميع انهزاماتهم لان كل عداوة وخصومة بين الزعماء والقادة هي هزيمة وخسران للانسان . والانتصار لا يكون الا على عداوة او خصومة يصنعها القادة والزعماء ، أو بين الزعماء والقادة . اذن فالانتصار لا يكون الا لعداوة او خصومة ، كما لا يكون الا على عداوة او خصومة . وانتصار العداوات والخصومات المتحاربة لن يكون فيه أي انتصار للانسان ، كما ان انهزام هذه العداوات والخصومات لن يكون فيه كذلك أي نصر او مجد او ربح للانسان ، كما ان انهزام هذه العداوات والخصومات لن يكون فيه كذلك أي نصر او مجد او ربح للانسان . انه لو هاجمنا وحش فقاتلناه فقتلناه فاننا لن نكون منتصرين او كاسيين شيئا ، ولكننا قد تخلصنا فقط من الشر بعد ان نكون قد دفعنا الثمن أحيانا . اذن لقد أخذ منا ولم نأخذ نحن شيئا .

ان الانتصار على اسوا طاغية عرفه التاريخ ليس فيه أي نصر او كسب للانسان . ان الذي حدث ان الانسان قد دفع حسابات وجود مثل هذا

الطاغية ، وحسابات مقاتلته والانتصار عليه . وهل في هذا أي كسب أو نصر للإنسان ؟ أن ربح الإنسان وانتصاره في ألا يوجد مثل هذا الطاغية ، وفي ألا يوجد من يشيرون جنونه وطموحه واحتلامه ، وفي ألا يوجد من يوجدون الظروف أو يوحون بالظروف التي توجد وتتحرك وتصنع منه مجنوناً عالمياً . أن المجانين العالميين لا يوجدون أنفسهم ولكن العالم يوجدهم ، ولكن مجانين آخرين أو أشباه مجانين آخرين يوجدونهم ، أو يساعدونهم على أن يوجدوا أو يحرضونهم على أن يوجدوا وعلى أن يجنوا وأن يصابوا بالمزيد من الجنون ، وعلى ألا ينجوا أو يخافوا من جنونهم . أن المجنون العالمي لا يكفيه أن يكون مجنوناً لكي يمارس جنونه ويعرضه كخلق دولي أو كخلق يمكن ممارسته ضد كل العالم ، بل لا بد لكي يمارس المجنون جنونه من استساعة ذلك عالمياً على نحو ما . أن جنونا ما لا يوجد وحده ولا يعيش وحده ، أنه يحتاج دائماً إلى الأشباه والأنداد ، وإلى المحرضين ، وإلى المعلمين أحياناً . أن المجنون لا يقبل أن يكون وحده ، أنه لا يستطيع ولا يعرف أن يكون كذلك . أن المجنون العالمي لا يجن من داخله ، وأن الجنون العالمي ليس مرضاً ذاتياً . أن المجنون العالمي لا بد أن يلده مجانين وأن يعيش بين مجانين وأن يكون حوله مجانين .

أن المجنون لا يقبل ولا يستطيع أن يكون الها أي لا يقبل ولا يستطيع وحدانية آله .

أن هذا الجنون كائن اجتماعي ، أنه عالمي الأبوة والسلوك والمنطق والأرض . أن الأرض العاقلة لا تلده ، أن الأرض العاقلة لا تلد المجانين .

إنها إذا ولدت مجنوناً فإنها لن تجعله وحيداً .

أن الأرض لا تعرف التوحيد في ولادتها للمجانين . إنها في مستقبلها أما أن تصاب بالعقم فلا تلد مجنوناً واحداً ، وأما أن تظل ولوداً تلد المزيد من المجانين .

أن الأرض لا بد أن تظل تلد الحشرات بلا حساب أو أن تعجز عن ولادة حشرة واحدة .

★ ★

أن ذلك الكائن الفلكي يحدق الآن ، يحدق في قائد يكاد يقفز إلى النجوم من الفرح . يكاد يتعرق من النزق .

انه قائد يجلس الى مكتبه الذي يدير منه عمليات القتل والتخريب .
انه لا يكاد يفهم او يرى شيئا من الانتشاء . ان كل ما في الغابات ونسي
الطبيعة الصحراوية من وحوش وحشرات عدوانية سامة قد تحولت الى
نشوة في اعصابه وقلبه ووجهه وفي كلماته واشاراته واوامره .

ان كل همجية الطبيعة قد تحولت الى نشوة همجية في كلماته
وحركاته وتعبيراته وفي ضميره وعينه ومشاعره .

لماذا ؟ ان القتلى في جيشه كثيرون جدا ، وان الدمار في بلاده هائل ،
هائل . ولكن القتلى في جيوش من يراهم أعداءه اكثر ، والخراب في بلاد
اولئك الاعداء أفدح . لهذا يجب ان يجن سرورا لانه منتصر ، يجب ان
يجن سرورا لانه منتصر انتصارا شخسيا . ان كل انتصار في حساباته ليس
سوى انتصاره الشخصي ، وان كل معاني الهزيمة ليست الا هزيمته
الشخصية .

ان الخراب في بلده قد أصبح شاملا ، وان الموت في جيشه قد
أصبح فناء .

ولكنه مع ذلك يجب أن يتعري من السرور لان الموت والخراب في
جيوش وبلاد من يراهم اعداءه أشمل وأفدح هولا . أنه منتصر ، منتصر
على خصومه واعدائه من القادة والزعماء . ان انتصاره انتصار شخصي ،
ذاتي ، فردي . انه انتصار قائد على قائد آخر أو على قادة آخرين . أنه
منتصر عليهم بالعبقريّة والتدبير والنشاط والهمة والرؤية البعيدة او
بالحفظ . ان انتصاره بالحظ يعني احتراماً كونياً لشخصه ، يعني الثغرات
الكون وقواه الخفية إليه . ان كل قائد ينتصر بالحظ الغبي لا بد ان يعتقد
انه قد انتصر بالقدر او بالتدبير الذكي .

أنه انتصار شخصي ، ذاتي ، انه انتصار قيادة وزعامة . أن هذا هو
الانتصار ، هو كل الانتصار في كل العصور . لهذا يجب ان يجن سرورا .
ان ينشر اعضاءه الداخلية فوق المنابر من الابتهاج .

ان انتصاره ليس الا تدبيرا اعلى وليس الا تحية ترفعها الاقدار
الذكية الى عبقريته والى شخصه المقصود بالعناية .

أما القتل والخراب في جيشه وبلده ، وفي الجيوش والبلاد الأخرى
فيجب أن يتحوّل إلى تحية لانتصاره الشخصي ، لمجده الشخصي . أن
انتصاره ومجده الشخصيين يستطيعان أن يتحوّلوا إلى كفارة واعتذار عن
كل الآلام والأحزان والخسائر ، وعن كل موت وخراب يشملان العالم ،
ويصيبان الشمس والقمر .

أن مجده وانتصاره ثمن ليس بالقليل لكل ما في الطبيعة أو في
الناس من مظالم وذنوب وآهات وعاهات .

لقد كان التاريخ في كل خطواته واهتماماته ومنطقه كأنه لم يكن يعني
أو يريد إلا أن يصنع الموت والخراب وكل الآلام والأحزان للإنسان ليُجعل
منها تحية وهتافاً وتوبيخاً لانتصارات وأمجاد القادة والزعماء الشخصية .
لقد كان التاريخ يتصرف وكأنه يرى أن أي مجد أو نصر لأي قائد أو زعيم
يستطيع أن يغفر كل ما في الكون والحياة من عاهات وشقاء وجنون . كأنه
— أي التاريخ — يرى أن أي انتصار أو مجد أو سرور يصيب أي قائد أو
زعيم يستطيع أن يغفر كل ما في وجه القمر وكل ما في وجوه الأشياء
وما في أخلاق الأشياء من دمامات ووقاحات ومن عار وخطايا .

لقد كان التاريخ يتصرف وكأنه قد قرر أن يجعل انتصار أو مجد أي
زعيم غفراناً لكل ذنوب وخطايا كل الآلهة .

لقد كان التاريخ يهتف دائماً لنفسه وهو يصنع أبشع الآلام والأحزان
والخراب والموت لأنه كان يعتقد أنه بذلك يصنع المجد والانتصارات للزعماء
والقادة المجائين — لأنه — أي التاريخ — كان يعتقد أنه بذلك يحيي الزعماء
والقادة ويهتف لمجدهم وانتصاراتهم . أن المظالم والذنوب ليست فقط
مغفورة بأمجاد الزعماء والقادة وبانتصاراتهم ، بل إنها أي المظالم والذنوب
تمجيد لهذه الأمجاد والانتصارات وإعلان عنها . وهل لأي انتصار أو مجد
أي مجد أو دوي بدون الآلام والذنوب ؟

لقد كان التاريخ يمارس أدواره وكأنه يرى أن أمجاد وانتصارات
الزعماء والقادة لا يمكن أن تكون ، أو أن تكون عظيمة ، أو أن تكون مقبولة
أو معروفة أو معترفاً بها ، أو أن تكون مرضية لهم ، أو صانعة لهم الكبرياء ،
إلا إذا صنعت الموت والدمار والويلات والآلام الشاملة للإنسان . أن ذلك

هو الذي يصنع لامجادهم وانتصاراتهم الدوي والخلود . لقد كان التاريخ دائما عميلا وقحا للطفاة ضد الانسان .

وهل انتصارات الزعماء والقادة وامجادهم انتصارات وامجادحكمت تعقيدات الطبيعة بأن تكون الآلام والويلات جمالا ودويا لها وفيها او شرطا في وجودها ، ام ان انتصارات وامجاد الزعماء والقادة ليست الا آلاما وويلات فقط زعمت امجادا وانتصارات ؟ .

هل مجد الزعيم او القائد مجد صنع الما وزينة الم ولم يكن ممكنا الا بالم ، او مجده الم قرىء مجدا ؟ ام مجده الم فقط اشتد واشتد حتى دعي مجدا وخطب له كمجد ، ومارسه التاريخ وهابه وتحدث عنه كمجد ؟

هل امجاد الزعماء والقادة امجاد تصنع الآلام وتصنعها الآلام ، ام هي فقط آلام تصنع الآلام وتصنعها الام وتسمى امجادا ؟

هل الآلام التي يصنعها القادة والزعماء تصبح امجادا وانتصارات بقدر ما تصبح شاملة وباهظة ومجنونة ؟ هل الفرق بين الآلم والمجد هو فرق بين الم وآلم ، هل هو فرق بين من يصنعون الآلم والآلم ، فالآلم الذي يصنعه الزعماء والقادة يصبح مجدا ويتعامل معه التاريخ كأعظم مجد يهابه التاريخ ويمجده ويتملقه ، اما الآلم الذي لا يصنعه الزعماء والقادة فيظل الما ، فيظل الما فقط ؟

هل امجاد الزعماء والقادة امجاد لنا ام هي امجاد للحشرات والخراب والموت ولجميع الآلام ؟

هل وجد اي مجد او انتصار لاي زعيم او قائد دون ان يصنع الما او دون ان يكون الما فقط ؟ هل تساوي انتصارات وامجاد الزعماء والقادة شيئا اكثر مما تساويه الآلام التي يوقعونها بالانسان ، او تعني شيئا غير هذه الآلام ؟ هل يهاب اي زعيم او قائد ان يشتري مجده الشخصي او انتصاره الشخصي حتى ولو كان الثمن هو تحويل كل العالم الى ايتام وارامل ، والى قبور وخرائب ؟

هل يعني التاريخ حينما يتحدث عن اي مجد او نصر لاي زعيم او قائد

غير ان يتحدث عن آلام واحزان وحماقات عانى منها الانسان في بعض
مواقعه أو في كل مواقعه ، أو عانت منها الحياة ؟ وهل نفهم نحن من تحدث
التاريخ هذا شيئاً غير أنه يعني المتحدث عن هذه الآلام والاحزان والحماقات ؟

وهل يمكن الا يكون الخراب والعداب هما كل ما تعنيه او بعض ما
تعنيه كلمات زعيم وقائد ، او كلمات مجد وانتصار ، محولين الى حسابات
للزعماء والقادة ، مسحوبين من حسابات الانسان ؟

هل يمكن أن تفسر كلمات زعيم وقائد ومجد وانتصار بغير : خراب
وعذاب ؟ هل يمكن ان يصدق اي تفسير لهذه الكلمات يكون غير خراب
وعذاب ، للانسان وللحياة في كل اوطانها ؟



انه ، اي ذلك الكائن الفلكي يحرق في قوم تفيض اعصابهم وتعبيراتهم
وضحكاتهم بالرضا والغبطة لانهم هم اصحاء حتى ولو اصبح كل الناس من
حولهم مرضى ، او لانهم هم اعزة ومحابون حتى ولو اصبح كل الناس من
حولهم اذلة ومحقرين ، او لانهم هم طلقاء وناجون حتى ولو اصبح كل
الناس من حولهم مكبلين ومطاردين وهالكين ، او لانهم هم آمنون حتى ولو
اصبح كل الناس من حولهم خائفين ، او لانهم هم سعداء حتى ولو اصبح
كل الناس من حولهم اشقياء ، او لانهم هم جيدو الحظوظ حتى ولو اصبح
كل الناس من حولهم تتخطاهم كل الحظوظ ، او لانهم هم قادرون حتى ولو
اصبح كل الناس من حولهم عاجزين ، او لانهم هم واجدون حتى ولو اصبح
كل الناس من حولهم فاقدين ، او لانهم هم وحدهم الذين يأملون ويملكون
ويريدون وكل من سواهم هم الذين يعانون ويسخرون ويتمنون ويؤخذ منهم ،
او لانهم هم قد اصبحوا العصا واصبح كل من سواهم الظهر ، او لانهم قد اصبحوا
الاقدام واصبح كل من سواهم هم الاحذية والارض - او لان كل من عداهم
قد اصبحوا النشيد والصلاة والموكب الدليل ، أما هم فقد اصبحوا لفة
النشيد وموضوعه وتفسيره ومفسريه ، كما اصبحوا المعبد ، وكما اصبحوا
غاية الموكب وهدفه وحداته - او لانهم هم قد اصبحوا الدنب ، وكل من
عداهم قد اصبحوا الاستغفار والتوبة والتكفير .

انه يحرق في قوم يرقصون ويغنون ويقهقهون ويفازلون وسط عالم

من الاحزان والدموع والاهات والآلام والعاهات والذنوب والعيار والخوف والمضيق والاشلاء والحقارات والتفاهات واليتم الكوني والانساني ، اليتم الفردي والاجتماعي ، العقلي والنفسي ، الاخلاقي والمنهجي والديني ، اليتم الشامل في كل الاتجاهات والتفسيرات ، اليتم في كل معانيه واجزائه ودموعه . ليتحول كل شيء الى بداءة ووحشية . انه سوف ينظر الى وجهه في المرأة باعلان وغناء امام قوم مشوهين . ليتحول كل شيء الى عار .

انه يحقد في قوم يشيدون بمجد وصلابة وشموخ منزلهم المواقف المنتصب بوقاحة بين البيوت التي قد تهدمت كلها لتحول جميع سكانها الى جثث . انه يحقد في هؤلاء القوم الذين يصلون ويهتفون للقدر الطيب العادل الذكي الذي حمى منزلهم مما اصاب به كل المنازل حوله - او لانه حمى منزلهم مما اصاب به تلك المنازل . انهم يبتسمون للقدر ويمجدون مزاياه الدينية والاخلاقية والذهنية لو انه سلب من كل الناس رؤيتهم وقدرتهم وصحتهم وسعادتهم واعضاءهم وذكاءهم ومسراتهم وشهواتهم وكل حظوظهم ليحولها الى مزيد من الرؤية والقدرة والصحة والاعضاء والسعادة والذكاء والمسرات والشهوات والحظوظ لهم هم تخصيصا ومحابة . انهم يمجدون القدر او الطبيعة او الاله الذي يفعل ذلك . انهم يمجدون ذكاءه ومنطقه وعدله . انهم يصلون ويبتسمون له ، انهم يتحولون الى متفائلين والى انبياء للتفاؤل لان ذلك قد حدث .

انه ابي ذلك الكائن الفلكي يحقد في قوم يعيشون كل هذا الهوان ، او كل هذا الشقاء ، او كل هذه المظالم ، او كل هذه الاحزان ، او كل هذه الحقارات والتفاهات والعاهات والتشوهات ، او كل هذه الامراض والآلام ، او كل هذا اليأس ، او كل هذا الضعف واللين ، او كل هذه المخاوف والمخاطر ، او كل هذه الذنوب ، او كل هذه الأكاذيب والخرافات ، او كل هؤلاء الطغاة والمعلمين والوعاظ ، او كل هذه المنابر والمعابد ، او كل هذه الحروب والخصومات والاحقاد ، او كل هذا اللعب وتكراره ، او كل هذا التكرار للذات وللممارسات وللأشياء ، او كل هذا الالتزام بلا اقتناع او تفسير او تساؤل او رفض او نقد او اشتراط .

ان ذلك الكائن الفلكي يحقد في قوم يعيشون كل هذا بالفرض والاكراه ، دون ان يفضبوا او ينكروا او يرفضوا او يفهموا او يسألوا ، او ينكروا لانهم لم يفهموا او يسألوا ، ودون ان يحاسبوا او يعاقبوا او

يحاربوا او يتوقفوا عن المسير ، او يبطئوا في المسير ، او يهابوا المسير ،
او يحاولوا ان يعرفوا نهاية المسير او هدف المسير او تقيير
المسير ، ودون ان يحاولوا وقف الافواج والمواكب الضالة المتتابعة وراءهم
في نفس الطريق ، بنفس الاسلوب والمنطق ، الى نفس الممارسة والمأناة
والمسير ، دون ان تختار او ترى او تعرف لماذا ولا الى اين ولا من اين ولا
الى متى ولا من الامر او المدبر او المريد .

بل ان ذلك الكائن الفلكي يحدق في قوم يعيشون كل هذا وهم يفنون
ويتناسلون ويصرخون اغتباطا واعجابا ، ويمجدون انفسهم وحظوظهم
وكبريائهم وذكاءهم وشجاعتهم وقدرتهم على الرفض والاباء والاختيار
لانفسهم ، بل ويمجدون الآلهة والطبيعة وآلأقدار على ذكائهم وتدبيرها
وحبها واخلاقيتها وعلى محاباتها وعشقها لهم . ان من أعظم واشهر مواهب
البشر قدرتهم على التمجيد . انهم يمجدون كل ما يحدث لهم وما يحدث
بهم وما يحدث ضدهم . انهم لا بد ان يمجدوا اما انفسهم أو الطبيعة أو
الآلهة مهما فعلت بهم ومهما شأنت اخلاقها . انهم لا بد ان يمجدوا شيئا
حتى ولو حماقات الطبيعة أو الآلهة وتشويهاتها لهم . انهم لا بد ان يمجدوا
ولو جنون الطبيعة .

ان البشر لا يستطيعون ان يعيشوا او يرضوا عن انفسهم او يقبلوها
بلا تمجيد ولو للذباب الذي يتحدى كل تفوقهم عليه . ان ذلك الكائن الفلكي
قد أصبح اعظم واشقى محتاج الى العيون . انه لا يجد عيونا يواجه بها
مشاهدة الفاجعة ، اي يوزعها على هذه المشاهد . لقد عجزت عيناه ، لقد
تبددتا ، لقد هزمتا ، سحقنا . لقد ضاعت عيناه في تحدياتهما الى كل
الدوات والممارسات والأساليب التي يعيشها الانسان وتعيشه ، والتي
ينوبها ، والتي هي كل حوافره واهدافه وتفاسيره ومستقبله وتقواه . لقد
ضاعت عينا ذلك الكائن الفلكي في تحدياتها الى الانسان .

انه يريد ان يتحول كل شيء الى عيون ، انه محتاج الى ان يصبح
كل شيء عيونا لتركب فيه ، لتكون قدرته على الرؤية بلا حدود . انه اول
من يعاني عذاب الرؤية على هذا المستوى . ان الرؤية عذاب ودمامة متوحشة
اكبر من أن تطاقا . انه لم يوجد قبل هذا الكائن الفلكي من يعاني عذاب
الرؤية ووحشية دماستها . انه لم يوجد قبله من يرى . أن رؤية الانسان،
رؤية الحياة اقسى من ان يتحملها اي كائن . ان رؤية ذلك شيء صعب

فهمه وصعب تصوره . ان احدا لم يجرب ذلك ، ان تجربة ذلك شيء فوق كل اساليب التعذيب .

ان الانسان - وهذا قد تكرر - لم ير ، ولم ينو ان يرى ، ولم يشعر او يفهم انه يجب ان يرى او انه يمكن ان يرى . انه لم يفهم ما هي الرؤية ، وما هو العجز عن الرؤية ، او انه لم ير ، او انه عاجز عن الرؤية او ان الرؤية شيء غير ما يفعله او اكثر مما يفعله او اقل مما يفعله ، او شيء لا يستطيع ان يفعله او يريد ان يفعله ، او كيف يستطيع ان يفعله ، او كيف يريد ان يفعله . انه لم يعان الرؤية ولم يعان الشعور بفقدانها او بالعجز عنها او بالارادة لها او بالشوق الى ما يختبئ وراءها ، الى ما فيها من اسرار وبؤى ، ومن ذنوب وتشوهات ، ومن قسوة وعار ، ومن رفض واشمئزاز . ان اي شيء لن يبدو لنا طيبا او مقبولا آلا لاننا لا نصدق فيه .

ان التحديق في الاشياء عدو لها ، تحقير لها . ان التحديق عدو للانسان ، انه هجاء وتحقير للبشر ولكل شيء .

انه لا يوجد في العالم بعد وحواجز عالية ومكثفة بين شيء وشيء مثل البعد والحواجز التي بين الانسان ورؤيته لنفسه ، او بين الاشياء ورؤية الانسان لها .

انه بعد وحواجز لا تقتحم ولا يستطيع اقتحامها ، ولا يراد اقتحامها ، ولا يفكر في اقتحامها .

انه بعد وحواجز لا يعرف انها موجودة ، ولا يرفض او يفض بان تكون موجودة ، ولا يراد ان تكون غير موجودة ، ولا يحتمل ان تزول او ان يضعف وجودها . انها حواجز المستحيل وبعده . وهل يوجد بعد او حواجز ابعد او اقوى من بعد المستحيل ومن حواجز المستحيل ؟

ان البعد والحواجز التي بين الانسان وعينيه هي كل بعد المستحيل وحواجزه . انها اذن كل البعد وكل المستحيل .

ولكن ذلك الكائن الفلكي لم يجد عيوناً أخرى ليواجه بها موقفه الصعب . أنها المرة الأولى التي يحتاج فيها الكائن إلى مزيد من العيون، إلى غير عينيه ، إلى أكثر من عينيه لكي يستطيع أن يرى الإنسان، ولكي يستطيع أن يرى الدمامات والالام والتشوهات والذنوب . وما لا يستطيع أن يفهم أو يقبل أو يغفر .

أنها المرة الأولى التي يريد فيها أي كائن أكثر واقوى من عينيه لكي يرى ما يفرض وينكر ، لكي يرى ما يؤذي رؤيته وما يعذبه ، وما يشتهها، لكي يتفجر فيها كل ما في الطبيعة من حجب وقبح ، لكي يتفجر فيها كل ما في الإنسان من تفاهة ودمامة وتلوث وتشوه وعذاب . ويلاه . كم في هذا من العذاب والجنون .

لقد ظل ذلك الكائن الفلكي يرى بعينه ، بعينه فقط ، ما لا يستطيع أن يراه بكل العيون - لو ركبت فيه كل العيون، وما لا تستطيع كل الأشياء أن تراه ، أن تتحمل رؤيته لو تحولت كل الأشياء إلى عيون .

هل تستطيع كل الأشياء لو أصبحت كلها عيوناً أن ترى القبح الذي أمامها والذي يحيا داخل عيونها ؟

لقد أستهلك عينيه ، لقد قتلهما سريعاً . لقد أصبح عاجزاً عن الرؤية مثل الإنسان ، ثم أصبح رافضاً للرؤية كرفض الإنسان . أن الإنسان كما لا يستطيع أن يكون رائيًا فإنه لا يستطيع أن يكون مرئيًا . أن رؤية الإنسان قاتلة ، أنها تقتل الرائي والمرئي والعين المرئي بها . أنه لهذا لم يحتمل أن يكون الإنسان رائيًا أو مرئيًا أو مريداً لذلك .

لقد ظل يصرخ ويهتف : أهذا هو الإنسان ، أهذا هو الإنسان - أهذا هو كل الإنسان ، أهذا هو كل الإنسان . لقد ظل يصرخ ويهتف في أيامه الأولى التي هبط أو سقط فيها إلى الأرض . لقد ظل يصرخ ويهتف، معاني كل أهوال الرؤية المكددة في أقبح الدمامات والحقارات والتفاهات والبشاعات والذنوب والغباء والسخف والعبث والضالة - المكددة في أقسى الالام والاحزان واساليب التعذيب والتحقير والضياع - المكددة في أشمل أساليب الاذلال والترويع والاستسلام والركوع - المكددة في الإنسان

الذي لم يكن احد قد رآه والذي لم يكن قد رأى نفسه والذي لم يجرب
احد عذاب وقبح رؤيته .

لقد ظل يرى بعينه — بعينه فقط — ما لا يستطيع ان يتحمل معاناة
رؤيته بكل العيون لو ركبت فيه كل العيون ، بكل الاشياء ، بكل الوحوش ،
لقد تحولت كل الاشياء وكل الوحوش الى عيون .

ان كل ما في الكون من وحشية لو تحول الى عين لترى الانسان كما
رآه ذلك الكائن الفلكي لفقاتها وحشية المنظر . . لقد ظل يرى بعينه — بعينه
فقط — كل الانسان ، كل الانسان حتى ماتت عيناه .

لقد ماتت عيناه ، وماتت ارادته للرؤية وقدرته على الرؤية . لقد أصبح
مثل الانسان ، لا يستطيع الرؤية ولا يريدتها ، ولا يشعر أنه فاقدها ، أو
أنها شيء موجود ، أو أنها شيء يستطيع ، أو أنها شيء يطلب ، أو أنها شيء
يفقد . لقد ماتت فيه « فلكيته » . انه لم يبق كائننا فلكيا ، لقد مات فيه الكائن
الفلكي . لقد مات فيه ذلك الكائن الغريب المفجوع بمواجهاته . لقد أصبح
كائننا مستوطنا ، لقد استوطن ذات الانسان ففقد انبهاره .

لقد أخذ يتحول الى انسان ، الى انسان يعيش وجوده دون أن يراه أو
يخافه أو ينكره أو يستبشعه أو يخجل منه أو يناقشه أو يسأله أو يطالبه
بالتفسير . لقد أخذ يتحول الى انسان يتقبل وجوده كيفما كان دون أن يطالب
بالثمن أو ينتظر الثمن أو يفهم أنه يجب أن يكون له ثمن .

لقد تحول الى انسان ، لقد صار انسانا ، يبتلع كل ما في أعضاء
الانسان ، وما في جوعه ونياته وسلوكه وجوافزه وأهدافه وأخلاقه وحياته
وتاريخه من تشوه وقبح وتلوث وأكاذيب وتفاهات وبشاعات ، ومن أحزان
ودموع وآلام ومخاطر وأهانات وضعف ، ومن طغاة وزعماء وحكام ومعلمين ،
ومن مذاهب وأديان ونظم ونظريات ، ومن آلهة وغيب وأحلام واحتلام وتاريخ ،
ومن صلوات وتضرعات ومخاوف روحية وعقلية لا حدود لغباؤها ولا لكآبتها
ولا لوحشيتها ولا لما فيها من معاني التحقير والاذلال وأرادة الانتقام — دون
أن يصاب بالغثيان أو بالعجز عن الهضم .

انه بالقانون والظروف التي أصبح بها الانسان انسانا أصبح ذلك الكائن

الفلكي انسانا . انه لشيء رهيب أن تصبح انسانا ، ان ذلك يعني ان تصبح كائنا لا يستطيع ان يرى نفسه وكائنا لا يستطيع شيء ان يراه . ان رؤية الانسان لنفسه كرؤية أي شيء له انها تعني الموت . انه لا بد ان تموت الميوت التي ترى الانسان ، حتى ولو كانت عيونه هو ، بأية وسيلة من وسائل الموت . وأأسفاه . لقد اصبح ذلك الكائن الفلكي انسانا ، لا يستطيع ان يرى أو ينكر أو يشمئز أو يستفزع أو ينقد . هل يوجد عدوان على أي كائن أو اذلال لأي كائن أقسى من تحويله الى انسان ؟



أيها الإنسان . . أنت قتلت ، قاتل للذين يحدقون فيك وللذين يحدقون منك ، وأيضا أنت قاتل للذين تظنهم يحدقون فيك أو منك . انك تقتل المحدثين ولن تحسبهم محدثين . انك تقتلهم بأساليب مختلفة من أساليب القتل . انك تقتل من يحدقون فيك أو منك أو من تحسبهم يحدقون بالصلب أو بالتسميم كما قتلت المسيح وسقراط ، أو بما معناه الصلب والتسميم دون أن يكون بلغتهما . ان تاريخك ليس الا طريقا طويلا حزينا ! ليمامتزاحا بضحاياك المحدثين أو الذين حسبتهم محدثين ، بضحاياك الذين قتلتهم بالصلب أو بالتسميم أو بما معناه الصلب والتسميم دون لغتهما ودون أسلوبهما ، أو بما هو دونهما ، أو بما هو أبشع في محتواه وتفاسيره منهما . ان شيئا واحدا لا تستطيع غفرانه أو تحمله أو مواجهته ، هو أن تكون محدقا أو محدقا فيك .

ولكن لك أسلوب آخر في قتل هؤلاء هو أكثر أساليب قتلك شمولا ، انه الاسلوب الذي قتلت به هذا الكائن الفلكي الذي أصبح انسانا . انه أسلوبك في تحويل جميع الأفراد الى متلائمين معك وبك ، أو محاولتك الشاملة الرهيبة لجعلهم كذلك . انه أسلوبك الدائم العالمي الذي تحاول الا ينجو منه أحد . وهل يستطيع ان ينجو منه أحد كل أساليب ومعاني النجاة ؟

انك تقتل أو تحاول ان تقتل جميع الافراد والجماعات بان تجعل التلاؤم معك وبك عليهم طغيانا لا يستطيعون الافلات منه ، أو لا يريدون الافلات منه ، أو لا يعرفون كيف يكون الافلات منه ، أو لا يجروؤن على محاولة الافلات منه أو حتى على التفكير في هذه المحاولة للافلات منه . ان كل انسان مفروض عليه التلاؤم على نحو ما وبأسلوب ما وعلى مستوى ما ، أذن كل انسان مقتول على نحو ما ، أو على مستوى ما ، أو بأسلوب ما . ان انسانا ما لا

يستطيع أن يحيا كل ما فيه من احتمالات الحياة ، من احتمالات الرؤية والتفكير والاحتجاج والإرادة والرفض والغضب . أن انسانا واحدا لا يستطيع أن يحيا كل حياته وطاقات حياته . أن في فرض التلاؤم كل أسباب القتل وكل نتائجه ومعانيه . أن من أسباب القتل إرادة منع الرؤية أو منع الاشمئزاز أو الغضب أو الاحتجاج أو الرفض ، أو منع المنافسة أو الخوف أو النقد ، أو منع كل احتمالات المقاومة بكل أساليبها ومستوياتها . أن من يقتل انما يقتل لاحد هذه الاسباب . أن القاتل ليس قاتلا في حوافزه ونياته ولكنه مقاوم لشيء أو رافض لشيء أو يريد منع شيء .

وفرض التلاؤم ليست له أسباب غير هذه الاسباب . فالذين يفرضون التلاؤم أو يريدونه انما يفرضونه ويريدونه ليقاوموا ان رؤية أو الرفض أو الاشمئزاز أو الغضب أو الاحتجاج أو المنافسة أو الخوف أو النقد أو المقاومة ، لأن كل ذلك يفسد عليهم أمورهم أو استقرارهم أو أمنهم ، أو رضاهم عن أنفسهم وعما عندهم وعما يفعلون ، أو يفسد عليهم اعجابهم بذلك . أن فرض انتلاؤم أسلوب من أساليب القتل ، انه أسلوب من أساليب القتال ضد عدو ما ، عدو نتصوره أو عدو نجده . أن فرض التلاؤم حرب لا صلاة .

اذن فأسباب وحوافز القتل هي أسباب وحوافز فرض التلاؤم وادارته . .

أما نتائج القتل فهي ليست غير امتناع أو زوال أو موت هذه المخاطر والمحظورات التي هي الرؤية والغضب والرفض والاحتجاج والنقد والاشمئزاز والخوف والمنافسة وكل أساليب واحتمالات المقاومة .

وهل يمكن أن تكون نتائج فرض التلاؤم هذه غير النتائج التي يعطيها القتل أو التي يراد منه أن يعطيها ؟

اذن فنتائج القتل هي نفس نتائج فرض التلاؤم . اذن فالتلاؤم قتل بأسلوب ما ، قتل بكل أساليب ، بكل أساليب القتل . انه قتل بكل أسباب القتل ومعانيه ونتائجه .

أن فرض التلاؤم يحمي أبشع وأكبر الغباوات والتفاهات والفضائح والطغیان والهوان والذنوب والدمامات والمظالم والحقارات والآلام والعفونات من أن تكون مرفوضة أو مقاومة أو منقودة أو محتجا عليها أو مشمأزا منها ،

بل يحميها من أن تكون مرئية أو مسؤولة أو صانعة للتساؤل .

بل ان فرض التلاؤم يحول كل ذلك الى جمال وذكاء ومنطق وتفوق ويمان ومجد وعبقريّة وانسانية ووطنية ومذهبية — بل يحوله الى آلهة وأنبياء ومعلمين وصلوات ومعابد .

وهل يفعل القتل غير هذا ؟ بل وهل يستطيع القتل أن يفعل كل هذا ؟

اذن ففرض التلاؤم هو قتل أكثر من القتل ، والخاضع للتلاؤم هو مقتول أكثر واعنف من المقتول . ان قانون التلاؤم ليس قتلا فقط بل وهوان وهزيمة وتحقير وتشويه .

اننا بتلاؤمنا لا نكون موتى فقط ، بل نكون أكثر موتا وأبشع موتا من الموتى . ان الموتى يصبحون فقط عاجزين عن المقاومة وعن جميع أساليب الرفض . أما المتلاؤمون فان عجزهم عن الرفض وعن المقاومة هو بعض ما يكونون أو أصغر ما يكونون . انهم يتحولون الى جنود وأنصار وإلى أنبياء ومعلمين لما يجب رفضه ومقاومته .

ان المتلاؤمين لا يصبحون فقط عاجزين عن مقاومة أو عن رفض الطغيان والغباء والظلم والفساد والعبث والتفاهات والآلام والحقارات والحروب والعدوان والعداوات فقط كالموتى ، ولكنهم يصبحون أكثر من ذلك وشرا من ذلك . انهم يتحولون الى أنصار ومعلمين وحماة لما يعجز الموتى عن مقاومته ورفضه . ان الخاضعين للتلاؤم قتلى يصلون لقاتليهم ويموتون دفاعا عنهم ، واعجابا بهم ، وثناء عليهم ، وانبهارا بمزاياهم . انه لا يوجد مقتول أو مهزوم أو مهان أو مستعبد أو مضلل أو مفقوء العينين مثل الانسان لانه لا يوجد متلائم ومفروض عليه التلاؤم مثل الانسان .



ايها الانسان . . انت قاتل ، قاتل لنفسك ، ولكل أفرادك ، ولكل من يعايشونك أو يمارسونك بالرؤية والمواجهة والتفكير . أنت لا تكون ألا قاتلا ، لا تكون الا قاتلا مقتولا . انت قاتل لانك فارض للتلاؤم ، ومقتول لانك مفروض عليك التلاؤم . أنت أبدا قاتل مقتول .

أنت قتلت لنفسك ، ولافرادك ، ولكل من يهبطون اليك من العوالم المجهولة كما قتلت هذا الكائن الفلكي هبط اليك . أنت قتلت بالصلب والتسميم ، أو بما معناه الصلب والتسميم ، أو بما هو أبشع من الصاب والتسميم . ان القتل بالصلب والتسميم بل وبالحروب هو أقل عنفا وشمولا من القتل بالتلاؤم .

أنت تقتل كل من يحدقون فيك أو منك ، أو من تحسبهم كذلك بالصلب والتسميم وبما معناه الصلب والتسميم ، وبما هو أقسى من الصلب والتسميم . حتى الآلهة ، لقد قتلتهم لأنهم كانوا يحدقون فيك . لقد قتلت فيهم الرؤية والرفض والاشمئزاز والجمال والعدل والمنطق والرحمة . حتى الآلهة لقد قتلتهم لأنهم كانوا يحدقون فيك .

وأنت تقتل كل أفرادك ومجتمعاتك ممن لا يحدقون ولا يستطيعون أن يحدقوا ولا يريدون أن يحدقوا ، ولا يعرفون كيف يحدقون . . تقتل هؤلاء بفرضك التلاؤم عليهم . تقتل رؤيتهم وغضبهم ورفضهم واستبشاعهم وتفكيرهم ومنطقهم وذكاءهم وانبهارهم وحماسهم ونظافتهم وكبرياءهم وشرفهم وكرامتهم وشجاعتهم وصدقهم واحترامهم لأنفسهم ولبنائهم ولحوافزهم ولاهدافهم ولاعضائهم ولشهواتهم وجوعهم . انك تقتل هؤلاء بالاسلوب الذي قتلت به الآلهة . لقد قتلت في الآلهة كل اساليب المقاومة والغضب والرفض ، وهكذا قتلت هؤلاء ، وهكذا قتلت في هؤلاء .

أنت تقتل هؤلاء ، تقتلهم وتقتلهم حتى يتقبلوا وجودهم ووجود ما حولهم وكل وجود يفرض عليهم ، حتى يتقبلوا املاء اعضائهم واملاء جوعهم واملاء عجزهم وآلامهم ومخاوفهم وضروراتهم وورطاتهم وعارهم — حتى يتقبلوا املاء كل ذلك على حياتهم وعلى كل ما يزعمون لانفسهم من كرامة وذكاء وشرف واباء وشجاعة وكبرياء ورفض وشموخ — حتى يتقبلوا كل ذلك كثناء عليهم ، ومحابة لهم ، وكتحضية لا مثيل لها من أجلهم — حتى يتقبلوا كل ذلك كأعظم تمجيد لوجودهم ، كأعظم تحية لهم من الآلهة أو من الطبيعة — حتى يتقبلوا كل ذلك وكأنهم بتقبلهم له انما يهبون الشمس مزيدا من الضوء والضخامة والارتفاع والكبرياء .

انهم يتقبلون لانهم مقتولون ، لا لانهم فاهمون ، أو مقتنعون أو معجبون أو راضون . انهم يتقبلون آلهتهم ومذاهبهم ومثلهم وقيمهم وأخلاقتهم

وتعاليمهم وعقائدهم وأديانهم وأوطانهم وزعماءهم وأنبياءهم ومعلميهم وكل أساليب ومستويات ونماذج حياتهم وأهدافهم وحوافزهم ونياتهم واقتناعاتهم وممارساتهم . انهم يتقبلون كل ذلك بالاسلوب وبالمناطق الذي يتقبلون به وقوع الذباب على طعامهم وعلى عيونهم وكما يتقبلون ان الذباب ليس الا هدية اكرم الالهة .

انهم يتقبلون كل ذلك كما يتقبلون اعضاءهم ، وكما يتقبلون جوع اعضاءهم ، وكما يتقبلون بذأة وفحش ووحشية وتلوث اعضاءهم . وانهم يتقبلون اعضاءهم وجوعها وبذاعاتها وفحشها ووحشيتها وتلوثاتها كما يتقبل الموتى قبورهم واكفانهم .

انهم يتقبلون كل ذلك كما تتقبل اعضاءهم اخلاقها وتلوثاتها وفحشها وبذاعاتها ووحشيتها .

انهم يتقبلون ذلك لانهم مقتولون قد ماتوا ، لا لانهم غاهمون أو مقتنعون أو معجبون أو راضون . انهم يتقبلون كل ذلك كما تتقبل الالهة احزانها وآلامها ومستوياتها — انهم يتقبلون كل ذلك بالاسلوب والمناطق اللذين تتقبلهم بهما الالهة وتتقبل تعاملها معهم وتعاملهم معها وتلوثهم امامها .

أيها الانسان . . هل انت الانسان ؟ هل انت كل الانسان ؟ هل انت بدايته ؟ هل انت نهايته ؟ هل انت الطريق اليه ، هل انت الهرب منه ؟ هل انت تفسيره ، هل انت صيغته في مرحلة وطور من مراحل أطواره ، أم انت الصيغة الدائمة والتفسير الدائم له في كل صيفه ومراحله ؟ هل انت تطوير لنفسك وخروج عليها ، أم انت تضخيم لنفسك وتمكن فيها ؟ هل انت بحث عن المفارقة أم تمكين للبقاء ؟

هل انت العيب الذي يتحول الى منطق ، أم انت العيب الذي يتعاضم عيبه ؟ هل انت الذنب الذي يتحول الى توبة واستغفار ، أم انت الذنب الذي يتحول الى قسوة وأصرار ؟

هل انت التلوث الذي يتحول الى نظافة ، أم انت التلوث الذي تزداد قدرته على التلوث وتزداد اعضاءه وثيابه المتلوة ؟

هل أنت الدمامة التي تتحول الى جمال ، أم أنت الدمامة التي يتعاضم حجمها وتتكاثر وجوها الدميمة ؟

هل أنت الانانية التي تتخلى عن نفسها ، أم أنت الانانية التي تزداد استمساكا بنفسها وخضوعا لطغيانها وعدوانها ؟

هل أنت الجوع الذي يتداوى من جوعه ، أم أنت الجوع الذي تتكاثر احتياجات جوعه ؟ هل أنت الخوف الذي يتداوى من خوفه ، أم أنت الخوف الذي تزداد موهبته على أن يضاعف من أسباب خوفه ؟

هل أنت الآلام والمشاكل والهموم والمخاطر التي تضيق حدودها وانطلاقاتها فوق الأرض ، أم أنت الآلام والهموم والمشاكل والمخاطر التي تمتد حدودها وانطلاقاتها الى ما فوق النجوم ؟ هل أنت كائن تكبر أعضاؤه وتتسع قدرة خطواتها ، أم أنت كائن تتخلى أعضاؤه على أخلاقها ؟

✱ ✱

أيها الانسان . . أنت كائن يكبر ، فهل أنت تكبر في حجمك وفي قدرتك ، أم تكبر في معنك وتفسيرك ؟ هل أنت كائن يكبر في صفاته أم كائن يكبر في قدراته ؟

أنت كائن يتوالد ، فهل أنت تلد ذاتك في حجم وقدره أكبر على أن تكون ذاتك ، أم تلد كائنا آخر ، كائنا مناقضا في تفاسيره ، وفي حوافزه وأهدافه ونياته ؟

هل أنت تلد نفسك أم تلد نقيضك ؟

هل أنت كائن يكبر ، أم كائن يعظم ؟ هل أنت كائن يتعاضم معناه أم كائن يتعاضم وجوده ؟ هل تعاضم وجودك يعني تعاضم معنك وتفسيرك ونياتك وحوافذك وأهدافك ؟ وهل تعاضم وجودك دون تعاضم معانيك وتفسيرك ، ودون تعاضم نياتك وحوافذك وأهدافك ، شيء ينفك أو يريحك أو يمجّدك ، أو يجعلك شيئا تفسر به حكمة الآلهة وعبقريّة الطبيعة ، أو شيئا يجعل لوجود الآلهة أو لوجود الطبيعة تفسيراً مفهوماً أو مقبولا أو مغفورا ، أو يجعل لوجودك

ولاعجابك بوجودك تفسيراً من أي نوع وبأية لغة ؟

ان وجودك يتعاضم ويتغير ، ولكن معنك وتفسيرك لا يتعاضمان ولا يتغيران . ان تفسير أو معنى أي شيء لا يتغير مهما تغير وجوده . ان العبقرية هي تعاضم وجود لا تعاضم معنى ولا تعاضم تفسير . ان العبقرية هي تعاضم أعضاء لا تعاضم ذات ، انها تعاضم حركة لا تعاضم مستوى . ان العبقرية تجعلك كبيراً في حركتك دون أن تجعلك كبيراً في حبك أو في خوفك أو في جوعك أو في كبريائك أو في غاياتك .

ان كل شيء هو وجوده فقط ، لا تفسيره ولا معناه لانه لا تفسير ولا معنى له سوى وجوده . ان معنى وتفسير الشمس ليسا أكثر أو أفضل من معنى وتفسير أصفر هباءة . ان الفرق بين الشمس وبين أصفر هباءة هو فرق وجود لا فرق تفسير ولا فرق معنى .

وماذا يعني فرق الوجود دون فرق في التفسير أو المعنى ؟

ماذا يعني أن تكون ذاتك أو أعضاؤك في حجمها وحدودها أضعاف أضعاف ذاتك وأعضائك اذا ظل معنك وتفسيرك دون تغيير ؟ اذا ظلت نفسك ، وظلت احتياجاتك ومخاوفك ومجاعاتك وضعفك دون تغيير ؟

ليس الوجود الكبير ، ليس الحجم الكبير قد يتحول الى تعقيد اذا لم يكن لهذا الوجود الكبير أو الحجم الكبير معنى أو تفسير ، أي اذا لم يكن لهما معنى أو تفسير ملائم ، أي اذا لم يكن لضخامة الحجم والوجود ضخامة مماثلة في التفسير والمعنى ؟

ليس الحجم الكبير أو الوجود الكبير بلا تفسير أو منطق كبير تشويها كبيراً ؟

وماذا يعني أن تكون هذه الشجرة كبيرة بلا حدود اذا لم يكن لوجودها معنى أو تفسير ، واذا كانت خصائصها النفسية والذاتية لن تتغير ؟ ماذا يمكن أن تستفيد هذه الشجرة أو يستفيد أي شيء من كونها أي كون الشجرة كبيرة بلا حدود ؟ ماذا ربح الكون أو الآلهة أو البشر من كونه أي من كون الكون بهذا الحجم الساخر من منطق الآلهة والمشيقي لمنطق الإنسان ؟

هل يستفيد الفيل من وجوده الكبير أكثر مما تستفيد النملة أو العصفور من وجوده الصغير ؟ هل يستفيد منطق الاله أو منطق الطبيعة من وجود الفيل أكثر مما يستفيد من وجود العصفور ؟ هل يرضى الاله عن نفسه لأنه خلق الجبل الكبير أكثر مما يرضى عن نفسه أو أكثر مما يعجب بنفسه لأنه خلق الجبل الصغير ؟

هل ترضى الطبيعة عن نفسها أو تعجب بنفسها بهذا الاسلوب لو انها فعلت ذلك ؟

ان وجودك أيها الانسان يتفاوت كتفاوت وجود الفيل ووجود النملة ، او كتفاوت وجود أكبر كوكب ووجود أصغر هباءة ، دون أي تفاوت في تفسيرك او معنك او في خصائصك النفسية والذاتية والمنطقية . أنك تتحضر وتتعاظم في وجودك وفي حضاراتك ولكن هل تتحضر او تتعاظم في معنى وجودك او في منطق وجودك او في تفسير وجودك ؟ أليس ذلك كالضخامة في عضلات الاله دون أية ضخامة في منطقته أو في أخلاقه ؟

★ ★

ان العبقرية ليست تفاوت تفسير أو معنى ، بل تفاوت وجود ، انها تعاظم اعضاء او كينونة ، وليست تعاظم قيمة او شرف او طهارة او كبرياء .

ان هذا هو أنت أيها الانسان .. انك أنت هذا فقط ، فقط .

هل أنت اذن عظيم ؟ هل أنت ربح أو مجد لنفسك أو لغريك ؟ هل أنت كائن فيه أي مجيد لعبقرية الاله أو لعبقرية الطبيعة أو لاية عبقرية ؟

كيف رَأَى كلُّ العُقُول

« .. كيف أمكن أن يتفق الناس الكثيرون جداً المختلفون المتفاوتون جداً في جميع مستوياتهم وظروفهم العقلية والثقافية والعلمية والنفسية والأخلاقية والتاريخية والميلادية بل وفي أهوائهم وهمومهم ومصالحهم ومواجهاتهم وتجاربهم ؟ كيف أمكن أن يتفق كل هؤلاء على الاقتناع باله واحد أو بنبي واحد أو بزعيم أو بمذهب أو دين واحد أو بأعداد هائلة من المعتقدات المتنافرة المتنافية المتناقضة البليدة المهجبة التي ترفض كل العقول منطلقها وترفض كل العيون دمايتها وترفض كل الأخلاق والحضارات وحشيتها ؟ كيف أمكن أن ترى عيون كل هؤلاء الناس هذا الإله أو هذا النبي أو هذا الزعيم أو هذا القديس أو هذا البطل أو هذا الدين أو هذا المذهب بكل هذه المزايا والأخلاق والتفوق والقوة والجد والخلود ؟ كيف أمكن أن يروه جميعاً نفس الرؤية الواحدة ؟ كيف توحدت كل عيونهم في عين واحدة وعقولهم في عقل واحد ونماذجهم في نموذج واحد ؟ لقد توحدوا في إيمانهم ورؤاهم لأنهم لا بد أن يتوحدوا في مواقفهم وسلوكهم ، ولم يتوحدوا في مواقفهم وسلوكهم لأنهم متوحدون في إيمانهم أو رؤاهم ... »



أنت محكوم عليك بأن تعيش مع الآخرين ، بل في الآخرين ، وكما يعيش الآخرون . إذن أنت مقضي عليك بالبحث عن التوافق معهم وبالترام هذا التوافق في جميع نماذجه وأساليبه المختلفة ، أي في السلوك وفي التفكير وفي الإيمان والاقتناع والاعجاب ، وفي الرفض والاستنكار ، بل وفي البغض لأنك محكوم عليك بالبحث عن التوفيق بين أفكارك ونظرياتك وبين ظروف حياتك وتصرفاتك ، بل محكوم عليك بالترام وتحقيق هذا التوفيق . لان الشقاق بين هذا وهذا يعذبك وقد يفضحك أحياناً .

ان خروجك في سلوكك على المجتمع شيء لا تستطيعه ، ولعلك أحياناً لا تستطيع ارادته . وان خروجك في فكرتك أو في مذهبك أو في اعتقادك على سلوكك شيء يشقيك ويؤذنبك ، وقد يهجوك ويدولك الى متهم .

انه لمازق قد حكم عليك بمواجهته . لقد واجهته باحثاً عن الراحة لا عن

انصدق ، وبلاستسلام لا بالمقاومة . لقد واجهت هذا المأزق كما كان ينتظر منك ومن كل من كان في موقفك أن يواجهه .

انك لا تعتقد ما يعتقد الناس من أديان أو مذاهب أو تعاليم أو أخلاق لانك مقتنع به أو فاهم له أو حتى مفكر فيه أو متصور أو محترم له ، بل لانك محكوم عليك بالتلاؤم معهم في سلوكهم وحماساتهم وفي عبادتهم لاوثانهم . لقد فرضت عليك الحاجة الى التلاؤم السلوكي الحاجة الى التلاؤم الفكري أو الاعتقادي أو المذهبي . لقد اعتقدت ما اعتقد الآخرون ، لانه محكوم عليك أن تفعل ما يفعلون أو أن تبدو كما يبدو . أنك لم تتظاهر أو تنافق فقط بل لقد اعتقدت من داخلك . لقد عاش الآخرون في عقلك كما عاشوا في سلوكك ومواقفك .

لقد آمنت بجمال الوثن وبإلهيته ، وزعمت ذلك لانه قد حكم عليك بالسجود له . لقد كان ذلك أكثر راحة وأمانا لك وتوافقا ذاتيا من أن تسجد له مع اقتناعك وإعلانك بأنه لا جمال فيه ولا إلهية له .

لقد كان الإيمان من الداخل يهيك الراحة والرضا عن النفس أكثر مما يهيك ذلك الأنفاق .

لقد أدركت أن من الصعب أو من المستحيل أو من القتل أو من العذاب أو الهوان أو الضياع والمطاردة الخروج على سلوك الجماعة أو على السلوك المفروض عليك ، لهذا أدركت أن من التشويه والتهديد والتوبيخ لك أن تكون أفكارك أو مذهبك أو عقائدك خارجة على السلوك الذي لا تستطيع الخروج عليه .

لقد اضطرت الى التوفيق بين آرائك وسلوكك ، أي بين ذاتك وذاتك، أو بين ذاتك ورؤيتك لذاتك ، أو بين ما يراه الناس منك وما تراه أنت من نفسك . لقد كان معنى هذا أن تفكر تفكير الجماعة ، وأن ترى بعيونها ، وأن تفسر وتؤمن بمنطقها إذ لم يكن بد من أن تسلك سلوكها .

انك اذا كنت مبدوعا من رؤية الاشياء أو من رؤية أي شيء فان المعقول لك ومنك حينئذ أن تغلق عينيك بل أن تفقأهما .

ان العيش والتوافق مع الآخرين لا بد ان يعني فقء العينين أو اغلاقهما .

انه لا يوجد من لم يفتقوا عيونهم أو يغلّقوها . انه لم يوجد من لا يحتاجون الى ذلك . وانك اذا كنت لا تستطيع أن تنقد أو ترفض ، ولا تستطيع أن تؤمن أو تقبل فان المنطق حينئذ لا تحاول أن تفكر أو تفهم .

وانك اذا كنت لا تستطيع الا أن تصلي للطغيان في جميع معابده العامة فان المريح الملائم لك حينئذ والاكثر سترًا لعارك وهوانك ، وتخفيفا من تعذيب أخلاقك لك ومن احتجاجها عليك ، هو أن تذهب تحاول البحث عن أسباب الاختناغ بمزايا الطغيان ، بمزاياه المذهبية أو الدينية أو القومية أو الوطنية أو الانسانية ، وان تجد هذه الأسباب المقتنة . ان عارك المحول الى مذهب أو دين أو نظام تؤمن به قد يكون أقل تعذيبا لك من عارك بلا دين أو مذهب .

انك تحت الظروف المحرّضة قد تنافق وتستطيع أن تنافق ، ولا بد أن تنافق ولو أحيانا . وهل يوجد في الناس من لا ينافقون أو من يستطيعون الا ينافقوا ؟ ولكن النفاق ليس نشوة روحية أو مجدا روحيا . انه ليس استمّاعا أو انتصارا أو مجدا من أي نوع . ولكنه أي النفاق تعذيب وتشويه ومعاناة باهظة . وقد يكون أسلوبا من أساليب التضحية أو الفداء أو النضال انشاق . قد يكون أسلوبا من أساليب البكاء أو من أساليب الشتم للذات . قد يكون المنافق انسانا يبكي نفسه ويهجوها بأقصى الأساليب وأشدها حزنا ومرارة .

لعل المنافق ليس الا انسانا يعاقب نفسه وذكائه وضميره وأخلاقه ويقاتلها ويتحدّاه وينشق عليها . لعله يرثيها بصدق وقداسة ودموع فيها كل الاحزان .

ان المنافق قد يكون مظلوما ومعتدى عليه ومضطهدا وفدائيا وانسانيا مهما بدا غير ذلك أو نقيض ذلك . هل يوجد أحق بالرثاء أو الاعجاب أو الحب من انسان لا يستطيع أن يقتنع ثم لا يستطيع أو لا يجرؤ أو لا يقسو ليقول انه غير مقتنع ؟

لهذا كان من الأسهل عليك والارفق بك — ولو أحيانا — أن تخضع منطقك لسلوكك أو لموقفك المفروض عليك بدليل أن تنافق وأن تقاسي كل

أهوال النفاق وهوانه وحقارته وتهديداته واحتمالات افتضاحه أو افتضاحك به . ان المنافق ليس الا انسانا يبكي ويصلي مهما بدا يغني ويضحك ويعصي . انه يتعذب مثل شهيد ..

ان توحيد مذهب المجتمع أو توحيد دينه أو الهه أو زعامته أو تعاليمه وتقاليده لا يؤكد حقيقة فكرية ، بل يؤكد سلوكا جماعيا محتوما أو مفروضا . ان هذا التوحيد المثير يؤكد أننا لا بد ان نكون أدوات مخلوقة مسحوقة في الجهاز الكبير الرهيب ، أي ان نكون بلا حرية مهما كانت الحريات موجودة ومشروعة ومنادى بها وممارسة ، ومباحة ، ومعروضة في جميع الاسواق والمعابد ، وفي جميع القوانين ، ومن فوق جميع الاجهزة والمنابر ، بلا اي منع أو محاسبة . اننا لا نعيش الحرية بقدر ما تكون موجودة أو مبذولة أو مطلوبة بل بقدر ما نستطيعها أو نريدها أو نسعد بها ، ان الحرية ليست دائما ربحا أو شهوة .

ان حرية أي انسان في المجتمع أو امام املاء المجتمع لا تساوي اكثر من حرية أي عضو من أعضاء الجسم في الجسم وامام املاء الجسم وضغوطه عليه . انها حرية قانونية أو افتراضية فقط . ان هذه الحرية ليست هي كل الحرية ولا اقوى أو أفضل انواع الحرية . انها كحرية الجسم في ألا يشيخ أو يمرض أو يضعف أو يموت .

ان عقل الانسان وحرية وشجاعته مسحوقة ومهانة ومهزومة تحت وقع واملاء هذا الجهاز الرهيب . ان ضرورة التوافق أو التوحد مع الآخرين أو مع المجتمع هي اقوى وأشم وأخذ وأشهر الاعداء لحرية الانسان .

انهم ليسوا الطفلة هم اقوى من يسلبوننا الحرية . ان الطفلة ليسوا سوى عمل صغير رديء في الجهاز الضخم الذي يأكل حرياتنا .

ان التوحد أو التوافق في أية فكرة أو سلوك لا يعني فهما موحدا ولا مستوى موحدا أو حتى متقاربا من مستويات الذكاء أو عمق الحساسية أو من مستويات القدرة على الرؤية أو على النظافة والنزاهة والمقاومة امام الحقائق والاحداث ، أو امام المشهد أو الموقف الواحد . ان المتوحدين أو المتوافقين ليسوا متوحدين أو متوافقين في تفاسيرهم اكثر من المختلفين المتنازعين المتقاتلين .

ان هذا التوحد أو التوافق انما يعني أن حاجة الآحاد الى التوحد والتلاؤم في سلوكهم ومواقفهم هي التي تصوغ أفكارهم وعقائدهم وتوحدوها . انه يعني ان عمل الناس هو الذي يصنع مذاهبهم وأديانهم وتعاليمهم الموحدة . أنه يعني أن ضغوط المجتمع على آحاده هي التي تصوغهم صياغاتهم المذهبية والدينية والتعايمية والسلوكية وجميع صياغاتهم .

ان البشر ليسوا وحدات مفروضا عليها أو مطلوبا منها أن تتوحد في سلوكها وفي صيغها ومواقفها الاجتماعية لأنها وحدات مفروض عليها أن تتوحد في اقتناعاتها العقلية . ولكنهم وحدات مفروض عليها أن تتوحد في اقتناعاتها العقلية لانهم وحدات مفروض عليها أن تتوحد في سلوكها وفي صيغها الاجتماعية . أنهم مستعبدو العقول والعقائد لانهم مستعبدو الصيغ والسلوك والمواقف والأخلاق .

ان البشر وحدات لها سلوك وصيغ اجتماعية تتحول الى صيغ فكرية ومذهبية ودينية وتعليمية ، وليسوا وحدات لها اقتناعات عقلية أو مذهبية أو دينية أو تعليمية . ان الاقتناعات العقلية والمذهبية والدينية والتعليمية ليست مأخوذة من ذاتها ولا موجودة من أجل ذاتها أو في ذاتها .



انه لصعب جدا تصور هذا . كيف أمكن أن يحدث هذا الذي يصعب تصويره ، بل أن يصبح هذا الذي يصعب تصويره هو انذى يحدث دون منازع أو بديل . ؟ كيف حدث أن هذا الذي يصعب تصويره هو الذي يحدث دائما في كل التاريخ وفي كل المجتمعات ؟

كيف أمكن أن يتفق كل هؤلاء الناس المختلفين المتفاوتين جدا في جميع مستوياتهم وظروفهم العقلية والثقافية والعلمية والنفسية والاخلاقية والميلادية والتاريخية ، بل وفي أهوائهم ومصالحهم وهمومهم وتجاربهم ومواجهاتهم ؟

نعم ، كيف أمكن أن يتفق جميع هؤلاء على الاقتناع باله واحد أو بنبي واحد أو بزعيم واحد أو بذهب أو دين واحد ، أو بأعداد هائلة من المعتقدات المتنافرة المتنافية المتناقضة البليدة الهمجية التي ترفض منطقتها كل العقول ، وترفض دماياتها كل العيون ، وترفض وحشيتها وبذاعتها كل الأخلاق ؟ كيف أمكن أن يتسع نعش واحد أو قبر واحد لتوضع فيه كل الجثث في وقت واحد وحالة واحدة ؟ كيف أمكن أن يحتلم كل الناس بهذه الذات الواحدة ، بهذا

الاسلوب الواحد ، في هذه الليلة الواحدة ؟

كيف أمكن أن ترى عيون كل هؤلاء الناس هذا الإله أو هذا النبي أو هذا الزعيم أو هذا القديس أو هذا البطل أو هذا الدين أو هذا المذهب بكل هذه المزايا والمواهب والأخلاق والذكاء والصدق والخلود والتفوق والقوة والمجد ؟ كيف أمكن أن يروه جميعا نفس الرؤية الواحدة ؟ كيف توحدت عيونهم

في عين واحدة ؟

كيف أمكن أن يحدث هذا ، أن يحدث هذا الذي يصعب تصويره ؟

من الممكن أن يقال انهم اتفقوا على ذلك بالتلقين . وحتما لقد تلقوا ذلك تلقينا . وفي كل التاريخ كان التلقين أقوى وأذكى وسائل الاقتناع . انه أقوى وأذكى من كل منطق . ان البشر لم يجدوا أو يواجهوا منطقا له العالمية التي لمنطق التلقين .

لقد كان التلقين سلاحا لا مثيل له بين الأسلحة . انه سلاح يطلق على كل انسان ، ويصيب كل انسان ، ويستسلم له كل انسان . لقد كان التلقين هو السلاح السري الذي صنع أمجاد وانتصارات جميع الانبياء والزعماء والدعاة الماكريين .

ولكن كيف امتلك التلقين كل هذه القوة الخارقة ؟ هل كان يمكن أن يكون له كل هذا الجبروت الاملائي لولا قوة السلوك الجماعي وما له من طغيان وسلطان له كل جبروت الاملاء والانتصار ؟

لماذا احتاجت المجتمعات الى التلقين وابنتكرته ومارسته ؟ ولماذا جاء مقبولا وقويا في جميع المجتمعات ؟

هل يمكن أن يمتنع التلقين العقول ، أو أن يفهم الملقنون ما يلقدنون لولا قوة الاملاء في سلوك الجماعة والمجتمع ؟ وهل الملقنون في مستوى عقلي أو علمي أو ثقافي واحد لكي يتساووا في الفهم والاقتناع ؟

اذن كيف تقبلوا التلقين وتساووا في تقبله ؟ ولماذا جاء التلقين ، وجاء بهذه الصيغة دون غيرها ؟

ان التلقين وصيغته ليسا الا بحثا عن سلوك ما بصيغة ما ، وليس الا تعبرا عن هذا السلوك وعن صيغته .

انهم لم يتقبلوا التلقين الا بقانون الخضوع لسلوك الجماعة ، وبقانون الحاجة الى التلاؤم والتوافق مع الجماعة .

ان قوة التلقين ليست الا تعبرا عن قوة الحاجة الى التلاؤم والتوحد مع الجماعة في تفاهاتها .

انه لمحترم ان نختلف ونتفاوت بل ونناقض في فهم وتفسير وتقبل ما نلقن لو كنا نلقى آلهتنا ومذاهبنا وعقائدنا عن التلقين وبالتلقين وحده ، لا باملاء سلوك المجتمع علينا ولا عن هذا الاملاء .

ان الانسان جماعي المساوك والموقف والحماقات والفضائح . لهذا كان محتوما ان يكون جماعي الالهة والانبياء والزعماء والمذاهب والاديان والغباوات . ان قيمة جماعية الغباء لا تساوي اكثر من قيمة جماعية السلوك والمواقف . ان الغباء الذي تؤمن به الجماعة يتحول الى قيمة لانه يتحول الى تفسير وتسويغ وتمجيد للسلوك الجماعي الغبي او العدواني او الفاضح او التافه .

اننا محتاجون الى ان نكون صيغة واحدة في معاداتنا للآخرين وفي حقننا عليهم وفي توحيد موافقنا منهم وفي قوة اصواتنا في سبهم واتهامهم ، لهذا كنا محتاجين الى ان نكون منطقا واحدا في تفسيرنا للاله او للمذهب او للنظام الذي سوف نفعل باسمه .

ان جماعية الانسان هي التي اقنعتته وتظل تقنعه دائما بآلهته وانبيائه وزعمائه وباديانه ومذاهبه وتاريخه وتقاليده وتعاليمه ، وليس الذي اقنعه ويقنعه هو ما رآه او علم او جرب في وجوه او في عقول او في اخلاق وضمائر ومواهب اربابه وانبيائه وزعمائه وتاريخه واديانه ومذاهبه وتقاليده وتعاليمه من جمال وصدق وذكاء ونظام وعبقريه وصداقة وحب ووضوح واشراق . ان هذه الجماعية هي التي اقنعتته بذلك ، وهي ايضا التي وحدته في فهمه وفي تفسيره لذلك .

ان هذه الجماعة الانسانية هي اقدر على الاقتناع وعلى صياغة المنطق من جميع الآلهة والانبياء والزعماء والاديان والمذاهب والتعاليم ، ومن جميع ما في الكتب المنزلة من جبروت وارهاب وفصاحة ووعد ووعيد ، ومن تهاويل وأهوال ، ومن نيران وجنات وسموات ، ومن آلهة لا مثيل لها في الشراسة والقوة والجوع والطغيان والانانية والكبرياء ووحشية الضمير والاخلاق . ان جماعة السلوك هي التي سوغت وتسوغ دائما للبشر حماقاتهم الكبرى الرهيبة . وليس منطقهم الضال أو المخدوع أو الكاذب المنافق هو الذي سوغ لهم ذلك . انه لولا جماعة السلوك وما لها من املاء لما استطاع أي منطوق ولا أي شيء أن يجعلهم يجرؤون على خوض حروبهم .

ان الانسان ليس كائنًا يفكر ويقتنع ثم يقتنع بأنه قد اقتنع ، ولكنه كائن يتلاعب . ان تلاؤم الانسان واحتياجه الى التلاؤم هما الهزيمة الشاملة الدائمة العالمية لذكائه ولكبريائه ولتفكيره ولحريته ولشجاعته وقوته وموهبته .

ان ضرورة التلاؤم في اخلاق البشر وفي سلوكهم وفي نياتهم وخوفهم وجوعهم وفي افكارهم ومشاعرهم ، وفي جميع مواقفهم ومواجهاتهم هي اطفى قوة في التاريخ قد اذلت وهزمت عقولهم وروضتها وصاغت في نماذجها البليدة الموحدة المستسلمة العدوانية الحقاء . انه لا شيء يستطيع أن يعتدي على حرية الانسان وعلى ذكائه بل وعلى اخلاقه وشهامته وعلى احترامه لنفسه ، بكل هذا الشمول ولديمومة مثل احتياجه الى التلاؤم .



اجل ، انه ليرحق الانسان ويحرجه ويؤنبه ، بل ويتهمه أحيانا أو دائما أن ينشق على ذاته بقدر ما يرهقه ويعجزه ويرهبه ويقتله أحيانا أن ينشق على مجتمعه . ان هذا لا بد أن يدفعه ، أو هو خليق بأن يدفعه ، دائما أو أحيانا الى أن يخضع ويهزم ذاته وكل ما فيها من أشواق وتطلعات واحتجاجات واحتمالات أخرى ، ليكون متوافقا مع ما يستطيع أو خاضعا له ، أي ليكون آمنا ومستقرا ومستقرا ومحترما أو متقبلا ، أو واجدا نفسه في الآخرين ومعهم ، أو محاولا لذلك . ان كل انسان محتاج الى أن يجد نفسه على نحو ما وبأسلوب ما مع الآخرين وفي الآخرين .

ان الذي لا يستطيع أن يقف الموقف الذي يتمناه ويمجده سيحاول الا يكون تفكيره تفكير ذلك الموقف الذي يتمناه ويحترمه ولا يستطيعه . انه

حينئذ سيحاول أن يجعل تفكيره متلائما مع الموقف الذي يستطيعه .

ان الناس يضلون ويفسدون ويهونون ويتبدلون ويعجزون بتفكيرهم حينما يقعون تحت ظروف تضطربهم الى أن يكونوا كذلك بسلوكهم ومواقفهم . انه لشبه المستحيل أن تكون ضال الموقف ، بليده ، غويه ، ثم تكون مستقيم المنطق ، ذكيه ، تقيّه .

ليس المحكوم عليهم بأن يكونوا رجعيين في حياتهم ، أي بأن يحيا كما يحيا الرجعيون ، أو بالاساليب والمستويات والأخلاق التي يحيا بها الرجعيون محكوما عليهم بأن تكون أفكارهم من الداخل رجعية ، أو بأن يحاولوا ويتمنوا أن تكون أفكارهم كذلك ، ولو غالبا أو أحيانا ؟

انه ليس فينا من يريد أو يتقبل بلا اضطراب أو الزام أن يرى نفسه أو يراه الآخرون خارجا في أهوائه ، أو في مواقفه ونياته ، على عقائده ، أو على نظرياته ، أو على مذهبه ودعاواه . لهذا فاننا إذا لم نستطع أن نعمل ونكون كما نفكر فاننا سنحاول أن نفكر — من داخلنا — كما لا بد أن نعمل ونكون ، أو كما نستطيع أن نعمل ونكون . أما أن نعمل ونفكر دون أن يتدخل الآخرون ، أو دون أن نحسب لهم حسابا فهذا هو أحد المستحيلات المقنعة باستحالتها . ان عيوننا ومشاعرنا وأفكارنا لا بد أن تحقق في الآخرين برهة أو بأمل أو بانهمزام أو بنفاق كلما حاولنا أن نتحرك أو نفكر ...

ان قدرتنا على أن نكون نتدخل دائما في قدرتنا على أن نفكر . ولكن هل نتدخل قدرتنا على أن نفكر في قدرتنا على أن نكون ؟

اننا محكوم علينا بأن نحاول موافقة الآخرين فيما يرون إذا لم نستطع مخالفتهم فيما يعملون . ان الذي لا يستطيع أن يحول خلافاته الفكرية أو المذهبية أو الدينية الى مواقف باسلة متحدية معلنة لا بد أن يجد ضرورات وذغفوطا وأسبابا كثيرة وقوية تدعوه أو تحتّم عليه التخلص من تلك الخلافات ، أو تفتح امامه الباب لكي يفعل ذلك .

انه لشيء مؤلم ومخرج ومذل مخيف لنا أن نتصور أنفسنا أو أن يتصورنا الآخرون غير أحرار ، أو غير صادقين ، أو غير مختارين لسلوكنا أو لأرائنا التي نرى بها أربابنا وزعماءنا وأنبياؤنا ومذاهبنا وأدياننا . نحن نريد دائما أن

نبدو لانفسنا وللآخرين في أجمل وأصدق وأقوى وأشجع الصيغ الإنسانية .

اننا لهذا لا بد أن نحاول الهرب من هذا النصور لانفسنا أو من هذا الموقف . أنه تصور أو موقف لا بد أن يجعلنا نتعذب ونعاني من الشعور بالعار والمذلة والهزيمة مهما كانت ضالة أحترامنا لانفسنا . وسيكون أسلوبنا أو أحد أساليبنا في الهرب من ذلك هو أن نحاول اكراه تفكيرنا على التوافق مع السلوك والتفكير اللذين لا نستطيع مخالفتهم .

ان سلوك الانسان مقيد أكثر وأشمل من تقييد تفكيره . لان السلوك مكشوف ومتصادم ومناقض أكثر . ولكن تفكيره محتاج أيضا الى التقييد بسلوكه . لهذا فان التفكير خاضع للقيود لان السلوك خاضع لها أكثر . وهل يمكن أن يخضع التفكير لأي شيء لولا خضوعه للسلوك ؟ أنه سيجد الكون أكبر منه . ولكن هل يخضع له لولا خضوعه للسلوك ؟

انه اذا كان محتوما علينا أن نعمل ونفكر مكرهين فان من الأفضل والأجمل بنا ولنا أن نحتال على الاقتناع بما أكرهنا عليه ، لنكون مختارين أو لنبدو كذلك . اننا نقتنع بما أكرهنا على الالتزام به بلا تدبير . ان الفروق بين اقتناعات الناس المذهبية والدينية والتعليمية هي فروق كينونات لا فروق تفكير .

ان الانسان قادر على اخضاع سلوكه . وانه أيضا لقادر على اخضاع تفكيره . أنه ليخضع تفكيره وليس تعبيره فقط عن تفكيره .

ومهما تحدث الانسان عن أفكاره الحرة وعن شجاعته فأليست شجاعته وحيثاته الا تعبيراً عن خضوعه . ان الخضوع أسلوب من أساليب الحرية ، كما أن الحرية أسلوب من أساليب الخضوع . أن خضوع النهر في جريانه صيغة من صيغ الحرية ، وان حرته في جريانه صيغة من صيغ الخضوع .

ان الخضوع والحرية كلاهما حرية ، او كلاهما خضوع ، او كلاهما حرية وخضوع . أن الفكر المتوقد المتلطف المتطلع المحقق بشراسة ليس حراً في الا يكون كذلك ، وان الفكر الخامد الغافر المغضي حر في أن يكون خامداً غافراً مغضياً ان كلا الفكرين حر أو كليهما غير حر ، أو كليهما حر وغير حر .

كيف يمكن ان يجمع كل هؤلاء البشر بمثل هذا الاسلوب والتتابع والاختناع على الايمان بأساطيرهم وتعاليمهم المختلفة ، حتى لكانهم قطع من الطين أو التراب ، توضع كل أحجامها وأشكالها على مقياس واحد ؟ من وهب عقولهم كل هذه القدرة على الاختناع الموحد ؟ كيف استطاعت عقولهم أن ترى وتعلم وتؤمن وتقتنع دون أن تستعمل نفسها ؟

نعم ، لقد وجدوا انفسهم مقتنعين أو وجدوا عقولهم مقتنعة . ولم يناضلوا ليكونوا كذلك .

هل كان ممكنا أن يوحد الناس ايمانهم وعقائدهم ورؤيتهم لارياهم لو لم يكونوا محتاجين الى أن يوحدوا صلواتهم ومعابدهم وهتافاتهم وخطواتهم الحمقاء ؟ كيف كان يمكن أن نرى هذا الاله جميعا ، وأن نراه بهذه الصيغة وبهذه الصفات والاخلاق والشهوات والارهاب ، وبهذا الاحتياج الى صلواتنا وعباداتنا ، والى هزائنا وضعفنا وتملقنا له ، لولا حاجتنا الى أن نقف في طابور واحد ، والى أن نبكي بلغة واحدة ، والى أن نكذب ونفتضح ونمارس العار والتفاهة والهوان والغباوت بأسلوب واحد وصيغة واحدة ؟ لقد رأيناه هكذا لاننا مضطرون الى أن نمارسه ونمارس أنفسنا هكذا . لقد أصابت الحماسة كل عقولنا لانها لا بد أن تصيب كل سلوكنا . لقد توحدنا في المنطق لتوحدنا في السلوك . انما لقضية مفهومة أو يجب أن تكون مفهومة . انها لقضية لا بد أن تظل غير مفهومة ولا ينبغي أن تكون مفهومة مهما كانت مفهومة ووجب أن تكون مفهومة .

ان الذين يفرضون علينا سلوكا معينا هم حتما يفرضون علينا تفكيرا معينا أي مذهبا معينا أو دينا معينا أو تعاليم ونظريات معينة ، أي يفرضون علينا الاختناع بذلك . أي انهم يصنعون لنا هذا الاختناع ، وليسوا فقط يطالبوننا به ، أو يريدونه لنا ، أو يفرضون علينا اعلانه فقط .

اذن فالبشر ليسوا كائنات معتقدة أو مقتنعة أو مؤمنة ، بل هم كائنات ملتزمة أو متتابعة ، تدعو التزامها وتتابعها اعتقادا وايمانا واقتناعا ومذاهب واديانا ونظريات .

ان المراد هنا الالتزام بالآخرين وبالوقوف في الطابور الطويل لا بالاخلاق أو بالمثل . فالمذهب والاعتقاد هما تناسخ من المجتمع وذوبان فيه ، وهزيمة

نقلها منه ، وليس اي المذهب والاعتقاد فهما او اقتناعا او بحثا عن الافضل
او الاصدق او الاذكى . ان المذهب والاعتقاد أسلوب من اساليب الوقوف في
الطابور الطويل ، وليس موقفا ذهنيا او اختراقا ذهنيا .

ومع ان قانون الذوبان في المجتمع هازم ومذل لشجاعة الانسان ولحرية
وذكائه وكبريائه الا ان هذا القانون مفيد لحياته ولحاجته الى النظام
والاستقرار ، والى الشعور بالامن الروحي والفكري والاخلاقي . ان الاستعباد
الروحي والعقلي حاجة انسانية تجيء بأسلوب عدوان وطفيان وخداع وكاذب .

ان الانسان محكوم عليه بالا يجد نظامه واستقراره الا في خروجه على
نماذجه التي يفكرها ويمجدها ويتحدث عنها وبتمناها ويزعم انه يحياها .

انه لمحكوم على الانسان بأن يكون فوق جميع النماذج المعروفة
والمستطاعة في طموحه وأفكاره ، وفي نماذجه المذهبية والدينية والتعليمية ،
وتحت جميع النماذج المعروفة والممكنة في هوانه وخضوعه ، وفي يمانه
وتصديقه وافتضاحه .

ان ضرورة التوافق والتوحد مع الآخرين تحول الانسان الى نموذج بلا
شبيه في فقدته للشجاعة والذكاء والحرية والاحترام للنفس . انها تحوله الى
كائن لا مثيل له في العدوان عليه . ولعله لا يوجد كائن غير الانسان او مثل
الانسان يسعد ويستريح ويستقر ويتهذب ويتدين بالعدوان عليه .

انك لن تجد او ترى او تتصور صيغة للتعبير عن ان فقد لجميع مستويات
واساليب الشجاعة والحرية والكرامة والذكاء والرفض مثل ان تجد ملايين
البشر يصلون لاله واحد ، في معبد واحد ، وبنشيد واسلوب واحد ، وبجبهة
واحدة ، وبقامة واحدة ، وباقنناع واحد ، وبرؤية واحدة ، وبمستوى واحد
من الخوف والاستسلام والامل والانتظار . وانك اواجد دائما هذه الملايين من
البشر يصلون هذه الصلاة بكل صفاتها واساليبها وظروفها لمثل هذا الاله .

او مثل ان تجد كل هذه الملايين من الصيغ البشرية تؤمن بمزيا او ببطولة
او بعبقرية زعيم واحد ، هاتفة مطيعة مصلية له ، فائدة كل ذكائها ومنطقها
وحرقاتها ورؤاها ووقارها ، متوحدة في اقتناعها به ، وفي اصابتها كلها بنوع
الجنون والغباء ، وبكل الجنون والغباء اللذين يصاب هو بهما ، متدافعة

ومتداعية ومتناصحة ، ومقنعا بعضها بعضا بمزايا وشرف وبطولة احدى حماقات الموت والخراب الكبرى التي يسوقها اليها زعيمها الواحد أو الهها الواحد . وانك لو اجد دائما ذلك بكل بشاعته وذنوبه ومهانته . انه لا يوجد كائن غير الانسان أو مثل الانسان تتحول جميع جبهاته وقاماته الى جبهة واحدة وقامة واحدة .

ان الانسان حتى في أعلى وأعظم مستوياته ليس الا حشرة موهوبة ومعدة للموت في أحد المعابد ، مؤمنة مصلية لاحد الآلهة ، أو للموت في احدى الحماقات أو الحروب الكبرى ، مصدقة مطيعة هاتفة لاحد الزعماء ، أو لاحد المذاهب أو لاحد الشعارات ، مقتنعة ببطولة موتها وبذكائه وبشرفه وبخلوده وبعاليته وبمؤذنيته المذهبية أو الدينية أو الاخلاقية أو الوطنية أو الانسانية . ان الموت في احدى الحماقات الكبرى بطولة وشرف وخلود وذكاء . لقد عد ذلك كذلك واقتنع به كذلك لانه وقوف في الطابور الطويل الذليل .

ولكن كلا . ان الانسان ليس حشرة فقط . انه ليس حشرة لها كبرياء الحشرات ، ولها رفضها ووقارها وعصيانها الفكري والروحي والنفسي . ان الحشرات لا تطيع الاكاذيب والغباوات طاعة فكرية أو روحية أو نفسية . انها اذن لانبل عصيانا .

ان الانسان حشرة اكثر افتضاحا وهوانا واستسلاما وطاعة وتصديقا . انه حشرة تؤمن وتصلّي وتهتف وتحول هوانها واستسلامها وافتضاحها الى مذاهب واديان وتعاليم . انه ليس حشرة تخاف وتجوع وتهون وتفتضح وتتلوث بصمت أو بوقار أو بغضب أو بلا دعاوى وتفاسير وتسويغات عقلية ودينية واخلاقية . انه حشرة تعلن عن معانيها ومستوياتها وضعفها بالايمان والهتاف وبالصلوات في المعابد ، وفي مواكب ومغامرات الطغاة والقتلة والمجانين .

انه حشرة مؤمنة مصلية هاتفة . انه اذن أكثر من حشرة . ان الحشرة لا تحول اخلاقها الى ايمان وصلوات وهتافات موحدة ومقاتل عليها وباسمها .

انه ليست للحشرات جباه تسجد عليها وبها ، ولا حناجر تحولها الى هتاف وتسابيح وانشيد للطغاة وللآلهة وللمهرجين وللاكاذيب من كل جنس . وليست لها أي للحشرات تفاسير تفسر وتسوغ بها الجنون والغباء وجميع الحماقات والسخافات ، ولا منطق لتحوّله الى ايمان واقتناع وتعصب

وبفضاء . ان الحشرة حشرة فقط ، انها حشرة لحساب ذاتها فقط . أما الانسان فأكثر من ذلك جدا .

ان الحشرة ليست لها آلهة ولا معلمون ولا طغاة ولا وعاظ ولا خطباء يحولون عاهاتهم وآثامهم وهمومهم وجميع صغائرهم الى عقائد وتعاليم لها .

ما أضخم وأفدح الحسابات المدفوعة أثمانا للآلهة وللمعلمين وللزعماء وللطغاة وللعقائد وللتعاليم وللإيمان . ما أكبر وأكثر الأشياء والتفاسير المدفوعة ثمنًا وحسابات وطعاما لهؤلاء .

ان الحشرات آذن ليست لها كل دمايات الانسان وهزائمه وفضائحه . ان الحشرات تهون وتهزم وتتلوث بأعضائها ولكنها لا تفعل ذلك بتفكيرها أو بروحها أو بمشاعرها أو بتعاليمها وشعاراتها ، كما يفعل الانسان . ان الحشرة لا تفرض أخلاقها تحت اسم أية فكرة على مجتمعها كما يصنع النبي والزعيم والانسان .

★ ★

من الذكاء والقوة أن تكون متواضعا اذا تكلمت ، عظيما كبيرا إذا فعلت وفكرت . أن تكون متواضعا في حديثك لانك كبير في أفكارك وأفعالك .

انك اذا تكبرت حين تتكلم وانت قوي وذكي هجوت قوتك وذكاءك ، واذا تكبرت حين تتكلم وانت ضعيف وغبي حرضت على الاستهزاء بضعفك وبغبائك ، وعلى التحديق فيهما وعلى رؤيتهما بقسوة .

لماذا تتكبر متحدثا ؟ هل لانك تريد أن تنتصر أو تخدع أو تزدداد طولا أو جمالا أو رهبة أو محبة في القلوب والعيون ، أم لانك تريد أن ترتد طفلا ؟ هل تكبرك في حديثك إعلان عن عظمتك ومجدك ، أم تثبت لهما ، أم بحث عنهما ، أم مغالبة لهما ، أم تحريض على السخرية بك ؟ هل تكبرك متحدثا يهب وجهك جمالا أو عقلك ذكاء أو قامتك طولا أو جيشك انتصارا ؟ هل تكبرك بالحديث يتحول الى مجد لاربابك أو لآبائك أو لتاريخك أو لذهبك أو لدينك ؟

هل ذلك تدبير منطقي أم هو عرض للذات بأسلوب أو باغة همجية ؟ هل المتكبر بحديثه يقصد أن يثني على نفسه أم أن يحقرها ؟ هل هو منتهى الغباء أم منتهى المعاداة لنفسه ؟ .

ان المتكبر متحدثا ليس الا انسانا يحقر نفسه بقصد تعظيمها وتمجيدها واسترضائها . انه انسان يعلن الآخرين ويصنع اشمئزازهم واحتقارهم بقصد اقناعهم بمزاياه وبقصد اجتلاب رضاهم واعجابهم به وعنه . انه كائن تحت جميع مقاييس الذكاء ومقاييس الباحثين عن المجد وعن الحب لانفسهم ...

ان المتكبر بلغته انسان يعلن عن نفسه على مستوى الذباب ، وبلغته الذباب ، وبذكاء الذباب . ان الذباب يعلن عن مزاياه وعن مجده وقوته وعن اغانيه باثارة مشاعر الاشمئزاز والتحقير والغضب . انه لا ينافس الذباب في ذلك الا الالهة والزعماء المتحدثون عن أمجادهم ومزاياهم بأساليب تهزم جميع الأساليب الذبابية .

ان الزعيم المحول لامجاده وانتصاراته الصادقة أو الكاذبة الى أناشيد والى دعايات ضاجة ليس أقل وقاحة أو بذاءة أو اشارة للغثيان والاشمئزاز والغضب من الذباب المحول لامجاده وانتصاراته ولمعاركه ضد الانسان وضد الحياة والنظافة الى طنين والى سقوط على وجوه الناس وعلى طعامهم وأفكارهم وأخلاقتهم وكبرياتهم .

ان مثل هذا الزعيم ليس أفضل أخلاقا ، ولا أكثر ذكاء أو تمجيذا لنفسه من مثل هذا الذباب الساقط بأغانيه وبذاءاته على وجوه الناس ، وعلى طعامهم ، وعلى أخلاقهم وكبرياتهم ، وفوق عقولهم ومذاهبهم وأديانهم ، وتحديا لإيمانهم بنظافة الحياة أو بذكائها أو بشرفها أو بشموخها أو بمنطقها ، أو بأن فوقها كائنا صديقا أو نبيلًا أو نظيفا أو ذكيا أو أبيا أو غيورا . وهل يوجد مثل الزعماء سقوطا ببذاءاتهم ووقاحاتهم على وجوه الناس وعلى أخلاقهم وذكائهم وشرفهم بل وعلى طعامهم ؟

ان التحدث عن النفس باعجاب وأنشاد فن لا يجرؤ عليه أو يرضاه أو يستمع اليه أو يطالب به الا الاله أو الزعيم أو الذباب أو من كان في مستوى الاله أو الزعيم أو الذباب . وهل يوجد من هو في مستوى الالهة أو الزعماء أو الذباب ؟

لهذا لقد ظل الذباب والالهة والزعماء في كل التاريخ أكثر الاشياء تحريضا على الغثيان والاشمئزاز والغضب ، وأكثرها هجاء لمجد الانسان والحياة . لقد ظل الذباب والالهة والزعماء أقسى وأشمل هجاء وسباب لكل ما يحتمل أن يكون في الحياة أو في الانسان من جمال أو ذكاء أو نظافة أو كبرياء أو عبقرية أو موهبة .

رأسك أكثر أعضائك انخفاضا

« .. هل يوجد من يتفوق او يفرض عليه ان يتفوق على الحشرة في هوانها وتلوثها وانهازامها وسقوطها مثل الذكي حينما يعمل في مجتمع يحكمه طاغية او يحكمه حاكم فاسد او متخلف او حاكم جاء ليعلم الارض اخلاق السماء وليعلن فوقها امجاد الالهة ؟ .. ان الاوغاد الاذكياء هم افضل المتعاملين والمتنافسين على الركوع تحت الاقدام الهمجية القوية او تحت الاقدام الفنية الغبية او تحت كل الاقدام الباحثة عن كل الراكعين . ان الاوغاد الاذكياء هم اعظم الناس حظوظا في كل التاريخ ، ولدى كل الاهواء حتى لدى اهواء الانبياء والقديسين .

« .. انه لم يوجد ولن يوجد في كل التاريخ وفي كل المستقبل الا نبي واحد يعلم الناس ويفسر ويسوغ ويشرع لهم الاكاذيب والغباوات وطاعة الطغيان وعبادة الاوثان . ان هذا النبي الواحد هو رأس الانسان . ان جميع المعلمين والمفسرين والمرشدين يتعلمون نبواتهم من هذا النبي الواحد . ان رأس الانسان لا بد ان يتحول الى نبي محال لجميع التلوثات والانحدارات التي تهوي اليها وتعيشها أعضاؤه وأخلاقه .

« .. ان الذكاء لا يملك دموعا غزيرة او نظيفة بل لا يملك أية دموع ليلدرفها على مجده المهان المهزوم الراكع . ان الذكاء لا يملك أية احزان اخلاقية او دينية او انسانية ليقاسي منها حينما يفقد كل اساليب ومستويات الشجاعة والكبرياء والفضب .. ان الذكاء لا يرفض ان يكون وغدا ، وغدا .. انه لن يتعذب من الشوق او من الخجل لانه لم يصبح حرا او شجاعا او شريفا او صادقا » ...



ان الطاغية هو الصوت الجميل البليغ الذي ينادي بحنان وتهذيب وتقوى اوقع واقبح الحشرات لتتجمع حوله . واحيانا الحاكم كيفما كانت صفاته حتى ولو غير طاغية ، أي حتى ولو كان عاجزا عن امتلاك قوة الطغيان

ووحشيته يتحول إلى هذا الصوت الجميل البليغ في احساس ومسامح
وأخلاق اوقح واقبح واضعف الحشرات .

انه لا يوجد مثل صوت الطاغية في حنانه ورقته وجاذبيته حينما
يهتف بأنذل الحشرات لتتجمع حوله .

ان الطاغية - واحيانا كل حاكم حتى ولو غير طاغية - هو اللغة التي
تعرفها وتعرف منطقها وتفسيرها كل الحشرات ، والتي لا يسمع بها ولا
يطرب لها الا أردأ الحشرات . انه اللغة الكونية او النشيد الكوني لكل
الحشرات من كل الاجناس والانواع .

انه اللغة العجيبة والحروف العجيبة التي تعرفها وتقرؤها جميع
الحشرات حتى الحشرات التي لا تعرف أو تتكلم أية لغة ، وحتى الحشرات
الامية التي لا تعرف أو تقرأ أية حروف ولا أية كتابة . انه لا توجد موهبة
مثل موهبة انذل وافسق الحشرات في معرفتها للغات الطغاة ولفات المتخلفين
في المجتمعات المتخلفة ، وفي قدرتها على الاستجابة لهم .

ان الطغاة هم النداء الابدي الهاتف بكل مواهب وأخلاق الحشرات: أن
تعالى الى الطعام والمكان والمجد والشهرة . وقد يقال ولو احياناً : ان جميع
الحكام هم هذا النداء الابدي .

ان الطاغية ، وايضا كل حاكم متخلف في كل مجتمع متخلف هو
النموذج الفكري والأخلاقي والنفسي الذي تتفق عليه اخلاق واحاسيس
واهواء وطبيعة كل الحشرات في كل نماذجها .

انه اسخى هبات الطبيعة لمواهب الحشرات الخالدة في كل البشر في
كل العصور والمجتمعات .

انه النشيد الكوني الهاتف بلغات جميع الحشرات . انه النشيد الذي
ينادي كل الحشرات بكل لغاتها :

يناديها : ان تخلقي وتكثري وتجمعي ثم تعالي - تعالي الى صديقك
العالمي الخالد خلودك . . ان تعالي يا اقبح واوقع الحشرات ، يا اضعف

الحشرات ، يا اصفرها رؤوسا ..

.. ينادي : الا يأتي الا أكثر الحشرات دمامة وسما وتلوثا، والا اصفرها رؤوسا او اكثرها جبن رؤوس وهوان رؤوس . ان ضالة حجم الرؤوس شرط مفضل فيك ايتها الحشرات ، او فالشرط الافضل هو ان الرؤوس وجبها . ان ضالة حجم الرأس فيك ليست حتما شرطا افضل من جبنه وهوانه .

أذن تعالي يا اقبح واوقح واضعف واصفر الحشرات رؤوسا - تعالي الى طعامك الجيد ، الى طعامك الذي لم تخلق الالهة او تعرف طعاما افضل منه للحشرات .

ان الالهة لا تحابي الانذال النشيطين المقتحمين مثلما تحابيهن حينما تصر على ان تستمر تخلق الطفاة وتهبهم الانتصارات والامجاد .

انه حيث يوجد الطاغية او الحاكم في المجتمع المتخلف ، او الحاكم دائما فلا بد ان يوجد حوله موكب طويل دميم كئيب متبدل ومتعاقب من الحشرات السامة البذيئة .. من الاعوان الذين لا بد ان يكونوا ضعفاء وفاسدين ومهزومين وبلا رؤوس او برؤوس صغيرة او مقطوعة او مهينة جبانة . انه لا طاغية بلا مواكب من الحشرات الملوثة السامة .

وقد يقول اخرون : بل انه لا حاكم بدون هذه المواكب ، مواكب الحشرات السامة الملوثة .

ان هؤلاء الاعوان لا بد ان يكونوا ضعفاء او مهزومين لئلا يعصوا او يقاوموا او يحاولوا - ولا بد ان يكونوا فاسدين لئلا يفضوا او ينكروا او يشتمزوا او يتعذبوا باخلاقهم او بضمايرهم - ولا بد كذلك ان يكونوا بلا رؤوس ، او ان تكون رؤوسهم صغيرة ، او مقطوعة ، او جبانة ذليلة لئلا يفهموا او ينقدوا او ترفض رؤوسهم اجسامهم او تحتج عليها او لا تتلاءم معها .

لهذا فان الذكي في مجتمع الطاغية او في مجتمع الحاكم المتخلف او الفاسد لا بد ان يكون محتاجا الى ان يقهر ويعاقب ذكاه بالتملق والتخضع

والتقابي لكي يغفر له ذكاؤه او لكيلا يظن الى ذكائه، ولكي يتحول اي الذكي من وحش مخيف ومعاد آلى وحش صديق واهب للامان او الى ارنب ذليل يصنع الرثاء والشفقة ، بدل الخوف منه والاحترام له .

انه لا شيء يحتاج الى ان يشوه نفسه ويعاقبها ويتوب منها مثل الذكاء حول الطاغية وحول الحاكم المتخلف والفاقد .

انه لا احد يحتاج الى ان يقطع رأسه ، او الى ان يعلمه كل اساليب ومستويات الغباء والهوان والجبن والنفاق والحقارة - الى ان يذله بكل معاني الجبن وصيفه وتفاسيره وتعبيراته ودلالاته - الى ان يجعله اي يجعل رأسه صغيراً ، صغيراً ، لا يستطيع احد ان يراه ، او يشعر بوجوده ، او بأنه قد خلق .

- نعم ، ان اخفاء الرأس فن قديم وحديث وخالد من فنون الانسان - الانسان البدوي والحضاري .

- نعم ، أنه لا احد يحتاج الى كل ذلك مثل الذكي حينما يصبح احد اعوان الطفلة او احد اعوان الحكام المتخلفين او الفاسدين ، او احد اعوان الحكام كيفما كانوا وكانت صفاتهم ومستوياتهم .

أنه لا احد يحتاج الى ان يعاقب رأسه ، والى ان يجعله بالمحاولات الدليلة اصغر الرؤوس وأكثرها ازدحاما وايمانا بالغباء مثل الذكي حينما يصبح احد هؤلاء الاعوان .

انه حينئذ لا بد ان يتعلم الغباء بأساليب أكثر هوانا وحقارة من اساليب جميع الحشرات في تعلمها التلوث والسقوط والترفع عن الكبرياء . ان الذكاء لا بد ان يصبح أحيانا او دائما جريمة لا بد من اجتنابها او اخفائها او انكارها كالجريمة في المجتمع الذي يعاقب الجريمة بقسوة وشمول وتقوى . ان الذكاء قد يصبح عدوانا او عارا يتاب منه بهوان . انه حينئذ قد يتحول الذكاء في اعوان الطفلة وفي اعوان الحكام الجاهلين والفاستدين ، او في اعوان الحكام جميعا - قد يتحول الى مزية وإلى مطلب كبير من مطالب هؤلاء الطفلة والحكام الجاهلين والفاستدين - اي حينما يصبح عارا او عدوانا او ذنبا يتاب منه بهوان ويصبح اخفاؤه او انكاره أو اذلاله صلاة وتقوى يمارسها

بضراعة جميع المصابين به .

ان الذكاء - اي اذا كان متملقا متخضعا منافقا مهينا مهزوما - يصبح
أقدر على ارضاء وخدمة الطغاة وعلى ارضاء وخدمة جميع الحكام والاقوياء
وعلى تلميعهم ، واقدر على معاشيتهم وعلى معرفة ما تريد شهواتهم وحماقاتهم
واهواؤهم ، وعلى مساعدة هذه الشهوات والحماقات والاهواء على ان تتحقق
وتنتصر . ان الذكاء حينئذ اي اذا كان مالكا لهذه الصفات يصبح موهبة
لهؤلاء الطغاة والحكام ، لا موهبة لنفسه ، ولا للاذكاء ، ولا في الاذكاء . ان
مثل هذا الذكاء يصبح نقيضا جيدا جدا لنفسه .

ولكن كيف ؟ أليس محتوما ان يصبح الذكاء في كل موقف وفي كل
مكان نقيضا لنفسه ؟ هل يستطيع الذكاء ان يبتى او ان يتحرك او ان يقبل
نفسه او ان يتعامل مع نفسه او مع اي شيء لو لم يصبح نقيض نفسه ؟

ان الطغاة وايضا جميع الحكام الفاسدين والجاهلين والمتخلفين قد
يحتاجون الى مثل هذا الذكاء ، اي الى الذكاء الدليل المهزوم كما يحتاجون
الى الحرس القوي المخلص والى الجيش القوي المخلص ، والى الضمائر
التي فقدت كل اسلحة المقاومة وشهواتها والقدرة عليها .

انهم ليحتاجون الى ذلك كما يحتاج الوحش المفترس الاكل للحوم الى
الاذفار والانياب والى العضلات والضربات القوية .

ان افضل الاعوان للطغاة ولاكثر الحكام واحيانا للحكام جميعا هم
الاعوان الاذكاء الصغار ، هم الكلاب المخلصة الذكية ، هم الحشرات الجيدة
السم والتلوث .

ان الحشرة الذكية - الحشرة جدا في اخلاقها وضميرها هي النموذج
الاعلى لاعوان الطاغية ولاعوان أكثر الحكام أو لاعوان كل الحكام . كما أن الكلب
القوي المخلص الذكي هو أنبل واتقى الكلاب في حساب صاحب كلاب
الصيد .

ان الاوغاد الاذكاء هم افضل المتنافسين على الركوع تحت الاقدام
الهمجية القوية أو تحت الاقدام الغنية الغبية ، أو تحت كل الاقدام الباحثة

عن الرأكمين .

أن الاوغاد الاذكاء هم اعظم الناس حظوظا في كل التاريخ ولدى كل
الاهواء حتى لدى اهواء الانبياء والقديسين .

ولكن الا يخشى أو يرفض أحيانا الطغاة والحكام الفاسدون والمتخلفون
الذكاء مهما نافق وذل وهزم ؟ الا يجدون في نفاقه واستسلامه وهزيمته
هجاء وسبابا واتهاما لهم ؟

الا يزعجنا أحيانا من يرون عاهاتنا وضعفنا وذنوبنا وخطايانا مهما
مدحوها ؟

اليس الذي يمدحنا كاذبا هو أكثر المتعاملين معنا فضحا وتحقيرا
واذلالا لنا وأعلانا عن قبحنا ؟

اليس الأعمى أفضل من المبصر في جميع حسابات وتقديرات الكائن
المشوه ؟

اليس الذي لا يرى دمامتنا أكثر محابة وسلاما لنا من الذي يراها ثم
يذهب يببالغ في امتداح جمالنا ؟

اليس الذي يرانا في جميع حالاتنا وكيوناتنا ويفهمنا في جميع
تفاسيرنا ومنطقنا يخيفنا ويرهقنا مهما كانت صداقته لنا أو علاقته بنا ،
ومهما كان ضعف أخلاقه ومقاومته ؟

اليس الإله الأعمى أرحم بنا وأقل تخويفا وفضحا لنا من الإله المبصر
المحقق فينا الرائي لنا من داخلنا وخارجنا مهما حابانا وكذب لنا وعلينا ؟

اليس العيون الرائية المغضة تتفجر في أعصابنا ومشاعرنا كالأسلحة
المتفجرة فوق أهدافها ؟

اليس السلاح يخيف أحيانا حتى ولو كان مفمدا ، حتى ولو كان في
أيدي جنودنا أو عبيدنا الأذلاء المهزومين ؟ اليس السلاح الفتاك المهزوم قد

يتحول الى اخطر الاسلحة ؟

ليس الذكاء المهان قد يصبح أكثر انواع الذكاء تهديدا وخطرا وانتقاما

اذن ليس الاذكياء أكثر ارهابا واحراجا وتهديدا لنا وعدوانا علينا مهما كانوا أوغادا ومنافقين ؟

ليس الاعمى مهما كان معاديا أرحم بعاثاتنا وتشوهاتنا ودماماتنا من المبصر مهما كان صديقا ؟



انه لما كان الحاكم الطاغية أو الحاكم الفاسد أو الحاكم دائما طاقة مغناطيسية هائلة ، يجذب اليه كل ضعف وفساد ونفاق وكذب وخسة وهوان فكري ونفسي واخلاقي وذاتي - ويهتف بكل ذلك ، بكل اللغات ، يناديه ليتجمع حوله ، كان محتوما ان ينيخ حول هيكله جميع سدنة وكهنة وعبداء الآوهام والعقائد الضعيفة أو المستضعفة ، بل وكهنة وسدنة جميع التعاليم والمذاهب القوية والضعيفة ، لينصروه ، لكي ينتصروا به . انه لمحكوم على جميع معلمي المذاهب والنظم وعلى جميع معلمي الالهة والانبياء ان يعبدوا الاقوياء والمتسلطين .

ان هؤلاء المعلمين ان لم يعبدوا هؤلاء الاقوياء والمتسلطين فلا بد ان يعبدوا الاقوياء والمتسلطين الآخرين .

ان اللاهوتية لا بد ان تكون هي إحدى الشرط او الفرق الدائمة المؤمنة الموثوق بها للحاكم الطاغية أو للحاكم الفاسد او لكل حاكم . لانها اي اللاهوتية بظروفها وخصائصها وتفسيرها المختلفة لا بد ان تكون محتاجة الى الصلاة بكل ايمان واخلاص وهوان في المعبد الذي يبنيه السلطان ، والى ان تحرق كل شموعها امام كل هيكل ترفع فوق محاربيه صور السلطان وتنقش على جدرانه قصائد الامتداح له . انه في كل التاريخ لم توجد لاهوتية واحدة تعبد الاله وحده دون ان تعبد السلطان .

ان كل لاهوتية في التاريخ لم تكن تعبد إلا السلطان وحده مهما عبدت سواء او مهما تظاهرت بعبادة شيء سواه .

أنا اي اللاهوتية لا قوة لها من ذاتها ، ان قوتها دائما وهمية أو تاريخية . انها لا تملك اية قوة أو اية حقيقة سوى زعمها أنها تتحدث عن قوة وعن حقيقة ، وسوى تسليم الناس لها بصدق حديثها عن تلك القوة وتلك الحقيقة . انها اذن مضطرة لكي تتحرك تتحدث وتكذب وتسرق وتخدع وتخيف وتستقوي ، ولكي تترك تصدق في زعمها انها تتحدث عن قوة وعن حقيقة ، بل عن كل القوة وكل الحقيقة .

— نعم ، انها مضطرة لكي تترك كذلك الى ان تتعبد في جميع معابد القوة ، وفي جميع مفارقات الاستبداد القوي ، وفي جميع هياكل الفساد المنتصر القادر ، والى ان تجند كل كذبها وقبحها وغباؤها وهوانها لاهواء الطفلة ولاهواء جميع الحكام والاقوياء الذين يقودون ويحكمون المجتمع الذي تكذب هي عليه وتتحدث اليه عن القوة وعن الحقيقة التي تزعم انها تتحدث عنها وانها قد جاءت من عندها لتبلغ عنها ولتعلم بها ولتهب باسمها ، لتهب باسمها كل ما ليس موجودا وكل ما لا يمكن ان يكون موجودا .

انها مضطرة الى ان تتعبد كل اساليب العبادة بكل اساليب الهوان والانزعام ، تحت كل الاقدام القوية الهمجية او الاقدام الفنية الغبية ، او تحت كل الاقدام اباحثة عن كل الراكعين تحت كل الاقدام ، لكي تترك تكذب وتسرق وتتسلط وتضل ، بل ولكي توهب المجد والاقتدار ، لكي يهبها المجد والاقتدار والدعاية الاقوياء الذين تهبهم صلواتها وتعاليمها ونفاقها وكل ذكائها وغباؤها . ولانها ان لم تفعل ذلك أزيت ، او تركت فزالت . لان الاوهام والاكاذيب وحدها بدون طغيان حقيقي قوي ينصرها ويشر بها ويتقبلها ويتقبل منها لا تستطيع ان تنتصر ، بل ولا ان تبقى أو تعيش . انه لا بد من القوة الضالة للاوهام والاكاذيب . ان الوهم لا يمكن ان يعيش او ان يواجه نفسه ، او ان يواجه من يراد منهم الاقتناع به دون ان تكون معه اية حقيقة . ان الوهم لا يعيش وحده . ولكن هل تعيش الحقيقة وحدها ؟ وان الوهم لا يستطيع ان يحمي نفسه . ولكن هل تستطيع الحقيقة ان تحمي نفسها ؟

ان اللاهوتية لتعلم انه لا قوة ولا مجد ولا سلطان ولا بقاء لها ، بل ولا قدرة لها على الخداع المصدق او المقبول الا في حماية الطغيان والقوة الضالة ، اي الا في حماية حقيقة ما . ان في بقاء القوة أو في بقاء الحقيقة الضالة ، وفي انتصارها بقاءها هي وانتصارها هي والا فلا شيء امامها الا الموت

المحتوم او الهزيمة المحتومة او الهوان الذي هو اقصى من الموت ومن الهزيمة . انه لا شيء يحتاج الى أن يوهب كل مجده وكل قوته من خارجه لا من قوته ولا من منطقه ولا من اخلاقه بل ولا من انصاره مثل اللاهوتية .

حتى الالهة والانبياء ، انهم لا بد ان يتحولوا الى صلاة وخضوع للطفة ولكل الحكام والمتسلطين والمستبدين القادرين بأي اسلوب من أساليب القدرة ومعانيها .

ان كل شيء لا بد أن يعبد طغيانا ما حتى الالهة والانبياء لا بد ان يعبدوا أطفاليان . ان كل العقول والتعاليم لا بد ان تهون وتتعبد .

انه لا يخضع للطفة ولكل الحاكمين والقادرين ، ولا يوافق ويصلي ويكذب لهم ، مثل الالهة والانبياء . انه لا يوجد ، ولم يوجد في اي عصر أو مجتمع أكثر أو اصدق خضوعا للطفة ولكل الحاكمين والقادرين من الالهة والانبياء . ان الالهة والانبياء لا يشترطون لخضوعهم وهوانهم تحت الاقدام القادرة او الباطشة اية شروط . انهم اي الالهة والانبياء يخضعون وينافقون ويكذبون لمن يستطيعون ان يضربوا او يهبوا ، ان يحموا او يتركوا او يدمروا حين يخضع وينافق ويكذب من يتحدثون عنهم وباسمهم ، اي بخضوع ونفاق وكذب من يعلمون عنهم ، ومن يتحدثون من فوق منابرهم ، ومن يفسرون تعاليمهم واخلاقهم وتاريخهم ونياتهم وسيرهم وكتيبهم وكلماتهم ، ومن يهبطون من سمواتهم على صهوات جيادهم ، رافعين راياتهم .

ان كل الناس يكذبون وينافقون ويخضعون باسم الالهة والانبياء . اذن هل يوجد مثل الالهة والانبياء في كذبهم ونفاقهم وخضوعهم ؟

ان الالهة والانبياء لا يوجدون ولا يفهمون ولا يفسرون ولا يمارسون انفسهم الا في ذوات وحياة ومنطق واخلاق من يعلمون عنهم ومن يفسرونهم ومن يحفظون كتبهم ويروونها ويعلمونها ويكونونها . وهؤلاء هم النماذج الكاملة والشاملة والدائمة للنفاق والهوان والركوع تحت كل الاقدام الضاربة او الواهبة او الجاهلة القادرة .

اذن فالالهة والانبياء هم هذه النماذج الشاملة الكاملة الدائمة للنفاق والهوان والركوع تحت جميع الاقدام القوية الهمجية .

اذن تجلد ايها المؤمن ، تجلد .. تجلد امام اكبر المفاجآت الاليمة
البعيدة عن كل الظنون .

.. تجلد ايها المؤمن بكل احتمالات التجلد فيك .

تجلد لان الهتك وانبياءك لم يكونوا في كل التاريخ ولن يكونوا في كل
المستقبل الا عبدة ودعاة لكل الاوثان ولكل الطفاة ، لان من لا يوجدون ومن
لا يعيشون ومن لا يفهمون الا في ذواتهم وفي تفاسيرهم وفي تعاليمهم لم
يكونوا ولن يكونوا الا كذلك .

اجل ، اذن تجلد ايها المؤمن ، تجلد . اذن حاول ان ترثي لهم اي لالهتك
وانبيائك ، لا ان تجن اعجابا وانبهارا بهم .

بل اياك ايها المؤمن والتجلد . انه لحق عليك ان تتمزق غضبا وغیظا
وخجلا ، لا ان تتجلد . حاول ايها المؤمن ان ترثي بصدق وعمق لالهتك وانبيائك
لانهم ليسوا سوى عبدة اوثان وطفیان ، لان جميع من يجيئون باسمهم ،
ليعملوا باسمهم ليسوا الا عبدة اوثان وطفیان .

اذن حاذر ايها المؤمن ان تتجلد . حاذر ، فالتجلد هنا عار وبلادة .

انك ايها المؤمن تقول : ان آلهتك وانبياءك لم يجيئوا ولم يكونوا الا لكي
يزيلوا كل الطفیان وكل الاوثان . ولكنك ترى انهم ليسوا سوى عبدة اوثان
وطفیان .

اذن احزن من اجلهم ومن اجل نفسك ايضا . احزن كثيرا وبعمق ايها
المؤمن المفجوع بالهته وبانبيائه وبنفسه ايضا وبذكائه .

لقد كنت ايها المؤمن دائما فظا في معاملتك لالهتك ولانبيائك وفي
مشاعرك ازاءهم ولهم ، لانك قد ظللت دائما تعبدهم وتخافهم . وكانت
الرحمة والتهذيب والمنطق ان تحزن وترثي لهم بكل احزانك واشفاقك .

ان الالهة والانبياء معبودون ومخضوع ومنافق ومكذوب لهم ، وان
الانسان هو العابد الخاضع المنافق الكاذب لهم . ان الالهة والانبياء اذن
لوهوبون كل الحظوظ والتمجيد والتكريم ، اما الانسان فهو الواهب كل ذلك

والمسلوب كل ذلك والفاقد لكل ذلك .

لقد كان هذا هو الاعتقاد الذي لم يكن ممكنا افتراض او تصور غيره او نقيضه . اذن لقد كان كل المجد للالهة وللانبياء ، وكان كل العار والهوان للانسان .

ولكن ، كم يمكن ان يكون انزعاج المؤمن البريء حينما يتبين ان الالهة والانبياء هم العابدون والخاضعون والمنافقون والكاذبون ، وان الانسان هو المعبود الخضوع المناق المكلوب له ؟

نعم ، كم يمكن ان تكون فجيرة المؤمن حينما يتبين ان الالهة والانبياء لم يكن لهم من دور في كل التاريخ ، ولن يكون لهم من دور في كل المستقبل غير ان يصلوا ويخضعوا وينافقوا ويكذبوا للاقوياء ، وغير ان يتحولوا الى اساليب صلاة وخضوع وتفاق وكذب ، يمارسها الضعفاء تحت اقدام الاقوياء ؟

كم يمكن ان تكون فجيرة المؤمن حينما يكتشف ان آلهته وانبياءه لم يكونوا في كل تاريخ العلم بهم الا تفسيراً وتسويفاً وصلاة لطفيان يمارسه الاقوياء ، وتفسيراً وتسويفاً وأمتداحاً وتعليماً لهوان يمارسه ويعلمه ويتعلمه الضعفاء ؟

نعم ، هل كان الالهة والانبياء في كل التاريخ الا تفسيراً وتسويفاً لطفيان الاقوياء ، والا تفسيراً وتسويفاً لهوان الضعفاء ؟

اذن كل رثائي لرأس الانسان . ان رأس الانسان ، ان اجهزته الرأسية التي هي الهته وانبياءه ومذاهبه وأديانه وافكاره هي أكثر أعضائه جبناً وهواناً .

اذن كل أحزاني لرأس الانسان ولاجهزته الرأسية .

لتحزن ايها المؤمن ، ايها الانسان . ان شيئاً ما في هذا الكون لم يمارس من الهوان والاكاذيب والنفاق والعدو ، استجابة لشهوات واهواء الطفلة والجهلاء القادرين ، مثلما مارسه تعاليم الانبياء ومذاهب المعلمين .

اذن ليكن حزنك غاضبا وضاجا ايها المؤمن ، ايها الانسان ، لان اجهزتك
الراسية هي أكثر اجهزتك هوانا وجبنا وعارا .

اذن ايها المؤمن ، ايها الانسان . كن حزيننا ورأئيا وباكيا وخجولا
لالهتك ولا نبيائك بدل ان تكون لهم عابدا او معظما او حاسدا . انه لا احد
يستحق الرثاء والبكاء مثلهم .



ان اللاهوتية ليست هي فقط لاهوتية الدين أو السماء . أنها ايضا
لاهوتية المذاهب والقوميات والنظم والنظريات . ولا توجد فروق بين هذه
اللاهوتيات في احتياجها الى ممارسة الاكاذيب والنفاق والهوان والخداع
والفوايات والتفاهات .

ان اللاهوتية المذهبية أو القومية قد تكون أكثر نفاقا وهوانا واحراقا
لشموع من اية لاهوتية دينية أو سماوية . ان المنكر لجميع الهة السماء
ليس دائما أكثر رفضا اللاهوتية من المؤمن بهذه الالهة . بل أنه لا ينتظر منه
من ذلك . ان اللاهوتية لا تصنع خارج الانسان ، اذ انه هو الذي يصنعها
داخل ذاته وحياته . اذن لن تكون هناك فروق بين صفاتها لوجود الفروق
بين اربابها وجنسياتها .

واللاهوتية قد تعيش في مجتمعات غير استبدادية او غير فردية . أنها
حينئذ لا بد أن تلقي بكل نفاقها وأكاذيبها وبكل مواهبها الدليلة تحت أوامر
وشهوات افسد وأظلم ما في هذه المجتمعات من مذاهب وعقائد وجهالات
واهواء ومصالح ومن بقايا تاريخ كئيب بليد . أنها لا تعيش تحت مذهب
واحد أو نظام واحد أو مستوى واحد فقط . انها تعيش كل المذاهب والنظم
والمستويات ، وتحت كل المذاهب والنظم والمستويات . انها عالمية النسب
والانتساب والأخلاق .

ان المفروض ان يتجه الطغيان بل واسلوب الحكم كله الى مقاومة
الضعف والفساد والتلوث والجبن والنفاق والهوان العقلي ، وإلى مقاومة
اسباب واعراض كل ذلك - ان المفروض ان يتجه الطغيان بل كل حكم هذا
الاتجاه حتى ولو خداعا في اجهزته الدعائية ، حتى ولو تضخيما وتجييلا

لنفسه ولعمده . ان كل نظام وحكم محتاج الى ان يخضع بعهده ونظامه
وبنفسه ، ومحتاج الى اساليب عرض قوية مثيرة مخيفة في قوتها وروعها .
انه محتاج دائما الى السحر والى السحرة والى كل حيلهم وفنونهم . انه لا
نبي ولا دجال بلا اجهزة عرض . ايهم احوج الى اجهزة العرض : الانبياء ام
الدجالون ، الصادقون ام الكاذبون ؟

ليست القوة والاستقامة حاجتين من حاجات الطفلة بل من حاجات كل
حاكم وكل نظام لان القوة تتحول الى قوة وحماية له ، ولان الاستقامة تتحول
الى جمال فيه والى ثناء عليه والى تمجيد له ؟ ولان الاستقامة ايضا حتى
الاستقامة المذهبية او العقلية قد تتحول الى قيد لحركات وتطلعات
ولا احتمالات المستقيم ، والى هزيمة واذلال لطموحه ولذكائه ، والى كسر
لشرواته التي قد تتحول الى مغامرات او مخاطرات او منافسات .

ان الملتزم بالاستقامة الدينية او المذهبية هو افضل من يريد التعامل
عليه وبه اللصوص والعلمون والطفة والقتلة .

نعم ، ان كل هذه حسابات محسوبة ومنظورة للطفة بل لكل الحكام
وكل المتسلطين . لكن لعل امام كل حسابات صحيحة او خادعة حسابات
اخرى مضادة او منافسة او محيرة ، صحيحة ايضا او خادعة . هل يوجد
في هذا العالم اي موقف دون تقيضه ؟

هل توجد اية فكرة دون فكرة مناقضة ؟ هل يمكن ان توجد الافتراضات
الملائمة دون الافتراضات الاخرى ؟

اذن فان حسابات الطفلة او حسابات جميع الحكام والمتسلطين قد
ترى ان في فساد وضعف وهوان وغباء أفراد المجتمع الذي يحكمون او
الذي يعيشون فيه خيرا وحماية وامانا لهم ، وان في زوال ذلك او في تقيضه
خطرا وتهديدا وتحديا لهم . وحينئذ ليكون كل المجد والانتصار لفساد
المجتمعات ولهوانها وضعفها ، او لفساد وهوان وضعف الافراد في المجتمعات .
ليكن كل المجد والانتصارات للغباء ولهوان العقلي .

ليكن الغباء ولهوان هما كل المجد وكل الطعام لكل العقول ولكل الاخلاق .

لتنحول حينئذ جميع الاجهزة الدعائية والتعليمية الى محاباة ذكية وقوية وشاملة لشيوع الضعف والفساد والغباء والهوان الفكري .

ليتحول كل الذكاء وكل المواهب الى مباراة رهيبة للتفوق في فنون الضعف والفساد والانحلال والنفاق العقلي والنفسي والاخلاقي، بل المذهبي والديني .

واذن ليتمت او لينف من المجتمعات جميع الافراد الاذكاء الاصحاء الاتقياء الاقوياء في فرديتهم او في محتوياتهم الذاتية او الانسانية .

ليتمت او لينف بعيدا ، بعيدا هؤلاء الافراد ، فانهم تهديد مخيف للطفاة ولكل الحكام الجاهلين والفاستدين ولكل المتسلطين . ان الافراد الاقوياء في فرديتهم لتهديد دائم لمجد الآلهة ولمجد الانبياء ولمجد الطفاة ولمجد الايمان والصلوات والمحاريب والمنابر .

ان الحاكم الطاغية او الفاسد او الجاهل او المتأخر او كل حاكم ليرفض او يخشى او يقاوم ان يكون في دولته افراد اقوياء يرفضون ويأبون وينكرون ويتكبرون على الهوان والاستسلام والطاعة والتقبل مهما ناضل واحب وتمنى ان تكون دولته اقوى من جميع الدول وفوق كل الدول . انه لا يخاف حينما تكون دولته كذلك ، بل انه ليجد كل المجد والسعادة لنفسه حينما تكون كذلك . ان قوة دولته ليست في جميع حساباته الا قوة له هو، لذاته ، لشخصه ، لعرشه ، لتاريخه ، لخوفه وامانه وتآلهه وكبريائه ولتحدياته ومنافساته .

ان الطاغية لا يجد في دولته القوة الا اظفاره وانابه وعضلاته القوية . وهل الدول الا اظفار وانياب للطفاة ؟

اما الذي يخيفه جدا ' وحقا ودائما فهو ان يكون في دولته افراد اقوياء .

ان اوقع واطفى طاغية ليتقبل ان يكون له اكبر جيش يخيف به كل العالم ويدل به كل امجاد التاريخ ، ويتقبل اي الجيش من شجاعته ان يموت كل فرد منه في اية مغامرة يساق اليها دون ان يرفض او يهاب . ان

الطفافة ليتزينون بالجيوش القوية ويشعرون نحوها كما تترين الفواني بأغلى واضخم أنواع الحلبي وكما تشعر نحوه أي نحو الحلبي .

ولكنه أي ذلك الطاغية يرفض بل ويجن في رفضه أن يكون حوله أي في مجتمعه فرد واحد قوي شجاع في إباته وفي شموخه وفي طهارته وفي عقله وفي تحديقه وفي رؤيته وفي تعبيره . أن ذلك الفرد القوي ليخيف الطاغية ويصنع له الأهموم والهواجس أكثر مما يفعل له ذلك جيشه القوي . بل أنه يرى في جيشه القوي الحماية والزينة له ، لشخصه ، بينما يرى في ذلك الفرد الخوف عليه والهزاء لمجده . أن مثل هذا الفرد لا يسد أن يصنع للطاغية القضب والفيظ أن لم يصنع له الخوف والخطر . أما الجيوش القوية فإنها لا بد أن تصنع للطفافة الحماية والزينة أو المجد والكبرياء أو القوة والظفيان .

في أغلب المجتمعات ، وبأسلوب ما في كل المجتمعات ، أو في كل المجتمعات على مستوى ما وبنية ما ، يعامل رأس الإنسان على أنه عضو زائد لا وظيفة ولا تفسير ولا منطق أو معنى لوجوده ، أو لبقائه ، أو للتحدث عنه ، أو للاقتناع بوجوده ، أو للتفكير فيه أو في وجوده - أو على أنه وجود مرضي كالأخراج الفظيع الذي يوزع الآلام والمخاطر والأذى على ما حوله . أنه أي رأس الإنسان لا يعامل أو يرى في أغلب المجتمعات أو في كل المجتمعات ولو بأسلوب ما على أنه عضو أو كائن طبيعي أو شرعي له كسل الحق في الوجود والنمو والكينونة والبقاء .

أن أغلب المجتمعات ، أو كل المجتمعات بأسلوب من الأساليب ، أو على مستوى من المستويات ، أو بنية من النيات ، لا تزي في رأس الإنسان إلا أنه إحدى غلطات الأرباب التي أرادت أن تعاقب بها هذه الحياة ، أو أن تعاقب بها موهبتها هي ، أو أن تمتحن بها أعجاب الإنسان بأربابه وإيمانه بهم ، أو أن تعاقب به نظافة الإنسان واستقامته وتقواه .

أن هذه المجتمعات لا تجد في رأس الإنسان إلا أنه آفة بذيئة ، ثوي فيها كل احتمالات الأخطار والآلام ، ويجب التداوي والتحصن منها بكل الأساليب والوسائل والعقاقير ، وأن المطلوب والمفروض دائما هو التفكير في هويته وأذلاله أي رأس الإنسان ، وفي تحويله إلى عضو ميت ، إلى جثة محتقرة ومعزولة ، وأنه لا يمكن ولا يجوز لأذهاب ولا دينيا ولا أخلاقيا

ولا وطنيا ولا حضاريا السماح له بالبقاء ألا أذا ظل حدودا مكانية دون ان يعني اية معان او تفاسير زمانية او حركية . فاذا حاول أن يكون عضوا حيا ، وعضوا زمنيا ، او عضوا له وظيفة ورأى وغضب ورفض ورؤية وتحديق في الاشياء او في المذاهب او في الآديان او في الزعامات او في الالهة او في الانبياء او حتى في نفسه وجب أن يعاقب ، ووجب ان يكون عقابه هو اشد عقاب .

انه حينئذ يجب الرد عليه ويجب ان يكون الرد بالمشروط ، ولكن ليس بـمشروط الطيب بل بسلاح الجزار ، بل بأسلوب الجلاد . هل يوجد او هل وجد مجتمع واحد رأى في رأس الانسان عضوا مثل سائر اعضائه له كما لها أن يتخلق ويكون ويعبر عن نفسه ويتعامل بها كما تفعل كل أعضائه او اكثرها ؟

لقد عجز الطب في كل تاريخه حتى اليوم ان يمنع الانفجارات والتوترات والالتهابات والحرائق التي تصيب اعضاء الانسان . ولكن كثيرا من المجتمعات التي يحكمها الطغاة او التي يحكمها الحكام المتخلفون والفاسدون والجهلاء قد استطاعت أن تحمي الرأس الانساني من كل انفجار والتهاب وتوتر وتوقد واحترق وغضب . لقد حمت الرأس من ان يكون حيا يصاب بما تصاب به الكائنات الحية ، ويمرض كالاحياء بالاحتجاج والفضب وبالممارسات المتفجرة المختلفة الاليمة الفاضبة . ان هذه المجتمعات قد استطاعت ان تحمي نفسها وان تحصنها بكل اساليب التجصين ضد الالم والخطر اللذين يصنعهما ويمرض بهما رأس الانسان . ان لهذه المجتمعات اذن ولطفاتها مجد التفوق على اطباء العالمين الذين لم يعرفوا او يستطيعوا ان يحموا اعضاء الانسان من اسباب او احتمالات الانفجار او التوتر او الالتهاب .

ومع الاعتراف بانتصار كثير من الطغاة والمجتمعات على رأس الانسان فلا بد ان يقال أيضا .

لقد ظل وجود الرأس الانساني مشكلة هائلة واليمة في اكثر العصور والمجتمعات او في كل العصور والمجتمعات . ان أي مجتمع من المجتمعات لم يستطع ان ينجو من معاناة هذه المشكلة . لقد كان وجود الرأس في الانسان ورطة عاشتها وتعذبت بها كل المجتمعات في كل العصور وناضلت

بجنون ضدها .

ما اعظم واكثر ما انفق البشر في كل التاريخ من العمل والدكاء ، ووضعوا من الخطط والاساليب ، واستحدثوا ومارسوا من الالام والاحزان والمظالم ، وسفكوا من الدماء ، واستقبلوا من الانبياء والوعاظ والمعلمين ، وانزلوا على انفسهم من الاديان والمذاهب والكتب المقدسة .

— نعم ، ما اكثر ما فعلوا كل ذلك لمقاومة رأس الانسان ، وخوفا منه ، ورفضاً له ، ولما فيه من احتمالات قد تتفجر . لقد كانوا يشعرون انهم يعيشون تحت خطر يعيش فوقهم وفيهم . لقد كان تهديد الرأس للبشر أعجب تهديد عاش فوقهم ودأخلهم وحاربوه مثل عدو يعيش خارجهم .

ان البشر لم يحاربوا اعداءهم وآلامهم مثلما حاربوا رؤوسهم حتى ولا في كثير من المجتمعات المتقدمة جداً . انه لا يوجد أي قوم في أي مجتمع لا يحاربون رؤوسهم ولا يخافون منها بأحد اساليب الحرب والخوف ، أو بأحد مستوياتهما ، أو بكل اساليبهما ومستوياتهما . أن كل البشر مهما عاشوا السلام وارادوا السلام فانهم لا بد ان يعيشوا كل الحرب أو بعض الحرب ، وأن يريدوها كلها أو بعضها ضد رؤوسهم .

ان رؤوس البشر هي العدو أو الخصم الذي لا يمكن ان يعامل في أي مجتمع بسلام دائم شامل أو بهدنة دائمة شاملة .

ما اكثر الطفافة بل والناس الصغار البسطاء الذين يتصرفون وكأنهم يريدون أن يلعنوا الاله او الطبيعة لانه او لانها قد خلقت للانسان رأسا او لانه قد خلق برأس .

ما اكثر الذين يمتنون أن الآلهة أو أن الطبيعة قد كانت حفية ورحيمة بالبشر لكي تخلقهم بلا رؤوس ، أو برؤوس ليست مسكونة أو مشحونة بهذه المادة أو الطاقة الفاسقة الشيطانية الفاحشة لكل اللغات ، والبصرة لكل المسافات ومن وراء كل المسافات ، والسماعة لكل الهمسات بل ولكل النيات ، والمكتشفة قبل الرؤية وبلا رؤية ، والتي تستطيع أن ترى في الظلام بقدرما تستطيع الرؤية في النور ، والتي تستطيع ان ترى الصغير جدا كما ترى الكبير جدا ، وترى الصغير جدا بالحجم الذي ترى به الكبير

جدا أو بالقدرة التي ترى بها الكبير جدا ، وبالإحساس والاعتقاد اللذين ترى بهما الكبير جدا .

إن الرأس جهاز لا يشبهه جهاز آخر في كشفه وهجومه وبدء نفسه وعدوانه . أنه لا يستطيع الاستتار أو الهرب منه أو من نظراته الموحية .

أنه لا يوجد أعداء واصدقاء ، أو محاربون ومسالون لرأس الإنسان . أن كل الناس لا بد أن يعادوا ويحاربوا الرأس الإنساني على نحو ما أو بأسلوب متباين .

أن الرأس الإنساني هو الكائن المحارب دائما وابتداء منع الاختلاف المحتوم والتفاوت المحتوم في أساليب محاربته .

ولكن هل يوجد من يحاربونه أو يعادونه كالطفلة والمعلمين ، لأنه أي الرأس الإنساني لا يعادي ولا يحارب أي قوم مثلما يحارب ويعادي الطفلة والمعلمين ؟

أن الحرب والعداوات بين رأس الإنسان وبين الطفلة والمعلمين هي أشهر وأخلد وأعنف الحروب والعداوات .

وهل ذلك صحيح ؟ ألا يمكن الزعم بأن الطفلة والمعلمين لا يسالون ولا يستخدمون ولا يصادقون شيئا كالرأس الإنساني ؟ هل احتفى الطفلة والمعلمون ، أو قاتلوا بشيء مثلما احتما وقاتلوا برأس الإنسان ؟ هل وجد طفلة أو معلمون لا يحمون ويفسرون طفيانهم وجهلهم برأس الإنسان ؟

ألم يجرب الطفلة وكل المتسلطين القادرين طويلا ، طويلا رأس الإنسان فيجدوا فيه كل الغزايا والعون لهم ؟ ألم يجدوه في تجاربهم الطويلة الباهظة ضديقا ومخدما مخلصا لهم ولكل ما يريدون منه أكثر مما وجدوه عدوا أو مناقضا أو رافضا أو مقاوما ، بل دون أن يجدوه كذلك ، أي عدوا أو مناقضا أو رافضا أو مقاوما ؟

هل وجد طائفة واحد في التاريخ لم يجدوا أكبر من الرؤوس التي تهاوتها وتفبره ، وتقديسه وتطيعه بل وتؤله ؟

لهذا فاعمله لا يوجد ، واعمله كذلك لم يوجد من يريدون أن يكون رأس
الإنسان موجودا وقويا ومنصرا وهازما كل الأعداء والخصوم ، مثل الطغاة
لأنه لم يوجد ولن يوجد من يستفيد منه مثلهم . لعل الطغاة وكل المستسلمين
القادرين بل وكل المعلمين الدجالين لو كانوا هم الذين دبروا هذا الكيكون
وارادوه وخلقوه لكان الرأس الانساني هو اول ما يدبرون ويريدون ويخلقون .
إنه اعظم واقدم وادوم صديق ذليل مطيع بل خادم مهين مهان لهم . لعل
الآلهة لم ترد أن يوجد رأس الإنسان ولم تدبر ايجاده ولم توجده إلا لأنها قد
فهمت ذلك من اخلاقه ومن استعداده قبل أن يكون وقبل أن تجرب التعامل
معه وبه .

لقد جرب الطغاة رأس الإنسان فوجدوه لهم اكثر مما وجدوه ضدهم
او عليهم . لقد وجدوا رأس الإنسان ، مهما كان شامخا وعظيما ، جنديا
محاربا لتوكيد طغيانهم اكثر مما وجدوه نائرا او محاربا لهم ، بل او محايدا .
إن الرأس ليس هو الذي يرفض او يقاوم أي حينما توجد المقاومة والرفض ،
ولكن الذي يفعل ذلك هو أخلاق الذات ، كالحَيوان الذي يقاوم ، أنه لا يقاوم
برأسه بل بأخلاق ذاته . إن الإنسان قائد لرأسه لا مقود به أو له . إن
الشجاعة والرفض ليسا منطقا او تفكيرا ولكنهما مستوى ذات او حالة ذات
بقدر ما قوة العضل مستوى ذات لا مستوى رأس .

ولو اريد الدفاع بمحابة عن رأس الإنسان لما قيل اكثر أو أفضل من :

انه هو الشيء ونقيضه : هو الخطر والواقى من الخطر ، هو السلاح
والمحطم للسلاح ، هو المنطق والنافى للمنطق ، هو المنطق والمنطق المضاد .
أنه هو الخطيئة والتوبة منها ، والمرض والطبيب ، والآله والدين والنفي
لهما . انه الخرافة والبلادة ، وأنه الذكاء والحقيقة . . إن رأس الإنسان
— أي حين الدفاع عنه وبأسلوب المحابة له — هو العدو للطغاة وللمعلمين
الجهلاء ، المقاوم والفاضح لطغيانهم وجهالاتهم ، ولكنه أيضا وينفس القوة
هو الصديق الحامي القادي السائر للذنوبهم وفضائحهم وغبائاتهم ، والسائر
المستتر عليها وعليهم . أنه المفسر لهم اجمل واكذب والتفسير .

إن هذا أقوى وأصدق ما يمكن أن يحكم به على الرأس الانساني ، أي
حينما يراة الدفاع عنه والجمالة له . أما الحكم عليه بلا جمالة وبلا نية
الدفاع عنه فقد يكون شيئا آخر ، قد يكون اقصى جدا ، ولكنه قد يكون

أصدق جداً .

أذن لقد كان رأس الانسان نفيا لرأسه . لقد كان رأس الانسان هو الخوف والامان ، الذكاء والغباء ، الشجاعة والجبن ، الكبرياء والهوان .

لقد كان هو الطاعة والعصيان ، الصلاة والزندقة ، المقاومة والاستسلام . انه العدو والصديق ، او لا العدو ولا الصديق . لقد اذن الطفاة والمعلمون للرؤوس بأن تبقى ، بأن تبقى جماجم ميتة ، واماكن غير مسكونة او مشحونة ، ان تبقى مثل أسلحة بلا ذخيرة ، وبلا اجهزة اطلاق او تسديد او تفجير . انهم لم يأذنوا لها بالوجود او بالبقاء الا مشترطا عليها بأن تظل كذلك . بل كلا ، انهم لم يتركوها ، لقد فرغوها ، أنهم لم يتركوها مفرغة ، بل لقد شحناها بمادة اخرى . انهم لم يقتلوها او يسكتوها او ينهوها فقط ، بل لقد أمروها وجندوها وحولوها الى اقدر قوة محاربة . لقد زيفوها وحولوها الى اهون هوان وإلى اشهر هزيمة ، وإلى اردا قصة عالمية في الجبن والهوان . ان رأس الانسان لا يقتل او ييتر كما تقتل حياته او تبتر اعضاؤه ، بل انه يحول الى عدو محارب . انه يسخر ليكون انذل واردا الجنود ليحمي وينصر اردا وأنذل الطغيان .

ان شيئا ما في هذه الحياة ، بل في هذا الكون لم يزيف مثلما زيف رأس الانسان . انه لا يزال يزيف بأسلوب عالمي ، بأسلوب لا يزيف بمثله شيء في هذا العالم .

ان الطفاة والمعلمين لم يقطعوا كل الرؤوس ، ولم يأمرؤا بقطعها كلها ، بل لم يريدوا قطعها او موتها او نفيا أو صمتها أو حيادها ، بل لقد ارادوها لهم فوجدوها كما ارادوها .

ان الطفاة والمعلمين لم يريدوا من الرؤوس ان تكون كما يريدون فيجلبوها كما ارادوها فقط . بل لقد ارادتهم هي وبحث عنهم وسعت اليهم ووقفت على أبوابهم طالبة الاذن والسماح لها بأن تؤمن وتطيع وتصلي وتهون بلا حساب . لقد وجدوها دائئا أكثر وأفضل مما ارادوها وأمرؤها .

انهم لم يجلبوها جبانة وذليلة ومهزومة فقط ، او مطيعة ومخلصة لهم فقط ، او منفذة لأوامرهم وتعاليمهم وشهواتهم فقط ، او قارئة حافظة

لخطبهم وليباناتهم الرسمية فقط ، او فاهمة ما يستطيعون او ما يريدون فهمه فقط ، او مدافعة مقاتلة عنهم ودونهم فقط ، او مصلحة في الهياكل والمعابد التي يشيدونها فقط ، او مؤمنة بالارباب والانبياء الذين يأمرون بالايمان بهم او يريدون ان يكون الايمان بهم فقط . أنهم لم يجدوها كل ذلك فقط . بل وجنوها اكثر وافضل وأعظم لهم .

لقد وجدوها اكثر من جبانة ومهزومة ومطبعة ومخلصة ومنفذة وحافطة وقارئة ومصلية ومؤمنة ومبشرة وفاهمة ومدافعة ومقاتلة .

لقد وجدوها مكتشفة ومبتكرة وواضحة ومشيدة لامعابد والهيكل وللارباب والانبياء وللتعاليم وللتفسير والتسويات وللأفكار والنظريات والمذاهب والنصوص والبيانات ولاساليب البلاغة وللفات والتعبيرات والصفات الجديدة ، بحثا عن المزيد من التمجيد والتمكين والعبادة والاعطاء لهم .

— نعم لقد وجدوها مكتشفة ومبتكرة ومشيدة وواضحة ابتداء واختراعا لكل ذلك لتكون ذليلة ومهزومة وكاذبة وخادعة وعابدة ومتلوة أكثر وابعد واعمق مما يريدون او يأمرون او يعلمون او يعرفون او ينتظرون .

ان رأس الانسان ليس مطيعا فقط بل معلم للطاعة ، وليس كاذبا فقط في تمجيد الطغيان بل ومعلم مشروع للكذب .

انه ليس في أعضاء الانسان ما يشبهه او يساوي رأسه في الجبن والنفاق والكذب والهوان والقواية ، وفي تعليم ذلك وتفسيره وتسويفه وفي الدعاية له . ان جميع أعضائه لتعاني عاره وافتضاحه وهزائه . ان كل أعضاء الإنسان لتقاسي من هو أن رأسه .

انه لا يوجد ولم يوجد ألا نبي واحد يعلم ويفسر ويسوغ ويشرع الاكاذيب والغباوات وتمجيد الطغيان وعبادة الاوثان . ان هذا النبي الواحد هو رأس الانسان .

ان جميع الانبياء يتعلمون فنون نبواتهم واخلاق نبواتهم من هذا النبي

المواحد . ان هذا النبي الواحد هو المسوغ والمفسر لكل الاخطاء والبلادات .
والعاهات والمذلات والاهانات والاكاذيب مهما كان مقهورا مأمورا

اجل ، ان الذكاء لا يملك دموعا غزيرة او نظيفة ليذرفها على مجده
المهان المهزوم الراكع .

ان الذكاء لا يملك آية احزان اخلاقية او دينية ليقاسي منها حينما
يفقد كل مستويات واساليب المقاومة والرفض .

انه اي الذكاء ليس اكثر مناقضة او مقاومة او رفضا للطغيان او
للفساد او للجهل الحاكم او الضارب او الواهب او الفارضي لارادة السماء
على شهوات الارض .

انه ليس اكثر نفيا او كرها لاخلاق الحشرة او لضميرها او لتقواها
او لنظافتها ، او لنوع شهواتها او لنوع جوعها وطعامها ، او لاسلوبها في
ممارستها .

ان الحشرة الذكية ليست اكثر الحشرات نظافة او رفضا ، وان
الانسان الذكي ليس اسمى الناس او اقواهم او اشجعهم اخلاقا او عقلا
او نفسا او نية او ضميرا . ان الذكاء قد يكون اجرا واقدر على السقوط
والتلوث وعلى ممارسة العار والهزائم والذنوب . ان الذكاء لا يرفض ان
يكون ندلا ووغدا وذليلا . انه اي الذكاء لا يرفض ان يكون اكثر ندالة
وعارا وذلة من الغباء . بل انه لا يرفض ان يكون غبيا وان يعيش الغباء
اكثرا من الغباء .

هل يوجد شيء يحتاج الى ان يذل ويهون ويكذب ويسقط ويمارس
كل الهزائم ومستويات العار مثل الذكاء الخارق او الموهبة الكبيرة في
مجتمعات الطفلة او في مجتمعات الحكام المتخلفين او الحكام الذين يحكمون
الارض بتوقيع السماء ؟

هل يجرؤ او يقدر شيء على ممارسة كل هذه الرذائل ، او يمارسها
مثل الذكاء الخارق او الموهبة الكبيرة في مثل هذه المجتمعات ، هل ينتظر
من احد ان يتالق ويتعاضم في صنع المهانة والسقوط مثلما ينتظر ان يتالق

ويتعاضم في صنعهما الذكي والموهوب الموجودان في مثل هذه المجتمعات؟

هل يوجد احد يحتاج الى ان يتفوق ، او يفرض عليه ان يتفوق على الحشرة في هوانها وتلوثها وانهازامها مثل الذكي او الموهوب في مجتمع يحكمه طاغية او يحكمه حاكم فاسد او متخلف ، او يحكمه حاكم جاء ليعلن فوق الارض مجد السماء ؟

هل يوجد كائن مشوه او بذيء او مهزوم او ذليل او وقع مثل الذكي او الموهوب حينما يصبح موظفا وعاملا في جهاز الطاغية او في جهاز الحاكم الفاسد او المتخلف ، او في جهاز الحاكم الذي يجيء ليفرض على الارض اخلاق السماء ؟

انه لن يوجد من يستطيعون ان يشوهوا الارض ويلعنوها مثل الاذكيا والموهوبين العاملين في اجهزة الطغاة او في اجهزة الحكام والمعلمين المتحدثين عن اخلاق السماء او في اية اجهزة قوية ضابطة . ان الاذكيا والموهوبين هم دائما الخطر او الخوف الاكبر مهما كانوا دائما هم الامان او المجد او الامل الاكبر .

السيف وأهبا للإله صفاته

« .. أن الناس لم يتحولوا الى موكب بليد ذليل وراء اي نبي ليؤمنوا بمعجزاته وليشهدوا لنبوته وليصنعوا له الانتصارات والمعجزات مثلما فعلوا وراء السيف . ان السيف هو اوقع الانبياء والمعلمين والزعماء وصناع المذاهب والتعاليم والمعتقدات ولكنه اصدقهم واقواهم منطقيا وأكثرهم اتباعا . انه الكذاب الذي لا يوجد اصدق منه والفاجر الذي لا مثيل له في تقواه الدينية والمذهبية والاخلاقية والنفسية . أن البشر لم يجدوا في أكذب كاذب اصدق الصادقين وفي افجر فاجر اتقى الاتقياء مثلما وجدوا في السيف . لقد كان السيف هو العقول والاذان والعيون التي رأى بها الناس والتي بها سمعوا وصدقوا كل فنون ومستويات الجمال والصدق والذكاء والتهديب والاعجاز التي وجدوها في اربابهم وانبيائهم وزعمائهم وفي سائر من علموهم المذاهب والاديان والتعاليم . »

« .. من هذا النبي او الزعيم او الكاتب او المعلم الذي يجيء ليعلم قوما أو ليعلم قومه كيف ينتصرون أو يتفوقون على قوم آخرين ؟ ما اخلاقه وما دينه وما شهامته وما ذكاؤه ؟ هل يوجد في بذاءات البشر أو في ذنوبهم مثل ان يوجد فيهم من يذهبون يعلمونهم كيف ينتصر او يتفوق بعضهم على بعض ؟ كيف استطاع البشر أن يتقبلوا زعماءهم ومعلميهم وكتابهم وقادتهم ؟ ان هؤلاء هم الذين يعلمونهم كيف ينتصر ويتفوق بعضهم على بعض وهم الذين يمتدحون لهم هذه الوقاحة وهذا العدوان البذيء ؟ ان السيف هو الواضع لصفات الاله المفسر لها . انه المدرس للاله صفاته واخلاقه .. » .



ان شر ما في الحكم المكسوب بالسيف انه يبدو وكأنه لا خيار فيه ، فاما ان يبقى بالسيف او يزول بالسيف . وكم ذأ يعني أو ماذا يعني بقاؤه بالسيف وزواله بالسيف واكتسابه بالسيف ؟ ما الثمن ، وما الوسائل ، وما الاسلوب وما التفسير ؟ ماذا يعرف الانسان عما دفعه وفعله لكسب الحكم بالسيف او لبقائه اي لبقاء الحكم بالسيف ، أو لازالته بالسيف ؟ ولو عرف ما دفعه وفعله ثمننا لذلك فماذا يمكن أن يصنع ؟ هل يقاوم ؟

أن السيف لا يستطيع أن يتخلّى عن منطقته بالمنطق ، بأي منطق غير منطقته . أنه لا يستطيع أن يفهم أو يحترم أو يطيع أو يخاف سوى نفسه . أنه لا يستطيع أن يكون مهذباً أو ذكياً . وأنه لا شيء غير نفسه يستطيع أن يقنعه أو يعلمه أو يهزمه أو يحطمه . أنه لا يستطيع أن يفهم أو يتواضع أو يتأدب إلا بالعجز . وأنه لا يستطيع أن يحيا أو يتعامل إلا بالخوف والتخويف ، أي بأن يكون خائفاً وبأن يكون مخيفاً . أن السيف حاكمها لا يستطيع أن يكون غير ذلك أو أفضل من ذلك سواء أوصل إلى الحكم بالسرقة بالاكْتِسَاب أو بالسرقة أم بالتوريث . وأنه كما يكون موصلاً إلى الحكم بالسرقة يكون موصلاً إليه بالتوريث .

أن الواصل إلى الحكم بالسيف لن يستطيع أن يظل إنساناً يتعامل مع الأشياء ومع الأحداث والمواقف ومع الآخرين بأسلوب الإنسان أو بمنطقه أو بمشاعره أو بأخلاقه أو بذكائه . أن الخوف والتخويف هما كل أسلوبه ومنطقه وحساباته في تعامله مع أي شيء وفي فهمه لأي شيء . أن كل أساليبه وحساباته ومنطقه وتعامله ووسائله لن تكون إلا خاضعة للخوف والتخويف ، ومفسرة مقومة بهما .

هل يستطيع من يصنع الخوف أن يكون بلا خوف أو أقل خوفاً ممن يوقع بهم الخوف ؟ هل يمكن أن يصنع الخوف من لا يخاف ؟

أنه أي الصاعد إلى الحكم بالسيف ليس إلا كائنًا يحيا فوق السيف ، ويمشي وينام ويجلس ويتعامل فوقه ، ويرى ويفسرويفكر ويخاصم ويخاطب ويخطب ويواجه التاريخ والمستقبل والأحداث والناس به .

وهل يمكن أن يظل مثل هذا الكائن إنساناً ؟ أو هل يمكن أن يوجد تشوه في الحياة أو في الأشياء أو في الناس ، أو تشويه للحياة أو للأشياء أو للناس مثل هذا ؟ هل يوجد خصم لنفسه وخصم للأشياء مثل هذا الكائن ؟

أذن هل يمكن أن يوجد من يشوه نفسه ويخاصمها ومن يشوه الأشياء والناس ويخاصمها ويخاصمهم مثل القافز إلى الحكم ومثل الجالس على الحكم بالسيف ؟

ان اسلوب الوصول الى الحكم بحد السيف او بضربة السيف او برأفه او بامتشاقه اسلوب لا بد ان يتحول الى منطق لا مثيل له في النذالة والجنون والوقاحة والتدمير . ان وراثة الحكم بالسيف ليست بريئة من نذالة ووقاحة وذنوب الوصول الى الحكم بالسيف . ان توريث السيف ووراثته مثل سرقة . انه لا بد ان يتحول الى سباق مفتوح بين جميع من يستطيعون حمل السيف او ان يتعلموا حمله ، بل بين كل من يظنون انهم يستطيعون حمله او تعلم حمله .

ان معنى ذلك ان يتحول التدبير للجنون المدمر وممارسته سباقا مفتوحا يدخله كل من يريد ان يستطيعه ، او يظن انه يستطيعه ، بل ومن لا يستطيعه ولا يظن انه يستطيعه لكي يموت فيه . ان الموت في ممارسة مثل هذا الجنون قد يكون موتا مثيرا في اغرائه وفي مواجهته . قد يكون الموت في ممارسة الجنون هو افضل واذكى واغوى اساليب الموت ، بل قد يكون اكثرها واقدرها على تقي رهبة الموت .

ان جميع المتوترين والهاقدين والفاضنين والاغبياء والحمقى والمحتملين والباكين والطامحين والباحثين عن الاثارة والتلذذين بصناعة الالام وبرؤية التالين والباكين والمهزومين ، وكذا جميع الهاربين من الخمول ومن الاتضاع ومن التاريخ ومن المولد ومن النفس ومن المشاعر ومن الاستقرار ومن التجارب المهينة المذلة .

نعم ، ان جميع هؤلاء حينئذ لا بد ان يتحولوا الى باحثين عن السيف وعن كل قطعة حديد ليجعلوا منها سيفا . ان ذلك هو الذي لا بد ان يحدث وان يكون المنطق والامل في المجتمعات التي تحكم بسرقة السيف او بتوريثه ووراثته .

انه حينئذ لن يكون هناك مجتمعات او قوانين او مذاهب او اديان او اخلاق على اي مستوى ، بل لصوص وغزاة وقتلة ومجانين ووحوش . انه ليس هناك حينئذ الا حاملون للسلاح او باحثون عن السلاح ، ومضطربون ومضطربون بالسلاح . منتصرون ومنهزمون ، ضاربون ومضروبون خائفون ومخيفون ، ومخيفون خائفون ، اقوياء وضعفاء ، واصليون ومتربصون ، قاتلون ومقتولون ، قاتلون ومنتظرون للقتل ، قاتلون قبل

يصبحون قتلى ، وقتلى كان ممكنا ومستطاعا ان يكونوا قاتلين . او اه ..
اليس هذا الجنون هو الذي تعيشه اكثر المجتمعات وهو الذي عاشه كل
التاريخ أو اكثر التاريخ ؟

انه حينئذ لا يوجد بشر لهم منطق او تقاليد او حضارة او كرامة او
تاريخ او تعاليم او تعاقب من أي نوع ، وانما يوجد شيء واحد ، انما يوجد
سلاح يتقاتل ويتآمر ويدبر بعضه ضد بعض ، ويتربص بعضه ببعض ، فسي
أيدي سفاحين ومجانين ومتآمرين وقاطعي طرق .

وهل يمكن أن يكون سارقو السيف أو وارثوه افضل في تفاسيرهم
او في نياتهم او في سلوكهم من السفاحين واللصوص وقطاع الطريق ؟

انه لو جاز لك ان تقفز الى الحكم بالغزو فاما ان يجوز لك ذلك وحدك
دون كل العالمين ، او انه يجوز لكل من استطاعه كما استطعته تحت
الدعوى التي ادعيتها ، أو الشعار الذي رفعته ، أو المذهب أو الاعتقاد الذي
زعمت الايمان به .

وهل يمكن ان يوجد من يقول باحد الافتراضين ؟

ان الافتراض الثاني يساوي الزعم بان كل من قال انا نبي او انا
اعظم عبقرى فهو كذلك ، او الزعم بان كل من حمل أي سلاح قاتل ومدمر
فان له أن يقتل ويدمر بكل استطاعته تحت السبب الذي يدعيه . انه
يساوي الزعم بانه يجوز لك ، بل يجب عليك باسلوب فردي ان تقتل وتجرح
وتضرب وتشتم وتعاقب وتطارد وتهين وتصادر وتسرق وتخرب كلما
استطعت ذلك وكل ما تستطيع من ذلك ، تحت اية دعوى تدعيها ، او منطق
تراه ، او تفسير تفسره به عملك ، او بلا اية دعوى او منطق او تفسير غير
قدرتك على ذلك وارادتك له . كيف يجوز لك ان تسرق الحكم او ان ترثه
بالسيف لانك استطعت ذلك ولا يجوز لك ان تسرق وتقتل من استطعت
قتله وسرقته كلما استطعت ذلك ؟ ان الافتراض ليس له اية دعوى او منطق
او تفسير سوى القدرة عليه والارادة له . ان الانسان يشتهي لانه يشتهي
لا لان له دعوى او تفسير او منطقا ، ولا لان له مذهب او دينا . وان له
المذهب ودينه لانه يشتهي لا لانه يجب ان يكون له مذهب او دين .

هل يمكن أن يكون قتلك لاي انسان ، او سبك او ضربك او سرقتك له ، أو قطعك لاحدى يديه او لاحدى رجليه تحت اي سبب تزعمه او تعتقده - نعم ، هل يمكن ان يكون عمك هنا لو عملته اضعف منطقا او تفسيراً او تسويفاً أخلاقيا او قانونيا من قفزك الى الحكم فوق السيف تحت احدى الدعاوى او الاسباب التي تزعمها او تعتقدها او تعلنها ؟ او هل يمكن أن يعد كونك قاتلا او سارقا بالوراثة اقل أخلاقية أو شرعية او منطقية من كونك حاكما بالسيف الموروث او وارثا للحكم المصنوع بالسيف ؟

وقد تزعم او تظن ان كل من كان في مثل اخلاصك وصدقك وغيرتك وذكائك فان له ان يقفز الى الحكم بالسيف . ولكن هذا يساوي الزعم بان كل من نظر في المرأة فاعجب بما رأى فان له ان يقتل السلطان او ان يفرق النهر او ان يتزوج الشمس . وهل القفز الى الحكم بالغزو اسلوب من اساليب العشق للذات ؟ أي هل من يفعل ذلك يرى أنه قد اختير واعد ليكون سيفا نبيا ، أي ليكون مداويا للحياة وللناس بالسيف ؟

انه لا يمكن الزعم بان الوصول الى الحكم بالغزو جائز بلا أية شروط . ان ذلك اذن مشروط بشروط حتى في منطق وتصور القافزين الى الحكم بالغزو .

ولكن ما هذه الشروط فيما يزعم القافزون على العروش بالسيف ؟ انها شروط لا تساوي اكثر من التحدث عنها ومن القفز باسمها . انها شروط لا يمكن ان تكون معروفة أو معترفا بها او معلوما وجودها واجتماعها فيمن تشترط فيهم . انها شروط ذاتية يمكن ان يدعي أكثر الناس وجودها وتجمعها فيهم ، كما قد يعجز كل انسان عن ادعائها او عن ان يكون مصدقا في ادعائها .

ان القضية اذن هي ان تفعل بالغزو كل ما تريد وتستطيع دون اية شروط سوى ان تتحدث عن أية دعوى او عن أي سبب او عن أي شيء . ان ما تتحدث عنه ليس هو السبب بل هو التسويغ .

انك لا تغزو فقط بل تغزو ثم تقول وتدعي ما تشاء . انك لست قاتلا او سارقا أو معتديا فقط ، بل ومدافع عن ذلك ، مشرع له ، مفاخر به . انك اكثر من قاتل وسارق ومعتد حينما تصبح مداويا بالسيف أو حينما

تصبح سيفاً نبياً . ان السيف النبي اكثر عدواناً ووقاحة واكبر ذنباً من السيف اللص او السيف القاتل او السيف القاطع للطريق .

انك تقتل وتسرق وتعتدي وتخرب ثم تذهب تزعم كيف يجب ان تفعل ذلك ، وكيف كنت فادياً وبطلاً حينما فعلته ، وكيف يجب ان يكون مقتولاً ومسروقاً ومخرباً ومعتدي عليه كل من فعلت به ذلك .

انه لو جاز لاي نبي او لاي قديس ان يصعد الى الحكم بالفزو لجاز ذلك بنفس المنطق والمستوى لاي لص ولاي قاتل ولاي قاطع طريق ، تحت نفس الادعاء او المنطق او النية .

انه اذا استطاع النبي او القديس ان يفسر ويسوغ قفزه الى الحكم بالسيف واستطاع دفاعه عن ذلك بأي منطق او بأية دعوى فان جميع القتلة واللصوص وقطاع الطرق يستطيعون ان يفعلوا ذلك ، اي ان يقفروا على الحكم بالسيف بنفس الحجة وبفساد القدرة على الاقتناع . ولا يوجد منطق او نموذج او قياس او قانون يستطيع بالحتم والحسم ان يفهم به الفرق بين هذا وهذا .

انه لا توجد علامات سماوية تعلن عن الفرق بين النبي واللص ، اي بين النبي القافز على الحكم بالسيف وبين اللص القافز نفس القفز تحت نفس الدعوى . ولهذا فان اي قافز على الحكم بالفزو لا بد ان يكون فسي منطق الاشياء او في منطق المثل خارجاً على القانون ، وقتلاً ولصاً ومخرباً ومعتدياً وعدواً للمجتمع حتى ولو كان اعظم الانبياء او اعظم القديسين ، بل حتى ولو وهب الانبياء والقديسين جميعاً نبواتهم وقداساتهم ، او وهب السماء شمولها واقمارها ، ووهب الارض حقولها وانهارها ، او وهب الانسان كل آثامه واوهامه وشهواته واكاذيبه وغباواته السعيدة .

ان القافز على الحكم بالفزو مجرم يجب عقابه ورفضه مهما كان عطاؤه او كان شخصه او شخصيته او نيته او منطقته او مواهباته واحتياجاته ، لانه بكل التفاسير والمعاني والقيم التعليمية والمنطقية خروج على المجتمع ، وفساد او اسقاط لكل نظام او اخلاق او التزام او امان او ضمان او ثقة في المجتمع .

انه اي القافز بالسيف على الحكم يتحول الى تشريع وتحريض على

وجود اللصوص والقتلة وقطاع الطرق والغزاة ، وعلى تكاثرهم وتعاقبهم .
انه يتحول الى تشريع لعمالهم وتدريب عليه وتمجيد له .

انه دعوة ملحة للصوص والقتلة والغزاة وقطاع الطرق ليجئوا
ويتعلموا ويتكاثروا ويزدادوا جراءة ووقاحة ومجدا وسلطانا .

انه لهذا لا بد أن يكون خارجا على جميع المذاهب والاديان والنماذج
الاخلاقية والفكرية حتى ولو كان اي القافز على الحكم بالغزو هو اعظم
الانبياء أو اعظم القديسين . أما وارث الحكم المفقوز عليه بالسيف والمحمي
بالسيف ، أو الوارث للسيف المفقوز به على الحكم والمحمي به الحكم ، أو
الوارث للحكم من القافز على الحكم بالسيف والمحمي بالسيف ، فهذا قد
يكون اقل ضجيجا وتهديدا ولكنه لن يكون افضل ، وأتقى ، كما انه لن يكون
اقل اهانة لكرامة الإنسان وكبريائه .

★ ★

ان من اوقع واقبح اخلاق السيف انه لا يستطيع ولا يريد أن يقول
لنا ان حامله لص او قاتل او مخرب او تافه او بليد أو كاذب حينما يكون
كل ذلك . بل انه حينئذ لا يستطيع ولا ينوي أن يتوقر أو يتأدب أو يخجل
فيصاب بالصمت او يختار الصمت .

انه حينئذ لا بد أن يتحول الى ضجيج ، معلننا بكل اللغات والاصوات
والاساليب بأن حامله ليس ألا بطلا او نبيا ، بل بطلا نبيا ، بل ليس الا اعظم
مفكر وفيلسوف وعبقري .

ان السيف هو افجر واوقع واغوى المفكرين والفلاسفة والانبياء
والمعلمين والقديسين والخطباء ، وأقدرهم على الاقناع في كل التاريخ . انه
النبي الذي لا مثيل لمعجزاته في القدرة على الاقناع .

ان السيف هو اقوى واكثر الانبياء معجزات . ان نبوته لا مثيل لها
في كثرة وقوة وصدق معجزاتها وفي قدرتها على ان تكون مرئية ومعلومة
ومرهوبة ومصدقة .

انها النبوة التي يؤمن بها ويرى معجزاتها كل من لا يؤمنون بالنبوات

وكل من لا تستطيع عيونهم أن ترى المعجزات .

ان سكان الارض لم يتحولوا الى موكب بليد ذليل كئيب وراء أي نبي
ليتهنوا له ، وليصدقوه ، وليشهدوا لنبوته ، وليصنعوا له الانتصارات
والمعجزات ، مثلما فعلوا وراء السيف .

ان السيف هو أقوى واشهر معجزات الانبياء ، كما ان معجزاته هي
أقوى وأذكى وأعظم مجدا وقدرة على الاقناع من معجزات جميع الانبياء .
انه اوقع الانبياء والمعلمين وصناع المذاهب والتعاليم ، ولكنه اصدقهم
واقواهم منطقا وأكثرهم أتباعا . أنه الكذاب الذي لا يوجد اصدق منه ،
والفاجر الذي لا مثيل له في تقواه الدينية او المذهبية او الأخلاقية او
النفسية .

ان البشر لم يؤمنوا بصدق وبتقوى فاجر كذاب مثلما آمنوا بصدق
السيف وبتقواه .

ان السيف هو اقبح نبي صنعه البشر ليفضحوا به انفسهم ، ليفضحوا
به جميع مستوياتهم الانسانية ، وليدللوا به على انهم يملكون جميع مستويات
الهبوط في الذكاء ، وفي الرجولة ، وفي الشجاعة ، وفي الوقار والكبرياء
والعظمة ، وفي النبل النفسي والاخلاقي . انه اقسى وأقوى شاعر عالمي
لهجاء الانسان .

ان البشر لم يخترعوا السيف ويصنعوه ليظل سيفا فقط بل ليصبح
سيفا ونبيا . وهل يستطيع السيف ان يظل سيفا فقط ؟

لقد كان اختراع السيف النبي او السيف فقط اسلوبا فظيحا من
اساليب الهجاء والتحقير للانسان . لعل الانسان لم يستطع ان يهجو ويحقر
عقله وأخلاقه مثلما فعل ذلك حينما اخترع السيف وتعلم وضعه في يده ،
وحينما حوله الى معلم ومقنع بالاديان والمذاهب ، وبالالهة والانبياء ،
وبالمعلمين ، وبالزعماء والقادة ، وبالتحدث عن بطولاتهم ومزاياهم .

لقد كان السيف هو العقول والأذان والعيون التي رأى بها الناس
وسمعوا واقتنعوا بمعجزات وجمال وصدق وذكاء الالهة والانبياء والزعماء

وسائر المعلمين للمذاهب والاديان .

ان السيف هو افجر واكبر واغوى كذاب جاهل صاغ للانسان آلهته
وانبياءه وزعماءه وقادته ومعلميه ، وصاغ له اديانه ومذاهبه وتعاليمه ،
ووهبه القدرة على رؤية مزاياهم ومزاياها وعلى الاقتناع بهم وبها .

ان الالهة لم تصدق نفسها ولم تر جمال وجودها بكل هذه الروعة
والاقتناع والاعجاب لولا السيف .

انه لم يكذب احد في التاريخ مثلما كذب السيف ، وانه ايضا لم
يصدق اي كذاب في التاريخ مثلما صدق السيف !

ان السيف هو أكذب كذاب واصدق صادق . لقد عومل كلبه بكل
مستويات الحفاوة والتصديق .

ان السيف لم يكن في اي وقت ولا يمكن أن يكون ضرورة او حاجة او
وظيفة او قيمة في حياة الانسان ، ولكنه اي السيف هو الذي يجعل نفسه
كذلك او يبدو كذلك . ان السيف لن يكون له معنى في يدك الا لانه موجود
في يد اخرى . انه في يدك وفي اليد الاخرى لن تكون له اية وظيفة او
قيمة من اي نوع في الحياة ، ولن يكون منطقا او احتياجا في أي شيء او
لاي شيء . انه لم يوضع في يدك وفي اليد الاخرى بمنطق او تدبير او
احتياج من الحياة .

انه داء دائما ، انه لا يكون دواء لاي شيء .

ان السيف هو النبي الذي لن تكون له اية رسالة مهما كانت معجزاته .
ان جميع الانبياء في كل التاريخ لا يملكون المعجزات التي يملكها اصفر سيف
يحكم به اصفر دجال يفقد كل مستويات الشجاعة .

✱ ✱

أن كثيرا من انتصاراتنا اللامعة والمدوية والباهظة الثمن لا يعني اية
قيمة موجودة او مرجوة . أن الانتصارات على الآخرين او على الاعداء

والخصوم ليست الا عملا من أعمال الهزيمة . أنها ليست الا اسلوبا باهظا
وشريرا وبليدا من أساليب البحث عن الهزيمة أو الخلق لأسبابها . أنها
ليست علاجا لاي شيء ولا مجدا لاي كائن .

ان هذه الانتصارات ليست الا بكاء وعدابا وضياعا وهزائم قد جاءت
باسلوب آخر ، او قرئت بلغة اخرى . ان الاحساس باليأس وبالورطة
وبالعجز هو الذي يدفعنا اليها او يدفعها آلينا . أنها لتبتكر لنا الاعداء وتجد
في تحويلهم الى اعداء اقوياء . وانها لتحول أنفسنا الى حرائق رهيبة تتلظى
بالمخاوف والتوقعات وبكل الانفعالات الشريرة الباهظة .

ان انتصاراتنا على الآخرين ليست الا عقابا لتفكيرنا ولاخلاقنا وليوننا
ولجمالنا ولسرورنا ولقدرتنا على الحب ولحاجتنا الى الأمن والاطمئنان.

وهل يمكن ان يعاقب البشر أنفسهم بأقسى أو اردأ من معاقبتهم
لأنفسهم بانتصارهم على الآخرين ؟

ان انتصاراتنا على الناس عقاب لابنائنا واحلامنا ، أنها تشويه لهم
ولها . حتى انتصاراتنا على الاعداء والخصوم والمنافسين ، انها كذلك .

ان كل انتصار على البشر ، حتى على الاعداء والخصوم لا بد ان يحمل
في أحشاء كبريائه جنين هزيمة ، هزيمة محتومة او متوقعة . ان جميع
المنتصرين على الناس لا بد ان تعيش فيهم احتمالات الهزيمة . أنهم لا بد ان
يواجهوا الهزيمة او لا بد ان يظلوا يستحقونها . ان استحقاق الهزيمة هو
ممارسة للهزيمة بالمنطق والخيال والتوقع والتفكير والقانون . وهذا قد
يكون اقصى اساليب المواجهة للهزيمة .

ان أي انتصار ليس الا هزيمة واستحقاق هزيمة . انه هزيمة للانسان
الذي انهزم ، واستحقاق هزيمة للانسان الذي انتصر . اذن فان كل انتصار
لا بد ان يتحول الى هزيمة واقعة ، والى هزيمة مستحقة . وكلتا الهزيمتين
واقعتان بالانسان . ان الانسان لا ينتصر الا اذا انهزم ، او الا لانه قد انهزم .

اذن فكلما انتصر الانسان اي انتصار فالمعنى المحتوم لذلك أنه قد
اصيب بهزيمة واستحق هزيمة .

ان الذين ينتصرون انتصارا لا يتحول الى هزيمة واقعة والى هزيمة اخرى متوقعة او مستحقة هم الذين لا يقفون موقف الخصام المحتاج الى الانتصار او الباحث عن الانتصار . واذا وقفوا موقف الخصومة او وضعوا في موقف الخصومة عالجوا هذه الخصومة او تصرفوا في مواجهتها مثل قضاة واطباء نفسانيين وفكرين وانسانيين ، ومثل اصدقاء ومتعاونين ومنقذين ، لا كأعداء وخصوم وباحثين عن الاذلال والقهر والتفوق العدواني، لا كوحوش ولا كأبطال يريدون الانتصار على الناس وعلى الأعداء والخصوم، ويريدون ان يصنعوا هذا الانتصار باعلان ومباهاة وضجيج وباذلال لا كرامة ولا رحمة ولا بطولة ولا تهذيب فيه . لانه لا يسعدهم ولا يرضي نزعهم أن يخرجوا من اية خصومة خروجاً لا جراح فيه، اي خروجاً لا نصر ولا هزيمة فيه .

ان الباحثين عن الانتصار لا يبحثون عنه لانهم يريدون فقط ان يكونوا منتصرين ، بل ولانهم يريدون أيضا أن يكون الآخرون منهزمين . انه ليس المطلوب الانتصار فقط بل والهزيمة لانسان ما او لقوم ما .

ان انتصارك لا يساوي في نفسك انتصارك بل وهزيمة انسان آخر . فهل يوجد اذن اقبح من انتصارك ؟

ان شهوتك ليست فقط أن تكون قويا وسعيدا بل وان يكون أولئك الآخرون أو اي آخريين ضعفاء واشقياء . قد يكون عذاب الآخرين شهوة من شهوات مجذك . قد يكون جوع الآخرين معنى من معاني استمتاعك بطعامك وبشبعك .

انه دائما يوجد قوم لا يستطيعون أن يكفوا عن الاحتلام بالانتصارات الاعلانية المذلة المقرعة ، وعن السعي وراءها . ان هؤلاء هم قدر شرير على الإنسانية . أنهم اخبث وافدح اعدائها واعداء أنفسهم .

ان انتصارات هؤلاء القوم تتحول الى جراح لا تعالج الا بجراح أشد منها . انها تتحول الى داء لا يستطب منه الا بالقتل .

ان انتصارات السيف هي العلة التي لا تداوى الا بالموت والهزائم وبالأحزان والآلام . ان انتصارات السيف هي التعبير البذيء المهين عن

هزائم الانسان .

هل في جميع وقاحات البشر وقاحة تساوي وقاحة من يذهبون يتحدثون عن انتصاراتهم على الآخرين ويحتفلون بها ، ويحولون الاحتفال بها الى اعياد موسمية ووطنية وقومية ، والى مهرجانات خطابية ودعائية ، تدق فيها ولها كل الطبول ، اعلانا عن هزيمة وقهر قوم او انسان او شعب او مذهب او قائد او دين بل او اله ؟

ان هؤلاء لا يحتفلون او يفرحون بانتصارهم بل وبهزيمة اقوام آخرين وبهزيمة اديانهم او مذاهبهم او اوطانهم .

اذن هل يعرف المحتفلون بانتصاراتهم ماذا تعني احتفالاتهم ؟ هل كل البشر اطفال وحمقى ووحوش ؟ ولكن كلا .

هل الوحش يريد الانتصار او يتغذى به او يبحث عنه ؟

هل الوحش يسعد بالانتصار سعادة دينية او مذهبية او اخلاقية او وطنية او قومية او عرقية او نفسية او فكرية كما يسعد الانسان هذه السعادة ؟

اذن هل الانسان وحش ، او هل الوحش انسان ؟

هل توجد وحشية بل او نذالة او بلاهة او وقاحة تساوي فرح الانسان بانتصار الهه او نبيه ؟

انه يعتقد ان الهه او نبيه يفرح بانتصاره على الانبياء او على الالهة الآخرين . اذن هل توجد وحشية او بلاهة او نذالة او وقاحة مثل وحشية الانسان او مثل بلادته او نذالته او وقاحته ؟

ان الوحش يفترس بلا رحمة او تقوى . ولكن الافتراض ليس بحشاعن الانتصار ولا ارادة للانتصار . ان الافتراض اذن افضل جدا او اقل نذالة جدا او اقل وحشية جدا من ارادة الانتصار ومن البحث عنه .

ان الوحش لا يفترس ليصنع الهزيمة والهوان للآخرين مثلما يصنع
الانسان ومثلما يريد وينوي ويشتهي .

ان ارادة الانتصار والبحث عنه والتغذي به ، بل والمباهاة به مستوى
انساني فقط ، بل ومستوى آلهة أيضا . ان الالهة والبشر هم وحدهم الذين
يريدون الانتصار على الآخرين ، ويبحثون عنه ، ويتغذون ويسعدون به .
انهم اي الالهة والبشر لا يريدون الانتصار فقط لانفسهم بل والهزيمة
للخصوم والمنافسين والآخرين . انهم يتغذون بالانتصارات وبالهزائم . ان
الانتصار ليس انتصاراً فقط في حسابهم بل وهزيمة .

ان هزائم الآخرين هي التي تهب انتصاراتهم قيمها وتفسيرها المذهبية
والدينية والنفسية والفكرية .

ان ارادة الانتصار في حسابات الالهة والبشر لا تساوي فقط النتيجة
التي يعطيها الانتصار . ان الالهة والبشر يريدون الانتصارات دون ان
يحسبوا بنتائجها أو دون أن تكون مساوية لنتائجها أو مرتبطة بها ، بل ودون
أن تكون لها نتائج من أي نوع سوى ارادتها، بل وحين يكون توقع النتائج مضادا .

ان الانتصار مطلوب ومراد بلا ثمن او تفسير او منطق خارجي . انه
هو ثمن نفسه ، وهو منطقها وتفسيرها . انه في حساب الالهة والبشر لا
يساوي ما يهب بل يساوي الشعور به ، ويساوي ما يعني من هزيمة واذلال
للآخرين او للخصوم والمنافسين والاعداء . ان اذلال الخصوم والمنافسين
دون انتصار لافضل في حساب الالهة والبشر من الانتصار لو جاء بدون
اذلال لهؤلاء الخصوم والمنافسين .

ان الالهة والبشر لا يطلبون الانتصارات أو يسعدون بها لانها تفوق
ذاتي ، ولا لانها تمجيد للتقوى أو للحق أو للعدل أو للجمال أو للعبقريّة
والذكاء ، بل لانها تحقير وقهر لكائنات أخرى . ان التحقير والقهر هما أعظم
ما تتغذى به شهوات الالهة وشهوات البشر . انهم لن يجدوا مذاقا لكلمة
« انتصرنا » لولا المذاق الذي يجدونه في كلمة « قهرنا وحقرنا » .

اذن هل آلهة والبشر وحوش ؟ هل الوحوش تسعد باذلال الآخرين
وتحقيرهم مهما سعدت بافتراسهم او جاءت الى كحومهم ؟ هل هي تريد ذلك

او تبحث عنه او تفعله ؟ هل هي تجد فيه اي مجد مذهبي او ديني او اخلاقي او وطني او قومي ؟

ان الوحوش تفترس فقط دون ان تشعر بالسعادة او المجد او بالكبرياء لانها قد استطاعت ان تدل وتحقر وتقهر شيئا او احدا ، ودون ان تقيم المهرجانات الموسمية احتفالا باذلالها وتحقيرها وقهرها لكائنات اخرى ، ودون ان تصنع الاشعار وتنشدها ثناء على نفسها وعلى اربابها وانبيائها وزعمائها ومذاهبها ، ودون ان تجد في ذلك اي مجد من أي نوع كما تجد الالهة والبشر في افتراسهم .

ان الالهة والبشر لو انتصروا على الاعداء والخصوم والمنافسين ثم لم يقتنعوا بان الهوان والتحقير قد اصابا اولئك الخصوم والمنافسين والاعداء لما وجدوا لانتصارهم النشوة ولا القيمة ولا الجزاء المطلوب والمتوقع .

ليس الانسان اذن يبالغ في الثناء على نفسه وفي الدفاع عنها وفي محاباتها حينما يصفها بالوحشية ؟ او لعله بذلك يضعف نفسه ويسلبها صفاتها وخصائصها التي لا يملكها سواه حتى ولا الوحش . لعل الانسان يتواضع كثيرا ويصغر كثيرا حينما يصف نفسه بالوحشية او بأنه وحش لانه هو اكثر من ذلك جدا . انه اكثر من وحش وأن وحشيته أقوى وأشمل واقسى من جميع الوحشيات . ان الانسان ليس وحشا بجوعه فقط كالوحوش التي في الغابة بل هو وحش ايضا بأخلاقه واديانه ومذاهبه وافكاره وطموحه وغرائزه .

هل يمكن ان يشفى الانسان من هذه الوقاحة البذيئة ، اي من ارادة الانتصار على الآخرين ، او على الاعداء والخصوم والمنافسين ، ومن مشاعر الابتهاج والسعادة بهذه الوقاحة، ومن ارادة الاذلال والقهر والتحقير لهؤلاء؟

هل يمكن ان يشفى من العمل لهذه الوقاحة ومن المباهاة النفسية او الدينية او المذهبية او الاخلاقية او الوطنية او العرقية بها ؟

هل من الافضل للانسان ان يشفى من هذه الوقاحة ؟

هل تسعد الحياة او الانسان لو شفيت أو شفي من الوقاحات ؟

وهل يمكن أن يتقبل الالهة او الانبياء او الزعماء ان يكون البشر لهم
رعايا واتباعا لو كانوا اي البشر غير مرضى بالوقاحات ؟ هل يعجبون حينئذ
بهم او يرضون عنهم او يباهون بكونهم رعايا واتباعا لهم ؟

وهل يكون البشر رعايا او اتباعا او عبيدا جيدين لو كانوا مهذبين ؟

هل التهذيب معنى جيد في الاشياء او في الحياة او في البشر ؟

هل الحياة محتاجة الى التهذيب أكثر من احتياجها الى الوقاحات ؟
وكيف تعرف احتياجها ؟



ان اهواء الناس ومشاعرهم حتى الاقوياء منهم منحازة دائما او في
الافتراض الدائم الى الضعفاء والمقهورين ، اكثر واصدق من انحيازها الى
الاقوياء القاهرين المزهوين بقوتهم وانتصاراتهم .

ان الضعيف المغلوب يشعر الناس بتفوقهم وقوتهم وبأنه محتاج الى
رحمتهم ورعايتهم وحمايتهم دون ان يخيفهم او يحرك غيرتهم أو منافساتهم .
اما القوي فانه ينازعهم القوة والتفوق ، وقد ينتزعهما . انه منافس للاقوياء
ومذل للضعفاء . انه اذن ليتحدى الاقوياء والضعفاء . انه يشعرهم ويقنعهم
بأنهم محتاجون الى محاباته والى غفرانه ، والى رحمته او عدله أو كرمه أو
تواضعه . انهم محتاجون دائما الى الخوف منه والى التفكير فيه ، والى
الصلاة والنفاق له بأسلوب ما او بعدد من الاساليب . انهم لا يستطيعون
الا ان يحاسبوا مشاعرهم وتفكيرهم ومواقفهم ولغاتهم ازاءه . انه موجود
دائما بقوة وبارهاب داخل وجودهم . ان القوي استعباد لوجود الناس . انه
عدوان عليهم . ان وجود انسان أقوى من انسان لهو أعلى مستويات العدوان
والظلم .

ان في هذا كل معاني الازلال وتفاسيره لكل معاني الانسان ولكل
تفاسيره .

اذن كيف يمكن الا يهب الناس اصدق واقوى بفضائهم واحقادهم للاقوياء

والمنتصرين على الناس ؟

انه مهما كانت مظاهر او اساليب التقدير او الاحترام او الحب
للاقوياء وللمنتصرين على الناس ، على الخصوم والاعداء والمنافسين فان
مشاعر الناس واهواءهم ونياتهم تقاومهم وتعاقبهم وتتخطاهم ، وتنحاز كما
تغضب وتغار ولو سرا وهمسا ، للضعفاء والمقهورين .

ان تفسير هذا او اسبابه هي مشاعر الانتقال بالذات الى مكان
الاخرين ، ورؤيتها اي الذات بالتصور في مثل ظروفهم اي ظروف الاخرين ،
وتخليها معانية ومواجهة ما يعانون ويواجهون .

اننا احيانا او دائما نضع انفسنا او نجدها او نحسها بالشعور
والتصور في مواقف الاخرين وداخل مشاعرهم وذواتهم .

اننا لا نستطيع ان نحيا خارج الاخرين كما يستطيع ذلك النمل
والبراغيث .

ان الذين يستطيعون ان يحيا خارج ذوات الاخرين ومشاعرهم ليسوا
الا نملا وبراغيث جاءوا بأحجام البشر وصيغهم .

ان الانسان كائن منتقل او شامل بالفكرة والمماثلة والاحتمال وبالرؤية
المتحركة . انه لا توجد أية حدود عازلة من اي نوع بين ذاتك وذوات الاخرين ،
او بين ذاتك وجميع الذوات الاخرى المثيلة او الشبيهة .

ان موت ومرض مثيلك هما حتما موت ومرض لك ما لم تكن نملة او
برغوثا .

لهذا فاننا قد نتعذب ، بل يجب ان نتعذب حينما نرى او نعلم من
يتعذبون او يكون او يحقرون ويهزمون ، او يظلمون ، او يمرضون
ويموتون . كما قد نلن ونكره ، او كما اننا لا بد ان نلن ونكره ، او كما يجب
ان نلن ونكره الظالمين والقهارين المذلين . ان هؤلاء بالتصور والاحتمال
والمماثلة وبمنطق الانتقال كأنهم يظلموننا ويقهروننا ويدلوننا نحن . ان وقوع
الاذلال او الظلم في عيني او في علمي معنى من معاني وقوعه في ذاتي .

كيف وقع الظلم والقهر والاذلال على اولئك ولم يقع علينا ؟

ما الفرق ؟ الا يمكن ان يقع علينا بالمنطق أو بالقانون أو بالعدل الذي وقع به عليهم ؟ الا يمكن ان يقع علينا دون ان يقع عليهم بالاسلوب المذبي وقع به عليهم دون ان يقع علينا ؟ لقد اصاب هذا الانسان بهذا المرض . اذن يمكن ان اصاب أنا به ، بل يمكن أن اصاب به دون من اصاب به .

اننا حينما نشاهد قويا متجبرا يضرب او يذل ضعيفا نجد اننا بأسلوب ما او على مستوى ما تقاوم ما نشاهد . أننا لا بد ان تقاوم ذلك بأحد اساليب المقاومة مهما بدا او مهما حسبنا او حسب الآخرون اننا لا تقاومه ، بل مهما بدا أو حسب او حسبنا اننا نساعد القوي المتجبر على الضعيف المقهور .

اننا لا بد ان تقاوم ذلك ولو بمنطقنا او باشمئزازنا او بخوفنا أو بوعظنا او بغيرتنا وحسدنا ، بل او بتوريطنا المدمر لذلك القوي المتجبر وبمساعده على السير اكثر في طريق الهلاك والسقوط . أن مساعدة الجبار على السقوط أسلوب غير مقصود او مدبر لمقاومته . انه قد يكون اقوى اساليب مقاومته .

اننا لا بد ان تقاوم هذه المقاومة حتى لو بدا اننا لا تقاومها ، بل حتى ولو لم تقاومها . ان حرس الطاغية الجبار وشعراءه ومستشاريه ليقاومونه كما يفعل اعداؤه ولكن بأسلوب آخر ، بأسلوب قد يكون أكثر فتكا به وأسرع الى التعجيل بنهايته مهما كانت ندالة هؤلاء .

لماذا نفعل ذلك ؟ هل لاننا طيبون ؟ قد نزن ان الامر كذلك ، او نتمنى ان يكون كذلك .

ولكن التفسير لهذا الموقف أو لهذا الانحياز أو لهذه المقاومة هي ان القوي المتجبر يتحدانا ويخيفنا ويذلنا وينتصر علينا . انه يجعلنا بالاحتمال والقياس والمثابهة ، نحن المهانين المقهورين المظلومين المعتدى عليهم . اذن لا بد ان تقاومه بأسلوب ما من اساليب المقاومة ، وان نتنصر لضحايا المظلومين الذين يعيشون فينا ونعيش فيهم على نحو ما وبتفسير ما . أن كل انسان واي

انسان يعيش في كل انسان باسلوب ما ويتفسير ما .

اننا نضرب ونشتم ونحقر حينما يفعل ذلك غيرنا او بمثلنا . ان ضارب وشاتم ومحقر وهازم غيرنا او مثلنا هو فاعل بنا ذلك في التشبيه والمقارنة والتصور والاحتمال .

انه اذا كان موت مثيلك يعني حتما موتك فان ظلم او اهانة مثيلك تعني ظلمك واهانتك ولو بالاحتمال .

ان غيرنا او مثلنا هو نحن باسلوب اخر او في ذوات او ظروف اخرى . اننا لسنا انفسنا فقط ، بل نحن ايضا الآخرون .

اننا اذن نقاوم دفاعا عن انفسنا حينما نقاوم الاقوياء والطغاة دفاعا عن الضعفاء المقهورين . حتى ولو كنا نحن طغاة اقوياء في مواقف اخرى مشابهة .

ان التداخل المحتوم بين ذات المظلوم المهان الباكي وبين ذات الرائي اي بين ذات المتألم وذات المشاهد له هو الذي وهب وصاغ كثيرا من الظواهر الاخلاقية والانسانية، مع جميع ما يبدو فيها من عواطف بشرية نبيلة وبريئة، ومن رحمة وثناء للمحزونين والمظلومين والمتعذبين والباكين .

ما كان اغزر الدموع التي ذرفها البشر ويلدرفونها دائما ، وكأنها دموع تذرفها عيون واحزان الملائكة فوق خدود وآلام الالهة .

كانها اصدق الدموع والاحزان الانسانية رحمة بالمعذبين وحنانا على الآخرين ، بينما هي دموع واحزان ذاتية ، تذرف وتقاسي خوفا على النفس ان يصيبها ما اصاب اولئك الآخرين المعذبين .

ما كان اغزر وأصدق الدموع والاحزان الانانية التي جاءت وقرئت وفسرت وكأنها اتقى الدموع والاحزان الانسانية .

ما اكثر الانبياء والمعلمين الذين جاءوا ليبكوا آلامهم وهمومهم بعيون

وقلوب الآخرين . ما اكثر الذين يركبون عيونهم في وجوه الآخرين .

ما اكثر الذين يعلنون عن احزانهم وجراحهم بالاعلان عن احزان وجراح من قد يدخلون الجحيم . ما اكثر الذين بكوا وتروعوا وتعذبوا استفظاعا لجحيم الآخرين لانهم يخشون ان يكون ايضا جحيمهم ، او لانهم تصوروا جحيمهم وتحدثوا عنه بأسلوب التحدث عن جحيم الآخرين والتصور له .

ما اكثر الذين راوا الاله حزينا وغاضبا لانهم كانوا محزونين وغاضبين وخائفين . ما اكثر الذين راوا الشيطان لابساً كل ادوات الحرب لمقاتلة الانسان لانهم هم كانوا يقاسون الخوف من شيء ما . ما اكثر الذين خافوا على الانسان من الشيطان لان شيطاناً ما كان يعيش في داخلهم .

ما اكثر الذين تخلقت في عقائدهم واقتناعاتهم كل صور الجحيم لان حياتهم كانت تعيش كل معاني الجحيم . ما اكثر الذين تحولت آلامهم ومخاوفهم وهمومهم الى الهة وانبياء ومذاهب ، والى اخلاق الهة وانبياء ، والى منطق وتعاليم الهة وانبياء ، والى مخاوف وهموم وآلام الهة وانبياء .

ما اكثر الذين سفكوا الدموع والاحزان رثاء لدموع واحزان الالهة وخوفا عليها من شرور واثام الزنادقة والفاسقين لان عيونهم وقلوبهم هم كانت مملوءة بالدموع والاحزان ، او بالخوف من هؤلاء الزنادقة والفاسقين ، او بالفيرة منهم ، او بحسدهم ، او بالمنافسة لهم ، او بالمعجز عن مباراتهم ، او بالرهبة منها . ما اكثر الذين تعذبوا لانهم وجدوا من يتعذبون ، ولانهم لم يجدوا فروقا او حدودا طبيعية او انسانية او حدودا من اي نوع بينهم وبين من يتعذبون .

ان الذين تعذبوا خوفا من الموت لم يعلموا انهم لا بد ان يموتوا الا لانهم وجدوا من يموتون .

ولكن الظروف والاحداث والمشاعر المتناقضة والمتحاربة بلا تقوى او شرف قد تضلل هذا التداخل في المشاعر والدوات بين الباكين والمشاهدين ، بين اللوات والمشاعر المتلقية وبين اللوات والمشاعر المتوقعة او الماثلة او التي أخطأتها الضربات التي أصابت مثلها .

لهذا فقد نفقد أحيانا العطف والانتصار للضعيف المغلوب المظلوم لنهب كل عطفنا وهوانا وانتصارنا النفسي والفكري والسلوكي للأقوياء المنتصرين الباقين المتحدين لكل احتمالات الكرامة والشرف والشجاعة والكبرياء فينا بقوتهم وطفيتهم وبيانتصاراتهم المهينة لنا واكل الناس .

أنا قد نريد أن نصبح عضلات في اليد الضاربة المهددة لنا . اننا حتما نفعل ذلك أحيانا كثيرة بتدبير .

أنا قد نشعر أو نقدر أو نتوقع أحيانا أن احتمالات القوة والانتصار محسوبة أو مرصودة أو مدخرة للضعفاء الذين يسامون الهوان والتعذيب ، وأن هؤلاء الضعفاء المقهورين قد أصبحوا بالاحتمال والتوقع وبالمنطق أيضا هم أقوياء أغد وطفاته ، وأصبحوا لذلك مهددين لنا بالخطر المتوقع وأنا نحن الذين أصبحنا نعيش احتمالات الضعف والهزيمة ، أو أنا قد أصبحنا بالاحتمال والتوقع نحن الضعفاء المهزومين .

أن الخوف بالتوقع أو الخطر المتوقع قد يكون في حسابنا أكبر من الخوف الواقع أو من الخطر المتوقع .

أنه حينئذ قد يختل أو لا بد أن يختل هذا التداخل في المشاعر والنيات الذي يصنع كثيرا من تعبيراتنا الأخلاقية والإنسانية ، والذي يجعلنا

ننتصر بمشاعرنا ونياتنا للباكي ضد الضارب . أنه حينئذ يحدث العكس . أنا حينئذ نذهب ننتصر وننحاز للقوي الضارب ضد المضروب المغلوب . وشواهد هذا الانحياز أو الانتصار للأقوياء الضاربين ضد الضعفاء المضروبين شواهد كثيرة في الحاضر وفي كل التاريخ . حتى لقد أصبح ذلك يشبه القانون في أخلاق الإنسان . ولكن هذا قد يكون في المعنى أنحيازاً ضد الأقوياء المنتصرين والضاربين بالاحتمال والتوقع . أن هذا قد يكون أحد التفاسير أو كل التفاسير في هذه القضية .

نعم ، لقد ظل البشر أو أغلبهم في كل التاريخ أو في أغلب أخلاق التاريخ ينحازون ضد الإنسان الضعيف المعتدى عليه ، انتصارا وتعصبا للالهة القوية الضاربة المعتدية . لقد ظلوا ينحازون ضد أنفسهم وهم المقهورون المظلومون الباكون المعتدى عليهم ، دفاعا عن قاهرهم وعن صانع

دموعهم وهزائمهم وهوانهم ، وتمجيذا وتنزيها له . اي دفاعا عن الاله وتمجيذا وتنزيها لاخلاقه ولذكائه ولعقريته من كل اتهام . وهل يوجد انحياز للاقوياء المنتصرين القهارين المذلين مثل انحياز البشر او المؤمنين منهم الى الالهة ؟ وهل يوجد خروج على المنطق وعلى الاخلاق مثل هذا الانحياز ؟

كيف حدث هذا الذي حدث ؟

لقد كان المتوقع ان يتحالف كل البشر ، حتى المتعادون المتقاتلون جدا ضد الاله . انه قاهرهم ومدلهم وخصمهم جميعا . انهم جميعا مظلومون ومغلوبون وباكون ومضروبون ، حتى الظالمون الغالبون الضاربون المبكي منهم . لقد ظلمهم وغلّبهم وضربهم وابكاهم جميعا الاله . آذن لقد كان المفروض ان يتجمعوا ضده .

ولكن لقد انحاز جميع المضروبين المغلوبين المظلومين الياكين الى ضاربهم وظالمهم وغالبهم وصانع دموعهم . لقد انحازوا ضد انفسهم تعصبا وانتصارا للقهار الاكبر ، للقهار الذي يتحول جميع القهارين محاسبين بقهره الى اتقى واقدس قديسين . انه المبتكر لكل معاني القهر والمعلم له والمحوج اليه والخالق لاسبابه ولتفسيره .

لقد جاءت هنا اخلاق البشر ومشاعرهم وعقائدهم وافكارهم خارجة على نفسها وعلى كل التوقعات والافتراضات .

وهل يستطيع اي شيء ان يخرج على نفسه مهما جاء خارجا على نفسه ؟

ان ها هنا ضاربا كبيرا ، كبيرا . ان ها هنا ضاربا لكل الناس ، بل لكل الكائنات ولكل الاشياء . آذن يجب ان يقاومه وان يتهمه وان يرفضه كل شيء بقدر ما هو عدوان على كل شيء .

ولكن لقد حدث ان تعصب له وان انحاز اليه وان يراه ومجده وصلى له وقاتل دونه ودفاعا عن اسمه وعن شرفه كل شيء .

انه الضارب الكوني العالمي الذي لا مثيل له في جودة حظوظه وفي

آعجاب المضروبين به .

ولكن كيف ؟ وهل قاوم البشر او عصوا او رفضوا شيئاً مثلما قاوموا وعصوا ورفضوا آلاله ؟

وهل وجد معصي مرفوض مقاوم مثل الآله ؟ هل وجد مهزوم مثله ، مهزومة أو امره واراداته وتعاليمه ؟

انه قد يفترض ان الأقوياء الأذكياء القادرين الصادقين يريدون ويستطيعون بل ويحاولون ان يحسوا المخاطر بكل قوتها وتجهمها ، وان يحدقوا فيها بكل رؤيتهم ، وان يقدروها بكل حساباتها واحتمالاتها ، وان يعترفوا بها من فوق جميع منابرهم بكل أصواتهم . كما انه قد يفترض ان الضعفاء والهاربين والأغبياء ومن لا يستطيعون ان يكونوا صادقين ، قد يجدون او يظنون او يعتقدون ان الاحساس بالمخاطر ، وكذا رؤيتها او التحديق فيها أو التحدث عنها او الاعتراف بها ، خيانة للوطن أو للدين أو للمذهب أو للأخلاق أو للآله أو للزعامة ، وهزيمة أو دعوة للهزيمة . ان ذلك لافتراض ، انهما افتراضان . ان قوما قد يعتقدون ان رؤية الخطر الموجود ايجاد له ، وان الاعتراف بوجوده ايجاد ثان له . اما الكف عن رؤيته وعن الاعتراف به فقتل له .

اذن انه لعدو كل من يرى المخاوف او المصاعب أو المشاكل أو المتاعب او الاخطار ، وكل من يتحدث عنها ، أو يعترف بها أو يحولها الى حسابات او توقعات ، أو الى قضايا تحاور أو تفسر أو تقرا بجهر .

وكذلك كل من يرون الدمامات أو الوقاحات أو الإهانات أو المظالم ، وكل من يتحدثون عنها أو يعترفون بها .

ان هؤلاء – ولعل كل الناس كذلك ولو أحيانا – يريدون أن يؤخذوا ويدلوا ويضربوا ويموتوا ويعانوا ويواجهوا كل ما لا بد منه في الظلام ومباغثة دون ان يروا او يعرفوا او يعترفوا او حتى يتوقعوا .

أنهم لا يريدون ان يسمعوا او يروا او حتى يتوقعوا ما يقاسون ويواجهون ويفعلون .

انهم يريدون ان يهزموا ويستسلموا ويتعذبوا دون ان يقال لهم ذلك .

انهم يريدون ان يهونوا دون ان يحدقوا في هوانهم او يعترفوا به او يحدثوا عنه .

اليس ذلك اقل تعذبا وترويعا والزاما لهم ، وأكثر تطفلا ورفقا بهم ؟

اليس القتل او الموت دون تلاوة الحكم به ودون اسماع الحكم به اقل وحشية وأكثر تهذبا ورحمة وذكاء ؟

اليس الواجهة الفكرية والشعورية معاناة مثل المواجهة الواقعية ؟

ان اكثر الناس او كل الناس يريدون ان يرضوا عن انفسهم وعن ظروفهم واحتمالاتهم وتوقعاتهم . انهم يحتاجون الى الاقتناع بصداقة الاشياء لهم لكي يستريحوا اليها . انهم لا يستطيعون ان يشعروا انهم يسكنون فوق زلزال ، او انهم يحيون ويتقبلون اي مستوى من الهزيمة او الجبن او الضعف او الهوان او الاستسلام او التفاهة .

ان كل شيء يجب ان يرى ويسمع ويفسر ويتوقع بغير صورته وبغير صوته وبغير منطقته واحتمالاته واخلاقه . ان كل شيء يجب ان يزور وان يفسر تفسيرا رحيمًا ومريحًا وملأنا . انهم يجب ان يجاملوا انفسهم بالتفسير حيث لم يجاملوا بالواقع .

حتى السيف يجب ألا يفسر إلا مزورا . يجب ألا يفسر إلا بأنه نبوات ومذاهب وافكار واخلاق ومنطق وجب آلهة وانبياء وزعماء . ان جميع المواجهات غير الملائمة وغير الجميلة وغير الذكية وغير المجيدة او الشجاعة يجب ان تحول الى ملائمة وجميلة وذكية ومجيدة وشجاعة ، وان تفسر بانها كذلك . ان التفسير قد ابتكرت ردا على الواقع الكريه البليد . انها هي الحل الجميلة التي تستر وتزين قبح الاشياء وتشوهاتنا وبداءاتها . انها اشهر واغوى محابة للالهة والانبياء والزعماء .

اليس الاعتراف بالمواجهات والممارسات بكل ما فيها من قبح ورهبة وبشاعة وتفاهة وترويع ، وكذا التحديق فيها والاحساس بها والتحدث

بصدق وذكاء عنها - نعم ، اليس ذلك مستوى من مستويات القوة والتكامل والتحضر النفسي والفكري والاخلاقي ؟

هل يمكن ان يرتفع الانسان الى جميع مستوياته الانسانية والابداعية والاقترامية الباسلة لولا احساسه الحاد الشامل المحصي المحدث الشديدي التوقع بالمخاوف والاطار ، وبالبشاعات والدمامات والتفاهات ، وبجميع المواجهات والممارسات الصعبة والتي لا تحرض على المباهاة او الاعجاب او الكبرياء ؟

اجل ، قد يكون هذا الاحساس تعبيرا عن القوة والتكامل ودليلا على وجودهما دون ان يكون خالقا لهما .

انه لمن المفروض او من المحسوب احدى الحقائق المتفق عليها ان الذين يعيشون ويواجهون المخاطر والهزائم والدمامات والاكاذيب والمظالم الواقعة او المتوقعة بأفكارهم وتصوراتهم وباهتماماتهم واحاسيسهم وبتحديقاتهم وحساباتهم الحادة ، لا بد ان يكونوا اقدر واجرا على فهمها وعلى معالجتها والانتصار عليها .

ان رؤية المخاطر والبشاعات والهزائم وجميع المواجهات والممارسات المذلة او الصعبة او التفاهة ، وكذا الاعتراف بها ، لن يجعلها اكبر او اقوى او اخطر من ذاتها او من قوتها وحقيقتها . وان العجز عن هذه الرؤية وعن هذا الاعتراف ، وكذا الخوف منها ، لن يجعلها اصغر او اضعف او اسهل او اكثر تهديبا او رفقا .

ان الانسان الذي يرى الاخطار ويحسها ويعترف بها لن يكون اعجز عن مقاومتها من الكائنات التي لا ترى الاخطار ولا تحسها ولا تعترف بها ..

ان العدو او المرض الذي لا نراه ولا نعترف به لن يصبح اضعف او ارحم او انبل لاننا لا نراه ولا نعترف به ، كما ان رؤيتنا له واعترافنا به لن يصنعاه شيئا اقوى او اذكى او اكثر وحشية وبطشا .

ان العمى لن يكون واقيا من الوقوع في الحفر او من وجود الحفر

تحت اي مذهب من المذاهب او دين من الاديان .

ولكن من المحتمل ان القدرة والجسارة على رؤية الاشياء المرعجة
وعلى الاعتراف والاحساس بها منفصلة عن القدرة والجسارة على المقاومة
وعلى الرفض والانتصار . انهما قد تكونان موهبتين منفصلة احدهما عن
الآخرى .

اننا قد نكون قادرين جداً وبمبالغة كأنها الداء على رؤية الاخطار
والبشاعات والالام وجميع الاشياء الرديئة والذميمة ، وعلى الاحساس
والاعتراف والتحدث بها بكل جنون التهويل والتضخيم ، دون أن نكون
قادرين قدرة مساوية او مقاربة على مقاومتها او معالجتها ، او حتى
مريدن لهذه المقاومة والمعالجة . كما اننا قد نكون قادرين على مقاومتها
ومعالجتها ، ورأغبين جداً في ذلك ، ثم لا نكون قادرين على رؤيتها او على
الاعتراف والاحساس بها او على التحدث عنها بنفس المستوى .

قد تكون قدراتنا ومواقفنا ليست محكومة او محسوبة بعيوننا او
بتوقعاتنا او بمشاعرنا أو بأفكارنا . قد تكون الحقيقة اننا لا نستطيع او
نفعل او نريد بقدر ما نرى او نحس او نرفض ، ولا نرى او نرفض او نحس
بقدر ما نفعل او نستطيع او نريد .

قد تكون المواهب غير متكافئة او متلازمة او متحالفة او مؤثرا بعضها
في بعض . اليس حاسة البصر منفصلة عن حاسة السمع ؟ اليس
الحواس منفصلاً بعضها عن بعض ؟

انهم لوجودون دائماً اولئك الذين تكون ابصارهم حادة جداً دون ان
يملكو اية قدرة او اية شجاعة او اية موهبة على أي شيء او في أي شيء .
انهم لكثيرون جداً اولئك الذين يرون او يسمعون بقوة دون ان يقدرُوا على
فهم شيء أو التفكير في شيء أو الفضب من شيء أو الرفض لشيء أو
الاشمئزاز من شيء .

ان البصر الحاد او المنطق الحاد او الانفعال الحاد لا يعني الفعل الحاد
او القدرة المقتحمة او المنتصرة او الحادة . كما ان البصر الكليل أو الانفعال
الكليل او المنطق أو التفكير الكليل لا يعني حتما القدرة الكليلة .

ان كل هذه قد تكون افتراضات صحيحة او مجربة معروفة .

ولعل من المكرر التاكيد بان الانسان كائن يعيش وكأنه وحدات مستقلة او ممزقة او منفصل بعضها عن بعض دون مخاطب او تفاهم او توافق او تلاق بل او تعارف . انه ل يبدو اي الانسان وكأنه كائنات كثيرة متناقضة ومتفاوتة ومختلفة دون ان تكون لها أية قيادة .

هل توجد في ذات اي انسان قيادة واحدة او قيادات متوحدة تقود كل معانيه وقواه واهوائه واحتياجاته وهمومه ، ل يبدو انسانا واحدا او شيئا واحدا لا اشياء كثيرة او انسانا كثيرين متباعدين متعادين متناقضين جدا ؟

ان الانسان قد يناقض ويخالف بعضه بعضا اكثر واقوى مما يناقض او يخالف انسانا اخر . أنها قد تكون المسافة الفاصلة بين ذات الانسان وذاته اوسع واعمق من المسافة الفاصلة بين ذات الانسان وذات الانسان الاخر .

ان الانسان ل يبدو غريبا بعضه مع بعض وغريبا في نفسه اكثر مما يبدو كذلك مع انسان اخر او في قوم اخرين . انه مهما استطاع او لو استطاع التلاؤم مع كل احد ومع كل شيء فانه لن يستطيع التلاؤم مع نفسه ومع ذاته ومع اعضائه . .

ان الانسان هو اكثر الكائنات رؤية وتوقعا للمخاطر وللآلام والهزائم والمظالم والقباحات ، واعترافا بها ، وتحدثا عنها ، واستقباحا لها .

انه هو وحده الذي يملك ويعيش هذا المستوى او هذه الموهبة فوق هذا الكوكب الذي نعيش فوقه .

ولكن لماذا تكون رؤية الاشياء الرديئة والاليمة والمهنية ، ويكون توقعها والتحديق فيها والاعتراف بها والتحديث عنها شيئا طيبا مهما كان مستوى حضاريا او انسانيا او نضاليا او مساعدا على الانتقاء ؟ اليس ذلك أفسى من كل ما يحدث ؟ بل اليس ذلك يكون مع كل ما لا بد ان يحدث ؟

ليس توقع الموت والتحديق فيه والتحدث عنه والاحساس به والإنشطار

لحيثه ، والقراءة لاسبابه أقسى من جميع صيغه وطلعاته ؟ ليست كل قسوة الموت هي في توقعه وفي الانتظار له وفي الخوف منه وفي التحدث عنه ؟ هل الموت شيء خطير او الهم أكثر من ذلك ؟ هل ألهوان او الحسارة شيء فظيع لولا الاستفظاع له او لها ولولا التحديق فيه او فيها ؟

أذن ليست الاصابة بالعمى وبالصمم وبالصمت هي اعظم هدايا الحياة وادكى وافضل الاساليب في مواجهة وقاحات ودمامات وذنوب الاشياء والناس والحياة ؟



إذا اعترفت بقوة ومزايا خصمك وانت قوي وذو مزايا فلن يقتلك او يذاك اعترافك . ان اعترافك حينئذ تركية وقوة لرجولتك . وإذا اعترفت بقوته ومزاياه وانت بلا قوة أو مزايا حثك اعترافك على البحث عن القوة والمزايا ووهب شجاعتك وصدقك الاحترام ، أو اصبح نوعا من التفكير عن ضعفك وعن فقدك للمزايا ، أو اصبح سترا لقببح ضعفك وضعف مزاياك، أو اصبح شيئا من التهذيب أو التقوى في ضعفك وضعف مزاياك.

وإذا خشيت الاعتراف بقوته وبمزاياه وانت قوي وذو مزايا كانت خشيتك غباء دون ان تهبك حماية او تكريما ، ودون ان تهب خصمك ضعفا او تحقيرا . وإذا لم تعترف وانت ضعيف وفاقد للمزايا كان ذلك معنى من معاني الانتحار او الفرار من المقاومة أو الالتزام بها . وكان ذلك أيضا سخفا ووقاحة وبلاذة وتحريضا على الاستهزاء بك . ما اقبح وأوقع وجهك حينما تكون بلا اية قوة أو مزايا ثم تضج في جحد قوة ومزايا ذوي القوة وذوي المزايا ، وفي تحقيرهم ولعنهم دون غيرهم منهم .

انك إذا اخطأت في تقدير عدوك قويا وهو ضعيف كان افضل وأكثر شهامة وذكاء ، واقل سوءا وبذاءة من ان تخطيء في تقديره ضعيفا وهو قوي . ان تصغير الخصم او العدو عزاء لا مثيل له في التفاهة ، يحاول الانسان ان يجامل به نفسه . انه مجاملة للنفس تتحول الى استهزاء بها وتحريض على التحديق في تفاهتها .

ان عينيك مفتوحتان ومسددتان الى الخارج . ان ذلك يعني انه قد

أريد منهما ولهما أن تريا الأعداء والخصوم وكل الآخرين وكل الأشياء
الأخرى أكثر مما أريد منهما ولهما أن تريك أنت .

أن عينيك مصوبتان الى الخارج ، الى الأهداف الخارجية ، لا إليك .
ولكنك أنت تعصي تركيبيهما ، ولا تريد منهما ولهما أن تريا شيئا سواك .

لقد أفسدت عينيك . أن كل الناس قد أفسدوا عيونهم .

لقد غيرت اتجاه عينيك كما غير كل الناس اتجاه عيونهم . لقد حولت
عينيك لتكونا مصوبتين بمحابة وتزوير إليك ، لا الى الخارج بصدق او
شهامة . لقد جعلت من عينيك جهازاً مشوها . وهكذا فعل كل الناس .
لقد جعلت من عينيك أنذل وواقع كذابين يعيشان في وجهك . أن وجهك
هو أشهر مكان يعيش فيه الزور وشاهدو الزور .

ولكن ما أظفح هذا — ما أظفح أن نفترض لك عدوا أو خصما من
البشر ، تحتاج الى أن تتعلم كيف تتحدث عنه ، وتنظر اليه ، وتفكر فيه،
وتنتصر عليه ، وكيف تتقي انتصاره عليك .

أن هذا الافتراض افتراض همجي . أن المفروض أن يتخطاه الانسان.
ولعله محتوم أن يتخطاه .

هل يوجد قبح أو بلاذة أو نذالة أو جنون أو عجز أو سخف مثل أن
يكون انسان لانسان اخر عدوا أو خصما أو محاربا ؟

هل يوجد في كل الذنوب وفي كل الوقاحات والخسران مثل هذا ؟

أن مخاصمة الانسان للانسان وعداوته له لتحولان الى أقسى
واصدق هجاء لجميع مواهب ومزايا وقدرات البشر . كيف ابتكر الانسان
العداوة والمخاصمة والبغضاء للانسان ؟ أي شيطان وهبه عبقرية هذا
الابتكار ؟ كيف لم تتدخل وتحمه الأرباب ؟

ثم لماذا تنصح أنت وتعلم كيف تكون ضد خصمك أو عدوك لتتفوق أو
تنتصر عليه ، ولا ينصح ويعلم خصمك أو عدوك هذه النصيحة أو هذا

التعليم لكي يتفوق وينتصر عليك ؟ لماذا يكون طيبا ان تنتصر عليه ولا يكون طيبا ان ينتصر عليك ؟

لماذا انت تريد هذا دون هذا - أو لماذا تتحدث وتكتب وكأنك تريد هذا دون هذا ؟ ما هذا النبي أو الزعيم أو الكاتب أو المعلم الذي يجيء ليعلم قوما أو قومه كيف ينتصرون أو يتفوقون على قوم آخرين ؟ ما اخلاقه أو دينه أو شهامته أو ذكاؤه .

هل يوجد في دماغات البشر أو في ذنوبهم مثل ان يوجد فيهم من يعلمونهم كيف ينتصر أو يتفوق بعضهم على بعض ؟ اذن هل يوجد مثل الانبياء والزعماء والقادة قبحا ورداءة لانه لا يوجد مثلهم من يعلمون الناس ويريدون لهم ان ينتصر ويتفوق بعضهم على بعض .

كيف وجد هذا ؟ كيف وجد من يعلمون البشر ضد البشر ؟

كيف هبط البشر الى هذا ؟ وكيف استطاعوا تقبله ؟ كيف تقبلوا انبياءهم وقادتهم ؟

كيف استطاع البشر تقبل معلمهم أو زعمائهم أو كتابهم ؟ ان هؤلاء هم الذين يعلمون البشر هذا الجنون والعار .

الإنسان يعصي، لهذا يصنع الحضارات

« .. ان عبقرية اي انسان ومزاياه لا تساوي اكثر من قدرته على العصيان ومن ارادته وممارسته له ومن اساليبه المختلفة في ممارسته له . ان ابداع اي مجتمع في ألف عام لا يساوي اكثر من عصيان هذا المجتمع في نفس هذه المدة . ان اي ابداع أو تجاوز ليس الا عصيانا ما . ان عصيان الانسان هو تخطي ما كان ، هو تخطي قدرة الطبيعة . اما عصيان الحشرة فانه التلوث بما كان . انه الخضوع للطبيعة بكل صيغها واساليبها وبذاعاتها . ان الانسان أقوى واشمل عصيانا من الحشرة اذن ، بل انه هو الذي يعصي دون الحشرة . ان الحشرة لا تعصي . ان عصيان الاعضاء ليس عصيانا ، انه تلوث واستجابة للجوع الى المفونات . انه طاعة لاملاء الطبيعة واستسلام لشروطها . انه ركوع الى الارض . ان الانسان هو وحده الذي يعصي في هذا الكون لانه هو وحده الذي يتجاوز قدرة الطبيعة واشواطها ، ويخرج عليها ويرفضها ، وهو وحده الذي يتجاوز نفسه ويخرج عليها ويرفضها . »

« .. ان العصيان هو رفض الطبيعة والذات وتخطيها . وليس العصيان هو الاستجابة لهما أو التوافق معهما أو الوقوف عندهما أو الخضوع لضعفهما أو لجوعهما .. ان الاستقامة والتقوى ليستا الا عصيانا ما .. ان عصيان الانسان هو عصيان كينونة وعصيان منطق وعصيان قدرة وطموح .. ان جميع اساليب الابداع والتغيير ليست سوى اساليب عصيان .. »



احذر . انه محتوم عليك بل ومطلوب منك ان تعادي جميع الناس ، وان تبغضهم وان تراهم اشرارا أغبياء هالكين معادين للشمس . وانه ايضا محتوم عليك بل ومطلوب منك ان تكذب وتناق وتعاني لكي تخفي ذلك عن الناس الذين تشعر نحوهم هذه المشاعر والذين تراهم هذه الرؤية . انه محتوم عليك ومطلوب منك ان تمارس هذا الكذب والنفاق وهذا الاخفاء لنفسك لكي تستطيع ان تحيا وان تتعامل وتتلاءم مع الناس ومع الحياة . احذر ، انه مطلوب منك ومحكوم عليك بان تحيا هذه الندالات والعداوات والذنوب وهذا القبح والكذب .

احذر الايمان بالاله الشامل الكامل او بالمعتقدات الشاملة الكاملة .

وكذا أيضا بالمذاهب الشاملة الكاملة . احذر الايمان الشامل الكامل بأي شيء ..

ان ايمانك هذا يجعلك محكوما عليك بل ومطلوبا منك ان تعادي وتبغض جميع الناس الذين لا يؤمنون مثل ايمانك ، وان تراهم اغبياء وأشرارا وضائين وهالكين ومعادين للنجوم . ولكنك محتاج الى ان تحيا والى ان تتعامل وتتلاءم مع هؤلاء الناس الذين لا يؤمنون بإيمانك . اذن انت محكوم عليك بان تكذب وتنافق وتقاسي لكي تستطيع ان تخفي نفسك عنهم وعليهم . ان ايمانك يمثل هذا الاله او يمثل هذه المعتقدات والمذاهب يفرض عليك ان تعيش دائما الحرج والعار والخجل من نفسك أمام الآخرين وفي تعاملك معهم ، انه مطلوب منك ومحكوم عليك ان تعتقد وان تقتنع وان تشمر ، وانه كذلك مطلوب منك ومحكوم عليك ان تخفي او تنكر اعتقادك واقتناعك وشعورك هذا ، وان تقاسي لكي تستطيع الخروج على اعتقادك واقتناعك وشعورك هذا .

ان هذا هو معنى ايمانك بالاله الشامل الكامل الاعظم او بالمذهب او الدين الشامل الكامل الخالد الحق . فهل تعلم ان الامر كذلك ؟ هل تقبلت ان تكون كذلك ؟ هل فسرت ايمانك هذا تفسيره الصحيح ؟ هل استطعت قبوله بتفسيره الصحيح ؟ هل غفرت لنفسك مؤمنة هذا الايمان ؟

ان ايمانك هذا يتحول الى عدوان على نفسك وعلى اخلاقك ، والى تعذيب وتشويه لنفسك ولاخلاقك . وانه ايضا اي ايمانك هذا ليحول الناس الى اعداء والى تشوهات وعاهات وبلادات وغوايات ، والى آثام في منطقك وفي رؤيتك .

ان نفسك اذن لمسكونة باقبح واوقع واردا السكان . انها مسكونة بمن الجحيم والكره العالي بعض عطاياهم .

انك اذا كنت متدينا او مؤمنا فان معنى هذا في زعمك انك تملك كل الحق ، او اكبر الحق ، او اصدق واخلد الحق - وان مخالفيك ، جميع مخالفيك يملكون كل الباطل ، او اكبر واخلد واقبح واغبي الباطل . انك

حينئذ - في اقتناعك - تملك وتعيش كل منطق الكون وكل ذكائه وجماله،
وان جميع مخالفيك حينئذ للزمن بان يتعلموا منك ويتبعوك ، وان يروك
او يروا فيك كل تفسير الاشياء ومنطقها ، والا وجب هلاكهم واحتقارهم ،
أو قتالهم احيانا . أن قتالهم هو اقوى معاني ألهمك وايمانك فيك ، اي ما
لم تكن عاجزا أو خائفا أو منافقا . وحينئذ تكتفي باحتقارهم وبفضائهم .
أن البغض والاحتقار للمخالفين هما اقل درجات الايمان .

انك حينئذ ملزم بان تدعو كل الناس الى جنتك وبان تدخلهم فيها او
تحاول ذلك ، باكيا وحزينا ومحسورا اذا لم تستطع ادخالهم فيها . انك
حينئذ ملزم بان تحول كل الناس الى رعايا في مملكة ألهمك . أن ألهمك
ليفرض عليك ان تحول كل المخالفين الى رعايا له . انه يلزمك ان تتحول
الى حاشد قطعان لتتجمع في محرابه او في مجزره . ان عليك أن تجعل كل
القطعان له .

انك حينئذ ملزم ان تؤمن بان جميع الآلهة الطيبة الصديقة الشرعية
القانونية الانسانية ساكنة فيك وحدك ، في معبدك وفي قلبك وفي اهوائك
وكلماتك ، بل وفي سلاحك وشتائمك حينما تتعامل بالسلاح والشتائم .
وانك أنت وحدك ومن معك اصداق هذا الكون ومجده ، واصداق ومجد
ارباب هذا الكون ، وحلفاؤه وخلفاؤه . ان شتائمك واحقادك حينئذ هي
التفسير الشامل الصحيح لاخلاق الالهة والكون ولضميريهما دون شتائم
واحقاد مخالفيك او خصومك او اعدائك . ان شتائمك واحقادك حينئذ
هي وحدها التي تتحول الى ثناء على الاله وعلى الكون ، والى اتقى الصلوات
لهمما .

اما المخالفون لك فانهم الاعداء لهذه الارباب ، المشوهون لمجدها
واخلاقيها ولذكائها ، المثيرون لغضبها ولاحزانها ، المفسدون لحكمتها
وجمالها ، المرهقون لاعصابها ، المحاربون لها ، المستحقون لكل عقابها
ولعناتها ، المخرجون لها عن تهذيبها ووقارها ، المشككون لها في عبقريتها
وبراعة تدبيرها ، الذين فرضوا عليها ان تعاني كل معاناتها لكي تصنع لهم
النار وكل العذاب والاهوال . ما اظلم الذين يضطرون الاله الى ان يعاني
ويتعذب لكي يخلق ويعد أماكن ووسائل التعذيب لهم . ما اظلم هؤلاء
للالة . ما اشد عدوان المعذبين على الاله .

ما اشد ما تعذب وعانى الاله في تشييده وتخطيطه للنار ولكل وسائل العذاب . ما اشد ما اعتدى عليه الفؤاد الخارجون عليه حينما اضطروه الى أن يدبر ويفكر لكي يصنع لهم بقوة وعبقريّة جميع أساليب العذاب وامكانه وظروفه .

نعم ، ان سكان الجحيم وجميع المستحقين للعقاب لمعتدون على الاله وظالمون له لانهم يشقونه في صناعة الجحيم والعقاب لهم .

ما اوجب ان تتحول جميع الاشياء الى دموع واحزان ، لترفع الى الاله عزاء ورثاء لمعاناته وعذابه ، لترفع الى الاله الذي خلق كل هذا العذاب وكل هذه الاهوال .

كم كان شقاؤه لكي يعد هذا العذاب بكل اساليبه وظروفه وامكانه وحراسه ومنفذيه . كم كان شقاء الاله .

انه لمحتوم عليك ومطلوب منك - حين تؤمن بالاله الشامل الكامل الاعظم او بالمذهب أو الدين الشامل الكامل الخالد الحق - ان تقتنع بانك افضل الناس واعقلهم واذكاهم واحظاهم واقربهم الى قلب هذا الكون واجملهم في عينيه ، وبان مخالفيك هم شر الناس واغباهم وابعدهم عن قلب هذا العالم وابشعهم دماة في عينيه . ما اعظم وقاحتك حينئذ . ما اعظم وقاحة من يعتقد بانه وحده يملك الاله الصحيح أو الدين الصحيح او المذهب الصحيح الشامل الخالد .

انك حينئذ انت وحدك ، أي ومن معك ، جمال الاله وعدله وتفسيره وذكاؤه وشرفه ومجده ومسرته وعزائه ومحبه وصادقته ، وانك حينئذ انت المعرض الشامل الاعظم لكل ما في قلب الاله وعقله ويديه وعضلاته من قدرة وعبقريّة وطهارة ونظافة وسمو وحب ومنطق ومعرفة وفنون وصدق واخلاص .

انك حينئذ أنت ، اي ومن يؤمن ايمانك ، انت الواهب والموهوب لكل الهدى والذكاء والمعرفة والاستقامة ، وانك مخصوص ومقصود بكل المحابة وبكل الصداقة الخاصة التي هي اكبر وابعد واعبق من جميع التفاسير ومن جميع الاشكال المنطقية المعروفة والمجهولة ، وان الخاص القاصد لك

بكل ذلك هو كل ما في هذا الكون من اسرار وقوى وعبقريات وارواح سماوية .

انك حينئذ انت كل التفسير والمفسر والتسويغ والمنطق والصواب والحق والجمال في كل شيء ولكل شيء .

انك لا تريد ولا تستطيع ولا تهتم ولا تفعل الا بسلطان وقدره وارادة عليا . وان هذه القدرة والسلطان والارادة العليا تريد وتفكر وتختار لك ، وانها تحكمك وتضبطك وتهديك وتصنع لك الانتصارات ، وتهبك كل ذاتها وعبقرياتها واشواقها واهتماماتها وتحدياتها ، دون ان تهب مخالفك او ان تصنع لهم من ذلك شيئا . انك لو اردت لنفسك الضلالة والفوضى والسقوط والهزائم لما استطعت .

انك المعشوق المتفرد في هذا الكون وان عشاقك هم كل ما في هذا الكون من قوى وارادات عليا .

ان المؤمن بالاله الشامل الكامل الاعظم او بالدين الشامل الكامل الخالد الذي هو الحق وحده والحق كله ، محكوم عليه بل ومطلوب منه ، بل ومأمور أبدا - ليس بان يعتقد بانه مفروض عليه ان يفنى في عبادة آلهة هذا الكون الوحش البليد الدميم السفیه ، بل محكوم عليه ومطلوب منه ومأمور أبدا بان يعتقد انه لا وظيفة لهذه الآلهة ، أي لآلهة هذا الكون سوى فنائها واستغراقها وافتضاحها في عبادته هو أي في عبادة من يؤمن مثل هذا الايمان بمثل هذا آله أو بمثل هذا الدين - وسوى خوضها وتديرها وارادتها للحروب الدائمة والعداوات الدائمة ضد مخالفيه وخصومه واعدائه ، أي ضد مخالفيه وخصوم واعداء من يؤمن مثل هذا الايمان بمثل هذا الآله أو بمثل هذا الدين . انه لا عمل للآلهة غير الشوق اليك والمحابة لك . ان هذا ما يجب عليك اعتقاده حين تكون مؤمنا . أن الايمان فضح للآلهة وليس احتراما لها . ان المؤمن انسان يهجو وليس انسانا يصلي أو يمجّد . ان هذه هي بعض المركبات أو بعض الشروط أو بعض الحتميات التي يتركب منها أو يلتزم بها كل ايمان وتدين من هذا الوزن وبهذا النموذج وبهذا المستوى ومن هذا النوع .

ان كل ايمان او تدين بهذا الاسلوب لا بد ان يكون هذا تفسيره ومعناه

مهما كان الاله او المذهب المنصب فوقه .

ان المؤمن المتدين لن يراد منه ولا له ، ولن يستطيع ان يتنظف او يتوب من هذه الرذائل والاثام والوقاحات العالمية التاريخية . ولو انه تنظف او تاب من ذلك ، او حاول او اراد ان يفعل ، لما ظل مؤمنا ولا متدينا . ان التهذيب او الحب او التواضع او الاحترام في نفس المؤمن المتدين او في سلوكه او في لغته لن يكون الا ضعفا في الولاء للاله او للمذهب . ان تسامح او ذكاء او انصاف او تنزه او تورع المؤمن المتدين لن يكون الا اخذا من ايمانه وتدينه وعلوانا عليهما .

ان شرف الانسان وانسانيته هما دائما هزيمة واضعاف لايمانه ولتدينه ..

ان الانسان لن يستطيع ان يظل انسانا بكل حدود وتفاسير الانسان الجيدة والرديئة وهو يؤمن باله او بدين او بأي معتقد او بأي مذهب من ذلك الطراز الشامل الكامل الابدي الذي هو كل الحق ، والذي كله حق . انه اذا آمن مثل هذا الايمان فلا بد ان يتخلى عن حدود الانسان وتفاسيره ، او ان يحاول ذلك ويريده ويتمناه ، لكي يصبح بحدود وتفاسير ذلك الاله او الدين او ذلك المعتقد او ذلك المذهب الذي آمن به وتدين له .

انه حينئذ لن يظل انسانا يحاسب الانسان ويفهمه ويفسره ويفقر له ويرى اسبابه وظروفه وهمومه كما يفعل مع نفسه ولنفسه وفي تعامله معها . ان ايمان الانسان بمثل هذا الاله او الدين او المذهب لا بد ان يصنع منه عدوانا فكريا او نفسيا او اخلاقيا او دعائيا او لغويا او كل ذلك .

انه حينئذ لا بد ان يتحول ، او لا بد ان يطالب او يؤمر بان يتحول الى دين او الى مذهب او الى اله حاقد معاد محارب اناني كالح غاضب ، او الى دين او مذهب او الى اله من هذا الطراز . ان الانسان يظل مفتوح الحدود والابواب بمحبة واستقبال حتى يؤمن ، فاذا آمن سدت واغلقت كل حدوده وابوابه بالالهة وبالاديان وبالتعاليم والوصايا المتوحشة المعادية .

وهل يوجد ، او هل يمكن ان يوجد مذهب او دين او اله ليس حاقدا ومعاديا ومحاربا وغاضبا وانانيا وكالحا ؟ هل يمكن ان يكون الدين او

المذهب او الاله انسانيا ؟ هل وجد في التاريخ مثل هذا الدين او المذهب او الاله اي في سلوكه ونياته وضميره وتاريخه حتى ولو كان كذلك في لغاته وشعاراته ؟ ان الالهة والاديان والمذاهب المصادقة المحبة جدا في لغاتها وشعاراتها لا بد ان تكون نقيض ذلك في نياتها او في ضمائرهما او في اخلاقها او في نتائجها .

ان الدين والاله والمذهب يقتلك ويعاديك ويشتمك ويغضبك بحجة الحب والاحترام والحماية لك واغيرة عليك والدفاع عن حياتك ورخائك وعن اخلاقك . انه يخرج على جميع معاني الانسانية ومستوياتها بدعوى التمسك بها والبحث عن اعظم مستوياتها ومعانيها . انه يعلمك الحق والبر والبغضاء والعدوان والفحش والبذاءة بأسلوب من يعلمك الحب والصدقة والتهديب والوقار والسلام والبراءة والعدل .

ان المتدينين المؤمنين بالاله الشامل الكامل او بالمعتقدات الشاملة الكاملة لن يستطيعوا ان يكونوا عالمين او انسانيين في اخلاقهم او في افكارهم او في معاملاتهم او في مشاعرهم او في نياتهم او في امانهم او في تفاسيرهم للاشياء او لانفسهم او للآخرين . انهم لن يستطيعوا ان يروا لاشياء والناس ، وان يقرؤوها ويقرعوه ، وان يفهموها ويفهمهم ، وان يحسوها ويحسوهم بعيونهم وعقولهم واحاسيسهم ، بأحجامها واحجامهم ، وبتفاسيرها وتفاسيرهم ، واحتياجاتها واحتياجاتهم ، وبنصوصها ونصوصهم . انهم ان يعاملوا الاشياء والناس كذلك .

انهم لن يروا الناس او يفهمهم بعيون كونية او طبيعية ، وبمنطق كوني او طبيعي . انهم لا بد ان يروهم ويفهمهم ويفسروهم خارج الكون ، اي خارج الطبيعة وخارج الانسان . انهم لا يستطيعون ان يكونوا كونيين او عالمين او انسانيين في رؤاهم او في افكارهم او في همومهم او في احساسهم او في رضاهم وغضبهم او في حبههم وبغضائهم .

انهم لا بد ان يتحولوا الى حدود ومقاسات شرسة معادية لكل من ليسوا على مقاسات اربابهم وانبيائهم واديانهم ونصوصهم التاريخية المحفوظة . انهم لا بد ان يتشوهوا وان يرفضوا ويعادوا ويتهموا كل ما ليس في انفسهم واخلاقهم وعقولهم من ضيق وضعف واوهام ونصوص تقرؤها وتحفظها وتفسرها ابلد واضعف المحاريب والمنابر ، تلقاها عن

اضعف واصغر الشفاه والعقول والاخلاق والشخصيات .

.. انهم لن يكونوا الا كذلك في افكارهم ونياتهم وتقواهم . اما في سلوكهم فقد يخرجون على ذلك ليكونوا في حساب انفسهم وفي حساب معتقداتهم عصاة . ان السلوك لا يستطيع التقيد او الالتزام بالعقيدة او بالفكرة او بالاله او بالذهب .

لهذا فانه لمحتوم ان يصبح جميع المؤمنين والمعتقدين والملتزمين فكريا او مذهبيا عصاة . انه لمحكوم عليهم ان يعصوا - ان يكونوا اشد الناس عصيانا .

ان كل صاحب عقيدة او دين او فكرة لا بد ان يكون عاصيا . ان اشد الناس عصيانا هم اقواهم ايمانا واعتقادا ، هم اقواهم عقائد واكثرهم عقائد . ان كل عقيدة وفكرة لا بد ان تهان ويعتدى عليها بعصيانها وبالعجز عن التوافق معها وبالكذب عليها وبها .

ولعل البشر لا يعتدون على شيء او يحقرون شيئا او يكذبون على شيء مثلما يفعلون ذلك بمعتقداتهم وافكارهم .

ان الالتزام السلوكي خاضع لظروفه وضروراته ، وليس خاضعا للالتزام الاعتقادي . لهذا فانه محكوم عليك ان يكون عصيانك لعقائدك اشد كلما كانت عقائدك اقوى ، لان عجزك عن الالتزام سلوكيا بالعقائد القوية والكثيرة سيكون اكثر من عجزك عن الالتزام اي سلوكيا بالعقائد الضعيفة والقليلة . انه لا شيء يعصى ويخرج عليه ويعجز عن التوافق معه مثل العقائد القوية الكثيرة ، او مثل المعلمين المبالغين في تقواهم التعليمية .

ان هذا يعني ان النبي بل وان اي معلم واي قديس لا بد ان يكون اكثر واشد عصيانا من جميع اتباعه ومن جميع من يدعوه الى الايمان ويخطبهم بتعاليمه . ان النبي او المعلم او القديس لا بد ان يكون اكثر واشد من جميع الناس عصيانا اي في حساب تعاليمه ونبوته او قداسته، ولتعاليمه او لنبوته او لقداسته . كما ان الزعماء والقادة والرؤساء لا بد ان يكونوا اعصى من كل الناس لنماذجهم ومقاييسهم ولاشتراطاتهم وللأشراط عليهم والأشراط فيهم . ان الانبياء والقديسين وجميع المعلمين لا بد ان يخضعوا في سلوكهم للظروف والمواقف والاحتياجات والضرورات

التي يخضع لها اقوى الناس واضعفهم ، اتقاهم وافجرهم . وحينئذ لا بد ان يكون انشقاقهم اي الانبياء والقديسين وجميع المعلمين على تعاليمهم ونبواتهم وعلى قداساتهم ، وعصيانهم لها اشد انشقاق وعصيان . وهذا يعني حتما ان يكون الانبياء والقديسون وسائر المعلمين هم اشد الناس وأكثرهم عصيانا وخروجاً على العقائد والاديان والنصوص ، اي في سلوكهم . لقد جاءوا بأشياء لا يستطيعون التزامها بسلوكهم بقدر ما يعجز عن التزامها اشد الخارجين عليهم خروجاً . أذن سيبدون أكثر الناس عصياناً اي خروجاً على انفسهم .

هل تستطيع ان تصدق او تتقبل ان الانبياء والقديسين وسائر المعلمين هم أكثر الناس وأشدهم عصياناً وخروجاً على العقائد والاديان والنصوص والمذاهب التي جاءوا بها او علموها او دعوا اليها وتوعدوا الخارجين عليها بكل الاهوال والوان العذاب ؟

هل تصدق او تتقبل انهم لا بد ان يكونوا أكثر الناس خروجاً على انفسهم وعصياناً لها ؟

هل تستطيع ان تصدق او تتقبل ان الزعيم او القائد العظيم جداً والنظيف جداً والطيب جداً سيكون حتما اشد الناس وأكثرهم عصياناً وخروجاً على الدساتير والقوانين والتعاليم والاخلاق التي يضعها او يعلمها او يدعو اليها او يلزم بها هو ، اي في سلوكه وممارساته بل وفي نيته وشهوته ؟ هل تصدق او تتقبل ان القائد او الزعيم العظيم النظيف الطيب جداً لا بد ان يكون أكثر الناس خروجاً على نفسه وعصياناً لها ، اي لما يدعو اليه ويعلمه ويعلمه ؟

انه لمطلوب منك بل ومرجو لك الا تصدق او تتقبل هذا او هذا مهما كان علمك بهما أو مشاهدتك لهما .

انه ليس شيئاً مفروضاً أو طيباً أو مقبولاً ان نصدق او نتقبل دائماً كل ما هو صدق او ما هو واقع ، او كل ما نشاهده ونعلمه . ان الحقيقة ليست هي دائماً ما يتبني تصديقه أو احترامه أو رؤيته أو البحث عنه . ان الحقيقة ليست هي دائماً افضل الأشياء او اكبر الأشياء او اظهر الأشياء .

ان تصديق كثير من الصدق ليس الا وقاحة او بداءة او ندالة او

قسوة أو عدوانا رهيبا ، أو ليس الا كل ذلك . ان تكذيب الصدق قد يكون هو التقوى والحب والتهذيب ولو أحيانا .

ان رؤية الأشياء دائما رؤية صحيحة وصادقة ليست دائما مستوى دينيا أو اخلاقيا أو حضاريا أو حتى علميا .



وانهم ايضا اي المؤمنين بالاله الشامل الكامل أو بالدين الشامل الكامل المخالد الحق ، لن يكونوا أحرارا أو عدولا ، أو ممارسين، أو واجدين لانفسهم أو لاحتمالاتهم ، في أفكارهم، أو في تحديداتهم ورؤاهم، أو في أحاسيسهم، أو في تفاسيرهم . انهم لن يدركوا أو يقتنعوا بأن لهم القدرة أو الحق في ان يكونوا كذلك . انهم لا بد أن ينكروا ويرهبوا ويلعنوا هذا المستوى من الكينونة وكذلك أيضا المؤمنون بالمذهب أو بالنظام الشامل الكامل . انهم لن يكونوا اكثر تسامحا أو حرية أو عدلا من اولئك .

انهم لكل هذا لا يستطيعون ان يتصوروا الحكم أو القوانين أو الشرائع أو الاقتناع أو الايمان الا طغيانا أو خلافة أو نبوة أو نصوصا أو أوامر أو تلقينا أو تسليما أو مبايعة أو طاعة أو وحدانية في الرأي أو في العقيدة أو في المذهب أو في الخطة أو في الكلمة أو في القيادة أو في المحراب أو المنبر . وهل يستطيع من وجد الاله الشامل الكامل ان يجد شيئا سواه أو أن ينتظر شيئا سواه أو أن يحيا ويفكر ويتعامل مع الأشياء والناس بأسلوب أنسان؟

انه اذا لم يكن تصورهم كذلك فخارجون على اربابهم وانبيائهم واديانهم وعلى تفاسيرهم لاربابهم وانبيائهم واديانهم . انهم لو جاعوا افضل من ذلك لكانوا عصاة لايمانهم .

ان اروع ما في الانسان أو أردأ ما فيه قدرته المطلقة على ان يخرج على اربابه وانبيائه وعلى اديانه وعقائده وتعاليمه دون اية معاناة . انه لا توجد اية علاقات من اي نوع وعلى أي مستوى بين حياة الانسان ومواقفه وشهواته ونياته وامانيه وقدراته وجساراته ووقاحاته ، وبين اربابه وانبيائه واديانه وتعاليمه ، أي وبين ايمانهم .

ولكن هل ارباب الانسان وانبيائه واديانه وتعاليمه آلا لغة مهجورة من

لغات شهواته وامانيه وجساراته ووقاحاته ؟

ان الانسان ليس اقل خروجاً على افكاره في نياته وسلوكه وشهواته من خروج افكاره ونياته وشهواته على افكار ونيات وشهوات خصمه او مخالفه في الاله او في الدين او في المذهب ، او على اله او دين او مذهب خصمه او مخالفه . ان اي انسان ليس اكثر طاعة لدينه او لاله او لتعاليمه من طاعته لدين او لاله او لتعاليم خصمه او عدوه .

ان خصمك ونقيضك في الاله او في الدين او في النبوة ليس اكثر عصياناً منك لالهك او لنيك او دينك ، او خروجاً عليه ، او عجزاً عن الاتباع له ، اي في سلوكه ونياته وشهواته وقدراته وجساراته ، ولست انت اكثر طاعة منه لالهك او لنيك او لدينك .

ان احدثكما ليس اقرب او ابعد من الآخر الى الالهة او الانبياء او الاديان ، اي في السلوك والشهوات والنيات .

ان احدثكما ليس اقرب او ابعد في معناه او تفسيره مهما بدا انه اقرب او ابعد جداً في أسلوبه او صيغته .

★ ★

وانهم ايضا اي المؤمنين هذا الايمان لن يكونوا متغيرين او متطورين او متخطين او مريدين لذلك بتفكيرهم ، او مجيزين له . واذا فعلوا فبالكره منهم ، وبأسلوب المعصية ونياتها ، وبتفكير منطقتهم لهم .

ان افكارهم اذا تغيرت او تطورت او تجاوزت او ارادوا لها ذلك فليسوا الا عصاة . انهم يمارسون التغير والتطور والتخطي الفكري او يمارسهم او يحدث فيهم كما يمارسون الآثام والمعاصي ، لا كما يصلون ويحجون ويصومون ويخافون من الاله .

وحتما سيمارسون هذه المعاصي بالتفكير كما يمارسونها بالأعضاء ، لان الفكر ، كالأعضاء والشهوات والنيات ، لن يخضع للتعاليم ، لن يطيع دائماً . انه لا بد ان يعصي .

ان قليلا من الناس ليعصون بافكارهم اغنف مما يعصي الاتقياء او

الأكثرون باعضائهم وشهواتهم .

ان الانسان كائن لا يد ان يعصي بكل اتجاهاته وتفسيره ومعانيه . انه اكثر الكائنات وأوسعها عصيانا ، مهما كان اكثرها تعاليم ضد العصيان ، ومهما كان عدد أربابه وانبيائه وكتبه المنزلة .

ان اعظم وأقوى وأفضل بل واتقى ما في الانسان انه كائن عاص ، عاص بكل اتجاهاته وتفسيره ومعانيه . انه كائن لا يستطيع ان يكون الا عاصيا ، حتى اتقى اتقيائه واقدس قديسيه لا يستطيعون ان يكونوا الا عصاة . ان كل الناس عصاة ولكن تختلف الاعضاء التي يعصون بها أو التي تعصي فيهم . ان اتقى انواع العصيان هو عصيان الرأس والموهبة وعصيان التاريخ وعصيان ما كان . ما كان أقبح وأصغر الحاضر والمستقبل لو لم يكن الانسان موهوبا أرادة العصيان والقدرة عليه . ان كل حضارات الانسان وقدراته ومستوياته العظيمة ليست الا هبات العصيان واشواطه . ان كل حضارات الانسان لا تساوي اكثر من خطواته واشواطه العاصية ، العاصية على كل الاتجاهات وبكل المعاني والتفسير ، لكل أربابه وانبيائه ومعلميه ولوجوده ، لكل ما كان من وجوده . ولكن كم هي الفروق بين المعاصي في الاساليب والمستويات والموضوعات والممارسات ؟ وكم هي الفروق بين هذه الفروق في النتائج وفي الانجازات الحضارية والانسانية ؟

لعل الفرق بين المعصية والمعصية ليس اقل من الفرق بين الانسان والانسان الآخر ، او بين العبقرية والتفاهة ، او بين الحضارة والبداءة .

ان الفروق بين المعصية والمعصية ليست اقل من الفروق بين أعظم شيء وأصغر شيء .

ان المعصيتين لا تتساويان الا بقدر ما يتساوى العقل والعقل والتفكير والتفكير أو المنطق والمنطق أو الموهبة والموهبة أو الضربة والضربة أو المحاولة والمحاولة الأخرى أو الكتاب والكتاب الآخر .

وكم هي المسافات بين الشيء من هذا وبين الشيء الآخر منه ؟

ان انسانا ما يعصي ليكون قوة ومجداً للحياة وللانسان ، وان أخسر

يعصي ليكون ضعفا وعارا وتشوهات في الحياة وفي الانسان . كما ان انسانا ما يفكر ليكون حرية وذكاء وقوة واخر يفكر ليكون غباء وضعفا وتخلفا ومزيدا من العبودية والهوان ومن التسويات والتفسيرات لكل اساليب ومعاني الاستعباد والظلم والهزائم .

ان انسانا يفكر ليكون تفكيرا ، وان اخر يفكر ليكون رفضا للتفكير

وان انسانا يعصي ليكون أعظم واغنى واثقى مما كان ، وان انسانا يعصي ليكون اضعف وأفقر واثقل وأغنى مما كان .

ان أقوى وأعظم ما في الانسان هو عصيان فكره وموهبته .

ان هذه المعصية ، اي معصية الفكر والموهبة ، هي الامنية التي كان جميع الانبياء وجميع المعلمين يريدون ان تكون كل تقواهم ومجدهم وتعاليمهم فلم يستطيعوا فذهبوا يعاقبونها احتراماً وشهوة وتقديراً لها وعجزاً عنها بالشتائم والتعاليم والتحريم . نعم ، ان ما نشتهيه ونعجز عن بلوغه قد يكون من العدل، أو ما نفعله خروجاً على العدل ان نعاقبه بالشتائم وبالتعاليم المتعصبة المحرمة . اننا قد نعلم ضد ما نريد ونعجز عنه كما قد نشتمه .

ان عبقرية اي انسان ومزاياه لا تساوي اكثر من قدرته على العصيان ومن ارادته ومن ممارسته ومن اساليبه المختلفة في ممارسته . أي في ممارسته العصيان .

ان ابداع اي مجتمع من المجتمعات للحضارة في الف عام لن يساوي أكثر من عصيانه في نفس المدة المذكورة . أن اي ابداع او تجاوز ما ليس الا عصياناً ما .

ان عصيان الانسان هو تخطي ما كان ، هو تخطي اشواط الطبيعة . اما عصيان الحشرة فانه التلوث بما كان . انه هو الخضوع للطبيعة بكل صيغها ومستوياتها واساليبها .

ان الانسان اذن أقوى واشمل عصياناً من الحشرة ، بل أنه هو الذي يعصي دون الحشرة . ان الحشرة لا تعصي . ان عصيان الاعضاء ليس

عصيانا ، انه تلوث وطاعة للجوع الى عفونات . انه طاعة لاملأ الطبيعة واستسلام لشروطها . انه ركوع الى الارض .

ان الانسان هو وحده الذي يعصي في هذا الكون لانه هو وحده الذي يتخطى الطبيعة ويخرج عليها ويرفضها ، وهو وحده الذي يتخطى نفسه ويخرج عليها ويرفضها . ان العصيان هو رفض الطبيعة والذات وتخطيهما ، وليس العصيان هو الاستجابة لهما أو التوافق معهما أو الوقوف عندهما أو الخضوع لضعفهما أو لجوعهما .

ولكن هل العصيان الا طاعة ؟ وهل الطاعة الا عصيان ؟ اليس من يعصي جدا مطيعا جدا ؟ اليس من يطيع جدا عاصيا جدا ؟

ليست الطاعة والعصيان ينتهيان الى تفسير واحد ؟ اليس احدهما يعني الاخر حتما ؟ هل يوجد من يستطيع أن يكون عاصيا فقط أو مطيعا فقط أو لا مطيعا ولا عاصيا ؟

اذن اليس الانسان هو أكثر الاشياء طاعة لانه أكثرها عصيانا ، أو بقدر ما هو أكثرها عصيانا ؟

ليس هذا صحيحا بقدر ما هو صحيح أن يقال : أن الانسان هو أكثر الاشياء عصيانا لانه أكثرها طاعة أو بقدر ما هو أكثرها طاعة ؟

هل نعصي هذا الا لاننا نطيع هذا ، وهل نطيع هذا الا لاننا نعصي هذا ؟

اذن هل يمكن أن يقال : هذا الانسان مطيع وذاك عاص ، أو هذا أكثر من ذاك طاعة أو عصيانا ؟

* *

وانهم أيضا الى المؤمنين بالاله الشامل الكامل الخالد أو بالدين الشامل الخالد لن يستطيعوا ولن يريدوا أيضا أن يكونوا وطنيين أو قوميين بالتفسير الحضاري للوطنية والقومية .

ان الوطنية والقومية في التفسير الحضاري لهما زندقة وجاهلية ووثنية وعصيان للاله والانباء والاديان في عقيدة المؤمنين المتدينين .

انهم يرفضون ان يكونوا قوميين او وطنيين بقدر ما يرفضون بل ويخافون ان يكونوا عالميين او انسانيين . ان كل ذلك وثنية وعبادة للاصنام والطواغيت .

ان الذين يرفضون القومية والوطنية لانهم يؤمنون بالانسانية والعالمية ويريدونها ويناضلون لتحقيقها او يطمحون اليها هم غير الذين يرفضون الوطنية والقومية لانهم يريدون ان يكونوا او يظلوا اتباع دين او نبي او اعتقاد ما كان في التاريخ ، او لانهم يريدون ان يكونوا او ان يظلوا مستوى تاريخيا قد كان هنا - قد كان هنا أحد الانبياء أو أحد المعلمين أو أحد الحكام أو الزعماء أو أحد الطغاة أو أحد المتسلطين يعلمه او يفرضه او يستبد ويظفي ويسرق ويحكم باسمه ، او يعيشه لانه يلائم مستواه ويرضي شهواته وطموحه واستغلاله واستعلاءه .

ان الذين يرفضون الوطنية والقومية لانهم عالميون او انسانيون ولو في ايمانهم او طموحهم او في ايمانهم قد يكونون هم الوثبة البشرية التي قد يشبها البشر في مستقبلهم المحتوم الافضل . اما الذين يرفضون الوطنية والقومية ويرفضون ايضا العالمية والانسانية فهؤلاء هم اردا المستويات التاريخية التي عاشها البشر او تمنوها او تحدثوا عنها ، او التي حدثهم عنها ومناهم بها وارادها لهم المعلمون والزعماء الماكرون او الطامحون او الكاذبون أو الجهلاء . ان الوطنية والقومية قد تكونان عدوانا وتعصبا وجاهلية، ولكن رفضهما باسم الاله أو الدين قد يكون اكثر عدوانا وتعصبا وجاهلية لان ذلك ابعد عن المنطق الحضاري .

ان الايمان على هذا المستوى نفي ورفض للقومية والوطنية بقدر ما هو نفي ورفض للعالمية والانسانية ، ويقدر ما هو نفي ورفض للحرية العقلية والنفسية والاخلاقية والارادية والسياسية والادبية والقانونية بل والعاطفية .

ان هذا الايمان رفض ونفي شاملان للانسان ولكل احتمالاته . انه تفرغ له من معانيه .

انه نفي ورفض لكل معاني ومستويات الطموح الحضاري والانساني والكوني . انه نفي ورفض للرؤية وعدوان عليها . انه نفي ورفض لمعني الانسان وعدوان عليهما بقدر ما هو رفض ونفي لعقله وعدوان عليه .

ان الايمان بالاديان او بالالهة الشاملة الكاملة ليس الا محاولة من محاولات الاعتقال أو التحديد لطموح الانسان ولاحتمالات وطاقات التحديق والتحليق والتخطي فيه .



وانهم ايضا أي المؤمنين هذا الايمان لن يستطيعوا ان يكونوا بل ولن يريدوا ان يكونوا متسامحين أو غافرين أو محبين أو مبتسمين أو قارئين لعيون الآخرين أو لآلامهم واحزانهم ، أو محدقين فيها بحنان أو باشفاقا أو باعتذار أو بعدل أو بقدرة على الرؤية .

ان قلوبهم وعيونهم ووجوههم واحزانهم لن تظل قلوبا وعيونا ووجوها واحزانا او لن تتحول الى ذلك .

ان آلهتهم وانبياءهم ومذاهبهم واديانهم ومنابرهم ومحاريبهم ومواعظهم وبغضائهم وشتائمهم وغيرتهم الدينية لتقتل في قلوبهم وعقولهم وعيونهم واخلاقهم وفي وجوههم كل لفات ونيات وتفسير الابتسام والاعتذار والفقران والحب والتسامح والتحديق والاشفاق والحنان والقراءة لوجوه الآخرين او لقلوبهم او لعقولهم او لآلامهم واحزانهم او لنصوصهم او لهتافاتهم وصرخاتهم أو لهمساتهم ونياتهم .

حتى وجوههم ، انها لن تظل وجوها ولن تتحول الى وجوه ولن ترى في صيغ أو تعبيرات وجوه .

انهم لا بد ان يكونوا بغضا وسبابا واتهاما ورفضاً ونفياً وتحقيراً لكل من لم يجيئوا على نموذجهم الفكري والديني والتاريخي والتعليمي . بل أنهم لا بد ان يكونوا كل هذه الشرور في معاملتهم لكل أحد وفي شعورهم نحو كل أحد . ان هذا النموذج من الايمان لا بد ان يكون اعلان حرب وبغضاء شاملة على كل العالم بل وعلى الكون كله .

ان كآبة الجحيم واهوال الحساب والعقاب التي يتحدثون عنها ويحدثون بها ويعلمونها ويتعلمونها ، والتي يتصورونها ويخافونها ويخوفون بها ، وان اوصاف واخلاق الالهة التي يقرؤون عنها ويتناقلون ويترسونها ويمجدونها بها ، اي التي يمجدون الالهة بوصفها بها ، وان وحشية الغضب الذي تمنحه الالهة وتعلمه من يؤمنون بها .

— نعم ، ان كل ذلك لن يبقى فيهم معنى او تعبيراً جميلاً او نبيلاً او ذكياً او عادلاً او عاذراً او غافراً او متسامحاً او محباً او راثياً . ان كل ذلك لن يترك في وجوههم او في عيونهم او في قلوبهم معنى او تعبيراً تعشقه او تتخاطب معه النجوم او تعيش فيه الرحمة او المحبة او الصداقة او التسامح .

كيف تستطيع ان تضحك او تحب او تصادق او تتسامح او تعذر او تعتذر او ترحم او تشفق او ترى جراح من حولك او جراح البعيدين عنك او جراحاً تغطي كل وجه الشمس او وجوه كل الاشياء — كيف تستطيع شيئاً من ذلك او كل ذلك وانت تختزن وتعيش وتمارس في قراءاتك وتعاليمك وصلواتك ومحفوظاتك كل هذه الالهة والانبياء والعلمين والمحاربين والمنابر والمواعظ والكتب المقدسة ، وكل هذه الاوصاف للجحيم والعقاب والحساب وللغضب والقسوة وللرؤية المظلمة من فوق هذا الكون بكل اخلاقها وشمولها ووحشيتها ومطالباتها وانانياتها وشهواتها ؟ اواه . ما اقسى هذه العيون المتطلعة اليها بتحديث وديمومة وبذاءة . اواه . اننا لا نستطيع الاستتار او الهرب منها او تعليمها معنى الحياة او التهذيب .

ان كل هذا يتقاتل ويعيش ويتجمع داخل نفسك . حتى هذه العيون . انها تعيش داخلك . اذن كم انت مكان للجحيم ، وكم انت واهب للجحيم . ما أشد اذن عذابك ، وما أشد ما تتمنى ان تكون شاملاً في تعذيبك . كيف تستطيع الا تتحول الى اضخم مكان يستقبل الجحيم ويصنعه ويهبه — يتعذب به ويعذب به ؟ اواه . ما اقسى وواقع هذا . ما اقسى وواقع ان يكون كل شيء نافذة تطل منها عين آله بهذا الحجم والفضول والهمجية .

هل وجد او يوجد جحيم يستقبل من الوقود مثلما تستقبل ؟

كيف يعيش في نفسك اي نوع من الحياة وفيها كل هذا الجحيم بكل وقوده هذا ، بكل اهواله هذه ؟ ان نفسك يجب ان تتحول الى اقصى صحراء

لا يعيش فيها اي اسلوب من اساليب الحياة .

كيف تنبت الحياة في عقول او قلوب او اخلاق او في نظرات من يؤمنون بالاله الذي يصنع الجحيم ويتحدث عنه ويعاقب به ويتحول الى مالك له وينظر اليه باعجاب وابتسام وعبقريه ؟ كيف يمكن ان ترى عيون هؤلاء المؤمنين او اخلاقهم او ضمائرهم الدموع او الجراح او الاحزان او الآلام في وجوه النجوم او في اخلاقها او في ضمائرها او في تاريخها او في تفاسيرها ؟

ان المؤمنين بمثل هذا الاله لا بد ان يبصق ويصوغ الجحيم كل اخلاقهم وعواطفهم وأفكارهم ولفاتهم وتفسيرهم للناس وللأشياء . أن الجحيم لا بد أن يبصق كل اخلاقه واخلاق احواله في اخلاق المؤمنين به المتحدثين عنه المتوعدين لحياتهم ولماتهم بأحواله .

ان المؤمنين لا بد أن يتحولوا الى بصاق للجحيم والى بصاق من الجحيم . أن الجحيم لا بد أن يبصقهم وان يبصقوه .

احذر أن تكون مؤمناً لئلا تكون باصق جحيم ومبصوق جحيم . اذن كيف لو كنت قديساً أو نبياً ؟

انت مؤمن . اذن هل انت الا صيغة من صيغ الجحيم ، وتفسير من تفاسيره ، وحديث من أحاديثه ، ومخزن من مخازنه ، ودرس من دروسه ، ومعرض من معارضه ؟

انت نبي ، او انت قديس فقط ، او مؤمن فقط ..

اذن هل أنت الا معلم للجحيم متعلم له ؟ هل انت ألا قارئ لاوصافه ، حافظ لاوصافه ، مفسر لاوصافه ، معلم متعلم لها ؟

هل يمكن أن تكون نبياً أو قديساً أو حتى مؤمناً فقط دون أن تكون تذكيراً أو تخويفاً بالجحيم أو تصويراً له أو حديثاً عنه أو منبراً من منابرهِ أو محراباً من محاربيهِ ؟

وانهم أيضا اي المؤمنين يمثل هذا الاله او يمثل هذا الدين لا بد ان يقاسوا من مشاعر ألتهج والمصيان والمخالفات الاخلاقية والنفسية والدينية . ولا بد ان يتعدوا ويكابدوا من رهبة الخروج والتطاول على الارباب والتعاليم والمقدسات وعلى الاباء والاسلاف . انهم لا بد ان يعانوا كل ذلك حينما يجدون انه قد اصبح محكما عليهم بقدر الطبيعة وبقدر الحياة والكيونة ان ياخذوا عن قوم آخرين شيئا من مزايهم او من تفوقهم او قوتهم او من رذائلهم المنتصرة . انهم قوم خارجون على الالهة ، ولكنهم يعلمون المؤمنين بها القوة والذكاء والاخلاق والمزايا الاخرى . ان الذين ليس لهم اله يعلمون من لهم كل الاله .

وقدر الطبيعة والحياة والكيونة هذا لا بد ان يحكم عليهم دائما بهذا الخروج والتطاول على اربابهم وانبيائهم واديانهم وتعاليمهم وعلى آبائهم واسلافهم وعلى كل ما يملكون ويمجدون في تاريخهم من امجاد ومزايا وعقريات وتفوق على العالمين .

انهم بقدر ايمانهم باربابهم وانبيائهم محتاجون الى ان ياخذوا ويتعلموا من اعداء اربابهم وانبيائهم وايمانهم .

اذن ما اشد عذابهم واقصى قدرهم .

انت تملك كل الالهة والملائكة والانبياء . وهم لا عمل ولا اهتمامات لهم سوى ان ينتظروك ليعلموك ويهوبوك ويستمعوا بتواضع وضرعة اليك .

اذن كيف تتعلم من البشر ؟ كيف تقبل او تجرؤ ان تفعل ذلك ؟ وكيف تستطيع ان تغفر لنفسك لو فعلته ؟

ان الله واقف على بابك بأدب لا مثيل له في تهذيبه وحبه وتملقه ، يريد ان يهبك ويعلمك . ولكنك تذهب تعاني لتتعلم من نفسك او ممن يتعلم من الشيطان .

اذن هل يوجد أوقح او اغبي او اكبر زندقة منك ؟

هل يوجد من يحتاج الى ان ياخذ ويتعلم عن اعدائه واعداء ايمانه مثل

المؤمن بأقوى الالهة وأقوى الاديان ؟

انك اذا فعلت ذلك - وانت حتما تفعله - فلن يوجد لك الا تفسير واحد، هو انك زنديق، زنديق. زنديق يضع الاله والانبياء والملائكة والاديان على لسانه دون أن يتذوقهم او يفكر في ان من الممكن تذوقهم . وهل يوجد من يستطيع ان يتذوق الالهة او الانبياء او الملائكة ؟ وهل هم شيء يمكن تذوقه؟ هل لهم اي مذاق في اخلاق الحياة او في منطقتها او في أحاسيسها؟



وانهم ايضا أي هؤلاء المؤمنين لن يكونوا رافضين او مغيرين لصيغة الكون او لصيغة الاله التي سوف يواجهون ويجدون . أنهم لن يحاولوا ولن يريدوا ان يضعوا للاله او للكون افكاراً وأخلاقاً أو عقولاً او نيات او أحاسيس او مذاهب أو أعضاء او عيوناً او شخصية او ذاتاً جديدة . أنهم لن يقبلوا أو يتصوروا او يمارسوا صوغ الكون او الاله صياغة جديدة مخالفة ، أقوى وافضل . وهل عبقرية الانسان الا ان يهب الكون والحياة والاله صيغاً جديدة ، رافضاً جميع الصيغ القديمة ؟

انهم حتما لا بد ان يؤمنوا بما يجدون من صيغ الاله وصيغ الكون وان يتعبدوا لهذه الصيغ مهما كانت خروجاً على جميع المقاسات العقلية والنفسية والاخلاقية والفنية . وانهم لهذا لن يستطيعوا ان يكونوا شامخين او اقوياء او مبدعين او مغيرين للحياة او للاشياء او لانفسهم . أنهم لا بد ان يكونوا عاجزين كل أساليب ومستويات ومعاني العجز ، بل أنهم لا بد ان يجدوا في عجزهم هذا أعلى مستويات التقوى والايمان والتهذيب والتقديس للالهة . ان عجز المؤمن امام الطبيعة عبادة للاله لان عجزه هذا ليس إلا عجزاً امام الاله وامام فنونه وارادته وتدبيره وذكائه وحكمته .

ان الايمان يعني الاقتناع بكمال الاله وبكمال وابدية الاشياء التي ارادها ودبرها وصاغها الاله . وهذا الاقتناع يعني حتماً الرفض لمحاولة ولارادة تغيير صيغة الاله وصيغة الكون الذي خلقه الاله . ان الاله كامل الذات كامل العبقرية والتدبير والتخطيط والاخراج . وهل يشرع او يجوز تغيير الكامل ؟

اذن فالمؤمن لا بد ان يهاب سلوكاً وتفكيراً واعتقاداً رفض الصيغة او

الذات او الشخصية التي ولد بها الاله نفسه ، وكذلك رفض الصيغة او الذات او الشخصية التي ولد بها الاله اكوانه . نعم ، ان المؤمن لا بد ان يكون كذلك بتفكيره او باعتقاده ، مهما كان غير ذلك او نقيض ذلك بسلوكه او بمحاولاته او بآمانيه وضروراته .

ان الحضارة والابداع لا يعنيان في جميع تفاسيرهما وصيفهما سوى رفض الصيغة التي ولد بها الاله نفسه او ولد بها الطبيعة والاشياء الاخرى - رفضها بالتغيير والتجاوز والتفكير والارادة والمحاولات الدائمة والشجاعة والجريئة .

ان اعنى واعلى حاجز يعوق المؤمن عن الاقتحام والتجاوز هو آيمانه بالصيغة التي وجد بها الاله وبالصيغة التي اوجد بها الاله الاشياء . انه اعنى واعلى حاجز امامه حتى وان لم يره او يشعر به او يحترمه او يقف امامه ، يرفض او يخاف اقتحامه وتجاوزه .

وقد يكون من اعظم مزايا الالهة انها احيانا او دائما قد تظل ايمانا فقط دون نتائج او التزاماته ، دون ان تكون شيئا في حياة من يؤمنون بها . انك قد تؤمن بالاله دون ان تتعامل الاله الذي آمنت به مع حياتك . وقد تكون هذه هي اعظم وانبل مزية للاله .

ان عجز المؤمنين هذا قد يكون هو احد التفاسير او الاسباب لتزاحم وتواضع جميع المؤمنين المتدينين في جميع العصور والمجتمعات حول كل المهرجين والدعاة والصارخين الضالين ، وتساقطهم بتهافت وهوان ومسكنة تحت كل الاقدام والمنابر ، وامام جميع الهياكل والمعابد ، يصلون ويؤمنون ويتضرعون ويبكون بكل اللغات والدموع والاحزان والانهيان ، وبكل القباوات والتفاهات والاكاذيب الصغيرة .

انهم يتحولون الى منابر مباحة مهانة ، ليست عليها ولا لها اية حراسة او مناعة ، ليصعد فوقها كل كذاب واي كذاب ، وكل ملوث واي ملوث ، ليتحدثا عن مزايا الصدق والنظافة ، وليصعد فوقها كل مهزوم صغير القامة صغير الهامة ، لكي يبدو اكبر واطول من هامته وقامته وحقيقته ، ولكي يبدو وكأنه اكبر وانظف من ذاته وتشوّهاته وتفاهاته ومن كل مستوياته . واوه . ويلتاه . ما اقبح واكذب المنابر ، كل المنابر . ان كل

المنابر تتحول إلى ضخامة للهجمات الضئيلة وإلى طول في القامات القصيرة .
أذن كم انت أئمة ايها المنابر .

ان المؤمنين يتحولون الى منابر من هذا المستوى ليتحدث من فوقها
اليها عن السماء كل من لا يعرفونها ، اي كل من لا يعرفون السماء ، وكل من
لا يحترمونها او يطيعونها أو يخافونها او يضعون لها أية حسابات في
سلوكهم او في تفكيرهم او في نياتهم او في رجائهم وتأميلاتهم . ان
المؤمنين في جميع العصور لم يكونوا سوى منابر ذليلة يخطب من فوقها
جميع الكاذبين والموثين والتافهين والاغبياء - يخطبون فوقها بمنطق جميع
الالهة وبمنطق الازل والابد وكل الكون .

انه لا يوجد ولم يوجد من يصغرون ويهنون ويدلون ويناققون لاعداء
آلهتهم وانبيائهم وعقائدهم اكثر من المؤمنين بأقوى الآلهة وأقوى الاديان
والمعتقدات . انه لم يوجد من عبدوا الطغاة والاقوياء الفاسقين والظالمين ،
او نافقوهم واطاعوهم وخضعوا لهم وخرجوا على اربابهم ومعتقداتهم من
اجلهم اكثر مما فعل كل ذلك أو مثلما فعل كل ذلك المؤمنون بالاله الشامل
الكامل او بالدين الشامل الكامل الخالد الحق .

لانهم كانوا ضعفاء وعاجزين . والضعفاء العاجزون لا بد ان يعبدوا
القادرين وان يدلوا لهم وينافقوهم مهما لعنوهم وانبضوهم واحتقروهم من
داخلهم . انهم لا بد ان يعبدوا الاوثان مهما لعنوها وكفروا بها . انه لن يعبد
الاوثان قوم مثلهم . ان البشر يعبدون بالعجز لا بالايمان . ان الضعفاء
العاجزين لا بد ان يفعلوا ذلك مهما كانت شراسة وغيرة وانانية وقوة الالهة
او العقائد التي يؤمنون بها ويتحدثون عنها ويخطبون لها . ان أي طاغية
منظور لقادر ان يطرد من نفس المؤمن ومن حياته جميع اربابه وانبيائه
وقديسيه غير المنظورين .

ان هذا يعني ان الالهة والاديان والعقائد القوية الشاملة تعطي نقيض
ما تريد ونقيض ما تعلم وتطالب به . أنها تريد ان توهب وحدها كل شيء ،
وانها تطالب بكل شيء وتعلم انه لا شيء لاحد أو لشيء سواها .

ولكنها تصنع الضعف والعجز لمن يؤمنون بها ويتعلمون منها ويتبعونها .
والضعيف العاجز لا بد ان يكون ملكا للاوثان القوية مهما كان رأيه فيها .

ومشاعره نحوها .

اذن فالالهة والاديان القوية الشاملة لا بد ان تكون نفيا ورفضاً
لنفسها . انها لا بد ان تتحول الى هزيمة وآلى عقاب لمجدها . انها تقيض
لارادتها ولتعاليمها .

ان الاله القوي الكامل الشامل لن يكون الا هزيمة لنفسه ونفيا لها ،
وان الدين القوي الخالد الحق المطلق لن يكون الا كذلك ، اي لن يكون الا
هزيمة ونفيا لنفسه من حياة المؤمنين به ومن اهتماماتهم . ان الاله وكذا
الدين لا بد ان يكون محتاجا الى ان يهزم او يقتل او ينتحر او يتخفى او
يهرب او يخاف من المقاومة بقدر ما يكون قويا وشاملا ..

انه لو كان ممكنا ان يتسلل الاله الكامل الشامل او الدين الشامل الكامل
متخفيا حذرا الى اخلاق وحياة مجتمع ما او انسان ما لما كانت هذه الاخلاق
والحياة اخلاق او حياة من يؤمنون به - اي اذا كان ذلك الاله او الدين
يريد ان يعيش ذاته وشراسته وقيوده وتعاليمه القوية الباهظة ، وليس لفته
ومنابره وكتبه المنزلة فقط .

لقد استطاع الاله والدين ان يعيشا بين المؤمنين بهما لانهما كانا
يعيشان فوق منابرهما وفي كتبهما المقدسة فقط ، لا في حياة ولا في
اخلاق ولا في نيات اولئك الذين يعيشان في افواههم وتعاليمهم وصلواتهم .



انها لمحاولات ليس فيها من المنطق او من العزاء او من الجمال اكثر
مما في أداء الصلوات او مما في الدعوات والتضرعات الموجهة الى مسامع
وضمائر وقلوب الالهة، ان نحاول مطالبة المؤمنين بالاله القوي الكامل الشامل
او بالدين الشامل الكامل الخالد بان يكونوا عالميين او انسانيين او متسامحين
او احرار العقول او القلوب او الضمائر او الاخلاق ، او ان يكونوا مؤمنين
بالتطور او بالحب او بالصدقة الانسانية او العالمية ، او ان يكونوا مفكرين
او مبدعين او مغيرين وخلاقين ، او ان تكون لهم عيون طبيعية او كونية ترى
ذوات الآخرين ووجوههم واشياءهم واسبابهم بالقانون او بالمنطق السلي

ترى به ذواتها ووجوهها وأشياءها وأساليبها هي - ترى بها الأشياء بأحجامها وأبعادها وألوانها وبجمالها ودماמתها وبذنوبها وتقواها - تراها بمنطق واحد أو بقانون واحد أو بضمير واحد . انه لمستحيل ان تكون لهم عيون صادقة أو عادلة أو سوية أو انسانية ، او ان تكون لهم وجوه أو آذان أو لغات أو تفاسير كذلك . وهل يوجد حتى من غير هؤلاء المؤمنين من يمكن ان يروا الأشياء بأحجامها أو ألوانها أو أبعادها أو بصفاتها أو من يمكن ان تكون لهم عيون صادقة أو عادلة أو مهيبة ؟ .

انه لمحال ان يكونوا كذلك ثم يظلوا مؤمنين غير مفارقين لايمانهم بكل آلهتهم وأديانهم . ان مطالبتهم بأن يكونوا هذا وبان يظلوا مؤمنين لا تعني الا مطالبتهم بان يكونوا مؤمنين وغير مؤمنين في موقف واحد ووقت واحد .

انهم حينئذ يطالبون بأن يكونوا مؤمنين جدا ومفكرين جدا أو بأن يفكروا بلا إيمان ويؤمنوا بلا تفكير ، أو بأن يكونوا جحيما وبان يكونوا حداثق مثمرة ، أو بأن تعيش في داخلهم الحياة بكل قوتها وأساليبها والجحيم بكل قسوته وأساليبه ، أو بأن يعيش الاله في انفسهم بكل وحشيته وانانيته مع الانسان بكل قوته وعبقريته ومنطقه .

انهم حينئذ يطالبون بأقصى واردا أساليب المحال .

ولكن ليس كل انسان مطالبا بان يكون وبان يفعل اقصى واردا أساليب ومعاني المحال ؟

لقد ظل المؤمنون بالاله الشامل الكامل او بالدين الشامل الكامل في كل التاريخ بكل نماذجهم ومستوياتهم ومكانهم لا يتغيرون ولا يتحركون الا على حساب آيمانهم وبهزيمة أو اضعاف آيمانهم . انهم اذا تغيروا أو تحركوا فلا يوجد الا تفسير واحد لذلك ، هو ان آيمانهم قد أصيب ووقع عليه عدوان حتما . ان الآيمان شيء يغري بالاعتداء عليه . انه يحرض دائما ضد نفسه . انه يصنع الاعداء ويبحث عن الهزائم لانه يتحدى كل الطبيعة وكل القوى المتحركة المحاربة .

لقد ظل هؤلاء المؤمنون يتحدون كل الحوافز والظروف والمواظ والتحديات والتحريضات والتقريعات بقدر ما ظلوا مؤمنين ممسكين

بايمانهم او ممسكا بهم ايمانهم .

لقد ظلوا تدليلا قويا ودائما على أن المؤمن لا يمكن أن يكون ألا مؤمنا
اي ما دام مؤمنا . أنه أما مؤمن فقط ، وأما شيء آخر غير مؤمن .

وهل يوجد من يستطيع أن يكون مؤمنا فقط ؟ أذن هل يوجد من
يستطيع أن يكون مؤمنا مهبطا ملا خياله بالارباب والاديان ؟

انه اذا وجد انسان مؤمن فلا يوجد لذلك الا معنى واحد ، هو انه قد
وجد انسان فقط ، انسان غير مؤمن . انه قد اصبح غير مؤمن لانه قد
اصبح انسانا . لقد طرد الانسان فيه المؤمن الذي كان فيه ، او الذي ظن
فيه .

ان الانسان في الانسان ليطرد دائما المؤمن في الانسان، اي انه ليحاول
ذلك وأنه لا بد ان يفعله .

انه انسان فقط ، يتحدث عن المؤمن الذي كان يعيش يوما ما في
داخله ، والذي كان يوما ما يذل ويهين ويهزم الانسان الذي كان يمكن ان
يكون في داخله ، او الذي كان في داخله ثم ارتحل عنه ببطء او بسرعة ،
بهذوء وصمت او باعلان وضجيج - او يتحدث عن المؤمن الذي لم يكن قط
في داخله كما لا يمكن ان يكون فيه ابدا . ان الانسان لا يستطيع أن
يعايش المؤمن في ذات واحدة ، وأن المؤمن لا يستطيع أن يعيش في ذات
تعيش . انه أي المؤمن لا بد أن يتحطم ويموت في الذات التي تعيش حينما
تتصادم بكل الأشياء لأنها تعيش . ان الذات التي تعيش لا تستطيع أن تبقى
على حياة المؤمن فيها مهما ارادت وحاولت .

★ ★

وهذه العيون والوجوه والقلوب والآلفاظ والاخلاق ألفظة الكالحة
الحاقدة المتشائمة هل يملكها ويتعامل بها ويحيها المؤمنون بالالهة والاديان
الشاملة الكاملة الخالدة وحدهم ام يساويهم في ذلك واحيانا يتفوق عليهم
جميع أصحاب المذاهب والنظم والقوميات والوطنيات والتعاليم والنظريات
الزاعمة لنفسها انها تملك كل التفوق ، وكل المستقبل والذكاء ، وكل اسباب

واحتمالات الانتصار والخلود والانتشار العالمي ؟ هل الجحيم في ضمائر
وعيون الالهة والانبياء وحدهم ام في عيون وضمائر جميع المعلمين ؟

هل الذي يصنع ويصوغ تعصب الناس نوع ما يؤمنون به ام نوع
ايمانهم - اخلاق آلهتهم ام اخلاق ايمانهم - اخلاق ايمانهم ام اخلاق
حياتهم ؟

هل الوحشية في اخلاق التعاليم ام في جنسيات المعلمين ؟ ..

هل التعصب مستوى وخلق عقيدة وايمان ام هو مستوى وخلق
انسان او مجتمع ؟ هل العقائد والتعاليم والمذاهب هي التي تجعل الناس
متعصبين ام الناس هم الذين يجعلونها متعصبية - ام الناس هم الذين
يتعصبون ، هم الذين يجيئون متعصبين ؟

هل يموت كل ما في العالم من تعصب لو مات كل ما في العالم من
آلهة واديان ومذاهب ؟ هل اله اي انسان او أي مجتمع بكل بداوته وقسوته
او بكل ابتسامه ورقته هو الصورة الناتجة عن ذلك الانسان او المجتمع ام
ذلك الانسان او المجتمع هو الصورة الناتجة عن ذلك الاله ؟ هل جاء الناس
على مقاسات الالهة والاديان والمذاهب ام جاءت هذه على مقاسات الناس ؟
هل هي التي خططتهم ام هم الذين خططوها ؟ هل تخيلوها ام تخيلتهم ؟ ان
كانوا قد جاءوا على مقاساتها فهي على اية مقاسات قد جاءت ؟

ليست هي التي قد جاءت على مقاساتهم دون ان يجيئوا هم على اية
مقاسات سوى مقاسات أنفسهم ؟

ما الذي يجعل الالهة والمذاهب والاديان هذا او هذا ؟ هل يوجد كائن
غير الانسان ، غير المبتدع الواضع لها المؤمن بها يستطيع او يريد او يحاول
ان يجعلها هذا او هذا ؟

ان الانسان هو الذي يهب اربابه ومذاهبه واديانه وافكاره اخلاقها
بقدر ما يهب بيوته وازياده اشكالها ونماذجها والوانها وحدودها . ان الانسان
هو البدء لجميع كينوناته الاعتقادية والمذهبية والفكرية والدينية . انه هو
البدء لاربابه ولكل اخلاق ومستويات واحتياجات ذاته .

انه لو انزل اله واحد ديننا واحدا في عصر واحد الى مجتمع واحد على نبيين احدهما مريض بالتوتر والحساسية الباهظة وبخشونة الاخلاق والنفس ، بينما النبي الاخر مصاب بخمود الطبع وبخمود التطلع والاحتجاج والرؤية والاحاسيس ، حتى انه من شدة خموده لا يستطيع ان يشعر باختلاف فصول السنة او بمجيئها او بوجودها ، ولا بتعاقب الليل والنهار ، ولا بان الشمس تجيء وتذهب كل يوم ، ولا بدمامة الذباب واقعا على وجه النبي ، او على آياته واناجيله المتحدثة عن نظافة الاله ، او واقعا على وجه الطبيب ، على عيني طبيب عيون .

— كما لا يدرك اي ذلك النبي من خمود طبعه وقاحة المنطق الذي يعاني ويدبر ويخطط ليخلق الطفولة الجميلة المرحة ثم ليصيبها بالامراض التي لا علاج لها وبالتشوهات ، او ليصيبها اي الطفولة بالموت الناجز .

— بينما النبي الاخر لا يستطيع ان يحس او يدرك او ينكر شيئا من ذلك لشدة كسله الفكري والنفسي والاخلاقي والذاتي .

— نعم ، انه لو انزل واوحى مثل هذا الاله مثل هذا الدين ، في مثل هذه الظروف ، على مثل هذين النبيين لكان محتوما ان يجيء عن ذلك دينان والهان مختلفان اختلافنا يساوي اختلاف النبيين في صفاتهما النفسية والفكرية والاخلاقية والذاتية والشعورية .

ان فلسفة وتعاليم اي معلم او مصلح او مفكر لن تكون دائما وبمنطق شامل تعبيرا عن ظروف مجتمعه وعصره وعن احتياجاتهما فقط ، دون ان تكون ايضا تعبيرا عن ذاته ، عن مستوياته النفسية والفكرية والاخلاقية والانفعالية ، معبرة عن مستوياته الذاتية . وان دين اي نبي لن يساوي الا نفس ذلك النبي ، ان دينه لن يساوي الهه ، بل ان الهه اي نبي لن يكون الا مثل نفس ذلك النبي ، باسلوب ما .

ان كل انسان لا بد ان يكون تعبيرا عن ذاته مهما كان تأثير المجتمع والعصر والظروف عليه . انه يتأثر بالمجتمع وبالظروف وبالعصر الذي يعيش فيه ، ويستجيب لذلك ويستقبله بذاته ، اي بمواهب وخصائص وقدرات ذاته . انه لا يستجيب او يستقبل منفصلا عن ذاته او بعيدا عنها او غير متعامل بها .

انه لو كانت الاستجابة أو التلقي أو الاستقبال يساوي الظروف والمجتمع والعصر فقط دون الذات لكان محتوما ان يجيء جميع من يعيشون في ظروف واحدة وفي مجتمع واحد وفي عصر واحد متساوين في جميع كينوناتهم وافكارهم واخلاقهم واتجاهاتهم ، وفي مذاهبهم ، وفي قوتهم وضعفهم ، وفي عبقريتهم وتفاهتهم ، وفي مقاومتهم واستسلامهم ، بل وفي قدرتهم على الحب والسرور وعلى النوم وعلى مقاومة الامراض ، وعلى قراءة الحروف الصغيرة تحت الضوء الضئيل . بل لكان محتوما حينئذ ان يجيئوا متساوين في طول قاماتهم وضخامة هاماتهم وفي لون عيونهم وشعورهم .

انه لو كان محتوما ان يكون كل انسان تعبيرا عن مجتمعه او عن ظروفه او عن عصره او عن شيء آخر او عن انسان آخر فقط دون ان يكون تعبيرا عن ذاته كذلك او عن ذاته اكثر ، لكان محتوما ان يقف أمامنا هذا السؤال:

واذن فمجتمعه وظروفه وعصره وذلك الشيء الآخر أو الانسان الآخر تعبير عن ؟ ان الذات ، اية ذات ، ان ذات اي شيء وكل شيء لا بد ان تكون منطلقة ومنطقه . انها لا بد ان تكون هي البدء له والبدء لنفسها . لا بد ان يكون تعبيرا عنها وان تكون هي تعبيرا عنه مهما كانت ايضا تعبيرا عن غيره وكان هو تعبيرا عن غيرها .

ان الذات هي منطق كل منطق وتعبير كل تعبير تعيشهما وتمارسهما وتتعامل بهما مع نفسها ومع الاشياء الاخرى .

ان لكل ذات انسانية عضلات نفسية واخلاقية وعقلية وشعورية ، متفاوتة المقاسات والقدرات ، تتعامل بها مع الاشياء التي حولها والتي تواجهها . وهذه العضلات لا بد ان تعبر عن ذاتها في تعاملها مع الاشياء . لا بد ان تعبر عن ذاتها بمستوى ذاتها لا بمستوى تلك الاشياء . اننا نتعامل مع الاشياء ونعمل فيها بما تساوي عضلاتنا البدنية ، كذلك ايضا نفكر في الاشياء ونفهمها ونشعر بها ونريدها بما تساوي عضلاتنا العقلية والاخلاقية والشعورية .

ان اية عضلات لا تملك من القوة مثلما تواجه او مثل ما حولها ، بل مثل ما تملك هي . وان اي عقل او اي انسان لا يملك من الذكاء او من الحماس ما يحتاج اليه الموقف الذي يعيشه او الذي تفرض عليه مواجهته،

بل لا يملك من ذلك الا ما تملكه مستوياته الذاتية .

ان أي مفكر او معلم او مصلح قد ينفصل عن مجتمعه وعن عصره ليكتب ذاته وعنها ، وليحولها الى تعاليم وافكار ، والى الهة وأديان .

ان مريض المعلم او النبي المريض ليصبح معنى من معاني تعاليمه ونبواته ، وكذلك صحته ، وكذلك قوته وضعفه ، وكذلك ذكاؤه وغبائه . ان آلام ذاته تتحول الى آلام في تعاليمه . ان آلام النبي الذاتية تتحول الى آلام وتشوهات في اخلاق الهه .

اجل ، ان ذكاء أي نبي لا يساوي ذكاء الاله الذي ارسله ، بل يساوي ذكاء نفسه . نعم ، ان أي اله او دين لا يساوي نفسه ، وإنما يساوي النبي او المعلم الذي يتحدث عنه .

اذن فهل الايمان بالاله الكامل الشامل المتوحش ، او بالدين الشامل الكامل المتوحش هو الذي يصوغ المؤمنين به صياغاتهم النفسية والفكرية والاخلاقية الرديئة ام الذي يصوغهم هذه الصياغات هي مستوياتهم الذاتية؟

هل ايماننا هو الذي يصوغنا ام نحن الذين نصوغ ايماننا ؟ اينما الاول نحن ام ايماننا ؟

هل من المستطاع او الصواب ان يكون هنا جواب محدد نهائي ؟

بل هل لأي شيء جواب محدد نهائي ؟ وهل من الافضل او الانفع ان تكون للاشياء وعنها اجوبة نهائية محددة ؟

روى التاريخ في احدى اقاصيصه ان قائداً نزل هو وجنوده في بلاد بني غزوها فأمر باحراق سفنه التي حملته الى تلك البلاد ، ثم قال مخاطباً جنوده :

« ايها الجنود الطيبون الاغبياء . ايها القتلة الاندال . يا اقسى وأقبح

نماذج الهوان والجبن والعدوان والطاعة والعار .

هكذا تكلم ذلك القائد وكأنه اول قائد او انسان يفهم بكل العمق وظيفه الجيوش تحت كل الظروف والتفسير .

ثم قال وكأنه يصبو اسلحته الى جنوده بل الى كل الجنود لا الى الاعداء فقط - قال متصاعدا في صدقه القتال :

« يا اقوى تعبیر عن هزيمة الانسان وبلادته وضعفه . يا اغلى كلابي الطيعة الدليلة المدربة .. ايتها الكلاب الجبانة المهانة . يا كلاب المذاهب والاديان والزعامات . يا آثامها . يا عار آلانسان . يا مجد عار الانسان . يا عار وآثام المذاهب والاديان والنبوات والزعامات .

« ايتها الكلاب الطيبة المخلصة . ان البحر وراءكم وان العدو امامكم ، وما حياتكم الا أن تتقدموا .. ايتها الكلاب المؤمنة المصلية المنتمية .

« يا كلابا نباحها الشعارات والمذاهب والاديان والوطنيات والقوميات » ..

وفي نص اخر :

« ان العدو وراءكم ، وان البحر امامكم ، وليس لكم الا ان تخوضوا البحر . يا كلابا لا يقودها الا الالهة والانبياء والزعماء ومعلمو المذاهب » .

بكل هذا الصدق والعمق في الفهم لمعنى الجنود والجيوش كان يتكلم ذلك القائد الى جنوده وعنهم .

وفي رواية اخرى لهذه القصة من اقصيص التاريخ :

« ان العدو والبحر وكل شيء امامكم ، وليس وراءكم شيء تريدونه او تجدونه او تبلغونه .. يا كلابا لا يعلمها ذنوبها سوى الاديان والمذاهب والزعامات » .

يمكن ان قائدا قد تكلم هكذا ؟ اذن لتلعنه كل الاكاذيب وكل الاديان

والمذاهب وكل الشعارات المزورة .

ان الدين ليس لهم وراء لا بد ان يكون لهم امام فقط . وهؤلاء لن يستطيعوا ان يريدوا الا ان يتقدموا . ان التقدم أو ارادة التقدم حينئذ حتم عليهم . اما الذين لهم وراء ، لهم وراء مملوء بالسحر والاساطير التي هي أكبر وأعجب من كل الطبيعة ومن كل قواها وقوانينها وغوغاياتها .

— أما هؤلاء فلا بد ان يتراءى لهم الامام كريها مخيفا مجهولا شاقا فاسقا ضالا مشحونا ومسكونا بالالام والاضطراب وبالوحوش والابالسة ، او لن يكون الامام مالكا كل الاغراء والتأثير عليهم والدعوة لهم والتهاف بهم او ألتفرد بأهوائهم وتطلعاتهم . اليس في جمال الورا أو في رؤيته جميلا عدوان على الامام ؟

ليس في ذلك عدوان على العيون وعلى التحديق وعلى الاشواق ؟ ليس محتوما ان هؤلاء لا بد حينئذ ان يحاولوا التراجع الى الورا ، او لا بد أن يستبد بهم الحنين الى الورا الذي لن يخشوه لانهم قد ألفوه كثيرا في تصوراتهم وأحاديثهم أو في اساليب حياتهم ، ولانه لن يعود الى الورا مهما دعوه وارادوه ؟؟

ان الورا لن يخيف احدا مهما كان رديئا وشريرا ومتخلفا ومتعبا وتافها .

انه لا يستطيع أن يخيف او ان يهدد احدا لانه لن يعود ، وأن جميع المنادين له الهاتفين باسمه يعلمون انه لن يعود . لهذا فكم هم اصدقاء له ومشتاقون اليه لانه لن يعود ولانهم يعلمون ذلك . وما اجمل واتقى الشيء الرديء الذي لن يعود والذي لن تخشى عودته . ما اكثر تهذيبه . وما اجمل او اسهل أو ارخص التهاف له والدعوة اليه . وما أكثر الهاتفين المباركين له . ان اي شيء كان فيه لن يعود . ان احدا من انبيائه او من اربابه او من قديسيه او من صانعيه او من المتسلطين باسمه ، لن يعود . اذن كم هو جميل ونبيلا .

ان أكثر الناس فجورا وفسوقا وزندقة نفسية واخلاقية ليجرؤن على التحدث بأصدق وأحر الاشواق والتهفات عن الورا وعن كل ما كان ومن

كان فيه من الهة وانبياء وملائكة وشهداء ، ومن تقوى ونظافة وصدق وايمان لانهم يعلمون انه لن يعود ، وانهم لن يحكموا او يخضعوا او يلزموا بما كان فيه من تقوى ، او بما يحكى عما كان فيه من تقوى . انه لو كان يعود بالدعوة له او بالحنين اليه لكان مستحيلا ان يحن اليه او ان يدعو هؤلاء الذين يدعونه ويحنون اليه .

ان الوراء هو انبل الاشياء وأكثرها تهذيبا وابعاء ورفضاً ونظافة وشهامة لانه لا يقبل العودة . انه يملك شيئا من الكرامة ، لهذا يرفض العودة تحت أي ظرف او سبب من الظروف او الاسباب . هؤلاء الذين يبكون ويرتجفون شوقا الى الوراء ، لو أن احد انبياء هذا الوراء عاد ليحكمهم بتعاليمه واخلاقه ، الا يكونون هم أشرس من يقاتلونه ويرفضونه ؟

اننا يوم نستطيع ان نقتل ونغلق جميع عيوننا ولهفاتنا واشواقنا المتطلعة الى الوراء - الى الوراء الموقر بجميع الوان الالهة والعقائد والتعاليم وبالإباء والاسترخاء ، وبكل اساطير واساليب الاغراء - اننا حينئذ قد نجد انه لا طريق ولا مكان لنا ألا أن نتقدم . وكم هو خسران لنا وسرقة او اخذ منا ان نهب شيئا من عيوننا او من عقولنا أو من قلوبنا أو من اصواتنا وفصاحتنا لاي وراء من الالهة أو الأبناء أو المعلمين .

اننا حينئذ لن نستطيع أن نوزع اشواقنا ولهفاتنا وأهتماماتنا وتحدياتنا وآمالنا وخطواتنا بين أمل يطاردنا ويجب أن نتخلى عنه وأمل يختبئ عنا ويجب أن نبلغه ، ان نظارده ونصطاده .

نعم ، اننا حين نقتل ونغلق كل ذلك فلن نستطيع ان نتوزع او ان نوزع هذا التوزيع أو هذا التوزع .



ان لكل انسان ومجتمع تاريخا او ماضيا يعيش فيه ، يعيش في افكاره وحماسه وفي مشاعره وفي آمانيه ، وفي مخاوفه وشهواته - بل ويعيش في موهبته وذكائه ، وفي يديه ورجليه وعينيّه ، وفي ضرباته وخطواته ، وفي كل فنونه واساليب حياته - بل ويعيش في لفته وزيه وهمومه ، وفي حبه وبغضه ، وفي قبوله ورفضه ، وفي اشمزازه واعجابه .

ان كل انسان ومجتمع مسكون ومحتل باعداد هائلة من اصناف الفزاة والطفاة ومن اصناف الاغبياء والادعياء والمرضى .

ان ذلك الماضي او التاريخ للانسان او للمجتمع يعيش فيه ويضبط عليه ، ويناقضه ويقاومه ويضله ويعاديه ويحاول أن يفسد ذكاه ورؤيته واحاسيسه وكل معانيه واستجاباته الانسانية . انه يحاول كل ذلك مهما انتصر او انهزم .

انه أبشع واشمل عدوان يواجهه كل مجتمع وكل انسان في كل التاريخ ، في كل العالم .

ان هذا الماضي او التاريخ الذي يتجمع ويعيش بوحشية وعدوانية في كل انسان وفي كل مجتمع ، ليققات بكل حياته وموآبه واحتمالاته واحتياجاته هو تجمعات هائلة متوحشة معادية همجية من الالهة والانبياء والمعلمين ، ومن القادة والزعماء والحكماء والشعراء والوعاظ ، وايضا من الاديان والمذاهب والمعابد والصلوات ، ومن الايات والروايات والاناجيل المكتوبة بكل ما في عقول الالهة واخلاقها ومشاعرها من تجهم وغضب واستبداد وكبرياء وانانية ورجعية وبدأوة - وايضا من الابهاء والذكريات والتجارب والاشواق المتراكمة الذاهبة بعيدا ، بعيدا الى الاعماق .

انه في كل ذات وفي كل مجتمع تعيش عوالم كثيرة غير مرئية من الاعداء والمنافضين والمغايرين والمتخلفين ، يتدخلون ويهاجمون ، ويأمرون وينهون ويهددون ويخوفون ويصرخون ويطالبون ويضللون ويكذبون ويفسدون ويقرؤون انفسهم ويفرضونها ويلقون بها دون شهامة او كرامة او حياء او ذكاء او محبة . أنهم اسلوب من الغزو المتوحش .

ان كل انسان وكل مجتمع معتدى عليه ومحتل ومهاجم ، تعتدي عليه وتحتله وتهاجمه عوالم كثيرة غريبة غير مرئية وغير مهذبة وغير كريمة .

ان كل انسان وكل مجتمع مربوط بهذه الحشود والمواكب والعوالم غير المنظورة من الالهة والانبياء والمعلمين ، ومن القادة والزعماء والحكماء والشعراء والوعاظ ، وايضا من الاديان والمذاهب والمعابد والصلوات ، ومن الايات والروايات ومن الاناجيل كذلك . وكذلك من الابهاء ومن الذكريات

والاشواق والقراءات التاريخية . ما اقوى الاشواق والذكريات والقراءات .
وان هذه الحشود والمواكب والعوالم مربوطة بكل انسان وبكل مجتمع .

أنها محمولة عليه ، ملقاة فوقه ، فوق ذكائه وافكاره وحريته ورؤيته
وفوق احساسه واهتماماته وتحقيقاته وضروراته ، وفوق جميع خطواته
واتجاهاته ومواهبه .

ان اي انسان او أي مجتمع لا يستطيع ان يخطو اية خطوة الا وهو
يجر وراءه ويحمل فوقه أضخم حمولة من العوالم الضخمة غير المرئية ، من
الآلوان الشرسة المعادية البليدة الوقحة البذيئة المناقضة المتخلفة الناهية
الأمرة المهددة المستبدة . انظر . أن كل اربابك وانبيائك وآبائك واديانك
وتقاليدك محمولون ومحمولة فوق قدميك ويديك وعقلك حينما تخطو او
تضرب او تفكر بل وفوق عينيك حين ترى . أنها اثقال كئيبة موضوعة فوق
قوى حياة أي انسان ، كلما اراد ان يتحرك ، وكلما تحرك ، وكلما طلب منه
او فرض عليه ان يتحرك ، واينما تحرك ، بل وكلما عجز عن الحركة او رفض
الحركة او منع من الحركة . انها الاثقال التي يحملها كل انسان وكل مجتمع
في كل عصر .

انه لا يوجد كائن يحمل اثقاله او يحمل أثقالا بالوحشية والعذاب
للذين يحمل بهما الانسان او المجتمع اثقاله حينما يتحرك في طريقه او
حينما يعجز او يكف عن الحركة ، حاملا فوقه كل ما في تاريخه او ماضيه
من الالهة والانبياء والمعلمين والآباء ، ومن الآيات والروايات والاناجيل
والمذاهب والتعاليم والتقاليد ، ومن الذكريات والتجارب والاشواق ، ومن
العاهات والتشوهات والهزائم ، ومن الآلام والاحزان والمشاكل والمخاطر ،
ومن الحب والبغض والخوف والتبعات . آه . ما اثقلها واوقحها من اثقال .

هل يعلم الحاملون لهذه الاثقال أنهم يحملونها ؟ هل يشعرون بفداحة
او وقاحة معاناتهم ؟

هل توجد اثقال أو أحمال مثل هذه الاثقال والاحمال ؟ هل يوجد او
وجد حمال مثل هذا الحمال ؟ ما اصعب أن تكون اثقالك من جثث الالهة
والانبياء والمعلمين ، ومن جثث الشهداء والقديسين ، ومن المعابد والمحاريب ،
ومن الآيات والاناجيل .

هل تعرف ابها القاريء ماذا تحمل ؟ هل ترى او تتصور كل ما فوق
ذاتك وحياتك من ائقال واحمال ؟ هل تراها ؟ هل تحسها ؟ هل تتألم بها ؟
هل تدري كم انت مظلوم مقهور مثقل محمول عليك ؟ هل انت راض باحمالك
وانقالك او راض عنها ؟

ايها الانسان . هل تدري كم انت حامل ، وماذا يساوي ما انت حامل ،
وكيف التزمت بحمل ما انت حامل ؟

ان جميع هذه وجميع هؤلاء قد اصبحت واصبحوا للانسان والمجتمع
وعليهما قيودا تريد ان تمنعهما الحركة ، واحمالا تريد ان ترهق وتسحق
قدرتهما على الحركة ، ودعاة وخطباء ينهونهما عن الحركة ، ويخوفونهما بها
ومنها ، وهزلا يريد ان يعجزهما او يضعفهما عن الحركة او عن رغبتهما في
الحركة ، وذنوبا تريد ان تفسد وتذل ضميريهما ، وبلادات تريد ان تمتص
ذكاءهما ، وغبارا وظلاما يريدان ان يضللا رؤيتهما ، وشراسة تريد ان تشوه
نياتهما واخلاقيتهما وجمالتهما .

اذن كيف يستطيع اي الانسان او المجتمع ان يرى او يفهم او يخطو
او يغير او يبدع ويخلق بل او يحيا وهو يعاني كل هذا ؟ كيف استطاع او
يستطيع ؟

كيف استطاع او يستطيع ان يرى شيئا وكل هذا يعيش داخل عينيه ،
او ان يحس بشيء وكل هذا يعيش داخل احساسه ، او ان يشترك الى
شيء وكل هذا يستبد بأشواقه ؟

كل هذه الحشود والمواكب والعوالم غير المرئية تعيش فوق الانسان
وداخل ذاته وحياته ، تهدده وتخيفه وتنهيه وتأمره وتطالبه وتناقضه وتقيد
وتشتته وتشوّه وتضلله وتضعفه وترهقه وتكذبه وتسرقه وتستبد به
وتحكمه .

اذن كم هم الطفلة الذين يحتلون ذات الانسان ، ينهونه ويأمرونه
ويرهبونه ويحكمونه ويحكمونه بل ويشتمونه ويحرقونه ؟

اذن كيف استطاع ان يحيا او يكون او يفعل شيئا كبيرا او ذكيا ؟ كيف

يستطيع ان يبتسم او يحاول او يريد او يشتهي او يجب او يقاوم وهو يحمل في داخله او فوقه واحدا من هؤلاء الطفاة ، من هؤلاء الالهة والانبياء والمعلمين، او واحدا من هذه الاديان او التهديدات او المخاوف او التصورات؟ كيف وهو يحمل عوالم من هؤلاء الالهة والانبياء والمعلمين ، ومن هذه الاديان والتهديدات والتصورات والمخاوف وليس واحدا فقط ؟

هل في القضية غلطة ام اكدوبة هائلة ، هائلة ، ام فيها معجزة كبيرة، كبيرة ؟ ام في القضية كل ذلك واكبر من كل ذلك ؟ نعم ، كيف استطاع الانسان تحمل وحمل كل ذلك ؟ كيف لم يسقط الانسان تحت اثقاله هذه؟ كيف استطاع الوقوف او الحركة او الحياة ؟

لقد كان اقل ما يمكن توقعه ان من يحملون فوق ذواتهم وحياتهم وداخل ذواتهم وحياتهم كل هذه الحشود والمواكب والعوالم غير المرئية أن يسقطوا ويموتوا اعياء ورهبة واشمئزازا وحياء وغضبا وضلالا ورفضاً للعار والهوان والتلوث والهزيمة . ولكنهم لم يموتوا ولم يسقطوا . لقد كان السقوط والموت حينئذ أسلوبا كريما وعظيما من اساليب الحياة والقوة . كيف ماتوا وسقطوا حتى عجزوا عن الموت والسقوط ؟

كيف حدث ذلك ؟ هل في القضية معجزة اكبر من كل معجزة ام فيها بلادة هي اكبر من كل البلادات المعروفة ؟ ولكن كيف يكون الشيء امام معجزة او بلادة ؟ كيف امكن هذا الافتراض؟ نعم ، وهل في معجزات البشر أعظم او اشهر او اكثر من معجزات بلادتهم ؟

هل الانسان عظيم جدا او تافه جدا حين استطاع ان يحمل كل هذه الحشود والمواكب والعوالم غير المرئية وغير الصديقة وغير المهذبة وغير الملائمة او المسالمة دون ان يسقط من الاعياء او الرهبة او الغضب او من مشاعر الهزيمة والعار والاشمئزاز والتناقض والرفض ؟

كيف استطاع الانسان ان يعيش او ان يتلاءم مع نفسه ومع الاشياء ، او ان يحب ويتعامل تحت هذا العدوان والمعاناة - تحت هذه الحشود والمواكب والعوالم غير المنظورة من الالهة والانبياء والاديان الكاملة الشاملة المتوحشة المقاتلة بكل الاسلحة والاساليب والمستويات ، لكل ما في حياة الانسان من اشواق واحتياجات وجوع ومواهب ومن تجاوز ورفض وتحليق

وقدرة ورؤية ؟

انه لشيء فوق كل التوقعات والتفاسير التي يمكن فهمها ان تحمل في ذاتك الها او نبيا او ديناً من هؤلاء الالهة والانبياء والاديان ثم تستطيع ان تحدد في اسراب الحشرات وهي تتلاقح داخل عيون أطفالك ، او تحدد في وجوه النجوم الصغيرة الهاربة من الرؤية وانت تتشاءب أو تغني أو تصلي أو تبتسم من داخلك لمجد آبائك وانبيائك في التاريخ . انه لشيء فوق كل التوقعات والتفاسير ان تغضب لشيء أو من شيء ، أو ان تحب أو تبغض شيئاً أو أن ترى شيئاً أو أن تعجب بشيء وانت تحمل في ذاتك أحد هؤلاء الالهة او الانبياء او الاديان .



انه كما يختلف الناس في قدرتهم على مقاومة الاعداء المحاربين ، وعلى مقاومة الطبيعة المناقضة او غير الملائمة ، وعلى مقاومة الحشرات المؤذية ، وفي ارادتهم لهذه المقاومة ، كذلك يختلفون في قدرتهم وفي ارادتهم لمقاومة التاريخ أو الماضي أو الوراثة ، وللمقاومة ما فيه من آلهة وأنبياء وزعماء ومعلمين وآباء ، ومن تعاليم واديان ومذاهب ، ومن أشواق وذكريات ، ومن علاقات وقراءات روحية . حتى قراءتنا الروحية القادمة إلينا من التاريخ تتحول إلى نقیض وإلى مقاومة لنا . انها تتحول إلى مناقضة وضارّة ومعادية كالحشرة والطبيعة .

أن هؤلاء الالهة والانبياء والزعماء والخلفاء والآباء والمعلمين والشهداء، وهذه التعاليم والاديان والمذاهب والأشواق والذكريات والعلاقات والقراءات الروحية القادمة إلينا من التاريخ أو من الماضي أو من الوراثة .

— نعم ، أن هؤلاء وهذه قد أصبحوا وأصبحت مناقضين ومقاتلين ومقاومين وضارين مؤذین لنا كالطبيعة المناقضة ، وكالحشرات المؤذية والضارة ، وكالاعداء المحاربين . أن مناقضة آلهتنا وانبيائنا وآبائنا لنا وعدوانهم علينا أسلوب من أساليب الطبيعة في مناقضتها لنا ومن عدوانها علينا .

أن الضرورة والمنطق اللذين يفرضان علينا مقاومة الطبيعة والحشرات

والاعداء يفرضان علينا ايضا مقاومة التاريخ او الماضي او الورا بما نقبل
الينا من آرباب وانبياء وخلفاء وشهداء وزعماء واباء، ومن اديان وتعاليم، ومن
اشواق وذكريات وآلام وهموم ومحاريب وقرآات قد أصبحت واصبحوا
غير ملائمين لنا او معادين لنا مثل الطبيعة والحشرات والاعداء المحاربين .
هل الطبيعة والحشرات تتحول في تفاسيرها الى مناقضة ومعادية لنا اكثر مما
تتحول الالهة والانبياء في تفاسيرهم الى معادين ومناقضين لنا ؟

ان البشر ليختلفون في انواع واخلاق الاعداء والطبيعة والحشرات
التي يواجهون ويقاومون كما يختلفون في انواع واخلاق التاريخ ، وفي
انواع واخلاق ما فيه من آلهة وانبياء وخلفاء وشهداء واباء ، ومن اديان
وتعاليم ومذاهب ، ومن اشواق وذكريات وارتباطات روحية ونفسية
وتصورية وفكرية ، وكذلك من هموم وآلام ومن عداوات ومخاوف واحقاد،
ومن هزائم وانتصارات ، ومن عار ومجد وهوان وكبرياء . ولكن اليس
التاريخ او للماضي الذي له كل هذه الذنوب ، اليس له ما يمكن ان يصبح
دفاعا او اعتذارا عنه ؟ اليس يهنا كل خطواته وانتصاراته وتجاربته ومعارفه
بقدر ما يفرض علينا كل بلاداته وجهالاته واكاذيبه وذنوبه وهمومه وآلامه
وعاهاته ، وكل آلهته وانبيائه وطفاته ومعلميه ومهرجه ؟ اذن اليس له
ما يمجده مهما كان له ما يعيبه ؟

اننا بشيء كثير من التدين ومن الفرور المذهبي والفكري نزعم اننا
نرفض الايمان بالمذهب القائل بتناسخ الارواح .

ولكن السنا اكثر من كل البشر ايمانا بهذا التناسخ وتصديقا له ، بل
ودعوة اليه ، بل وتجهيلا واتهاما وتكفيرا لمن لا يؤمنون به ؟

وهل يعني ايماننا او تديننا شيئا غير الاقتناع بهذا التناسخ وغير
الدعوة اليه والهزاء لمن ينكرونه ؟

ان ارواح القدماء ، جميع القدماء الذين علمنا الرضا عنهم والايمان
والاعجاب بهم تسكن فينا وتنتقل الينا ، او يراد لها ومنها ان تفعل ذلك في
مواكب طويلة تاريخية ضاحجة تهتف وتبتسم لها كل عيون وقلوب وحماس
الالهة وجميع وحدات الطبيعة .

ان التناسخ الذي تؤمن به وتدعو اليه ونتمناه تناسخ اخر ، اكثر
فظاظة وشمولا من كل تناسخ قال به او آمن به اي قوم .

ان التناسخ الذي ندين به وتدعو اليه هو افظع وارداً واغبي من كل
تناسخ دان به اي انسان .

اننا نريد ان تنتقل روح كل نبي او شهيد او ولي او خليفة بل او روح
كل اله الى ذات كل انسان مهما كان صغيراً او تافها او مشوها او رديئاً لتعيش
فيه بكل اخلاقها ونظافتها وشموخها ونياتها ومستوياتها ، ولتعيشها هو
بكل تلوثاته وتفاهاته وضعفه وهبوطه وبكل مستوياته العاجزة . اننا نريد
ان تعيش الروح الواحدة ، روح النبي الواحد او الخليفة الواحد او الشهيد
الواحد او الامام الواحد بل او السلطان الواحد بكل فضائلها وقواها ومعانيها
في كل ذات ، بكل ضعفها ورذائلها ونقائصها . اننا لا نقول بان الروح
الواحدة تنتقل الى ذات واحدة كما يقول المؤمنون بالتناسخ ، بل نقول ان
الروح الواحدة يجب ان تنتقل الى كل الذوات المتناقضة والمتفاوتة
المستويات .

اننا نقول ان كل حجم واكبر حجم يجب ان يوضع في كل مكان وفي اصغر مكان .
وان كل قمة ونظافة يجب ان توضع في كل حضيض وفي كل قذارة . وان
كل سيف وكل سلاح يجب ان يوضع في اي غمد وفي كل غمد ، في كل يد
وفي آية يد ..

اننا لا نقول ان الروح العظيمة القوية النظيفة تحل او يجب ان تحل
فقط في الذات العظيمة القوية النظيفة ، او في ذات واحدة فقط من هذا
الطراز . بل اننا نقول ان اعظم واقوى وانظف روح تحل او يجب ان تحل
في اتفه واضعف وارداً ذات ، بل في كل ذات من هذا المستوى .

اننا نقول ان اعظم وانبل عقل يجب ان يعيش او ان يركب في اصغر
راس وارداً راس .

اننا نقول ان روح اعظم الانبياء يجب ان تعيشها بكل مستوياتها ذات
ارداً او اصغر انسان . ان روح او ذات هذا الانسان الارداً او الاصغر يجب
ان تتعلم جميع مزايا وقوى واخلاق وذكاء وسمو روح ذلك النبي الاعظم

لتحيا كل ذلك وتتخلق به وتفهمه وتتقبله وتعبر عنه على المستوى الذي تفعله روح ذلك النبي الذي هو اعظم واكبر الانبياء . اننا اذن نقول اردا شيء واغبي شيء .

اليس تحقيرا وتشويها للروح العظيمة احلالها في ذات رديئة ؟ اليس مطالبه الذات الضعيفة بأن تحيا وتفهم وتتقبل وتتعلم وتدعي جميع مستويات ونماذج الروح العظيمة اسلوبا قاسيا وبديئا من اساليب الهجاء للروح العظيمة ؟

اليس عدوانا على الانبياء والشهداء والخلفاء والسلاطين الانقياء العظماء ان نطالب الصغار والاغبياء والتافهين والعاجزين والملوثين ان يقتدوا بهم او ان يكونوا مثلهم في اخلاقهم او في تفكيرهم او في نياتهم او في نظافتهم او في شموخهم وقوتهم وصبرهم ونضالهم وفي جميع معانيهم والتزاماتهم النفسية والعقلية والسلوكية - ان يضعوهم معهم في بيوتهم ؟

اليس هذا تصفيرا لاولئك لا تكبرا لهؤلاء ؟ اليس تحقيرا لمن يعلمون لا احتراما لمن يتعلمون ؟

اليس جميع تعاليمنا قائمة على ان الكبار جدا من الانبياء والخلفاء والشهداء انما يجيئون لكي ينقلوا ارواحهم بكل تفاسيرها الى ذات جميع الصغار ؟ اليسنا نفترض ونعلم ان هؤلاء الكبار جدا انما جاءوا ويجيئون لكي يعيشوا بكل ارواحهم في ذات وارواح جميع الصغار ، جميع الناس الصغار والكبار ؟ هل يمكن نقل اكبر عقل الى اصغر رأس ، او هل يمكن نقل اكبر روح واعظم روح الى اصغر واردا ذات ، هل يوجد مثل هذا التناسخ ؟

اذن اليسنا نؤمن بنموذج من التناسخ او من تناسخ الارواح لا مثيل له في البشاعة والتشويه والتحقير والعدوان والشمول ؟ اليسنا نحقر ونشوه انبياءنا وخلفاءنا وشهداءنا وعظماءنا وقديسينا حينما نحاول نقلهم الى كل ذات وعقل وضمير وخلق ومستوى والى كل بيت ؟ اليسنا نبالغ جدا في هجائهم حينما نظن اننا نبالغ جدا في تكريمهم وفي الايمان بهم ؟

اليسنا حينئذ نضعهم ونعرضهم في كل الصور وفي كل المواقف وفي كل المستويات والمقاسات والاماكن ؟

أن التوطين لارواح انبيائنا وشهدائنا وخلفائنا وصالحينا في ارواحنا قد يعني اسلوبا من أساليب المنافسة أو المزاومة أو المقاومة أو المطاردة للارواح الجديدة التي تحوم حولنا وفوقنا والتي تخيفنا وتهزمنا وتهددنا وتتفوق علينا .

قد ترفض الارواح البدوية والهمجية ان تتخلى عن مكانها للارواح الحضارية . قد يرفض الاله ان يتنازل للانسان . ان الارواح تنافس وتتزاحم ، ويقاوم ويطارد ويرفض ويخاف بعضها بعضا كما يحدث في الاجسام وفي الوحدات المادية . ان الارواح يحسد بعضها بعضا ويبغض بعضها بعضا ، ويفار بعضها من بعض ، ويخجل بعضها من بعض .

وهل يقاسي من هذه الآفات سوى الارواح ؟ هل يوجد مثل الارواح تدنسا وهبوطا وتقاتلا وخوفا ومعاناة ؟

ان ارواح انبيائنا ومعلمينا وقديسينا وارواح ابائنا التي تحتلنا قد تخاف وتبغض وتحسد ارواح ابنائنا وارواح عصرنا وارواحنا التي تريد ان تعيش كل حياتنا وان تطرد كل ما سواها ، كما انها قد تغار منها . وان ارواح عصرنا وارواحنا وارواح ابنائنا التي تصوغها الحياة الحاضرة والحياة المقبلة ، والتي تواجه الظروف الجديدة والظروف التي سوف تصبح هي الظروف الجديدة قد تخجل وتشمئز من تلك الارواح البدوية التي تحتلنا، التي تحتل عقولنا ولغتنا ومنابرنا وامانينا والتي تصوغ جميع تعبيراتنا وتعاليمنا ونماذج حياتنا .

انها لهذا قد تهرب متباعدة عنا ، وقد يضعفها او يمرضها الخجل والاشمئزاز .

ان هذا التناسخ الفكري والاخلاقي والنفسي واللغوي قد يكون له معنى ما او تفسير ما في جعلنا دائما مصابين بالعجز عن التغيير وعن التقبل وعن الانفتاح وعن الانطلاق في المسارات الحضارية والانسانية الجديدة ، وفي جعلنا دائما بدوا لا نستطيع ان نتحضر في تعبيراتنا اللغوية والفكرية والنفسية والاخلاقية وفي جميع تعبيراتنا ومواقفنا .

ان جميع افاننا النفسية والانسانية مغلقة دائما بتلك الارواح البدوية التاريخية المستبدة المتوحشة في آرائها وفي بداوتها وفي استبدادها .

ان جميع معانيها واحتمالاتنا مشحونة ومسكونة بتلك الكائنات المتجهمه
المتعصبة الرافضة لكل المنافسين والانداد .

ان جميع الانهار الجديدة لن تجد لها مجرى في حياتنا ليس مسدوداً
بأكنف واصلب التجمعات الرديئة .

ان جميع طاقاتنا الذاتية مفلقة امام احتمالاتها وامام نفسها ، وعن
احتمالاتها وعن نفسها ، او يراد لها ومنها ان تكون كذلك .

نعم ، انه يراد منها ولها ان تكون ذلك مهما عصت او عجزت ان
تكونه .

وانه لمحتوم ان تكون عاصية . انها لا تستطيع ان تكون الا عاصية
مهما تعلمت الطاعة وارادتها .



كل الرثاء لك ايها الانسان ، يا حاملا اقصى الازار . . يا حاملا
كل الماضي والحاضر ، وحاملا ايضا في قدرك وفي نياتك وامانيك
وطموحك ، وفي خطواتك ، كل المستقبل .

. . يا حاملا كل هؤلاء الالهة والانبياء والمعلمين والشهداء والقديسين،
وايضا كل هذه الاديان والتعاليم والمذاهب والمعتقدات ، وايضا كل هذه
المحاريب والمنابر والصلوات وكل هذه الآيات والروايات والاناجيل ،
وايضا كل هذه الاشواق والذكريات الروحية ، وايضا كل هذه الهموم
والآلام والورطات والعاهات والهزائم التاريخية . يا حاملا كل ما كان وكل
ما هو كائن وكل ما سوف يكون ، وكل ما لا يمكن ان يكون .

لك كل الرثاء ايها الانسان . يا من لا يحمل كائن مثل اثنالك
ولا شيئا من أوزارك . يا من لا يؤمن اي كائن مثل ايمانك بمثل اوثنالك .
يا من لا يهون كائن بعقله وايمانه مثلما تهون بعقلك وايمانك .

يا من لا يعيش اي كائن مثل دموعه ولا مثل ذنوبه ولا مثل ورطاته
ولا مثل اكاذيبه وتناقضاته وهزائمه . يا من لا يقاسي اي كائن مثل
اشواقه او شيئا من اشواقه . ما اقصى اشواقك ايها الانسان . . ما

أقسى وادوم واشمل أشواقك . من العدو الوحش الذي صنع فيك
أشواقك ؟

... يا من يريد ويتمنى ويحاول أن يعيش كل الموت والموتى ، بينما
يواجه ظروفًا تفرض عليه أن يعيش ، بالارادة والتمنى والمحاولة والالزام
كل الحياة وكل معاني الأحياء . يا من يريد الشيء ونقيضه ويتمنى
الشيء ونقيضه ويفعل الشيء ونقيضه ويؤمن بالشيء ونقيضه . يا من لا
شبيه له في تصادم آراداته ومواجهاته وتحدياته .

يا من يريد أن يعيش كل وحشية الآلهة وبدائيتها ، وكل إنسانية
الإنسان وحضارته . يا من يريد أن يكون كل العقل وكل الجنون ، كل
الحق وكل الباطل ، كل الخطأ وكل الصواب . يا من يريد أن يكون كل
الرؤية وكل العمى ، كل شيء ونقيضه .

.. يا من يريد أن يضع أرواح جميع أربابه وأنبيائه وخلفائه
وشهداءه وأتقيائه في ذات أصغر وأضعف أحاده . يا من يريد أن يضع
كل سمواته في كل حضيضه .

نعم ، لك كل الرثاء يا أيها الإنسان . يا من لا مثيل له في ذكائه
ولا أيضا في غبائه ، في أحزانه ولا أيضا في مسراته ، في انتصاراته
ولا أيضا في هزائمه ، في نبله ولا أيضا في نذالته ، في إيمانه
ولا أيضا في كفرانه ، في طاعته ولا أيضا في عصيانه ، في طهارته ولا
أيضا في قذارته ..

.. يا من لا مثيل له في عظمته ولا أيضا في تفاهته ، في كبريائه ولا أيضا في
هوانه . يا من لا مثيل لجحيمه ولا مثيل لنيرانه . يا من لا مثيل لاهتمامه
وأكاذيبه ، ولا مثيل لحقائقه ورؤاه .

أجل ، ان الإنسان بلا نموذج في طاعته وفي تجمع الآلهة والأنبياء
والمعلمين والطفة والمهرجين والادعياء والأغبياء والخبثاء ، وفي تجمع
الأكاذيب والبلادات والروايات والأشباح والأرواح والمحاربين والناظرين
والمقابر والأشياء والطبيعة والتاريخ والماضي ، وفي تجمع كل ما كان وما
سوف يكون وما لن يكون ، في ذاته .

انه لا مكان في هذا الكون يتسع لما تتسع له نفس الإنسان أو يتجمع

فيه ما يتجمع فيها دون ان تضيق او تزدهم او تمتلئ .

اجل ، ان الانسان بلا نموذج في تجمع كل شيء في ذاته .. في عقله وفي ضميره وفي احساسه وحواسه ، وفي اخلاقه ولغاته ، وفي حبه واشواقه ، وفي محاربه ومنابر وصلواته ، وفي ايمانه ، وفي كتبه وتعاليمه .

ولكنه ايضا بلا نموذج في عصيانه ولا في كفرانه .

بل انه هو وحده العاصي في هذا العالم . انه وحده العاصي الكافر ..

لهذا فانه هو وحده الصانع للحضارات في هذا العالم ايضا ..

ان كل الفرق بين الانسان وبين اي كائن او شيء في هذا العالم او في هذا الكون ان الانسان هو وحده الذي يريد ان يعصى ، ويفكر في ان يعصى ، ويستطيع ان يعصى ، وانه هو وحده الذي يعصى ، اي الذي ينفذ العصيان .

انه يعصى كل شيء بكل شيء .. بفكره ومنطقه ، وبارادته وشهوته ، وبأخلاقه ، وبكينونته ، بل وبمذاهبه واديانه وتقواه ، وبأيمانه ايضا .

انه يحول العصيان الى ايمان ، بل يحول الكفر الى ايمان . انه لا يكفر عصيانا فقط بل ويكفر ايمانا .

ولكن المعصي لن يكون الا شيئا واحدا . ان المعصى هو دائما الطبيعة . نعم ، ان المعصين كثيرون جدا ومتنوعون جدا في صيغهم وجنسياتهم وذواتهم ... ولكنهم جميعا ليسوا سوى الطبيعة في عديد اشكالها وقياسها ووحداتها ولغاتها . انها اي الطبيعة تتنكر في صور وصيغ آلهة وانبياء وزعماء ومذاهب واديان واخلاق واشياء اخرى .

انها هي كل من يطاع ايضا كما انها هي كل من يعصى . ان اي اله او نبي او زعيم او دين او مذهب او تعليم نطيعه او نعصيه لن يكون الا احدى صيغ او صور الطبيعة المتنكرة والمتنكر عنها ومنها .

شعبي شجاعاً

« ... ان شعبي لا يصنع الزنادقة ولا المتبردين ولا الغاضبين ولا الراضين ولا المحتجين ولا الخوارج لانه اي شعبي لا يصنع العصاة .. انه قد يغضب غضبا ذاتيا تحت الاسباب الذاتية الصغيرة التي تغضب لها الكائنات الصغيرة جدا . ولكنه اي شعبي لا يغضب غضبا عقليا او اخلاقيا او حضاريا اي لا يغضب غضبا انسانيا ... »

« ... او اه يا شعبي متى تصعد الى ان تكون مصابا اصابات خطيرة بهذا النوع من الغضب ؟؟ .. ان شخصيات شعبي لا تصاب بالتصادم او بالانشقاق الذاتي او الداخلي . ان شيئا فيه لا يعارض او يناقض او يرفض او ينكر شيئا فيه . ان شيئا ما من افكاره او اقتناعاته او اخلاقه او مواقفه لا يخاصم او يقاوم أي شيء من ذلك فيه بل ولا يحتج عليه .. »

انه بلا مقاومة او خصومة لا بين اية ذات ونفسها ولا بين اية ذات وذات اخرى . انه متوحد في مستوى كبرياء الانسان فيه مهما كان منشقا في احتياجات وفي معاني البراغيث فيه .. »

نعم ، اني هنا اريد ان اتحدث عن اسلوب واحد من اساليب شعبي في شجاعته ... ولكني لا بد ان اقلبي من الحرج ومن عتاب الضمير ومن تأثمه ومن شعوره بالذنب وبالعدوان على الآخرين ، على الشعوب الاخرى حينما اروي لها اسلوبا واحدا من اساليب شعبي في ممارساته لشجاعته ولمواقفه الشجاعة التي لا بد ان تتحول الى تصفير واذلال وهزيمة لجميع شجاعات الشعوب الاخرى ..

... ان هذه الشعوب الاخرى حينما أحدثها عن شجاعة شعبي سيقتلها او يذلها الخوف من شعبي ، وستزقتها الغيرة والحسد منه وله ، وسترهقها جدا محاولة المنافسة او الخوف من المنافسة .. وستعذبها حينئذ مشاعر الضالة والمهانة محاسبة شجاعته وكبرياءها بشجاعة شعبي وكبريائه ..

.. لقد ترددت وتعذبت هنا كثيرا ، كثيرا بين املاء رغبتي وتأثم ضميري ..

هل أكون قاسيا الى اقصى مستويات الوحشية بان اتحدث امام الشعوب الاخرى عن شجاعة شعبي فأصيب كبرياءها وشجاعته وأعجابها بنفسها واعتزازها بكل ما في تاريخها من ابطال وبطولات وامجاد ، بكل معاني الاذلال والتعجيز والقهر ، ام اختار ان اكون غدارا وخائنا وجبانا امام ضعف ضميري وعواظي فأذهب اتعمد اخفاء شجاعة شعبي رفقا ورحمة بالشعوب انتي لن تستطيع أن تطاول او تجاري شعبي في ذلك او ان تحاول مطاولته او مجاراته كما لن تستطيع أن تفغر لنفسها هوانها وجبنها وعجزها وخوفها، محاكمة ومحاسبة نفسها بما تسمعه عن شعبي؟ اني اخاف ان تحاكم وتحاسب نفسها بما سوف أروي لها عن شجاعة شعبي ... ماذا اكون ، أو ماذا أختار ؟ هل اكون هذا أم هذا ؟ هل اكون غدارا وخائنا ومقصرا أم اكون وحشا عدوانيا ؟ هل اكون انسانا أي انسانيا أم اكون حقيقة أي واقعا بكل وحشية الواقع والحقيقة ؟ .. هل أستجيب للواجب والضمير أم أستجيب للرحمة والرفق والضعف الانساني ؟ ما أقسى الخيار أحيانا بل ما أقساه دائما . ان أقسى ما في الخيار الشعور بقسوته ..

اجل ، ان شعبي شجاع جدا .. شجاع افرادا وشجاع مجتمعا ..

اني لن اجرؤ ان احدثك الا عن اسلوب واحد من اساليب شجاعته بل عن اصغر اساليبه الشجاعة .. اني اهاب واجبن ان أروي لك الا اقل واصغر اساليبه هذه . ومع هذا فكم أنا متفائل وساذج بل وغر جدا حينما اطمع في ان تصدقني بل في الاتهمني بتهمة اكبر من التفاؤل والسذاجة والغرارة ..

لافترضك مواطنا من مواطني شعبي ، بل لافترضك أي مواطن فسي اي شعب . ولكن افتراضك مواطنا في شعبي يتحول الى تدليل اكبر جدا على شجاعة شعبي ..

نعم ، انت الان مواطن في شعبي او مفترض كذلك ...

.. اذن ، احذر جدا ان تكون صادقا او مفكرا او متسائلا أو ذكيا او نظيفا بل او تقيا او متدينا بضميرك او باقتناعك او من دُخلك او بعقلك او ان تكون محدقا اي تحديق في اي شيء او الى أي افق ، او ان تكون مصليا في غير مسجد السلطان أو مستمعا الى غير خطبة السلطان او راويا او مفسرا غير خطبة السلطان ، بغير لغة السلطان وتفسير السلطان

وحركات السلطان ، بل او أن تكون في يدك مسبحة غير مسبحة السلطان او نسخة من الكتاب المقدس مطبوعة طبعة غير الطبعة التي في يد السلطان او ان يكون مفسرها غير المفسر للنسخة التي في يد السلطان او أن تكون مطبوعة في غير مطبعة السلطان ، او ان يكون أي معنى من معانيك ليس احد معاني السلطان .. نعم ، اني احذر ان تكون مؤمنا او متدنيا بصدق ووفاء والتزام . انه لا شيء يخشى ويعاقب في بلاد الايمان والتدين مثل الايمان والتدين حينما يكونان صادقين منفذين او لو كانا كذلك وهل يمكن أن يكونا كذلك ؟ ... نعم .. نعم .. واحذر ان تكون نسخة انسانية مخالفة او مغايرة لاية صيغة او لاي تفسير من صيغ او من تفاسير جثث أسلافك وآبائك وسلاطينك وخلفائك وانبيائك وكهانك الذين ترويه لك رواياتك القديمة ، القديمة جدا ، راوية وأرثة لها من قبورك القديمة ، القديمة ، وعن قبورك القديمة ، القديمة .. أن كل حياتك يجب ان تكون ابدا رواية عن القبور .. ان كل مجدك ان تكون رواية قديمة عن اقدم القبور . ان كل أمجادك امجاد تسكن القبور وتصنعها القبور .. نعم ، انه يجب عليك دائما ان تظل قبرا قديما ، قديما مهما بدوت في صورة انسان ، أو مهما حسبت انسانا ... اجل ، وهل اكثر الناس الا قبور مهما جاءوا في صور وملابس البشر ؟

اجل ، ثم احذر جدا ان تكون رافضا او محتجا او ناقدا او غاضبا غضا عقليا او اخلاقيا او مذهبيا او فكريا او انسانيا ، او أن تكون شجاعا .. اجل ، ان هذه هي الزندقة الكبرى . ان أكبر الزندقات أن تكون شجاعا .. ان أكبر الزندقات في حسابات شعبي الشجاع جدا ، ان تكون شجاعا في أي معنى من معانيك ...

نعم ، حذار ان تكون شجاعا حتى ولا في عينيك او في نظراتك ، حتى ولا في أذنك أو في اصغاءاتك أو انصاتاتك ، حتى ولا في صوتك هاتفيا أو مصليا او مادحا ، حتى ولا في أي تعبير من تعبيرات ارتجافك وايمانك ومبايعاتك .. حتى ولا في أية لغة من لغات اعصابك او عضلاتك او آهاتك أو أناتك ... حتى أناتك وآهاتك وضراعاتك ، حذار أن يكون فيها أي تعبير من تعبيرات الشجاعة .. حذار ان تكون محاسبا او محاكما او مسائلا او طالبا الفهم او التفسير ..

نعم ، انت مواطن من مواطني شعبي الشجاع جدا .. انت الان مواطن في شعبي او انت مفترض كذلك . ولا بد أن يسرك جدا هذا الافتراض . اليس كذلك ؟ اذن احذر .. احذر جدا ان تكون شيئا من ذلك .. ان يكون فيك

شيء من الخطايا والخianات والزندقات التي سمعت الان الحديث عنها ..
بل احذر جدا ان تكون متهما بها أو محتملا ان تكون متهما بها أو مرويا عنك
انك متهم بها أو انك قد تتهم بها ..

ان اتهاكم بذلك ، مجرد اتهاكم ، يصبح واقعا ، يصبح الشك فيه
خيانة ، بل ان مجرد اتهاكم بذلك يصبح نبوة ، يصبح له قوة النبوة ، يصبح
الشك فيه يساوي بل يعني الشك في النبوة وفي صدق النبي ! ...

اجل ، انت مواطن من مواطني شعبي الشجاع جدا او مفترض انك
كذلك ... اذن فالمطلوب منك ان تتحدث دائما في مجالسك الخاصة والعامة ،
في جميع مجالسك ، ان تتحدث عن الجنس بكل معانيه ومهاويه ، وان تفتاب
وتسب وتذم وتحقر وتشتم وتقبح وتشوه وتهون وتهوي وتصفّر ، تصفر
حتى لا يبقى لك أي حجم .. وان تغوص ، تغوص في جميع التفاهات
والحقارات والاحوال والندالات مع احتقارك وأتھامك وسبك لكل شيء جيد
ولكل انسان متفوق ولكل حضارة وكل تقدم وكل علم وكل نظافة وعبقريّة
وموهبة بل وتقوى وتدين .. لان التحدث في ذلك قد يحميك ويصرفك
عن التحدث في الشؤون والقضايا الانسانية الكبرى .. في التفكير او في
الحرية او في الحضارة او في المذاهب او في السياسة او في العلوم او في
الفنون او في الاخلاق .. وهذا قد يجعلك تتكلم او تفسر او تفهم بغير
لغة السلطان او بغير تفاسيره او بغير عقله وفهمه او بغير لغة او تفاسير
أو عقول او افهام الجثث القديمة ، القديمة .. الساكنة في المقابر
القديمة القديمة .. جثث الانبياء والاباء القدماء القدماء كثيرا كثيرا ..
الذين اتفق معهم السلطان لقائم بيننا بل وكل سلطان قد كان او سوف
يكون على ان يكونوا مستشاريه وأعوانه وجنوده وانبياءه الطيبين .. الطيبين
جدا ، ودائما ، دائما بلا أي خلاف على أي نص أو على أي تفسير أو على
أي موقف أو قضية ما اروع وتبل واتقى الاتفاق الدائم الموفى
بين جميع السلاطين وبين جميع الانبياء وجميع تعاليمهم وكتبهم المقدسة
المتلوة في جميع المحارب ، في جميع العصور والمجتمعات ، من فوق
جميع الأنابر ..

هل وجد اتفاق ملتزم في جميع العصور مثل الاتفاق الموقع الملتزم
دائما بين اهواء السلاطين وتعاليم الانبياء ؟ ما اجهل واتقى الصداقة الدائمة
بين كل سلطان قائم ونبي قد مات .. بين كل سلطان مهما كان عصره

وبين كل كتاب مقدس تتلوه وتحفظه الحاربي ، .. هل وهب او يهب
السلطين الخارجون على تعاليم الانبياء صداقتهم وولاءهم مثلما وهبوا او
يهبونها للانبياء ؟ وهل قاتل وظلم وعادى باسم الانبياء مثل الخارجين عليهم
بنياتهم وسلوكهم ؟ .. هل خرج على تعاليم الانبياء مثل من يحكمون ويخطبون
ويعادون ويبطشون باسم الانبياء ؟

نعم ، انت احد مواطني شعبي الشجاع جدا .. انت الان كذلك او
مفترض كذلك .. اذن عليك الاتقاراف اية خطيئة او زندقة من هذه الخطايا
والزندقات التي سمعت الحديث عنها والا فهذا هو بعض عقابك بل اصغر
واسهل اساليب عقابك الذي لا بد ان يوقعه بك شعبي الشجاع جدا ..

.. لا بد حينئذ ان يخافك كل الخوف وان يرفضك كل الرفض بكل
ايمانه وتقواه ، وبكل ولائه لسلطينه وكهانه وقبوره وتاريخه . بل بكل ولائه
لهزائمه امام كل اعدائه . انه لا بد ان يخافك وان يرفضك افراداً ومجتمعاً
لانه لا نموذج لشجاعته .. انه حينئذ لا بد ان يهاب لقاءك ورؤيتك او اتهمه
بذلك باسلوب لا بد ان تخجل منه الحشرات . انه حينئذ سيتمزق خوفاً من
ان تلقاه او يلقاك .. من ان تراه او يراك ، من ان تزوره او يزورك ، من ان
تنطق باسمه او ينطق باسمك ولو غلطا او تشابها بالاسماء .. من ان تمرا
في طريق واحد او ان تجتمعا في مكان واحد ولو لم ير احكما الاخر او
يكلمه او يعلم به او يصادفه او يتسم له بل او يعبس له ... من ان يذكر
اسمك امامه ، من ان يسأل عنك .. هل مات .. هل مات شنقا او تعذبا او
باطلاق الرصاص عليه ، او خنقا او ضربا ... بالمحاكمة ام بالاغتيال ... هل دفن
ام احرق ، هل دفن في الصحراء ام في المدينة ، في بلده ام في بلاد اخرى ..
في مقابر اهل دينه ام في مقابر اصحاب الاديان الاخرى .. ان رؤيتك حينئذ
او لقاءك او معرفتك او ذكر اسمك او الحديث عنك باي اسلوب حتى ولو
بالسبب والاتهام لك والبراءة منك ستصبح مشكلة بل عقدة بل تعذبا بل
موتا واذلالا وازهايا لكل شعبك افراداً ومجتمعاً .. بل ان اتهمهم بذلك ،
افراداً او مجتمعاً ، او احتمال اتهمهم او الخوف من هذا الاتهام او التهديد
بهذا الاتهام سيصبح احدى مشاكلهم ومخاوفهم واحزانهم وذنوبهم ومقاتلهم ..
ان احتمال اتهمهم افراداً او مجتمعاً بذلك سوف يتحول الى سلاح رهيب ،
رهيب يهددهم ويخيفهم ويذلهم به اي انسان ، بل اضعف واجبن انسان ..
انهم حينئذ محتاجون جميعا حتى الكبار منهم جدا الى ان يركموا لهذا المهدد
الخيف المذل لهم بهذا السلاح ، ضارعين متوسلين اليه ان يكون بهم زفيقا
رحيما ، واعدين له بكل آثمن وبأغلى الثمن وبكل الهوان والطاعة والاستسلام

لضغوطه واملاءاته وشروطه وتحت اقدامه لئلا يروي عنهم انهم يعرفونك او يعرفون اسمك او يعرفون قراءة اسمك لو وجدوه مكتوبا باقلامهم .. ان محاولة البراءة حينئذ من هذا الاتهام او من هذه الزندقة ستصبح حينئذ احد الفنون الصعبة او احدى القضايا الكبرى الاليمة اللئيمة .. ولعل محاولتهم البراءة من هذا الاتهام هو فنهم المثير او قضيتهم المتفردة التي تصنع فيهم ولهم الحماس والارتجاف اي حماس وارتجاف الخوف والتوبة والاعتذار والاستغفار .. انهم خامدون ، خامدون الا حينما يخافون او يتوبون او يستغفرون او ينافقون ، او حينما ينكرون انهم يعرفونك اي ان كنت متهما بالصدق او بالذكاء او بالنظافة او بالتفكير او بالتحديق في الاشياء والاشترط عليها .. حتى كتابة اسمك حينئذ حتى ولو في حساب الموتى ، انها مغامرة كبرى ... هل يمكن ان تصدق ان احدا منهم قد يملك من جنون الشجاعة ما يجعله يجرؤ على ان يكتب اسمك بقلمه او على اوراقه التي يكتب عليها كل انواع واسماء وجنسيات واوصاف واخلاق الحشرات واماكنها وقبائلها وعاداتها وتقاليدها وشهواتها وكل ذنوبها وصغائرها واهتماماتها بل وهمومها وغرامياتها .. ما اشجع شعبي على التحديق والتحديق في حضيض الحشرات .

... ان شجاعة شعبي لتجد لك كل الغفران لو انك اغتصبت عفة الشمس بالاكراه او بالخداع دون ان تجد لك اي غفران او احتمال غفران لو انك عرفت او صادقت انسانا قد بقي في جبهته بقية لم تأكلها الحشرات التي كل عملها ان تأكل كل الجباه من كل الوجوه .

نعم ، ان شعبي لشجاع جداً .. ان من اساليب شجاعته ان يبكي وان يركع ويموت ، خوفا من ان تلقاه او يلقيه او ان تعرفه او يعرفك او ان يعرف قراءة اسمك او كتابته او النطق به او ان يعترف او يقتنع بانك موجود .. اي ان كنت متهما او لو كنت متهما بأي مستوى من الصدق او الفكر او الذكاء او الشجاعة او المساءلة او الرؤية او التحديق او الاشتراط الاخلاقي او العقلي او الانساني بل او من التدين الصادق والايمان الذكي ... او ان كنت عاجزا عن ان تتحول الى مقبرة كثيفة يتجمع فيها كل ما في التاريخ الكئيب من اوثان وغباوات ومهانات واكاذيب ومن تحطيم واذلال لكل ما في الانسان من احتمالات الطموح والشموخ والكبرياء الفكرية والاخلاقية والحضارية .. او اه .. كم يعادون الكبرياء الفكرية والاخلاقية والانسانية .. كم يقاومون ويرهبون ويدمرون كبرياء الضمير والرفض والاحتجاج فكيف العصيان؟ .. او ان كنت لا تملك جبهة جيدة واسعة تستطيع ان تكون ممرا او

مكانا جيدا، لتمر عليها أو تقيم فيها جميع احذية السلاطين الموجود والسلاطين الذين كانوا موجودين والسلاطين الذين لا بد ان يجيئوا ليصبحوا موجودين وتصبح لهم احذية تحتاج الى جباه جيدة واسعة لتقيم فيها وتمر فوقها .. ولكن هل يقبلون ان تكون لك او ان تبقى لك جبهة حتى ولو لتكون مكانا وممرًا لكل الاحذية ؟ هل يقبلون اي وجه كان فيه يوما ما جبهة ؟ هل يتركسون الوجوه تثبت الجباه او تعيش فيها الجباه ؟

... ان وجوه شعبي مناخ لا تثبت فيه الجباه ولا العيون ولا الكبرياء ولا الغضب . ان وجوه شعبي صحراء ابدية لا يثبت فيها الانسان . ان وجوهه ليست وجوها . نعم ، ان شعبي لشجاع جدا وان من اعلى اساليب شجاعته جراته التي حدود ولا مثيل لها على ان يحطم ويميت في نفسه وفي حياته وفي طموحه وامانيه وفي اشواقه ونياته كل احتمالات ان يكون صادقا او شجاعا او حرا او مفكرا او ناقدا او مبصرا او رافضا او غاضبا او ايبا او ذكيا او صاحب ضمير بل او يكون متدينا او تقيا او مؤمنا باقتناع او برؤية او بمنطق او باخلاص او باحترام لما يؤمن به او لمن يؤمن به . ان شعبي المؤمن جدا لا يحارب او يخاف شيئا مثلما يحارب ويخاف الايمان الشجاع . انه لا يعادي الزندقة التي يزعم انه لا يعادي سواها مثلما يعادي الايمان الشجاع ..

... اذن أين توجد شجاعة مثل شجاعة شعبي ؟ وهل يمكن ان توجد ؟ .. ان شعبي الشجاع جدا ليحطم ويميت في نفسه وفي حياته وفي طموحه واشواقه وامانيه ونياته وتعبيراته كل هذه الاحتمالات بجرأة وبسالة لا حدود ولا نموذج لهما لانه يطيع ويخضع باسلوب وتقوى لا مثيل ولا نموذج لهما ، رهبة وضالة وتقليدا لجبروت سلاطينه ولجبروت كهانه وتاريخه وقبورته ولجبروت تقاليدته ونصوصه وآياته واشعاره ولقوة اخلاقه وخصائصه العقلية والنفسية والتاريخية والعرقية والنفسية والحضارية بل والدينية والانسانية .. اواه .. ما اشجع واقدر شعبي على ان يقتل كل معاني وتفاسير الانسان فيه .. اذن هل يوجد شعب شجاع جدا مثل شعبي؟، لتركع اذن كل شجاعات كل الشعوب تحت اقدام شجاعة شعبي .. وهل تتواضع شجاعة شعبي لتقبل ان تركع تحت اقدامها كل شجاعات العالم وكل ما في العالم من هامات وقامات ؟ اذن هل يوجد انسان واحد لا يتمنى ان يكون مواطنا من مواطني شعبي ؟ هل جربت او الا تجرب ان تكون هذا المواطن المحظوظ السعيد مثلي لكي تجرب هذا الذي جربت من شعبي ؟ .. لكي تجرب هذه الشجاعة التي جربت في شعبي .. جربت في شعبي

افرادا ومجتعما . وانا الان اجر بها في اقصى واعلى واصدق مستوياتها . هل
اتمنى لك ذلك ؟ . حتما انت تريد هذا التمني لك . وهل يخلق بك طموحك
الى التأمل في ان يستجاب لك هذا التمني ؟

... ولكن هل انا بكل هذه القداسة والتقوى لكي اذهب آتمنى لك
ان تكون مواظبا لي لتعيش الشجاعة التي يعيشها ويعيش فيها شعبي ،
ولتعيش في مزاياها وحمايتها وفي كبرياتها ؟ نعم وهل توجد كبرياء مثل كبرياء
شجاعة شعبي ؟ وهل توجد كبرياء مثل كبرياء شعبي ، او هل توجد شجاعة
لها كل الكبرياء مثل شجاعة شعبي ؟ ...



مسكينة هي اسرائيل لو انها علمت بشجاعة شعبي . . انها الان تعيش
وتبقى وتطمئن الى انها سوف تظل تعيش وتبقى بل وتتحدى وتنتصر لانها
لم تعلم بشجاعة شعبي ، بل لانها لم تعلم بوجود شعبي او تسمع عن وجوده .

... اذن كم هي مسكينة حينما تعلم ان شعبي موجود، نعم . حينما تعلم
ان شعبي كائن موجود ، وحينما تعلم ان ما رويت عن شجاعته هو اقل
اساليب ومستويات شجاعته ، واني كنت عاجزا جدا في وصفي لشجاعة
شعبي . . . اجل ، وكان شعبي الشجاع جدا لم يعلم ان اسرائيل موجودة
وانها موجودة بالاساليب التي هي بها موجودة ، بكل انتصاراتها وبكل تفاسير
ودلالات انتصاراتها التي لا بد انها قد جعلت التاريخ يفكر في ان ينكر بان
مخلوقات كانت تسمى العرب هي احدى رعاياه او احدى مخلوقاته . . ولكن هل
يغضب او يشتمز التاريخ من شيء ؟ هل يغضب او يشتمز من ان يكون له
رعايا او اتباع او ابناء لهم شجاعة مثل شجاعة شعبي ؟ وهل يملك التاريخ
شيئا من الغضب او الاشمزاز ؟ . . . وآلا لو ان شعبي الشجاع جدا علم
بوجود اسرائيل فكيف يمكن ان نفسر او نفهم وجود اسرائيل وبقائها ؟

كيف آذن حدثت هذه المعجزة ؟ كيف حدث ان اسرائيل لم تعلم بوجود
شعبي وحدث ان شعبي لم يعلم بوجود اسرائيل ؟ كيف حدث هذا ؟

آذن كم هي مسكينة اسرائيل لان هذه المعجزة لن تدوم . . لن يدوم
ان تظل اسرائيل تجهل وجود شعبي وان يظل شعبي يجهل وجود اسرائيل .
اي قدر شرير او طيب قد جعل شعبي وجعل اسرائيل لا يعلم احدهما بوجود
الاخر حتى اليوم ؟ ولكن ايها افضل او اعظم او اتقى : ان يعلم شعبي أولا
بوجود اسرائيل ، ام ان تعلم اسرائيل أولا بوجود شعبي ؟

إذا علمت إسرائيل أولاً بوجود شعبي الذي رويت أسلوباً واحداً من أساليب شجاعته فإن إسرائيل لا بد أن تتخلص من وجودها بأي أسلوب تراه أقل وأخف تعذيباً وأذلاً وتحقيراً لها . أما لو علم شعبي أولاً أي بوجود إسرائيل فإن أسلوب أنزلتها سيكون أكثر قسوة وقهراً وتنكيلاً بها ولها وعليها . ولكنه لا بد أن يكون اعظم واشهر تمجيذاً لشعبي وإعلاناً عالمياً وتاريخياً عنه

فأي الأسلوبين اذن افضل ، او ايها يجب ان نختار ؟

هل نختار الانسانية والرحمة مع التواضع ام نختار المجد والدوي مع الكبرياء والقسوة ؟

لعل قسوة الخيار والاختيار بين هذا وهذا هي التي قد اعتقلت تصرفات شعبي وقبضت على يديه حتى اليوم بهذا الأسلوب الحزين الذليل . . . الذي أذن لإسرائيل بأن توجد وتبقى وتحول الى جبروت رهيب . .

وكم نرجو الا يكون هذا القبض والاعتقال لتصرفات وليدي شعبي أبديين . . كم نرجو الا تكون انسانية شعبي او رحمته ابدية . .



ان شعبي معجزة في الشعوب ، معجزة في الطبيعة ، معجزة في جميع المقاييس والتفاسير واللغات ان من معجزات شعبي انه لا يتفاوت في تفاسيره او معانيه او في أحجامه وابعاده . .

انه ابدأ انسان واحد او شيء واحد او خليفة واحد أو سلطان واحد . . انه طول واحد وحجم واحد وذكاء واحد وراي واحد ورؤية واحدة وعقيدة واحدة وجبهة واحدة وصلاة واحدة ومعبد واحد . . انه لا يتفاوت في كبريائه الا بقدر ما يتفاوت في عبقرياته . . انه لا يتعدد في مواقفه ولا في مستوياته او انفعالاته او نظراته او في عبقرياته او في رؤاه . . انه لا يتعدد حتى ولا في آهاته او اناته بل ولا في عاهاته . . حتى عاهاته . . انها أسلوب واحد وحجم واحد وعدالة واحدة .

لهذا كان شعبي شجاعاً جداً . لهذا لا يأذن بان يوجد فيه انسان واحد قد بقي في اخلاقه او في عقله او في عينيه ، او في ضميره او في لغته بقية من غضب او من تفكير او من رؤية او من شرف او من جهر او من احتجاج .

تصويبات

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٠١	٧	التحدث	اتحدث
١٠١	٧	انه حينما	انه حتما
١٠١	٩	عما في نفسه	عما في نفسك
١٠٦	١١	النقائض	النقائض
١٠٨	٥	معلميه	معلميه
١١٢	٣	انه مهما بدت	انه مهما عبتد
١٤٠		سطر أربعة وخمسة	زائدان
١٨٣	٢٨	يعطي	يعطى
١٨٤	١	يعطي	يعطى
١٨٤	٢	يعطي	يعطى
١٨٥	٢٣	التحير	التحقير
١٩٣	٢٠	لينقذوهم	لينقذوهم
١٩٣	٢١	لينقذوهم	لينقذوهم
١٩٣	٢٣	لأنها	لأنهم
١٩٩	١٢	يجب	يجب
٢١٥	٦	ليتشاركوا	ليتشاركوا
٢٢٣	١٩	ما يريد	أو يريد
٢٧٢	٢٣	سيؤدي فهمه	سيؤدي فهمه
٢٩١	٧	وزينة ألم	وزينه ألم
٢٩٤	٢٠	مشاهدة الفاجعة	مشاهدة الفاجعة
٢٩٦	٧	وما يعذبه وما يشتمها	وما يعذبها ويشتمها
٢٩٧	٥	لقد تحولت	لو تحولت
٣٠٣	١١	على أخلاقها	عن أخلاقها
٣٤٣	١٨	مشروع للكذب	مشرع للكذب
٣٥٢	٢١	شمولها	شموسها
٣٥٩	٢٥	أولا	لولا
٣٧٢	٢٠	المهنية	المهينة
٣٧٣	١٠	من التفكير	من التكفير
٣٨٧	١٧	وبتفكير منطقتهم	وبتكفير منطقتهم
٣٩٠	٢٠	الى المؤمنين	أي المؤمنين
٤٠١	٢٢	المتشائمة	المتشائمة
٤٠٤	٢٣	البدنية	البدنية
٤٠٧	١٤	الى الورا	أي الورا

فصول الكتاب

- ٥ إذا انتصر النبي هزمت نبوته .
- ٢٥ أيها الملك .. أنت أبشع جلد .
- ٧٥ يكذبون لكي يروا الاله جميلا .
- ١٠٧ كل هذا السلاح لقتل الشيطان .
- ١٦٩ الانسان .. هل خدع خيال الآلهة .
- ٣٠٧ كيف رآته كل العقول .
- ٣٢٣ رأسك أكثر أعضائك انخفاضا .
- ٣٤٧ السيف واهبا للاله صفاته .
- ٣٧٧ الانسان يعصي لهذا يصنع الحضارات .
- ٤٢١ شعبي شجاع جدا .